

دراسة فنية لـ "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق في ضوء الخيال العلمي

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



الإعداد

شمائله أكرم

الإشراف

الدكتور محمد إقبال

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي: ٢٠٢٤ - ٢٠٢٣ م

دراسة فنية لـ "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق في ضوء الخيال العلمي

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات



قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي، ٢٠٢٤-٢٠٢٣ م

© شمائله أكرم





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد خرجوا بنتائج طيبة حولها
ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

دراسة فنية لـ "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق في ضوء الخيال العلمي

رقم التسجيل: 1 PhD/ARA/S20

إعداد: شمائله أكرم

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور محمد إقبال

التوقيع

المشرف

الأستاذ الدكتور جميل أصغر

التوقيع

عميد كلية اللغات

اللواء (المتقاعد) شاهد محمود كياني

التوقيع

رئيس الجامعة

التاريخ: / /

يمين الباحثة

أعلن أن أطروحتي: "دراسة فنية لفانتازيا لأحمد خالد توفيق في ضوء
الخيال العلمي"، التي أعدتها تحت إشراف الدكتور محمد إقبال، والتي قدمتها
إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة
العربية، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

شائلة أكرم

الباحثة

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	يمين الباحث
ج	فهرس المحتويات
هـ	Abstract
و	الإهداء
ز	كلمة الشكر
١	المقدمة
التمهيد	
٨	ترجمة الروائي أحمد خالد توفيق وأعماله الأدبية
١٥	مفهوم أدب الخيال العلمي
٢٥	نظرة على تاريخ أدب الخيال العلمي
٢٨	الفرق بين الخيال العلمي و الفانتازيا
٣٠	مواضيع الخيال العلمي
٣٥	الخصائص الفنية لرواية الخيال العلمي
الباب الأول : نبذة عن روايات مختارة من "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق وملخصها	
٤٥	الفصل الأول: عرض و تلخيص للروايات المختارة: من العدد ١ إلى ٢٠

٧٥	الفصل الثاني: عرض و تلخيص للروايات المختارة: من العدد ٢١ إلى ٤٠
١٩٥	الفصل الثالث: عرض و تلخيص للروايات المختارة: من العدد ٤١ إلى ٦٤
الباب الثاني: تحليل موضوعات أدب الخيال العلمي في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق	
٢٣٥	الفصل الأول: السفر عبر الزمن، الانتقال الآني، الأوهام العلمية، والقوة الميتافيزيقية
٢٤٩	الفصل الثاني: أوبرا الفضاء، خيال علمي صعب، التاريخ البديل، والسايبربانك
٢٥٥	الفصل الثالث: غزوات الأرض والفضاء، مخلوق خارق الطبيعية، الطيران والاختفاء، واستحضار الأرواح
الباب الثالث : البنية الفنية في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق	
٢٦٤	الفصل الأول: اللغة و السرد
٢٧٨	الفصل الثاني: الحدث والزمان والمكان
٢٩٦	الفصل الثالث: الشخصيات
٣١٥	الخاتمة والنتائج
٣١٦	التوصيات والاقتراحات
٣١٧	الفهارس الفنية
٣١٨	فهرس المصادر والمراجع

Abstract
of the PhD thesis entitled:
A Technical Study of the "Fantazia" of Ahmed Khaled
Tawfik in the Light of Science Fiction

This PhD dissertation focused on the technical analysis of the "Fantazia" series, written by Ahmed Khaled Tawfik, an Egyptian physician and pioneer in horror, fantasy, and science fiction literature. The study explored the themes of science fiction within Tawfik's novels and examined their significance in the context of international and Arabic literature. The dissertation is comprised into three sections, including a preamble providing a biography of Ahmed Khaled Tawfik and an overview of science fiction literature, its concept, history & difference between science fiction and Fantasy. The first chapter dealt with an introduction to the "Fantazia" series and summaries of the selected novels within it. Subsequent chapter elaborated the various themes found in Tawfik's science fiction literature such as time travel, teleportation, scientific delusions, space opera, metaphysical powers, the conquest of Earth & space, alternative history, cyberpunk, and supernatural creatures. The third chapter narrated a technical study of the "Fantazia" series, analyzing aspects such as language and narration, plot development, and characterization. The dissertation concluded with important recommendations and results derived from the comprehensive analysis of Tawfik's work. This study contributed to the understanding and appreciation of Ahmed Khaled Tawfik's contribution to the field of science fiction literature, highlighting the unique fusion of scientific and speculative elements in his writings. Moreover, it addressed the significance of science fiction in the Arab world, demonstrating how it has become an extension of a foreign heritage and suggest avenues for further exploration and research in this genre.

الإهداء

إلى أبي العطف.... قدوتي، ومثلي الأعلى في الحياة.

إلى أمي الحنون... لا أجد كلمات يمكن أن تمنحها حقها، فهي ملهمة الحب.

كلمة الشكر

قال الله عزوجل في التنزيل الشريف: "لئن شكرتم لأزيدنكم"^١. الشكر والحمد لله جل وعلا، فإنه ينسب الفضل كله في إكمال هذا العمل - و الكمال يبقى لله وحده.

إنطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"^٢، أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور محمد إقبال لتوجيهاته القيمة، فقد شرفني بقبوله الإشراف على هذه الأطروحة العلمية ولم يدخر جهداً في النصح والإرشاد والتصحيح منذ بداية العمل، فله مني خالص الشكر والتقدير .

وكما أقدم جزيل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل رئيس قسم اللغة العربية الدكتور أبوبكر بهته -داعياً إلى الله سبحانه و تعالى أن يجزل له الثواب في الدنيا و الآخرة و ينفعنا بعلمه العزيز و خلقه النبيل.

و أتوجه بشكري و تقديري للدكتور طاهر محمود الذي قدّم كل العون والنصيحة لتحديد الروايات في الخطة المقترحة، فله مني خالص الشكر والإمتنان .
وأشكر جميع أساتذتي الأجلاء، الذين نهلت من علمهم، فقد استفدت منهم كثيراً على مدى سنوات أمضيتها في طلب العلم، خاصة د. كفايت الله همداني، د. نور زمان، د. محمد بادشاه، د. إسماعيل، د. حيات الله، د. أسماء الحسنی، د. سلمى شاهدة، فلهم جميعاً جزيل الشكر والثناء، وصالح الدعاء بأن يحفظهم الله ذخراً للعلم ما تعاقب الصبح والمساء.

وجزاهم الله عنا جميعاً خير الجزاء.

^١ . إبراهيم، الآية: ٧.

^٢ . رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن أبو هريرة، الصفحة أو الرقم: ١٩٥٤، حديث حسن صحيح.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين. أما بعد!

فأدب الخيال العلمي هو نوع من الفن الأدبي الذي يعتمد على الخيال، وفي
قاموس المعاني يعرف الخيال العلمي بأنه: "نوع أدبيّ أو سينمائيّ تكون فيه القصة الخياليّة
مبنية على الاكتشافات العلميّة التأمليّة والتغيّرات البيئية وارتداد الفضاء، والحياة على
الكواكب الأخرى"^١.

فأدب الخيال العلمي كما هو معروف من الكلمات أنه نوع من الأدب يعتمد
على الخيال العلمي. والخيال العلمي هو تصورات ونظريات وفرضيات علمية وفيزيائية
وبيولوجية وفلكية وفضائية تعتمد على القواعد العلمية.

وستكون هذه الدراسة دراسة أدبية موثقة وشاملة في الموضوع المذكور بإذن الله
تعالى، وقد اخترت أحمد خالد توفيق هو طيب، وكاتب، ومؤلف، ومترجم مصري. يُعد
أول كاتب عربي في مجال أدب الشباب، والفانتازيا، والخيال العلمي.

الفانتازيا هي سلسلة روايات من تأليف د. أحمد خالد توفيق، بدأ إصدارها في
عام ١٩٩٥، وهي ثاني سلسله، وتلعب دور البطولة الأساسي بها شخصية عبير عبد
الرحمن وهي نموذج آخر للبطل الذي يحمل مواصفات ضد البطل.

فكرة السلسلة أن البطلة تخوض تجارب عديدة ومختلفة وقوية في عوالم الخيال
والفانتازيا، فمرة تكون في عالم كاتب أو أديب معين، أو تخوض مغامرة مع شخصية
خيالية أو عالم خيالي تراثي من أساطير الشعوب، أو مع شخصيات أو فترات تاريخية
مرت على الأرض، أحياناً تختلط العوالم مع بعضها أو تتداخل، وهي روايات من أدب

^١ - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت، مادة (خيال)، ص ١٩٣ - ١٩١.

النقد، حيث أنها تخوض في عوالم الأدباء والخيال التي صنعها البشر وتعرض إلى نقدها، أحياناً بصورة ساخرة فقط .. وهو نوع نادر من الأدب في العربية.

عالم فانتازيا مكون من مخيلة عبير عبد الرحمن، الفتاة الرقيقة الهشة الحاملة والتي قرأت كمّاً من الكتب والقصص والروايات التي يصعب أن يلم بها شخص واحد.. وفي هذا العالم العديد من المدن والجسور والقرى والسهول والقلاع والحصون والأبراج والأسوار التي تحيط بمختلف أنواع الأدب والخيال بداخلها. تطوف عبير هذا العالم بمساعدة المرشد مرشد فانتازيا الذي يشبه وجهه وجه مدرس اللغة العربية.

الوصول إلى فانتازيا عادة ما يتم بجهاز الحاسوب ذي الأقطاب المسمى دي جي ١، وإصداره الثانية منه دي جي ٢، ونادراً ما تدخله عبير بمجرد النوم.

والفانتازيا هي مجموعة من الروايات التي كانت تصدر بشكل دوري على هيئة أعداد. وهذه الروايات تُصنف تحت روايات الخيال العلمي والمغامرات. وقد تميز أسلوب الدكتور أحمد خالد بالحبكة المتقنة وإجاداته لتوظيف أسلوبه في الغرض من الروايات وهو الخيال العلمي وصُنع المغامرات. تشتمل هذه السلسلة على ٦٤ روايات مغامرات ممتعة من أرض الخيال.

أهمية الموضوع

لما تطورت العلوم والتكنولوجيا في القرن التاسع عشر، وتشابك الأدب مع العلوم والتكنولوجيا الحديثة برز نوع جديد من الإنشاء الأدبي في العالم. وهو أدب الخيال العلمي. وتدور أحداث هذا الصنف من الأدب حول الإبداع العلمي، والابتكار الجديد. فالإنترنت والتكنولوجيا والآلات الحديثة ووسائل الإعلام الاجتماعية تسببت لتغير المزاج العام للقراء والكتاب والنقاد، واضطرت الأوضاع إلى أدب يجيب عن جميع هذه المتطلبات المعاصرة والمستقبلية، واحتاج الإنسان إلى أدب يتناول اتجاهات وتطورات العلوم الحديثة مثل الروبوتات والذكاء الصناعي والنانوتكنولوجيا (التقنيات متناهية الصغر) والفضاء الإلكتروني والكائن الفضائي والصاروخ والسفر إلى النجوم والكواكب

والأفلاك الأخرى والسفر إلى الماضي والمستقبل والأسلحة البيولوجية وغيرها، فكتب العلماء روايات تتناول هذه الموضوعات، وسموها النقاد (أدب الخيال العلمي). واحتل هذا الأدب مكانا لا فرار منه ولا حياة بغير مساعدتها.

أسباب اختيار الموضوع

- هذا الموضوع يحتاج الى التحقيق والدراسة للأسباب التالية، منها:
- إدراك أهمية الخيال العلمي والفانتازيا في الأدب العربي وقلة البحوث العلمية في هذا المجال.
 - بيان قضايا وأنواع الخيال العلمي في روايات الكاتب العربي من حيث ارتباطه بالمناهج المستخدمة في الدراسة الغربية المعاصرة في هذا المجال.
 - الرغبة في معرفة أدب الخيال العلمي و دراسته دراسة علمية موضوعية ونصية من جانب والرؤية النقدية في جانب آخر.
 - الميل الذاتي إلى العوامل التي تشكل ميدانا لتداخل الخيال مع العلم ومنها أدب الخيال العلمي، إضافة إلى الرغبة في معرفة هذا الأدب.
 - الرغبة في التعرف على الكاتب و على العادات و الثقافات و التقاليد الإجتماعية التي كانت تسود في مجتمعه و مدى ارتباطها بفانتازيا الكاتب.
 - تتوفرة المادة الأدبية حول الخيال العلمي في روايات أحمد خالد توفيق وعدم الاهتمام من الدارسين بهذا في مجال الأدب العربي.

الدراسات السابقة

١. تقنيات السرد في سلسلة روايات ما وراء الطبيعة للروائي أحمد خالد توفيق، إعداد الباحثه: زينب طاهر محمد جودة بحث لنيل درجة الدكتوراه في قسم الأدب والنقد جامعة الأزهر

مصر ٢٠٢١م.

هذه الدراسة تدور حول بعض التقنيات التي تستخدم في سلسلة روايات ما وراء الطبيعة أي: العالم الخارق و الغموض والعناصر التاريخية و الثقافية المصرية و الأسلوب الوصفي و الحوار.

٢. المناحي الفنية في رواية "يوتوبيا" للكاتب أحمد خالد توفيق، إعداد الباحث: آيات شفيق سعيد عموس بحث لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين ٢٠٢١م.

تتناول هذه الدراسة قضايا اجتماعية وسياسية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق. تسعى الدراسة إلى تحليل العناصر الفنية المستخدمة في هذه الرواية و تقدير قيمتها الأدبية وتأثيرها على القراء. يهدف البحث إلى دراسة المناحي الفنية في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، ويسلط الضوء على استخدام السرد والشخصيات والمكان والزمان والأسلوب اللغوي في هذه الرواية.

٣. ترجمة المصطلح العلمي في روايات الخيال العلمي، إعداد الباحثين: راضية بوشاقور، وحيد بن الزغدة، تحت إشراف: د فيصل الأحمر، العام الدراسي ٢٠١٥ - ٢٠١٦م جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

تهدف هذه الدراسة إلى ترجمة المصطلحات العلمية المستخدمة في الروايات التابعة لنوع الخيال العلمي

٤. الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، إعداد الباحث: محمد عبد الله ياسين، تحت إشراف: الأستاذ الدكتور غسان مرتضى، العام الدراسي ٢٠٠٨م، قسم اللغة العربية، جامعة البعث كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالعراق.

- تناولت دراسة الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث من خلال المقارنة مع أعمال أدبية أخرى. وقد ركزت هذه الدراسة على فهم التطورات والميزات الفريدة للخيال العلمي العربي، وكيفية تأثره بالتيارات العالمية للخيال العلمي.
٥. أثر أدب الرعب القوطي في روايات أحمد خالد توفيق، رسالة ماجستير للباحثة: آية محمد حسين عام ٢٠٢٣م في كلية دارالعلوم الفيوم مصر. تشمل الرسالة تحليلا للعناصر الأدبية والثقافية والتأثيرات التي قدمها أحمد خالد توفيق في أعماله.
٦. الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق دراسة نفسية للباحثين: محيوس ياسمين و ديدى أميرة بجامعة محمد الصديق بن يحيى كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية الجزائر ٢٠٢١م. يتناول الموضوع جانبا نفسيا لفهم الشخصيات داخل الرواية.

أسئلة البحث والتحقيق

١. ما مدى قدرة هذا النوع الأدبي في التأثير على العقل البشري وكذلك أنواع الأدب الأخرى؟
٢. ما أنواع وملامح أدب الخيال العلمي في روايات أحمد خالد توفيق؟
٣. كيف تناول الكاتب الفانتازيا والخيال العلمي في سلسلته "فانتازيا"؟

أهداف البحث

- تعريف أدب الخيال العلمي .
- التعريف بالدكتور أحمد خالد توفيق أديب الخيال العلمي و ملامح أدب الخيال العلمي عنده والصور الفنية والقصصية في مشاهداته وأفكاره.

- تطبيق موضوعات الخيال العلمي في سلسلة فانتازيا لأحمد خالد توفيق.

منهج البحث

اتبعت في البحث المنهج الوصفي وذلك بقراءة سيرة الأديب ومؤلفاته، خاصة عن أدب الخيال العلمي، وبيان أفكاره، وأسلوبه الفني والقصصي.

تبويب البحث

الخطوة التي اعتمدها في كتابة هذا البحث تشتمل على:

المقدمة

التمهيد

- ترجمة الروائي أحمد خالد توفيق وأعماله الأدبية
- مفهوم أدب الخيال العلمي
- نظرة على تاريخ أدب الخيال العلمي
- الفرق بين الخيال العلمي و الفانتازيا
- مواضيع الخيال العلمي
- لخصائص الفنية لرواية الخيال العلمي

الباب الأول: نبذة عن روايات مختارة من سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق و ملخصها

الفصل الأول: عرضا وتلخيصا للروايات المختارة: من العدد ١ إلى ٢٠

الفصل الثاني: عرضا وتلخيصا للروايات المختارة: من العدد ٢١ إلى ٤٠

الفصل الثالث : عرضا وتلخيصا للروايات المختارة: من العدد ٤١ إلى ٦٤

الباب الثاني: تحليل موضوعات أدب الخيال العلمي في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق

الفصل الأول: السفر عبر الزمن، الانتقال الانبي، الأوهام العلمية، والقوة الميتافيزيقية

الفصل الثاني: أوبرا الفضاء، خيال علمي صعب، التاريخ البديل، والسايبيربانك

الفصل الثالث: غزوات الأرض والفضاء، مخلوق خارق الطبيعية، الطيران والاختفاء،

و استحضار الأرواح

الباب الثالث: البنية الفنية في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق

الفصل الأول: اللغة والسرد

الفصل الثاني: الحدث والزمان والمكان

الفصل الثالث: الشخصيات

خاتمة البحث

أهم التوصيات والنتائج

المصادر والمراجع

والله الموفق

الباحثة

التمهيد

يشتمل على:

- التعريف بالكاتب أحمد خالد توفيق وأعماله الأدبية
- مفهوم أدب الخيال العلمي
- نظرة على تاريخ أدب الخيال العلمي
- الفرق بين الخيال العلمي و الفانتازيا
- مواضيع الخيال العلمي
- الخصائص الفنية لرواية الخيال العلمي

ترجمة الروائي أحمد خالد توفيق وأعماله الأدبية

أحمد خالد توفيق أو كما يطلق عليه (العراب)، هو كاتب وطبيب ومؤلف ومترجم مصري، ويعد أول كاتب عربي ينجح في مجال أدب الرعب، والأكثر شهرة في مجال أدب الشباب والخيال العلمي والفانتازيا.

ولد في مدينة طنطا في عام ١٩٦٢، لتبدأ حياة أديب في الوطن العربي. في البداية لم يعلم أحد أن هذا الفتى سيضيف الكثير والكثير للرواية العربية، حتى هو نفسه لم يكن مدركاً لموهبته وشغفه، حتى أنه درس الطب في كلية طنطا وتخرج عام ١٩٨٥ وفيما بعد نال شهادة الدكتوراه في عام ١٩٩٧. لكن بشكل ما بدأ العراب يغوص في عالم الكتابة بعد تخرجه، وانضم للمؤسسة العربية الحديثة عام ١٩٩٢ حيث بدأ بكتابة أول وأشهر سلسله في شهر يناير من العام التالي.. ما وراء الطبيعة سلسلة الرعب التي حققت نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً، وكان الأسلوب الجديد السبب الأول لنجاح السلسلة، حيث لم يكن هذا النوع من الأدب معروفاً في الوطن العربي. و راح بعدها يغوص في الكتابة، حيث وجّه ما كتب إلى الشباب المتعطش لمواضيع جديدة تبعد ابتعاداً كلياً عن السياسة وما تسببه للشعب من هموم وتبعات، حيث اختار عالم الرعب والخيال العلمي والفانتازيا، وكل ما يخلق بالقارئ بعيداً عن واقعه المؤلم. ولم يكن انشغال العراب بالكتابة والتأليف عائقاً يمنعه من أن يتزوج ويقوم أسرة، فقد تزوج من السيدة منال الطيبية والأستاذة الجامعية في كلية الطب جامعة طنطا أيضاً، وبعدها رزق بولد وبنت، الولد يُدعى محمد والبنت تُدعى مريم^١.

وقد شرع الكاتب أحمد توفيق بكتابة القصة القصيرة ذات الطابع الواقعي الاشتراكي، متأثراً بكتابات مكسيم غوركي وأنطون تشيخوف، حيث تميز بأسلوبه

^١ - سلسله فانتازيا، أحمد خالد توفيق، المؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص٥

السردي السهل، وهو ما عرضته للانتقاد، لكنه رد بالقول "إن الكتابة لا يجب أن تعذب القارئ أو تشعره بالهزيمة أو الفشل"^١.

وقد استطاع هذا الكاتب أن يقدم نفسه للقراء من خلال روايات كثيرة، تناولنا بعضها بالعرض والتلخيص فيما سيأتي من صفحات في هذا التلخيص، حيث نلاحظ سطوة روايات ما وراء الطبيعة والخيال، بالإضافة إلى الروايات الاجتماعية التي تلخص أحوال وأوضاع مصر، حيث طبقة بالغة الثراء والرفاهية وأخرى تعاني الفقر المدقع.

كانت سلسلة فانتازيا من أشهر ما كتبه العراب، فهي تقدم تجربة تفاعلية يعيشها القراء مع البطلة عبير في واقع بعض الشخصيات التاريخية، تناقش هذه التجربة حياة ومشاكل الشخصيات بالإضافة إلى دراسة عميقة لمجريات الأحداث التي لعبت دوراً كبيراً في تغيير حياتنا. وتتميز سلسلة فانتازيا بالمخزون العلمي الكبير، فقد ورد في السلسلة مناقشة لموضوعات علمية مختلفة. ويمكننا القول أن فانتازيا هي بجد ذاتها محاولة للكاتب لجمع أكبر قدر من الأفكار العلمية البحتة وطرحها بطريقة أدبية فنية تتميز بالسهولة والبساطة، فكانت محاولة ناجحة بكل المقاييس، بالإضافة لكونها سبب في تغيير مفهوم الرواية لدى الكثير من الكتّاب والقراء. والجدير بالذكر أنه كان للكاتب أحمد توفيق عدة روايات مكتوبة بأسلوب مشابه وتستهدف فئة الشباب أيضاً، كسلسلة ما وراء الطبيعة وسافاري ورجفة الخوف وسلسلة روايات علمية للجيب. وبالرغم من شهرة أحمد توفيق الكبيرة، إلا أنه كان كاتباً متواضعاً لأبعد الحدود، وحينما أراد أن يتحدث نفسه قال: "لا أعتقد أن هناك كثيرون يريدون معرفة شيء عن المؤلف، فأنا أعتبر نفسي شخصاً مملاً إلى حد يثير الغيظ، بالتأكيد لم أشارك في اغتيال (لنكولن) ولم أضع خطة هزيمة المغول في معركة (عين جالوت)، ولا أحتفظ بجملة في القبو أحاول تحريكها بالقوى

^١ - "آليات السرد والتشكيل في روايتي يوتوبيا لتوماس مور وأحمد خالد توفيق" (دراسة نقدية مقارنة)، هانم محمد حجازي، منشورات جامعة الفيوم، مجلد ١٢، العدد الأول، ٢٠٢٠م، ص ٤٩١.

الذهنية ولم ألتهم طفلاً منذ زمن بعيد.. ولطالما تساءلت عن تلك المعجزة التي تجعل إنساناً ما يشعر بالفخر أو الغرور"^١.

بدأت رحلته الأدبية مع كتابة سلسلة ما وراء الطبيعة، ورغم أن أدب الرعب لم يكن سائداً في ذلك الوقت فإن السلسلة حققت نجاحاً كبيراً واستقبالاً جيداً من الجمهور، ما شجعه على استكمالها، وأصدر بعدها سلسلة فانتازيا عام ١٩٩٥م وسلسلة سفاري عام ١٩٩٦م.

بدأ حياته العملية في المؤسسة العربية الحديثة عام ١٩٩٢ ككاتب رعب لسلسلة ما وراء الطبيعة وقدم أولى رواياته تحت عنوان "أسطورة مصاص الدماء"، لكن واجهتها اعتراضات كثيرة داخل المؤسسة العربية الحديثة ما جعله يصاب بإحباط شديد بعد رفض الرواية ونصحته البعض بالكتابة في الأدب البوليسي، إلا أن "أحمد المقدم" أحد مسؤولي المؤسسة العربية الحديثة نصحه باستكمال الكتابة في أدب الرعب وساعده على مقابلة "حمدي مصطفى" مدير المؤسسة الذي عرض قصته على لجنة لاستبيان قوتها، لكن اللجنة انتقدت فكرة الرواية والأسلوب.

كتب أحمد خالد توفيق ستة سلاسل للروايات وصلت إلى ما يقرب من ٢٣٦ عددًا، وقد ترجم عددًا من الروايات الأجنبية ضمن سلسلة روايات عالمية للجيب. كما قدم أيضاً خارج هذه السلسلة الترجمات العربية الوحيدة للروايات الثلاث نادي القتال (fight club) للروائي الأمريكي تشاك بولانيك وديرمافوريا (رواية لكريج كليفنجر) وكتاب المقابر (نيل جايمان)، بالإضافة إلى ترجمة الرواية الطويلة (عداء الطائرة الورقية للأفغاني خالد حسيني) إلى رواية مصورة. وله بعض التجارب الشعرية.

مؤلفاته

١. ما وراء الطبيعة: بدأ إصدارها في عام ١٩٩٢. وانتهت عام ٢٠١٤م بعدد أسطورة الأساطير.

^١ - سلسلة فانتازيا، أحمد خالد توفيق، المؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة ص ٣٣-٤٤.

٢. سلسلة فانتازيا: إصدارها في عام ١٩٩٥.
٣. سلسلة سافاري: إصدارها في عام ١٩٩٦.
٤. سلسلة روايات عالمية للحجب وهي روايات مترجمة.
٥. سلسلة رجفة الخوف وهي روايات رعب مترجمة.
٦. سلسلة WWW : بدأ إصدارها مطبوعة في عام ٢٠٠٦ عن دايموند بوك ودار ليلي للنشر.

روايات

١. يوتوبيا: صدرت أوائل عام ٢٠٠٨ عن دار ميريت للنشر، وتُرجمت للإنجليزية عن دار Bloomsbury ، وللفرنسية عن دار Ombres Noires ، ولألمانية، وللفنلندية. أعيد نشرها بالعربية من قبل دار بلومزبري . مؤسسة قطر للنشر، ودار الشروق.
٢. السنجة: صدرت عام ٢٠١٢ عن دار بلومزبري . مؤسسة قطر للنشر.
٣. مثل إيكاروس : صدرت عام ٢٠١٥ عن دار الشروق.
٤. في ممر الفئران: صدرت عام ٢٠١٦ عن دار الكرمة.
٥. شآبيب: صدرت الرواية عام ٢٠١٨ عن دار الشروق وهي تحمل طابع المغامرات والتشويق.

مجموعات قصصية أو مقالات

١. قوس قزح: مجموعة قصصية (٧ قصص). (بالاشتراك مع د. تامر إبراهيم). صدرت عام ٢٠٠٥ عن دار ليلي.
٢. الآن نفتح الصندوق ١ : مجموعة قصصية (٢٥ قصة). صدرت عام ٢٠٠٧ عن دايموند بوك ودار ليلي.
٣. وجوه للحب : مجموعة مقالات بالاشتراك مع د. نبيل فاروق ود. تامر إبراهيم وآخرين. صدرت عام ٢٠٠٧ عن دايموند بوك ودار ليلي.
٤. عقل بلا جسد: مجموعة قصصية (٢٢ قصة). صدرت عام ٢٠٠٨ عن دايموند بوك. وأعاد نشرها دار ليلي.

٥. الغرفة رقم ٢٠٧ : مجموعة قصصية (١٢ قصة). صدرت عام ٢٠٠٨ عن دايمنون بوك. وأعادت نشرها دار ليلي.
٦. حظك اليوم: مجموعة قصصية. يربط قصصها سياق درامي واحد. صدرت عام ٢٠٠٨ عن دايمنون بوك. وأعادت نشرها دار ليلي.
٧. الآن نفتح الصندوق ٢: مجموعة قصصية (٢٢ قصة). صدرت عام ٢٠٠٩ عن دايمنون بوك ودار ليلي.
٨. زغايغ: مجموعة مقالات (٢٩ مقالاً ساخراً). صدرت في أغسطس ٢٠٠٩ عن دار ليلي.
٩. الآن أفهم : مجموعة قصصية (١٣ قصة). صدرت في أغسطس ٢٠٠٩ عن دار ليلي.
١٠. الآن نفتح الصندوق ٣ : مجموعة قصصية (١٤ قصة). صدرت عام ٢٠١٠ عن دار ليلي.
١١. لست وحدك : مجموعة قصصية (٨ قصص). صدرت في يناير ٢٠١٢ عن سبارك للنشر والتوزيع.
١٢. وساوس وهلاوس : مجموعة مقالات (٥٢ مقال). صدرت في يناير ٢٠١٤ عن دار ليلي.
١٣. الهول : مجموعة قصصية (٨ قصص). صدرت عام ٢٠١٤ عن دار الكرمة.
١٤. شربة الحاج داوود : مجموعة مقالات (٣٠ مقالاً عن العلم وشبه العلم). صدرت عام ٢٠١٤ عن دار الكرمة.
١٥. ولد قليل الأدب : مجموعة مقالات بالاشتراك مع محمد سامي ومحمد فتحي. صدرت عام ٢٠١٥ عن دار ليلي.
١٦. أفلام المحافظة الزرقاء : مجموعة مقالات (٣٥ مقالاً). صدرت عام ٢٠١٥ عن دار ليلي.

١٧. WWW :مجموعة قصصية مكونة من ٥ قصص يحكيها لنا فيروس كمبيوتر، بل هو كائن حي أراد أن يعيش هكذا، يجول بين الأجهزة والشبكة العنكبوتية، بل في الفضاء والعالم كله وليكشف اسرار وامور مرعبة تنقلنا بتشويق إلى قلب عالم الجاسوسية!

تراجم

١. نادي القتال (رواية) : ترجمة(رواية ل تشاك بولانيك). صدرت عام ٢٠٠٥ عن دار ميريت للنشر، وأعدت دار ليلي نشرها.

٢. ديرمافوريا : ترجمة(رواية لكريج كليفنجر) صدرت عام ٢٠١٠ عن دار ميريت.

٣. كتاب المقابر:ترجمة(رواية لنيل جايمان) صدرت عام ٢٠١٣ عن دار بلومزبري،مؤسسة قطر للنشر.

٤. عداء الطائرة الورقية:ترجمة(رواية مصورة لخالد حسيني، رسوم : فايو تشيلوني وميركا آندولفو). صدرت عام ٢٠١٢ عن دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر.

مؤلفات أخرى

١. موسوعة الظلام :موسوعة(من ٢٢٠ صفحة، متخصصة في عالم الرعب).

(بالاشتراك مع م. سند راشد دخيل). صدرت عام ٢٠٠٦ عن دايموند بوك ودار ليلي.

٢. هادم الأساطير، موسوعة من ١٢٨ صفحة، بالاشتراك مع م. سند راشد دخيل، صدرت عام ٢٠٠٧ عن دايموند بوك ودار ليلي.

٣. قصاصات قابلة للحرق: خواطر، صدرت عام ٢٠٠٧ عن دايموند بوك، وأعدت نشرها دار ليلي.

٤. قصة تكملها أنت : قصة رعب تفاعلية. (بالاشتراك مع أربعة مؤلفين شباب هم قراء محبوبون للأدب وليسوا كتابًا محترفين). صدرت عام ٢٠٠٧ عن دار ليلي.

٥. الحافة: كتاب يناقش الحقائق الغريبة. (بالاشتراك مع م. سند راشد دخيل) صدر عام ٢٠٠٨ عن دايموند بوك ودار ليلي.

٦. تويتات من العصور الوسطى: خواطر. صدر عام ٢٠١٤ عن المؤسسة العربية الحديثة.

٧. تأثير الجراد: رواية مصورة. (رسوم: حنان الكراجي) صدرت عام ٢٠١٤ عن كوميكس للنشر.

٨. اللغز وراء السطور (أحاديث من مطبخ الكتابة): صدر عام ٢٠١٧ عن دار الشروق.

٩. خواطر سطحية سخيفة (عن الحياة والبشر): صدر عام ٢٠١٧ عن دلتا للنشر والتوزيع.

دوريات

١. قصاصات قابلة للحرق لمقالات متنوعة تنشر على الإنترنت. كان ينشر أحمد خالد توفيق مقالاً في جريدة الدستور المصرية صباح كل ثلاثاء من كل أسبوع.

٢. ينشر له مقال أسبوعي في جريدة التحرير المصرية يوم الاثنين. له مقالات أسبوعية في موقع بص وطل.

٣. له مقال أسبوعي في جريدة الاتحاد الإماراتية بعنوان (هلاوس) يوم السبت من كل أسبوع.

توفي الطبيب والكاتب المصري أحمد خالد توفيق يوم الاثنين أبريل/نيسان ٢٠١٨ عن عمر ناهز ٥٥ عاماً في إحدى مستشفيات العاصمة المصرية القاهرة إثر أزمة صحية مفاجئة.

شغلت فكرة الموت تفكير توفيق، خاصة بعد أن توقف قلبه ٤ مرات لكنه في كل مرة عاد لينبض بالحياة من جديد، وقال عن ذلك "لقد عدت للحياة يجب أن أتذكر هذا ربما كانت لعودتي دلالة مهمة لا أعرف ربما كان هناك عمل مهم جداً سوف أنجزه لكن ما هو؟ أخشى أن أكون قد عدت لأتلف ما قمت به في حياتي الأولى. وفاز توفيق

بجائزة الرواية في معرض الشارقة الأدبي في ٢٠١٦، وكانت آخر أعماله رواية "شآبيب" التي صدرت عام ٢٠١٨.

مفهوم الخيال العلمي

أما في ما يتعلق بالخيال بعامة فهو موطن التفكير والإبداع، وإذا بحثنا في أصله اللغوي نجد أنه من: خيل: "خال الشيء يخال خيلاً ظنه؛ وفي المثل من يخل أي يظن؛ وتخيل الشيء له أي تشبهه وتخيل له أنه كذا أي تشبهه وتخيل، يقال تخيلته فتخيل لي، كما تقول تصورته فتصور".^١

ويكاد لا يخلو عمل أدبي من الخيال؛ فهو الملكة التي تكشف عن "القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس. وقد يوجد ما تكونه هذه القدرة من صور في مكان ما من عالم الواقع، أو قد ينتمي إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد يعلو على ذلك كله دون أن ينتمي لفترة زمنية محددة أو يرتبط بعالم واقعي محدد"^٢، ولا شك أن الصورة الأدبية يستحضرها الأديب من مخزون ذاكرته، أو لعله يحاكي هذه الصور من الحاضر الذي يعيشه، وقد يتجاوز الأمرين بمحاكاة صور ممكنة التحقيق في المستقبل. والخيال يميز النص الأدبي عن سائر النصوص الأخرى "فالأدب ليس صدقاً ولا تعبيراً عن الواقع؛ ولكنه جموع وطموح يتجاوز فيه الأديب عالم الحقيقة والواقع ويصل إلى عوالم من صنع مخيلته أرحب وأوسع وقد تكون أكمل وأفضل"^٣. وهنا يأتي دور الأديب ليعبر عن قضايا الواقع بأسلوبه الذاتي، لا بالنقل الوصفي المباشر، وإنما بالصور الموحية التي لا تبعدنا عن الواقع، أما الغاية من ذلك فهي التأثير في المتلقي واستثارة عواطفه بالاعتماد على اللغة المحركة للعاطفة؛ ولن تتحرك هذه العاطفة إلا بالخيال، "فلولا الخيال

^١ - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر - بيروت، مادة (خيل)، ص ١٩٣ - ١٩١.

^٢ - الخيال البدائي، السير موريس بورا، ضمن كتاب جابر عصفور الخيال الأسلوب الحداثي، الطبعة الثانية، نشر دار المركز القومي للترجمة ٢٠٠٩ م، ص ٩.

^٣ - الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر حتى نهاية القرن العشرين، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ١٢٢.

لكان من المستحيل في أغلب الأحيان أن تستثار العاطفة^١. فالخيال هو سبيل التأثير الذي يتوخاه الأدب، إذ لو عرض الانفعال دون صورة لما ظهر ذلك الانفعال، ولبقي حبس النفس، وهو يحول الأفكار والانفعالات عن مسارها الاعتيادي؛ "لأنه يهدف إلى أن يبدع الأديب نمطا جديدا من الحياة ويتيح للذات التطلع إلى آفاق جديدة في محاولة لاكتساح الحصار اليومي والأشياء التي فقدت معناها لكثرة تداولها"^٢، فالأدبية لن تتحقق دون خيال وصور وانفعالات ذهنية؛ ومن هنا نجد أن بعض الأنواع الأدبية ارتبط تعريفها بالخيال كالشعر؛ فالشعر "عمل تخيلي يتم في رعاية العقل، أو تحيّل عقلي إذا صح التعبير"^٣.

أما العلم فعلاقة الخيال به اتخذت منحى آخر؛ فالعلم أداة يتخذها الإنسان لفهم العالم الطبيعي وتفسير معطياته. وقد مكنته هذه الأداة من الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي كانت موضع الجهل أو التي كانت بصيغة أكثر تحديداً موضعاً للتفسير الخرافي منذ أمد بعيد، فالخيال هو الذي حفز التفكير العلمي لتفسير الظواهر التي تحيط بالإنسان بهدف التحكم فيها وضبطها؛ مما يؤدي إلى إزالة القلق و التوتر التي تنتج من الغموض وإذا كان الخيال في الأدب يتسم بعدم الاستقرار أو الثبات، فهذا لأنه يرتبط بالذات الإنسانية التي يصعب بل يستحيل دراستها أو تنظيمها علمياً و تجاوز اختلافاتها فالاختلاف والتميز من سمات الإبداع الأدبي منذ القدم؛ لذا من الصعب إقامة مفهوم نظري محدد للخيال الأدبي.

^١ - الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، محمد عبدالله الياسين، تحت إشراف: الأستاذ الدكتور غسان مرتضى، أطروحة لنيل درجة الماجستير، العام الدراسي ٢٠٠٣م، جامعة البعث، قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، ص ٧٩.

^٢ - الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٤، ص ٣٤.

^٣ - الخيال العلمي في أدب القرن العشرين، قاسم محمود، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٩٣، ص ٤٣.

^٤ - ترجمة رواية الخيال العلمي، المصطلح والأسلوب رواية "الحصن الرقمي" لدان براؤن، ترجمة فائزة غسان المنجد أنموذجا، إعداد الباحث هشام فلاح، تحت إشراف: د. ناصيف العابد، العام الدراسي ٢٠١٣ م، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص ١٣٣.

أما العلم فهو نقيض الجهل وإدراك الشيء بحقيقته والعالم يسعى إلى تفسير الظواهر الطبيعية بطريقة منظمة ومرتبطة، فيقوم بإعادة تركيب عناصرها وفق النسب والعلاقات بين أجزائها؛ والخيال هو الذي يساعد على هذا التفسير ومن ثم يتنامى ليصل إلى الابتكار والإبداع والعالم يسعى إلى ترتيب عناصر الظاهرة وفق طريقة تؤدي إلى إعطاء صورة أو نتيجة جديدة واكتشاف مركبات جديدة^١. والتنبؤ لم يعد خاصية مرتبطة بالعلماء وحدهم، وإنما هي من خصائص الأدباء ولاسيما أدباء الخيال العلمي وخاصة الروائي أحمد خالد توفيق الذي نحن بصدد دراسته، والأدباء الذين يستطيعون استقراء المنجزات العلمية، ولعلّ القصص الخرافية المملوءة بأجواء السحر والجن الأب الشرعي لقصص الخيال العلمي فالخيال قادر على استقراء المستقبل والغيبيات، وهو الذي يحدد الصدق الفني من خلال تأثير المتلقي وانفعالاته العاطفية تجاه النص الأدبي^٢، أما الخيال العلمي فيسعى لتفسير الظواهر الطبيعية بطريقة منظمة ومرتبطة ومقبولة عند المتلقي ليحلّه على التأويل والابتكار والاكتشاف^٣.

وعند دراسة أدب الخيال العلمي عامة نجد أن الخيال مبعث التفكير الإنساني؛ هو مبعث الأدب والحقائق العلمية وجل النشاطات الفكرية الفنية والفكرية، وهو أيضا مركز العلم وبؤرة انطلاقه^٤. ولا يشترط في الأدب أن يكون نقلا عن الواقع فهو ليس حمالة أفكار أو انعكاسا ماديا للواقع، ولا هو تجسيد لحقيقة ما متعالية ... ويبدو أن العلاقة بين الخيال العلمي و الخيال الأدبي علاقة تكاملية؛ فالخيال في الأدب يعبر عن القضايا الإنسانية الكبرى، ويناقش المسائل الإنسانية الروحية في ظل التطور العلمي الهائل الذي أصبح سمة هذا العصر الحديث؛ لذلك ازدادت أهمية الخيال العلمي

^١ - "أدب الخيال العلمي بين الأدبية والعلمية"، مقال سمر جورج الديوب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، تصدر عن مركز جيل للبحث العلمي، ع: ١٨، العام الثالث: ٢٠١٦ م، ص ٦٨.

^٢ - "أدب الخيال العلمي العربي الراهن والمستقبل"، مقال محمد أحمد مصطفى: مجلة النقد الأدبي فصول، ع: ٨١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ م، ص ١٧٦.

^٣ - الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، سيد ديفيد: ترجمة: نقين عبد الرؤف، دار هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦ م، ص ١٣.

^٤ - من أدب الخيال العلمي، راي براد بوري: ترجمة: حسن شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص ٨٠.

لاستهدافه التعبير عن الحاجات الإنسانية الجديدة التي لم يكن لها مثيل في العصور القديمة، وقد ذاعت شهرة الخيال العلمي تحديدا في العصر الحديث الذي استدعى ظهوره، مثلما استدعت عصور سابقة فنونا أدبية أخرى، ومن ثم جاءت تسمية أدب الخيال العلمي بأدب القرن العشرين.

تصنيف أدب الخيال العلمي يعتبر أمراً صعباً ضمن سائر أنواع الأدب، وذلك ليس فقط بسبب التغيرات والتطورات التي طرأت عليه عبر العصور منذ نشأته حتى يومنا هذا، ولكن أيضاً بسبب التنوع والتباين في الأعمال التي صدرت عن كتاب هذا النوع الأدبي خلال السنوات الأخيرة، حيث تميزت بتنوع المواضيع والأهداف. وهذا الأمر أدى إلى ضبابية مفهومه، حيث يمكن أن يُعتَبَر في بعض الأحيان أدباً قديماً جداً يصل في قدمه إلى حد الاختلاط مع الأساطير والحرفات، وفي بعض الأحيان يُعتَبَر أدباً حديث النشأة ويزال يُعتَبَر بعضهم أنه يزحف على يديه وركبتيه يبحث عن مكانة متميزة تميزه عن باقي الآداب الحديثة.

إضافةً إلى ذلك، يعاني أدب الخيال العلمي من الالتباس مع الأنواع الأدبية المشابهة، وخاصة تلك التي تشترك معه في بعض الخصائص والمميزات مثل الفانتازيا والأساطير والحرافة. وبعض الأشخاص يصلون إلى عدم التمييز بينه وبين الرواية البوليسية، مما يجعل مهمة تحديد تعريف دقيق يفصله عن الآداب الأخرى أمراً صعباً للغاية.

لذلك، سنستعرض في هذا السياق مجموعة من التعريفات التي قدمها نقاد وكتاب متخصصون في أدب الخيال العلمي من الغرب والعرب، محاولين من خلالها تحديد مفهومه وجعله أكثر وضوحاً.

ثم بعد ذلك نتطرق إلى تبيان الفرق بينه وبين الفانتازيا، هذا النوع الأدبي الذي يشترك معه على الأقل في عنصرين أساسيين هما إثارة الخيال وبث الدهشة والعجب في نفس القارئ.

قبل أن نشرع في عرض تعريفات أدب الخيال العلمي المختارة، ينبغي أن ننوه إلى أن تعددها واختلافها بالأساس إلى التعقيدات التي يواجهها النقاد والمختصون في هذا المجال عند محاولتهم تحديد صياغة تربط بين المفهوم والدلالة مما نتج عن ذلك ظهور عدة اتجاهات في التعريف، فكل يصف الخيال العلمي استناداً إلى خصائص معينة أو مظاهر وعوامل خاصة، إلا أننا لن نسهب في سرد مختلف الاتجاهات، بل سنعرض أمثلة عن تلك التي تستند إلى عامل الزمن وعلاقة الأدب بالعلم وكذا البعد الاجتماعي لرواية الخيال العلمي كمعايير للتعريف كون هذه الأخيرة صبغت أغلب وأهم هذه الاتجاهات. لعل أكثر ما يميز رواية الخيال العلمي عن باقي الكتابات النثرية الأخرى هو "الإطار الزمني"، إذ تطغى فكرة المستقبل كإطار زمني لمسرح الأحداث على أغلب روايات النوع، ويعود هذا للطبيعة التأملية والتنبؤية التي تمثل عصب رواية الخيال العلمي، لذلك وجدت عدة تعريفات تعتمد على فكرة المستقبل في طرحها لماهية الخيال العلمي، حيث يعرفه " بانفورد" (Benford):

"a controlled way to think and dream about the future ..."

"التفكير في المستقبل ورؤيته بطريقة منهجية..."

والملاحظ من هذا التعريف الموجز، أنه يلخص دور الخيال في هذا اللون الأدبي في معرفة ماذا يمكن أن يحدث في المستقبل، طبعاً استناداً لحقائق ومسلمات علمية، في حين أن صبغة "التفكير في المستقبل" التي ارتبطت بأدب الخيال العلمي مردها في حقيقة الأمر إلى أن كتابه ينزعون إلى التنبؤ بحجم التغيرات التي يمكن أن يشهدها عالمنا مع تطور العلم والتقنية، إذ يقول "يوبا" (Bova) " في وصفهم:

"They (science fiction writers) try to show the many possible futures that lie open to us"

¹- Difinition In Sigence Fiction: The Academic Awakening. Gregory Benford:Ed.Willis E. McNelly. PShreveport, LA, College English Association, 1974, p.57.

"هم (كتاب الخيال العلمي) يحاولون عرض الأوجه الممكنة للمستقبل والتي من المحتمل أن نواجهها".

غير انه تجدر الإشارة هنا إلى أن، ليست كل روايات الخيال العلمي تتميز بالرؤى المستقبلية، أي أن النزعة الاستشرافية ومحاولة استباق والتنبؤ بما قد سيحدث مستقبلاً لا تمثل الهاجس الوحيد لكتابات الخيال العلمي، وهذا ما لاحظته "روبسون" (Robinson):

"In every (science fiction) narrative, there is an explicit or implicit fiction history that connects the period depicted to our present moment, or some moment of our past."²

في كل (خيال علمي) سردي، هنالك قصة خيالية ظاهرة أو ضمنية تربط الحقبة الزمنية الموصوفة بوقتنا الحاضر أو بفترة ما من ماضينا.

ولا يمكن الجزم أيضاً في أن الحيز الزماني لكل روايات الخيال العلمي هو المستقبل، إذ يمكن أن يكون ماضياً، والمثال على ذلك رواية "الكسييهوز Les Xiphur للكاتب الفرنسي "إيني Aine" والتي تدور أحداثها في العام الألف قبل ميلاد حضارة بابل، والتي تصور صراعاً من أجل البقاء بين بشر بدائيين وغزاة غير آدميين أرادوا الاستحواذ على الأرض³. وقد يكون حاضراً، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها رواية "كريتشون" (Crichton) سلالة أندروميديا (The Andromeda Strain)، التي تصور هجوم سلالة من البكتيريا الفضائية، قدمت عبر قمر اصطناعي عسكري أثناء عودته إلى الأرض.

وتتجه تعريفات أخرى إلى التركيز على العلاقة القائمة بين الأدب والعلم. فقد تبدو مقارنة الأدب بالعلم للوهلة الأولى تشبه إلى حد كبير مقارنة الحقيقة بالخيال، ذلك

¹ - The Role of Science Fiction, in science fiction Today and Tomorrow. Ben Bova, NY, Harper & Row, 1974, p.4-5.

² - Note for an Essay on Carlin Holland, Robinon, Kim Stanley.

³ . voir: J. H. Rosny Ainé: La Mort de La tome, précédé de LES XIPEHLIZ et de LE CATACLYSME Gallinand Dermoel Evreux (Eire), 1976.

أن العلم مقرون دوماً بالحقيقة، أما الأدب فيعتمد بصفة عامة على الخيال، وهو الأمر الذي أوجد ثنائية العلم والأدب أو العلمي والأدبي المتداولة في الثقافة العامة والتي طالت حتى تقسيمات المناهج الدراسية. مع فإن هذه الثنائية لا تحيل بأي شكل من الأشكال إلى وجود خصومة تاريخية أو تناقض بين العلم والأدب، ففي ظل الحضارة العربية الإسلامية لم يبلغ ازدهار الشعر والأدب الاهتمام بالعلم والعلوم، ولم يتراجع حضور الفن والأدب حتى في ظل العقلانية التي سادت عصر النهضة الأوروبية التي اهتمت بالعلم إلى حد التقديس.^١

ويبين "محمد عزام" في هذا السياق تعريفه لأدب الخيال العلمي كالتالي:
 "إن أدب الخيال العلمي هو نوع من المصالحة بين الأدب والعلوم، أو على الأقل الجمع والتوفيق بينهما، وفي مرحلة أولى استلهم العلماء الأدباء ثم تجاوزوهم، فأصبح الأدباء في مرحلة تالية يلهثون وراء اكتشافات العلماء واختراعاتهم"^٢.

ومن خلال هذا التعريف يمكننا القول إن العلاقة بين العلم والأدب هي علاقة تكاملية، إذ لولا إلهام الأدب وخياله لما حقق العلم من التطور ما حققه ولو لم تحث المنجزات العلمية خيال الأدباء لما رأى أدب الخيال العلمي النور، إذ يتجلى دور هذا الأخير في محاولته وضع نموذج مصالحة بينهما بعد أن بدأت بوادر الهوة بينهما في مطلع القرن العشرين تلوح في الأفق بسبب ما شهده العالم من نماذج عن قوة التقنية والآلة وتحكم العلم في زمام أمور حياة البشر على جميع الأصعدة.

ومن التعريفات من يتعاطى مع العلاقة بين الأدب والعلوم من منظور آخر لا يسلط الضوء على فكرة المصالحة أو الجمع والتوفيق بينهما، وإنما من الزاوية التي تمكن الأدب من الولوج إلى عالم الدقة والموضوعية. سننتقي فيما يلي تعريفين في هذا الصدد .

أما "كينغسلي" (Kingsley) فيعرفه بـ:

^١. "إشكالية العلاقة بين الأدب والعلوم، مقال رائد حامد، مجلة الخيال العلمي"، العدد الأول، سوريا، ٢٠٠٨م، ص ٥٢.

^٢ - الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ص ٩.

"that class of prose narrative treating of a situation that could not arise in the world we know, but which is hypothesized on the basis of some innovation in science or technology."¹

"ذلك القسم من النثر السردى الذي يعنى بمعالجة مقامات لا يمكن أن تتحقق في العالم الذي نعرفه، بل مفترضة على أساس بعض الإبداعات العلمية والتكنولوجية" كما يعرفه "د. عبد النبي اصطيف" (والذي يصفه بالجنس الأدبي المعروف بقصص الخيال العلمي) على أنه:

... "القصة والرواية التي تستند إلى العلم في امتداداته الافتراضية التي يحكمها الخيال ويمضي بها إلى آفاق الطموح والتطلع الإنساني التي ترضي مسعى هذا المخلوق البشري، فيما يتصوره ويتخيله، نحو عالم أفضل.²

وهنا يذهب كلا التعريفين إلى إبراز خاصية هامة يتميز بها العلم وهي خاصية "الفرضية"، إذ لا يمكن للعلم أن يحقق نتائجه إن لم ينطلق من فرضيات ليبرهن عن صحتها، وبما أن هذه الفرضيات يحكمها الخيال كما يذكر د. عبد النبي اصطيف، وبالتالي فإن "الفرضية" تمثل المنفذ الوحيد للأدب، لأن هذا الأخير يتخذ من الخيال ركيزة وعماداً له .

ومما جاء في التعريفين يمكن القول أيضاً، إن الخيال العلمي ينتمي إلى الأدب في قسمه النثري مثلاً في القصة والرواية، وأنه ينطلق من حقائق علمية في بنائه لمجريات الأحداث وتخيله لعوالم افتراضية لا يمكن الجزم باستحالة حدوثها على الرغم من كونها وهمية.

ويستند الاتجاه الثالث من التعريفات كما أشرنا إلى البعد الاجتماعي للخيال العلمي كميّار لرسم حدود هذا النوع الأدبي باعتباره أحد أهم أهدافه، وذلك بتقدير

¹ - Starting point in Mark Rose Science Fiction & Collection Of Critical Essays, Prentice-Hall, Amis kingsley: Englewood Cliffs, New Jersey, 1976, p.11.

² - "الخيال العلمي بين الأدب والتاريخ"، مقال د. عبد النبي اصطيف: مجلة الخيال العلمي، العدد الأول، سوريا، ٢٠٠٨م،

حجم التغيرات التي من الممكن أن يواجهها الإنسان جراء التطور العلمي والتكنولوجي، في عواقبها وحلولها الممكنة.

ويُعتبر الكاتب "آسيموف (Asimov)" أهم المسهبين في هذا الاتجاه، فهو أول

من استعمل مصطلح الخيال العلمي الاجتماعي، ويعرف الخيال العلمي على أنه:

"Science fiction is that branch of literature which is concerned with the impact of scientific advance upon human being...I would like to say that my definition applies...to... (Social science fiction)."¹

"الخيال العلمي هو ذاك الفرع الأدبي الذي يهتم بأثر التقدم العلمي على

الإنسان...أود القول إن تعريفي ينطبق... على... الخيال العلمي الاجتماعي".

إذ يؤكد "آسيموف" على الدور الاجتماعي لأدب الخيال العلمي من خلال

استشراف تأثير التقدم في العلم والتقنية على البنيات الاجتماعية مع التركيز على العنصر

البشري كمركز ثقل لها. ويؤيده في هذا الرأي الكاتب "ستورجون" (Sturgeon) الذي

يقول إن:

"A science fiction story is a story built around human beings, with a human problem, and a human solution, which would not have happened at all without its scientific content"²

"قصة الخيال العلمي، هي قصة بنيت حول الإنسان بمشكل إنساني وحل إنساني

والتي لم تكن لتحدث دون فحواها العلمي".

أما الكاتب "هيليجاس" (Hillegas) فيذهب إلى أبعد من ذلك في إبراز أهمية

الخيال العلمي الاجتماعية في قوله:

"What is really important about science fiction is that in its various genres it provides an extraordinarily flexible instrument for social criticism, that it is particularly able to deal with problems of life in a new age of science and technology, because it is a kind of popular

¹- Why Read Science Fiction?, In 3000 Years of Fantasy and Science Fiction. Isaak Asimov: Ed. L.Sprague de Camp and Catherine Crook de Camp. NY, Lothrop, Lee & Shephard, 1972,p.10.

²- Science Fiction What's All About, Strugeon Theodore: New york, 1971,p.117.

literature, a much larger audience than does most mainstream literature"¹

"إن أهم ما في الخيال العلمي أنه، بمختلف أنواعه، يمثل أداة ذات مرونة خارقة للعادة للنقد الاجتماعي، وأن بإمكانه التعامل مع مشاكل الحياة في عصر ما من عصور العلم والتكنولوجيا، كونه الأنواع الأدبية الشعبية الأكثر استقطاباً للقراء مقارنة بأغلب الأدب المتداول الأخرى".

فهو يعتبر الخيال العلمي "أداة للنقد الاجتماعي" على حد تعبيره، ففضلاً عن الشعبية التي يتمتع بها مقارنة بباقي ألوان الأدب المتداول في الوقت الراهن، خاصة في المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً، كاليابان والولايات المتحدة، فهو يمثل وسيلة مهمة للدفع بالدراسات الاجتماعية قدماً، في بعدها الإستشراقي والتنبؤي، إذ يحمل في طياته المشاكل المرتقبة وكذا المفاتيح والحلول المحتملة، في قالب أدبي روائي، مانحاً قراءه على اختلاف مستوياتهم إمكانية التصور والتفكير في تلك التغيرات، سواء أكانت على مستوى الفرد أو الجماعة.

وبعد أن تطرقنا في عرضنا الموجز هذا إلى أبرز الاتجاهات التي حاول كل منها تعريف الخيال العلمي من منطلقه الخاص وانتقالنا لآراء بعض المختصين في هذا المجال من الذين اجتهدوا في توضيح معالمه، لا يسعنا إلا أن نقر بان وضع تعريف جامع مانع، واضح يتواءم عليه الجميع يبقى لتوضيح أمراً يصعب تحقيقه حتى بعد أن أشبع هذا الأدب بحثاً ودراسة، خاصة في بلاد الغرب.

إلا أننا حاولنا بذلك الإحاطة بالمفهوم العام والمتداول، إذ يمكن أن نخلص إلى أن الخيال العلمي هو ذلك الأدب الذي أولده التفكير العلمي ومهدت له الطريق فرضياته. هو ذلك العالم العجيب الذي يجمع بين الحلم والواقع بين الحقيقة والخيال، بين الذاتية

¹ - Science Fiction as a Cultural Phenomenon, In SF: The Other Side of Realism: Essays on Modern Fantasy and Science Fiction. Mark. L. Helligas: Ed. Thomas D. Clareson. Bowling Green University Popular Press, 1971.p.280.

والموضوعية، بين الوجدان والعقل، فهو ليس فقط أدب يشبع رغبة المطالعة، بل أيضاً أداة تدفع القارئ للتأمل والتفكير وتوقد فيه الروح الإبداعية الخلاقة.

نظرة على تاريخ الخيال العلمي

لقد ولد الخيال العلمي مع العلم، لذلك من الخطأ أن يُهمل الدارس لتاريخ الخيال العلمي حقيقة عدم وجود خيال علمي قبل وجود العلم؛^١ ويُراد بالعلم هنا العلوم التطبيقية، فتطور التقنية وثافت الإكتشافات يعزز إمكانية بناء عوالم أخرى جديدة، وإن كانت خيالية ظاهرياً، فإنها في الواقع ليست غير معقولة تماماً.

وكما أهتم الخيال عقول العلماء، فقد ألهمت الثورة الصناعية التي شهدتها العالم الغربي أواخر القرن الثامن عشر بما حققته من تقدم علمي مذهل خيال الأدباء، إذ حرضت قوة الآلة والتقنية ودقة العلم فيهم الروح الإبداعية ومن هنا بزغت أعمال أدب الخيال العلمي في الغرب حاملة طابع الآلة التي تستطيع صنع المعجزات.^٢

واستعمل مصطلح "الخيال العلمي" الشاعر الاسكتلندي "وليام ولسن"

(A Little Earnest Book upon a Great Subject) (William Wilson (1851) في كتابه

(The Poetry of Science) (1848) للمؤلف:

"روبرت هانت (Robert Hunt)، وهو المصطلح الذي أراد "ولسن" من خلاله الإشارة إلى نوع جديد من الخيال يعنى بإبراز الجانب الدرامي للاكتشافات العلمية. إلا أن هذا المصطلح لم يلق صدقاً كبيراً ولم يشهد استعمالاً واسعاً وذلك مرده، أن حقل مرجعيته لم يتبلور بعد.^٣

كما شهدت الحقبة ذاتها ظهور العديد من الأعمال القصصية التي تتناول مواضيع علمية إلى غاية تسعينيات القرن أئين اتضحت معالم نوع جديد من القصص

^١ - أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو: ترجمة ميشيل خوري، دار طلال للدراسات والترجمة والنشر دمشق ١٩٩٠م، ص ٢٣.

^٢ - الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ط١، دار طلاي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ١٩٩٤م، ص ٩.

^٣ - Science Fact and Science Fiction. Brian Stableford: Routledge. New York, 2006, p.462.

العلمي الذي يتناول الخيال المستقبلي مستندا على التأمل العلمي، والذي آثر النقاد الإشارة إليه من خلال تسميات أخرى أبرزها: (الرومانسية العلمية) و(الخيال) (الفيبري) نسبةً إلى الكاتب الفرنسي "جول فيرن".

وفقاً لما دونه دارسو تاريخ الأدب العالمي بشتى أنواعه، يعتبر الفرنسي "جول فيرن" والإنجليزي "هاربرت جورج ولز" مؤسسا الخيال العلمي المعروف حالياً، فالأول وصفت رواياته بمغامرات الرومانسية العلمية وعدّ أول من شق الطريق في هذا المجال، أما الثاني فكانت جل كتاباته تتركز حول فكرة نقد المجتمعات التقنية ومخاطر التكنولوجيا على البشر وهو الأمر الذي جعل البعض يعتبرونه ملهم الخيال العلمي الحديث وأن الخيال العلمي الحالي بكامله منبثق من "ولز"، فيما يرى فريق آخر وعلى رأسهم كاتب الخيال العلمي "براين الديس" (Brian Aldiss) أن ما يمكن تسميته خيالاً علمياً خالصاً ينطلق من رواية "فرانكستين" (Frankenstein) للكاتبة الإنجليزية "ماري شيلي" (Mary Shelley)^١.

وبعيداً عن خلافات الدارسين والنقاد حول بدايات الخيال العلمي، بدأت كتابات هذا الأدب الجديد تغزو صفحات بعض المجلات المعروفة بـ "مجلات اللب" (pulp magazines) (يقصد بهذا المصطلح المجلات رخيصة الثمن، إذ لا يتعدى سعر النسخة منها العشرة سنتات) في الولايات المتحدة الأمريكية وتكتسب عدداً أكبر من جماهير القراء، وأشهر هذه المجلات مجلة "حكايات مدهشة" (Amazing Stories) للناشر "هوغو جار سباك" (Hugo Gersbac)، التي تخصصت في نشر قصص الخيال العلمي منذ عام ١٩٢٦. ولكن الشهرة الحقيقية لهذا الأدب جاءت بعد تولي جون وود كامبل (John W. Campbell) رئاسة تحرير مجلة اللب "الخيال العلمي المذهل" (Astonishing Science Fiction)، الذي بادر بنشر قصص تحمل أفكاراً جديدة وثورية؛ قصصاً كتبت بأسلوب أدبي مرموق، ليساهم بذلك في إبراز جيل جديد

¹ - Encyclopedia of Science Fiction, Don D'Amassa, New York, 2005, p.392-393.

² - The Mammoth Encyclopedia of Science Fiction. George Mann: Robinson, London, 2001, p.8.

من الكتاب المتميزين من أمثال "إسحاق أزموف" (Ishaq Asimov) و"أرثر . ش . كلارك" (Arthur Clarke) و"روبرت هايلن" (Robert Heinlein)، والذين دفعوا بدورهم فيما بعد بعجلة أدب الخيال العلمي قدماً نحو الشيوخ والازدهار.^١

ازدهر أدب الخيال العلمي ليلبغ ذروته إبان الحرب العالمية الثانية في الفترة الممتدة ما بين (١٩٣٩-١٩٤٣)، إذ شهدت هذه الحقبة تزايداً في عدد كتاب الصنف وتنوعاً كبيراً في المواضيع، وتميزت كتاباتها بالجدية والمنطقية في التعامل مع الظواهر والأفكار العلمية وتأثيراتها السوسولوجية والسيكولوجية على الفرد والمجتمع، مما زادها جدية وعمقاً. كما شهدت الفترة نفسها تطور العديد من المفاهيم الهامة المتعلقة بأدب الخيال العلمي، وساعد ذلك على توضيح أهم ملامح ومركبات هذا النوع الأدبي وإزالة الغموض عن ماهيته، وهو الأمر الذي جعل الدارسين والمختصين في هذا المجال يصفون هذه الحقبة بـ"العصر الذهبي"

ازداد أدب الخيال العلمي شعبية وإقبالاً في فترة ما بعد الحرب، وكان للحرب الباردة مطلع الستينيات واحتدام الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية أثر كبير على نموه وتنوع أصنافه؛ إذ زاد هذا الصراع من وتيرة البحث العلمي والإنجازات التكنولوجية ليصبح غزو الفضاء والأسلحة البيولوجية والنووية وتطور شبكات الاتصال السلوكية واللاسلكية من أهم المواضيع المتناولة آنذاك.^٢ وهكذا واصل أدب الخيال العلمي تطوره وتفرعه، ليشهد غير العقود ميلاد أنواع جديدة للخيال العلمي يعكس كل نوع منها المناخ العلمي والأيدولوجي السائد في الحقبة التي ينتمي إليها، واستمر هذا المنحى إلى أيامنا هذه حيث استطاع هذا اللون الأدبي أن يصنع لنفسه مكانة مرموقة بين الآداب الأخرى وأن يجبر الأوساط النقدية على إعطائه العناية الأدبية اللازمة، كيف لا وهو الأدب الذي يوصف بـ"أدب الأفكار".

^١ - The Mammoth Encyclopedia of Science Fiction. George Mann: Robinson, London, 2001, p.12-13

^٢ أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو، ص ٥١-٥٠.

الفرق بين الخيال العلمي و الفانتازيا

لطالما اختلط الخيال العلمي بالفانتازيا بسبب التقسيمات التجارية والترويجية التي تميل إلى نشر هذين النوعين الأدبيين المتباينين تحت تصنيف واحد، حيث يعرض النوعين في أجنحة مكتبية خاصة مفصولة عن مختلف التصنيفات النوعية الأخرى كالروايات الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرواية البوليسية.

ولا غرابة في أن نجد رواية فانتازيا كتب على غلافها "خيال علمي" أو العكس، لأنه في واقع الأمر، لا وجود لخط واضح فاصل يميز كل كتابات الخيال العلمي عن كل كتابات الفانتازيا، لأن كليهما يروي قصصاً لا وجود لها على أرض الواقع، يسعى من خلالها إلى إثارة العجب والدهشة في نفوس قرائه، على عكس الخيال الواقعي "أو كما يسميها البعض "الواقعية الخيالية" التي يفترض تصور العالم كما يبدو في الواقع بكل معطياته وأسسها، مما يفسر أن عنصراً الخيال والدهشة يمثلان، على الأقل، موطن التلاقي بين الجنسين الأدبيين. ويرى بعض الباحثين أن الخيال العلمي في الحقيقة، ما هو إلا امتداد تاريخي للفانتازيا التي عرفها الإنسان منذ القديم طلباً للطرفة والغرابة وتلبية رغباته بالاستمتاع بالغرائب المدهشة، فأصبحت عجائب الإنسان الحديث، فانتازيا بزّي العلم والتكنولوجيا الحديثة. يقول "مارك روز" (Rose) :

" لتدرك كيف يستمر النهم القديم إلى كل أمر عجيب اتخذ لسحرك اسم (قاعدة فضائية) أو (محول للمادة)، ولجزيرتك المسحورة (الكوكب)، وأدع عماليقك وما عندك من أنواع التنين (مخلوقات ناشئة خارج الأرض) فإذا ما عندك هو مجرد شكل معاصر لواحد من أكثر الأنواع الأدبية القديمة".

والملاحظ من هذا القول أن هنالك اختلاف في استعمال عنصر الخيال على الرغم من أنه عنصر مشترك بينهما، فالفانتازيا تستعمل الخيال استعمالاً مطلقاً، لا

¹ .."أدب الخيال العلمي: المصطلح والأصول التاريخية" مقال محمد ياسين، مجلة الخيال العلمي، العدد ٢، سوريا، أيلول /تشرين الأول ٢٠٠٨م، ص ٥٥.

حدود تحصره ولا قيود تربطه، في حين لا يتجاوز استعمال الخيال العلمي لهذا الأخير حدود المنطق والعقل إلى اللامعقول، لما تفرضه قوانين العلم ونظرياته الثابتة التي ينطلق منها.

ولما كانت الفانتازيا هي عملاً أدبياً يتحرر من منطق الواقع والحقيقة في سرده، مبالغاً في افتتان خيال القراء...^١، يتبلور لدينا إذن بوضوح الفرق الجوهرى بين أدب الخيال العلمي وأدب الفانتازيا والذي يمكن تلخيصه في فكرة المعقول واللامعقول أو بعبارة أخرى ما يتأرجح بين الممكن والمستحيل .

إذ أن الفانتازيا في أشمل تعريف لها وأكثره اختصاراً هي " عملية تشكيل مصورات ليس لها وجود بالفعل، أو القدرة على تشكيلها"^٢، ومنه تتجلى لنا من خلال هذا التعريف المختصر فكرة الاستحالة أو المستحيل، أي أن خيال كتاب الفانتازيا مطلق الحرية في تشكيل تصورات، إلا أن تحقيقها مسلم باستحالته.

بيد أن الخيال العلمي، كما سبق وان أشرنا إليه، هو أدب يرتكز على العلم وفرضياته، التي تقنن خيال كتابه وتقيدده. على الرغم من أن تطلعاتهم وتصوراتهم ليس لها وجود بالفعل أو تبدو وهمية ظاهرياً، إلا أنه لا يمكن إثبات استحالتها، تقول "تاتل" (Tuttle):

"Science fiction tends to be about things which are theoretically possible - or at least not known to be impossible. By contrast, fantasy encompasses the impossible. In fantasies, magic works; it doesn't have to be explained. Instead of the wizardly powers, enchanted realms and strange beasts of fantasy, science fiction features awesome machines, distant planets, and wonders created by science and advanced technology"³.

^١ - "أدب الخيال العلمي: المصطلح والأصول التاريخية" مقال محمد ياسين، مجلة الخيال العلمي، العدد ٢، سوريا، أيلول /تشرين الأول ٢٠٠٨م، ص ٥٤.

^٢ - المرجع السابق، ص ٥٩.

³ - Writing Fantasy and Science Fiction, Lisa Tuttle: second edition, A&C Black, London, 2005, p.2.

يميل الخيال العلمي إلى التعاطي مع مواضيع ممكنة نظرياً، على الأقل لم يجزم باستحالتها. وبالمقابل فإن الفنتازيا تنطوي على المستحيل، إذ أن أعمال السحر في الفنتازيات لا تحتاج للشرح والتعليل. فعوضاً عن القوى الخارقة والعوالم الساحرة والوحوش الغريبة التي تتسم بها مواضيع الفانتازيا، فإن الآلات المذهلة والكواكب البعيدة وكل العجائب التي يصورها الخيال العلمي هي من صنع العلم والتقدم التكنولوجي". وبهذا نكون قد أزلنا اللبس القائم بين النوعين الأدبيين، بإبرازنا نقطة التمايز الجوهرية بينهما، والتي تكمن في استعمال عنصر الخيال ومدى إمكانية أو استحالة تصوراته الذهنية. والجدير بالذكر أن فضاء "الشبيه" بالعلم (pseudo-science) أو ما يمكن أن يكون علماً ونقصد هنا الامتداد الافتراضي للعلم يبقى مجالاً خصباً لا متناهي في تناول كتاب الخيال العلمي، إذا ما أحسنوا استغلاله على أكمل وجه، إذ يتطلب الأمر الموضوعية العلمية والحبكة الأدبية في آن واحد، لبناء مشاريعهم الدرامية. وليس هذا إنقاصاً منا من شأن أدب الفنتازيا أو محاولة نسعى من ورائها وضعه في خانة الماضي، فهو لا يزال يسجل حضوره على الساحة الأدبية الحالية بقوة وثبات وخير مثال على ذلك رواية (Harry potter) بأجزائها السبع لـ "ج. ك. رولينغ (J.k.rolling)" وكذا ثلاثية "ج. ر. ر. تولكين" (J.R.R.Tolkien): "سيد الخواتم" (The Lord of the Rings)، هذه الأعمال التي نالت إعجاب الجماهير وشهدت إقبال كبيراً من طرف القراء، إذ ترجمت للعديد من لغات العالم، بل وحتى حولت إلى أفلام سينمائية ضخمة ولقيت قبولاً واستحساناً أغلب شعوب المعمورة على اختلاف ثقافتهم وانتماءهم.

مواضيع الخيال العلمي

بعد ازدهار فن الرواية في أدب الخيال العلمي في أربعينيات القرن العشرين ازداد عدد كتابها وكثر إقبال القراء عليها، فتشعبت اتجاهاتها وتعددت مواضيعها، فأصبح من الضروري تصنيف هذه الأعمال، التي كتبت تحت راية الخيال العلمي للفصل والتمييز بينها، فيما يلي سنعرف بإيجاز أهم الأنواع وأكثرها انتشاراً في هذا المجال.

الخيال العلمي الصارم Hard Science Fiction

يستعمل هذا المصطلح للتعبير عن صنفٍ فرعي من أعمال الخيال العلمي تتميز بصرامة التزامها بالدقة العلمية وبوصفها البالغ لكل ما هو علمي، إذ تتطرق مواضيعها لكل ما له علاقة بالعلوم "الصارمة" مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء وما إلى ذلك، وتستبعد عن حقلها المواضيع بعيدة الاحتمال من قبيل الانتقال عن بعد والسفر عبر الزمن، إذ تميل إلى إبراز أهمية المحتوى العلمي للقصة على حساب طابعها الحكائي و الحث على ضروره تكثيف العلوم والا كتشافات وتقديم المزيد من الشروحات حول العالم المادي^١.

ارتياذ الفضاء Space Opera

يعتبر ارتياذ الفضاء أحد أشهر أنواع الخيال العلمي وأكثرها انتشاراً، تتميز الحكايات التي يرويها بالمغامرات البطولية أو الدرامية تجري أحداثها في أطر جيوسياسية معقدة. وتبعاً لروايات هذا النوع، فإن مواضيعه تتعاطى مع الاكتشافات والملاحم الفضائية بصفة عامة^٢.

ظهر هذا النوع رسمياً في سنوات الأربعينيات ثم اتسع انتشاره ليزداد شعبية وإقبالاً في سنوات الستينيات والسبعينيات مع نجاح الأفلام السينمائية مثل: "ستارتريك" (Star trek و"ستاروارز" (Star wars)

وكان للفهم العام لنظرية آينشتاين النسبية أثر كبير على نظرة كتاب الخيال العلمي وكيفية تعاملهم مع فكرة السفر في الفضاء الخارجي والتنقل عبر المجرات، لتحرر

^١ . The Mammoth Encyclopedia of Science Fiction, George Mann: Robinson, London, 2001, p.488.

^٢ . الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، ١٩٩٤م،

بذلك عقولهم من قوانين الميكانيكا الكلاسيكية وتحلم بتجاوز سرعة الضوء وإيجاد سبل جديدة تقود البشر إلى النجوم^١.

من أشهر روايات ارتياد الفضاء أعمال "إدوارد سميث" Edward E. Smith التي تمثل الأمثلة الكلاسيكية لكتابات هذا النوع، فيما تمثل أعمال "براين ستابلفورد" (Bria Stableford) النماذج الحديثة له.

اليوتوبيا Utopia

وهي رواية عادة ما يكون المستقبل إطارها الزمني، تقدم صوراً عن مجتمعات متقدمة استطاعت أن تجد حلولاً لجميع أو على الأقل أغلب مشاكل حضارة البشر المعاصرة، وعن أسى حالات الحرية فيها. تتراجع فيها الحكمة وتشابك الأحداث أمام رسم صورة المجتمع الفاضل الجديد وتقديم شروحات عن طريقة عمله^٢.

يشتمل هذا النوع عدداً من كلاسيكيات أدب العلمي نذكر منها رواية (The Handmade Tale) للكاتبة الكندية مارغاريت "أتوود" (Margaret Atwood) ورواية (Island) للكاتب الإنجليزي "ألدوس هاكسلي" (Aldous Huxley).

ديستوبيا Dystopia أو نقيض اليوتوبيا

ديستوبيا هي كلمة تعني في الإغريقية "المكان السيئ"، وهي نقيض اليوتوبيا. فبينما تشير الأخيرة إلى المدينة أو المجتمع الخيالي الفاضل الذي تكتمل فيه السعادة وتتخلص البشرية فيه من مشاكلها، فإن الديستوبيا هي المجتمع الذي يسوده القمع والمشاكل من حروب وفقر وأمراض، إنها المكان السيئ الذي تنهار فيه الحضارة، وتمسي الحياة كابوساً.

^١ . الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، ١٩٩٤، ص

^٢ - How to Play Utopia: Some Brief Notes on the Distinctiveness of Utopian Fiction, In Science Fiction: A Collection of Critical Essays. Michael Holquist, Prentice-Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1976. p.117-122.

أما في أدب الخيال العلمي، تصور الديستوبيا مستقبلاً قائماً للبشرية، ففيما نرى أن البشرية في سعيها الحثيث للتطور والوصول إلى الكمال تنجح في تحقيق النقيض. فبدلاً من المدينة الفاضلة يجد البشر أنفسهم يعيشون في مجتمع يبدو ظاهرياً مجتمعاً مثالياً وكأنه اليوتوبيا الموعودة، ولكنه في حقيقة الأمر ليس كذلك؛ ففيه تنعدم الحريات ويتحكم نظام سياسي شمولي بسكنات الشعب وحركاتهم، أو تكثر فيه الحروب والكوارث الطبيعية.

أوكرونيا Uchronia أو التاريخ البديل Allohistory

وهي نوع من قصص الخيال العلمي التي تصور الحالة التي من الممكن أن يكون عليها العالم، بعد إجراء بعض التعديلات الافتراضية المتعلقة بأحداث تاريخية معينة وتناول روايات الأكرونيا قضايا تتعلق بالتساؤل: ماذا لو حدث أو لم يحدث؟ فأحيانا تجري أحداث القصة في عوالم موازية لعالمنا أو في عوالم ناتجة عن تغيير في التاريخ حدث بفعل الزمن أو بفعل عوامل أخرى ذات مرجعية علمية من قبيل: ماذا لو لم تنقرض الديناصورات؟ ماذا لو لم يكن البترول مصدر الطاقة الأساسي؟ ماذا لو لم يولد أينشتاين؟¹

من أشهر الروايات في هذا النوع رواية "Jurassic park" "حديقة الديناصورات" للكاتب الأمريكي "مايكل كريتشون" (Michael Crichton).

السايبير بانك Cyberpunk

يستعمل المصطلح "Cyberpunk) السايبيربانك" للدلالة عن الصنف القصصي الذي نشأ وسيطر على روايات الخيال العلمي في مطلع الثمانينيات، ويعالج هذا النوع أفكاراً من قبيل: الواقع الافتراضي، وهيمنة تكنولوجيا المعلومات وشبكات الإعلام الآلي

¹ . Encyclopedia of Science Fiction, Don D'Amassa: Fact on file, Inc, New York, 2005.p.435.

والتفاعل بين البشر والآلة، وتطوير الذكاء الاصطناعي. من أشهر الكتاب المؤسسين للسايبربانك، الكاتب "ويليام" غيبسون (William Gibson)، صاحب رواية "نورومانسر" (Neuromancer) التي ألهمت العديد ممن تلوه من الكتاب في هذا النوع، وكذا الكاتب "بروس سترلن" (Bruce Sterling) صاحب رواية "شيسماتريكس" (Schismatrix).

الرعب التقني Techno thriller

اصطلحت عبارة "الرعب التقني" (Techno thriller) للإشارة إلى ذلك النوع من روايات الرعب الخيالي التي توظف في بنائها الدرامي، عناصر من التكنولوجيا المتقدمة، بما في ذلك العلوم والاختراعات الخيالية. وتُبنى في الغالب على شكل صراع قوة وذكاء بين قوى الخير وقوى الشر أو بين البطل والشرير، حيث تتحدد فيها القيمة الحقيقية للنصر بمدى التصدي لحجم التهديدات التي تشكلها مكائد الشر، والوسائل والمعدات التي يستخدمها، والتي تميزها التكنولوجيا المتفوقة.

عادة ما يكون إطارها الزماني الحاضر أو المستقبل القريب. تجري أحداثها في عوالم عصرية، وتتميز بالتسارع والإثارة والتشويق وهي غالباً ما تضخم من حجم المخاطر التي يمكن أن تنجر عن أفكار علمية لم تتبلور للعامة بعد، وذلك بتسليط الضوء على أخطار التكنولوجيات الجديدة وعواقبها الوخيمة التي قد تنعكس سلباً على الأفراد والمجتمع¹.

العوالم البديلة Alternate Realities

يتركز هذا النوع من الروايات على فكرة البحث عن حياة بديلة على كوكب غير الأرض، حيث توجد فيه شروط الحياة التي نعرفها أو حتى غير معروفة. وتشمل قصص العوالم الموازية (Parallel worlds) أي كواكب تشبه الأرض في مكان ما من الكون، وكذا العوالم الافتراضية التي يصنعها البشر كبديل أو مساعد للحياة العادية.

¹ . Brian Stableford, op-cit, p.518. Brian Stableford, op-cit, p.518.

يمكن لهذه العوالم أن تكون في الماضي الحاضر أو المستقبل، أي أن إطارها الزمني لا محدود. ولقد كان لنظرية تعدد "العوالم" التي اقترحتها العالم الفيزيائي الدانيماركي "نيلز بوهر" (Neils Bohr) التي تقدم شرحاً وافياً للظاهرة التي أطلق عليها الفيزيائي "ريتشارد فاينمان" (Richard Feynman) اسم لغز الفيزياء الوحيد، أثر كبير على ظهور هذا النوع من الخيال العلمي.¹

الخصائص الفنية لرواية الخيال العلمي

استفاد مبتكرو الخيال العلمي من مفهوم التطور من خلال الموروث العلمي الذي خلفه أمثال، عالم الفلك البولندي "كوبارنيكوس" (Copernicus) ونظرياته المتعلقة بالمنظومة الكونية، وعالم الأحياء الإنجليزي "داروين" (Darwin) ونظرية التطور والانتقاء الطبيعي المتعلقة بالحياة على كوكب الأرض بما في ذلك الإنسان ومجتمعاته البشرية، فباتت محاولة التنبؤ عن حجم هذا التطور واتجاهه أمراً منطقياً، ومن الطبيعي جداً التفكير فيه.² ومن هنا بدأ المظهر التنبؤي الذي تتخذ منه روايات الخيال العلمي إطاراً عاماً لأغلب المواضيع التي تتناولها.

إن كلمة التطور هذه تحمل بين طياتها مشاكل وحلول وهي تؤمن، بدون شك، فضاءات وأرضية خصبة لرواية الخيال العلمي، فبالرغم من أنكل شيء يبدو ثابتاً في الواقع، فإن أفكار أدب الخيال العلمي لا تمثل تصورات لأشكال أخرى تختلف عن هذا الواقع فحسب، بل تمثل أيضاً صوراً للانتقال من حالة إلى حالة أخرى حسب ما يمليه التطور، وبتعبير آخر، تقدم الأشكال الممكنة للواقع.

يقول الكاتب الإنجليزي "ولز" (Wells) () في هذا الصدد إن:

¹ . Brian Stableford, op-cit, p.518. Brian Stableford, op-cit, p.518., p.7.

² . Mark L. Brake and Neil Hook: Different Engines-How Science Drives Fiction and Fiction Drives Science, Macmillan, London, New York, Melbourne, Hong Kong, 2008, p31.

"الأمر يتعلق بتصوير مبتكر للممكن، فالرواية قد اختارت منحاً كبيراً خلافاً، أو مجموعة اتجاهات، وعرضت نتائجها للمستقبل."^١

من خلال هذا القول يتبين لنا بأن التنبؤ الذي تنتهجه رواية الخيال العلمي ليس بالعشوائي، بل يقوم على نوع من الإجراءات المنطقية التي يتخذها الكاتب في توجيه خياله وفق منهج محدد أو مذهب علمي معين، ولا يهم في ذلك إن كانت الفكرة المتخيلة قريبة أو بعيدة الاحتمال، فلا يهم هو الرغبة في التنبؤ على أساس البناء المنطقي لتطور الأشياء.

وعلى أساس مفهوم التطور هذا، يجمع المشتغلون في ميدان الخيال العلمي على أنه يمكن تقسيم مجمل مواضيعه إلى ثلاثة مواضيع فرعية، هي: تطور المجتمع، وتقدم التكنولوجيا والمعارف، وتطور الإنسان.^٢

تتميز أغلب رواياتُ كتَّاب الخيال العلمي المهتمين بالتطور الاجتماعي بالنزعة التشاؤمية التي كان ينتهجها ويلز والتي تستند إلى فكرة، المجتمع الحديث الذي يحمل في ثناياه بذور انحطاط لا يمكن تجنبها، هذا إن لم تكن بذور كارثة^٣، ومن أهم المواضيع التي يتناولها هذا التيار نذكر: التمدين الفوضوي والمتعملق، غزو الحياة الخاصة بتأميم المعلوماتية والشبكات اللاسلكية والأقمار الاصطناعية، انتشار الدعاية والدكتاتوريات الناتجة عنها، تعميق الهوة الفاصلة بين الطبقة المستغلة والطبقة المستغلة أو ما يسمى بالبروليتاريا الصناعية.

أما الأخلاق باعتبارها الإطار العام للحياة في المجتمع، فإن قصص الخيال العلمي تصورها حسب المجتمع والعصر الموصوفين، إلا أنها تميل بعض الشيء إلى طرح الرغبات المبطنة التي تحرك المجتمعات، فالوصف الواضح والتماسك الذي تنتهجه ينحو إلى التحرر

^١. أدب الخيال العلمي، جان غاتنيو، ص. ٥٥

^٢. المرجع السابق، ص. ٥٦.

^٣. المرجع السابق، ص. ٤٧.

من الأنظمة الأخلاقية والفلسفية الشائعة، حتى الدينية منها، ولكنه تحرر فردي، ذلك أن خاصية الفردية تمثل أحد أهم مركبات الأخلاق في رواية الخيال العلمي^١.

وكما سبق وأشرنا بأن الموضوع يشكل المعيار الأساسي في تحديد نوع الخيال العلمي المنتهج، فإن مثل هذه المواضيع نجدتها عادة في روايات اليوتوبيا ونقيضها والعوالم البديلة وكذا روايات ارتياد الفضاء.

ويضع أنصار التيار الثاني للمواضيع مبدأ التطور على مستوى المعارف والتقنيات تاركين العادات والبنى الاجتماعية، ذلك أن السمة الأساسية لأدب الخيال العلمي منذ نشأته ليست فقط الاستناد على العلم والتكنولوجيا، وإنما أيضاً كيفية تطور هذين النشاطين البشريين. ولم يكن اختيار هذا النوع من المواضيع وليد الصدفة أو مجرد تبجيل للعلم والمعرفة، بل غدته، الثورة الكمية والكيفية الهائلة في المجال العلمي، حيث اتسع نطاق العلم إلى حد هائل، وأصبحت إنجازاته تفوق ما كان يحققه في أي عصرٍ آخر، وقد تسارع معدل نموه بصورة مذهلة، وأكدت الإحصائيات أن كمية المعرفة البشرية تتضاعف، في عصرنا، كل عشر سنوات، بينما كان هذا التطور يستغرق في العصور الماضية مئات السنين^٢.

وهكذا تفرعت أنماط جديدة للخيال العلمي انطلاقاً من توجه هذا النوع من المواضيع، وعلى رأسها الخيال العلمي الصارم، إلى جانب السايبر بانك وقصص الرعب التقني وغيرها من الأنواع الفرعية، التي تتناول مواضيعها الأناس الآليون والحواسيب والماكنات ووسائل النقل والأسلحة ووسائل نقل الفكر.

أما عن التوجه الثالث الذي يعنى بتطور الإنسان في حد ذاته أو بالأحرى تطور العرق البشري، فيستند متبعيه إلى الفكرة التي جاء بها العالم "شارلز دارون" حول التطور

^١. أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو، ص ٥٥.

^٢. الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ص ٦٣.

والانتقاء الطبيعي من أجل البقاء النوعي للكائنات الحية بما في ذلك الكائن البشري باعتباره أسمى المخلوقات وأذكاهها.

فبعدما قادت ملاحظاته العديدة إلى النتيجة التي مفادها أن أنواع الكائنات الحية تغيرت ونمت مع الزمن، وأن أنواعاً جديدةً انحدرت من سلالات أنواع أقدم، فسر هذا التطور، بأن كل الكائنات تتزايد بوتيرة تفوق سرعة تزايد المؤونة، وبالتالي فإنها تتكيف وفق معطيات مناخها البيئي، فتتقرض بذلك الأنواع الأقل كفاءة في سباقها من أجل الغذاء و البقاء^١.

ربما يكون أغرب مظهر في هذا الطرح بأكمله، التسليم بأن يكون للإنسان الحالي أسلاف أدنى منه تطوراً وتكيفاً مع محيطها، مرفولوجياً وذهنياً. وبالتالي التسليم منطقياً بإمكانية تطور الجنس البشري وتنوعه، خاصة بعد أن أثبتت بعض التحاليل التي أجريت على الحمض النووي البشري (DNA) حديثاً، إمكانية ذلك، وهو ما يشكل مصدر إلهام كتاب هذا النوع من المواضيع، المولعون بتخييل صوراً للتطور الجذري الذي من المحتمل أن يخضع له الجنس البشري على المستويين الحيوي والفيزيولوجي، بل ويذهب بعضهم إلى تصور سلالة بشرية طافرة تحل محله، بعد أن هيأت لهم نظرية الطفرات المفاجئة ووراثه الصفات المكتسبة التي أطلقها "ويسمن ودفريه" في نهاية القرن التاسع عشر والاكتشاف اللاحق للجينات وإمكان التأثير عليها، شرعية التساؤل حول احتمال إقلاع طفرة قابلة للنقل وبالتالي ظهور أنواع جديدة من البشر.

إن أفكاراً خيالية ذات مرجعية علمية من هذا القبيل من شأنها أن تفسح المجال أمام إمكاناتٍ روائيةٍ غنية تتناول مواضيع من نحو: البشر الطافرون، والسايبور(Cyborg) وهم كائنات هجينة بين البشر والآلة، أو الأندرويد (Android) وهم رجال آليون صنعوا من أنسجة حية عوضاً عن أعضاء ميكانيكية، وكذا المخلوقات الفضائية، والاستنساخ،

^١. الحقيقة والخيال، إسحاق أسيموف: ترجمة محمد جمال الدين الفندي وجابر عبد الحميد جابر، دار المعارف، مصر،

وانقراض الإنسان وغيرها، إذ أن الوجود الأجنبي بين البشر الأسوياء يتيح إبراز مشاعر الرفض والعدائية تجاه كل ما هو مختلف في ظل معركة البقاء.

البيئة الزمانية والمكانية يرى د. عبد الملك مرتاض الزمن عبارة عن خيط وهمي مسيطر على كل التصورات والأنشطة والأفكار، لا ينبغي له أن يتجاوز ثلاثة امتدادات كبرى: "الامتداد الأول ينصرف إلى الماضي والثاني يتمحض للحاضر، والثالث يتصل بالمستقبل."^١

كما يرى أيضاً أن الزمن مظهر نفسي لامادي، وبمجرد لا محسوس؛ ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حد ذاته. فهو وعي خفي؛ لكنه متسلط؛ وبمجرد، لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة^٢.
ومن جهة أخرى، يقول "قاسم قاسم" إن:

"الإنسان يحمل ثلاث أبعاد، أو كائن ثلاثي الأبعاد: الماضي والحاضر والمستقبل."^٣
هذه الأبعاد الثلاثة للزمن تمثل الفضاء الذي يمكن للإنسان من خلاله إدراك الأحداث التي تجري من حوله، فوعي الإنسان في الماضي ذاكرته، ووعيه في الحاضر إدراكه الحي، أما وعيه في المستقبل لا يمكن أن يكون غير خياله.^٤

أما عن البيئة الزمانية للرواية، فيعتقد النقاد الروائيون المعاصرون بوجود ثلاثة أنواع من الزمن تلازم الحدث الروائي ملازمة مطلقة هي:^٥

زمن الحكاية أو زمن التخيل أو الزمنية الخاصة بالعالم المستحضر، وهي الحيز الملم للعالم الروائي المنجز.

^١ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م، ص ١٥٣

^٢ المرجع السابق، ص ١٥٦

^٣ البيئة الزمانية و المكانية في أدب الخيال العلمي، مقال قاسم قاسم، مجلة الخيال العلمي، العدد ١، سوريا، ٢٠٠٥ م. ص ٤١

^٤ المرجع السابق، ص ٤٢

^٥ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض ص ١٥٦

زمن الكتابة وهو زمن إفراغ النص على الورق والذي يكون مرتبط بصيرورة التلخيص القائم داخل النص؛ أي أنه مرتبط بتطور الصياغة.

زمن القراءة وهو الزمن الملازم للقارئ أثناء قراءته للنص.

ولن نحوض هنا في الحديث عن الزمن في علاقته بالحدث الروائي عامة، وإنما ما يهمننا في هذا المقام، من بين الأزمنة الثلاث هذه سوى الزمن الأول: زمن الحكاية أو الإطار الزماني للرواية. لأننا نهدف من وراء سعيينا هذا إلى إبراز الزمن في رواية الخيال العلمي وكيفيات توظيفه، كخاصية تميزه عن باقي الأصناف الروائية الأخرى، فإذا كانت الروايات الأدبية المتداولة تتميز بطبيعة تعاملها وتقنياتها في التناولات الفنية للزمن الروائي وكيفية بنائه، فإن روايات الخيال العلمي تتميز بطبيعة تعاملها مع الزمن المتعارف عليه كموضوعة رئيسية، مستغلة بذلك الزمن في مفهومه الشامل من أقصى ماضيه إلى أبعد نقطة يمكن تخيلها في مستقبله.

بيد أنه قلما ينظر للزمن بمعزل عن المكان، وخاصة في مجال الرواية، إذ يلتصق كل منهما بالآخر مشكلين ما يسمى بالبيئة الزمكانية، هذا الفضاء الذي يمكن كتاب رواية الخيال العلمي من السفر إلى أعماق الماضي والعودة نحو المستقبل، ذلك أن الخيال العلمي هو عبارة عن تركيب لواقع، لا يحده زمان أو مكان، هو سفر، إبحار في عوالم جديدة، هو استشراف للمستقبل يدفع الإنسان نحو البحث عن عالم أفضل، وهذا لا يعني البحث عن يوتوبيا جديدة، بل المطلوب اختراق المجهول، نحو مساهمة خيالية.

ومن خلال كل ما سبق يمكننا أن نخلص إلى أن البيئة الزمانية والمكانية لرواية الخيال العلمي تختلف عن تلك التي نلتمسها في سائر الروايات الأخرى المعروفة، كونها ذات أبعاد مطلقة تمتد إلى اللانهائي لا يمكن حصرها في إطار محدود، وهو ما يجعل منها أحد الخصائص الفنية المميزة لهذا النوع الروائي.

رسم الشخصيات

تتمظهر الملامح المشكلة لشخصية الرواية بشكلٍ عام من خلال علامات داخلية وخارجية، هي في واقع الأمر لصيقة بالشخصية في حد ذاتها، وتنتمي لعدة مستويات؛ سردية، ووصفية أو خطائية، والتي يمكن أن نلخصها في:

رسم الصورة: ما تفكر فيه الشخصية

القصة: ما تقوله الشخصية وكيف تقوله.

الحوار: ما تفعله الشخصية.

المونولوج: وصف ذاتية. الشخصية وسيرتها كل ما يتعلق بملاحظها الجسدية وعمقها النفسي.¹

إن هذا التوزيع يأخذ في الاعتبار جملة من الخصائص الجسمانية والنفسية، إذ تتحدد من خلال هذا النظام ملامح كل شخصية على أساس مقدار التناقضات القائمة بين علاماتها.

وإذا ما نظرنا إلى الرواية التقليدية، من هذا المنظور وجدناها تولي اهتماما بالغاً للشخصية وتركز على "التعظيم من شأنها، والذهاب في رسم ملاحظها كل مذهب"² ذلك أنها كانت تبالغ في رسم الصورة على حساب القصة والحوار أو المونولوج، بغية إيهاام المتلقي ببعديها التاريخي والواقعي معاً، لتكون بذلك ناضجة ذات سلطان كبير ومكانة مهمة بين العناصر الأخرى.

وبالمقابل وإذا ما نظرنا إلى الرواية الجديدة من المنظور نفسه، أدركنا أنها قد تخلصت من أغلال زيها التقليدي الثقيل التي كانت مجبرة على حملها، لترتدي ثوب الحرية الشفاف وتتحرك من خلاله بكل خفة ورشاقة، في توازن وتناغم مع العناصر الأخرى، إذ يرى البعض أنه توازن معجز ترسم فيه الرواية شخصيات بارزة توحى ملاحظها

¹ الرواية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، عبد الحميد بورايو، دارالحكمة، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص ٤٢

² . في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، ص ٦٥

الجسدية وعمقها النفسي وتطورها بوسائط متخيلة، بوهم الواقع وتسيطر على ذاكرتنا باعتبار أنها أفلتت من العقدة التيكانت محجوزة فيها.^١

يرى بعض النقاد أن الطبيعة البشرية فيها مبسطة تبسيطاً شديداً، حيث الشخصيات غير مدروسة، ولا ناضجة وأنها مسطحة وغير واضحة المعالم، أو أنها مجرد أرقام وحروف أو آلة أو شيء إلا أن البعض الآخر منهم يرون أنه لا ينبغي على الباحث الناقد لرواية الخيال العلمي أن ينجر وراء مثل هذه الأحكام، ذلك أن طبيعة هذا النوع من الروايات تفرض معايير خاصة به لا يجب إهمالها،^٢ وبالتالي فبقدر ما يُعاب على الشخصية في رواية الخيال العلمي بساطتها، بقدر ما هي علامة بارزة تخص هذا النوع.

اللغة

كثيراً ما يُنظر إلى روايات الخيال العلمي على أنها تتعامل مع اللغة باعتبارها مجرد أداة تبليغية، تسعى من ورائها إلى توصيل مضمون علمي معين أو مفهوم ما، غير مراعية بذلك بعدها الجمالي والفني، لذا فهي لغة مقتصدة وبسيطة ومباشرة.^٣ وتعتبر هذه النظرة من أهم النقاط المثيرة للجدل حول أحقية انتمائها إلى حقل الأدب الخالص عموماً، ذلك أن اللغة تمثل عصب الأدب ومادة انعكاساته الجمالية الخصبية، وهذا ما يدفع الكثيرين إلى استبعاد أعمال الخيال العلمي عن حقل الأدب، مؤيدين بذلك الرأي السائد بأن أغلب ما يكتب في مجال القصة العلمية لا يرضي الذوق الفني الناضج.^٤

بيد أن مثل هذا الحكم السطحي للطبائع الفنية لهذا اللون الأدبي الوافد الجديد يعبر عن "موقف ظالم ولا شك؛ لا لأن هذا الأدب يرضي جانباً كبيراً من القراء في

^١ الرواية في القرن العشرين، جان-إيف تادييه: ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ٣١.

^٢ "الطبائع الفنية لأدب الخيال العلمي" الرواية أنموذجاً، مقال د. حمادة هزاع مجلة الخيال العلمي، العددان، ١١-١٧ سوريا، أيار/حزيران، ٢٠٠٩، ص ٤٨-٤٩.

^٣ رواية الخيال العلمي، خصائصها، إشكالياتها وأسئلة المستقبل، د. محسن الرملي، مجلة شؤون ثقافية، العدد ٣١،

الجمهورية اللبنانية، أكتوبر ٢٠١٠م، ص ٢٥.

^٤ القصة العلمية الحديثة إلى أين؟، مقال ماجدة جوهر، مجلة الفكر المعاصر، العدد ٥٢، يونيو ١٩٦٩م، ص ٥٥.

الدول المتقدمة علمياً التي أصبح العلم يشكل جانباً كبيراً في حياة الأفراد العاديين اليومية فيها، وأصبحت المخاوف التي يعبر عنها هي مخاوف البشرية جمعاء، بل لأننا ينبغي أن نعامله بمنطقه الخاص، ونقبل منه بناءً فنياً معقولاً يبلغ من خلاله رسالته على نحو بالغ الخطورة والعمق"، ذلك أنه من غير المعقول الاعتماد على معايير نقدية تعود للقرن الثامن أو التاسع عشر لدراسة لغة أدب ينتسب تاريخياً للقرن العشرين.

يرى د. قاسم قاسم أن لغة الخيال العلمي بشكل خاص هي لغة تقريرية ومباشرة في أحيان كثيرة، وهذه الصفة لا تعد عيباً فنياً في أدب الخيال العلمي^١.
 وحجته في ذلك هي أن الغاية منها ليست تحليل الشخصية أو لعبة الدراما الداخلية، بقدر ما هي وسيلة للكشف عن السياق العام أو موضوع الرواية في قالب فني لا يخلو من لغة تقنية مرافقة تخدم الغرض نفسه وتضمن للكاتب يسر الكتابة. وليست اللغة هي الأداة التوضيحية الوحيدة في أدب الخيال العلمي، إذ يوظف هذا الأخير الرسوم والخرائط والصور ويستخدم المعادلات الرياضية والتصميمات العلمية وكذا الخرائط الإلكترونية الحديثة، ويدخلها ضمن متن نصوصه.

التقنية

إن الخيال العلمي باعتباره جنساً أدبياً، يمثل أحد الأنواع الصعبة نسبياً، إذ يتطلب بعض الكفاءات الخاصة، ليس فقط أثناء كتابته، بل أيضاً أثناء قراءته. ترى "تاتل" (Tuttle) أن موطن الصعوبة في هذا النوع الروائي يكمن في الخط الفاصل بين واقع الرواية وواقع القارئ أو ما يسميه بـ "المستوى الاحتمالي"^٢ (level of subjunctivity) الذي يختلف كثيراً عن ذلك الموجود في روايات الخيال العادي المعروفة، والذي يحدد مدى تقارب أو

^١. "رواية الخيال العلمي، ورؤى المستقبل"، مقال عصام بهي، مجلة فصول، م، ٢٠٠٤ العدد الرابع، يناير - مارس، ١٩٨٢م، ص ٥٩

^٢. "الخيال العلمي في أسئلة وأجوبة"، مقال د. قاسم قاسم، مجلة الخيال العلمي، العدد ١٢، سوريا، تموز، ٢٠٠٦م، ص ٥١

^٣. Lisa Tuttle, op-cit, p.1.

تباعداً الواقعيين، علماً أن المتيخيل في هذا المقام مرتبط بحقائق علمية وهو الشيء الذي يجعل منها عملاً صعباً بالنسبة للكاتب والقارئ على حد سواء.

إن أغلب التقنيات التي تحتاج إليها رواية الخيال العلمي لا تختلف عن تلك التي تحتاج إليها باقي روايات الخيال عمومًا، لذلك فقد استفادت رواية الخيال العلمي من تقنيات روايات الفانتازيا التي سبقتها، إلا أن الاستفادة الأكبر والأوسع انتشاراً هي تلك التي تأثرت وجاءت مستمدة من تقنيات الرواية البوليسية وحبكتها المحسوبة بعناية، والهادفة إلى التشويق وشد المتلقي.^١

بعد أن تطرقنا إلى أهم الخصائص الفنية، ارتأينا أن نورد في الأخير تعريف "د.مها مظلوم" لرواية الخيال العلمي التي استطاعت من خلاله أن تلم بتلك الخصائص إذ تقول :

"هي رواية مستقبلية تقوم على الحقيقة الثابتة حيناً أو المتخيلة عن جانب مجهول من الكون والحياة حيناً آخر، شخصيتها اسمية أو رقمية غير مكتملة الهيئة النفسية والجسدية، تنقل زمان الخطاب الروائي إلى زمان مستقبلي أو استرجاعي متوهم، وإلى مكان خيالي، أحداثها مشوقة ومثيرة تدفع إلى التفكير في نتائج هذا الخيال المقنن والموظف، فتقدم حلولاً مستقبلية يجب أن تكون عليه في ظل التقدم العلمي المتسارع، كذلك تقدم محاذير لنتائج تلك النظريات العلمية إذا أسيء استخدامها دون حساب النتائج، عنصراها العلم والأدب".^٢

أما عن بحثنا هذا، فقد جاء على ثلاثة أبواب، في الباب الأول قدمت عرضاً وتلخيصاً لروايات فانتازيا، ثم جاء الحديث عن موضوعات أدب الخيال العلمي في الباب الثاني، وكان الباب الثالث دراسة فنية لهذه الروايات، والهدف الرئيسي من البحث هو تسليط

^١ رواية الخيال العلمي، خصائصها، إشكالياتها وأسئلة المستقبل، د.محسن الرملي، ص ٢٦

^٢ "مستقبل أدب الخيال العلمي"، موقع: القصة السورية.

الضوء على أفكار الأدب العلمي التي حاول الكاتب دراستها ومناقشتها في سطور
روايات فانتازيا، والله الموفق.

الباب الأول

نبذة عن روايات مختارة من سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق و ملخصها

الفصل الأول: عرض و تلخيص للروايات المختارة : من العدد ١ إلى ٢٠

الفصل الثاني: عرض و تلخيص للروايات المختارة: من العدد ٢١ إلى ٤٠

الفصل الثالث : عرض و تلخيص للروايات المختارة: من العدد ٤١ إلى ٦٤

الفصل الأول

عرض و تلخيص للروايات المختارة من عدد ١٥ إلى ٢١

مدخل

سأتناول في هذا الباب عرض وتلخيص لسلسلة روايات فانتازيا، حيث تخوض البطلة عبير عبد الرحمن تجارب عديدة في عوالم الخيال والفانتازيا التي تدخلها من خلال جهاز حاسوب معين أو بمجرد نومها، وتخوض الشخصية مغامرة مع شخصية خيالية أو عالم خيالي من أساطير الشعوب، وأحياناً تختلط العوالم مع بعضها أو تتداخل.

ولا بد أن نعرف أن الكاتب قد استوحى شخصية عبير من فتاة تعمل في نادي فيديو قريب من بيته، هذه الفتاة كانت تمضي الوقت كله في القراءة، وكان واضحاً أنها فقيرة من ناحية المال والتعليم والجمال، لكن حبها للقراءة يمنحها عوالمً غير محدودة تزورها دون مغادرة ذلك المكان الضيق بين شرائط الفيديو.

تقابل عبير في مغامراتها الكثير من الشخصيات المشهورة والأساطير، كشيرلوك هولمز والرجل الطواط وطرزان وتشبي جيفارا وهتلر وسيبويه والخليل بن أحمد، قد تكون بعض الشخصيات حقيقية أو أسطورية، لكن تجتمع كلها في الشهرة والأثر الذي تتركه في واقعنا.. يجعل الكاتب من عبير شخصية تفاعلية في كل القصص، ليجعلها تعيش واقع الأبطال والعوالم المختلفة، وتكون في بعض الأحيان سبب في تغيير مجريات الأحداث التاريخية. ومن الأمثلة على ذلك وقوع طرزان في حبها، ومشاركتها لهولمز في حل أحد الألغاز، وإقناعها لسيبويه بالابتعاد قليلاً عن طلب العلم وتوديع حياة العزوبية، ومساعدتها للعرب في معركة ذات الصواري.

عبير.. لم يكن لها نصيب من اسمها.. فهي تفتقر إلى الجمال الذي يوحي به الاسم، إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين، باردة الأطراف.. ترتجف رعباً من أي شيء وكل شيء..

إنها حتى غير مثقفة، وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كي تكون بطلتنا.. أو بطلة اي شخص سوانا.. هي لا تلعب التنس ولا تعرف السباحة ولا تقود سيارات (الزالي)، وليست عضواً في فريق لمكافحة الجاسوسية، أو مقاومة التهريب^١..

لكن عبير برغم ذلك تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكائنات.. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه، ولهذا تستحق عبير أن تكون بطلتنا الدائمة..

ولسوف نتعلم معاً كيف نحبها ونخاف عليها وترتجف فرقاً إذا ما حاق بها مكروه..

والأن عبير تملك القدرة على الحلم، ولأنها تحتزن في مقدمة مخها مئات الحكايا المسلية، وآلاف الأحداث التي خلقها إبداع الأدباء عبر العصور، وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا)..

فانتازيا أرض الأحلام التي لا تنتهي..

فانتازيا حيث كل شيء ممكن.. وكل حلم متاح..

فانتازيا جنة عاشقي الخيال..

ولسوف نرحل جميعاً مع (عبير)، سنضع حاجياتنا وهمونا في القطار الذاهب إلى فانتازيا، وهناك سنتعلم كيف نحلم.. إن صغير القطار يدوي، والبخار يتصاعد حول قاطرته.. هو ذا جرس المحطة يدق، إذا فلنسرع!

لقد حان موعدنا مع الأحلام في فانتازيا..

قصة لا تنتهي

هي (عبير عبد الرحمن).. جاءت هنا بعد اجتيازها مولد الأحلام الذي ابتكره الشاب الوسيم (شريف)، تقف على إحدى الهضاب وشعرها يتطاير مع الريح.. تلثقي برجل أنيق مهذب يدعى المرشد ومهمته أن يجعلها أكثر إلماماً بجوانب عالمها الجديد.. يشبه المرشد أستاذ اللغة العربية الذي درسها في طفولتها والذي كان يعرف كل شيء

^١- قصة لا تنتهي، سلسلة فانتازيا ١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢.

بالنسبة لها، فظل رمزا للعلم والمعرفة في عقلها الباطن. هي الآن تائهة في دهاليز عقلها الباطن، الأشخاص الوديان والجبال كلها من نسج خيالها الخاص.

يقف أمامها القطار مكونا من عربة صغيرة زاهية الألوان تجرها مقطورة بدائية، ركبت عبير القطار وراح يجوب العوالم المجهولة، وبدأ المرشد يشرح لها كل ماتراه خارج نافذة القطار؛ ترى عبير أماكن حقيقة وأماكن خيالية.. ترى سوبرمان وترى طرزان.. ترى القاهرة وترى جوثام سيتي وترى عالم الأساطير الإغريقية، كل إبداعات الإنسان عبر العصور هنا، ليس هذا فقط فهي من جديد ترى عالم القمر حيث أحداث (أول رجال على القمر) ومن بعيد تدور المكوكات الفضائية وتحوم الأطباق الطائرة وتسبح سفينة فضائية عملاقة، وأخيرا يتوقف القطار وتنزل عبير لترتاد هذا العالم..

الآن عبير في لندن في القرن التاسع عشر واسمها (هيلين) وهي تستطيع فهم الإنجليزية والتحدث بها، وهي ترتدي ثوباً واسعاً مزركشاً وعلى رأسها قبعة عالية وفي يدها مظلة، والمرشد كان قد اختفى وتركها وحيدة لتعيش مغامرتها.. تدخل محل (ستانفورد) لتفقد المعروضات ورؤية أزياء هذا العصر ولوازمه، وفي داخل المحل شرعت تتأمل في انبهار الموديلات الخشبية وعلب التبغ والكتب وقطع الأثاث الفاخرة.

يدخل المحل رجل رث الثياب ليبيع مروحة فرعونية قديمة، وبعد مناقشات دارت بين الرجل ومستر (ستانفورد) يقرر الأخير وضعها في واجهة المحل لعرضها دون شرائها.. خرجت عبير من المحل لترى ذلك الرجل المتأنق الذي يقف على جانب الطريق الآخر وبعد لحظات يلحق به الرجل الذي باع اللوحة ليتناقشا قليلاً.. بعد قليل ترى عبير مشهد مثير للاهتمام.. يتوجه الرجل المتأنق إلى محل (ستانفورد) ويقف أمام واجهة المحل متأملاً المروحة، ومن ثم يدخل ويسأل عن سعرها.. يرتبك السيد ستانفورد قليلاً، فهو لم يفكر حتى في تسمينها لقد اشتراها قبل بضعة دقائق فقط! ثم يقول عشرة آلاف، فيرد الآخر سأدفع لك عشرين ألفاً حالياً، أنت لاتحسن تقدير التحف الفرعونية لدرجة إهانتها! وبعدها يخرج شيكاً ليدون عليه الرقم ومن ثم يعطيه للمدير ويأخذ المروحة ويخرج

من المحل، عبر النافذة تراه عبير يعبر الشارع إلى الرصيف الآخر ومن ثم يناول المروحة إلى الرجل الآخر رث الثياب الذي كان ينتظره! كان هذا فوق احتمال عبير ولا تفسير له.

سألت عبير في الطرقات ومن ثم سألت أحد المارة عن منزل (شيرلوك هولمز) فأشار لها إلى باب موصد جواره مقبض خاص للطرق. تطرق عبير الباب ويفتح لها الباب (واطسون) الصديق الصدوق لشيرلوك وها هي أخيراً تجلس أمام شيرلوك هولمز.. كان هادئاً يرتدي روباً منزلياً قصيراً ووجد أنها تجدد صعوبة في الكلام فقال: "على رسلك يا آنسة لا تخفي عني شيئاً، أرى أنك لست إنجليزية ربما من شمال إفريقيا، وأرى أنك قطعت مسافة طويلة إلى هنا، وأنت رأيت من يريب في متجر (ستانفورد) منذ دقائق طويلة. ويبدو لي أنك جئت لندن بالقطار منذ ساعة!".. هذا هو أسلوب هولمز المشهور في إبحار زواره.

قالت عبير رأيت رجلين يسيران معاً، دخل أحدهما لمحل ستانفورد وترك عنده مروحة فرعونية ثمينة، وبعد دقائق دخل الرجل الثاني وابتاعها بثمن باهظ ومن ثم انطلق ليعطيها للرجل الأول، لقد سمعت عبير مدير المحل يدعو أحدهما بلورد (ثاكري).. قال هولمز وهو يتصفح بعض الأوراق إن اللورد ثاكري من الرجال المشهود لهم بالأمانة والشرف ولا أحسبه إلا رجلاً شريفاً، وهو بالفعل مهتم بالمصريات، حيث زار مصر من قبل وأعجب كثيراً بالحضارة الفرعونية. وبعدها طلب هولمز من واطسون إيجاد فندق محترم لعبير لتقضي فيه ليلتها حتى يتفرغ هو للتفكير بهذه القضية الغريبة.. وهكذا وجدت عبير نفسها تمضي ليلتها في غرفة فندق من الطراز الفكتوري وفي حوزتها بعض الصحف والروايات، وفي تلك الليلة ذهب هولمز برفقة واطسون لزيارة منزل اللورد ثاكري لكنهم اكتشفوا أنه انتحر قبل فترة قصيرة وترك على المكتب خطاب صغير يقول: "اغفروا لي، هذا هو المهرب الوحيد من اللعنة التي تطاردني" وبجانب الخطاب كانت هناك المروحة الفرعونية.. وهكذا تكتمل قطع اللغز في خلال عشر ساعات: مروحة فرعونية.. صفقة

^١ - قصة لا تنتهي، سلسلة فانتازيا ١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٥.

غامضة.. موت.. إنها قضية معقدة وتحتاج عقلاً ناضجاً إضافياً لحلها، وهكذا أرسل هولمز في طلب (هيركيول بوارو) المخبر البلجيكي. في الحقيقة بوارو موجود في لندن المعاصرة أي أنه سيحيى العالم بعد ما لا يقل عن خمسين عاماً، لكن في فانتازيا لا يوجد قيود للزمان والمكان.

إنه اللقاء المستحيل الحدوث بين قطبي الرواية البوليسية الإنجليزية: (شيرلوك هولمز) و (هيركيول بوارو).. لقد جاء بوارو مع مرافقه (هاستنجز). لقد توجه الجميع ومعهم عبير إلى منزل ثاكيري وهناك قابلوا رئيس الخدم، وهو نفس الرجل رث الثياب الذي باع اللوحة، وهنا ربط هولمز بين حادثة اللوحة ومقتل اللورد، لكن رئيس الخدم نفى ذلك مؤكداً أنه لا وجود لأية رابط، أما عن موضوع اللوحة فاللورد نفسه سرقها من مصر، وليكفر عن خطيئته أراد أن يشتريها ويدفع فيها مالا. تفسير القضية الأولى أصبح واضحاً لكن ما زالت هناك قضية غامضة وهي مقتل اللورد! وكانت أصابع الاتهام كلها تتوجه إلى رئيس الخدم، فقال رئيس الخدم وهو يتلع ريقه:

- الأمر أبسط من هذا يا سادة، الحقيقة هي أن..

- مرحباً بعودتك يا عبير!! قالها شريف والانفعال يعصف به، لقد عادت عبير أخيراً من عالم الوهم.. عادت قبل أن تكشف حقيقة مقتل اللورد لتبقى هذه الجريمة لغزاً غامضاً لا تفسير له.

حكايات من الاشيا

لم تنس عبير مذاق مغامرتها القصيرة في فانتازيا.. لم تنس تفاصيل أحداث عاشتها مع هولمز وبوارو.. لم تنس هدير القطار الصغير الذي عبر بها إلى فانتازيا. لقد عاشت كل هذا وتؤمن بأنه كان حقيقياً، لكن لا أحد يصدق هذا وهي بالتأكيد لا تلوم احد.. الآن الجميع يعتقد أنها فقدت عقلها، حتى أسرتها منعته من الخروج والذهاب إلى عملها في محل ألعاب الفيديو، وبكل الأحوال هي نفسها فقدت رغبتها في

العمل، فالعمل بالنسبة لها يعني المزيد من الواقع الكئيب الذي تحاول الهرب منه طيلة الوقت.^١

كانت تعرف أنها لا تنتمي لهذا العالم، بل تنتمي لعالم بعيد كل البعد عن واقعها، عالم مليء بالمغامرات وخالي من الكآبة، وهي بالفعل وجدت ما قد تبحث عنه في جهاز الأحلام الذي ينقلها إلى فانتازيا، لكن الآن الوضع معقد نوعاً ما، ففي المرة الأولى حدث خطأ في الجهاز وكادت تفقد حياتها لولا تدخل بعض الأطباء والعلماء لمساعدة شريف.. الآن شريف نفسه لا يستطيع أن يأخذها إلى فانتازيا، بل هو لا يجرؤ حتى على الاقتراب منها بعد الكارثة التي حدثت.

سعيد هو الشاب الذي سيتزوج عبير، وهو صديق أخيها ويعمل معه.. يملك شقة صغيرة في الحي المجاور وبدأ بتجهيز الشقة وشراء الخشب الثقيل كما يقول، من الواضح أن الكل متحمس لهذا العريس، والكل يؤمن بأن هذه أفضل فرصة لها، ولكن عبير تراه وكأنه كفننها نفسه. وبالنسبة لشريف فهو بالفعل حقق نجاحاً كبيراً، بالرغم من أنه نجاح مبتور إلا أنه يعتبر تقدم كبير بالنسبة له. وبعد دراسات مدققة اكتشف خطأ البرنامج السابق الذي كان يدخل الفتاة في حلقة لا نهائية، وبالفعل عمل على حل المشكلة وإصلاح الجهاز كما أنه أضاف مكبراً للصوت ليتمكن من اقتحام عالم الكومبيوتر وتوجيه الفتاة في وقت الحاجة. فانتازيا الآن تعمل لكن لا وجود لعبير بالرغم من رغبتها، فأسرتها لا تسمح لها حتى بالخروج من المنزل! بالحقيقة طرقي الصفقة راغبان أشد الرغبة في إتمامها، ومع هذا فهي لا تتم لأسباب شتى.. أخيراً عبير تقرر التوجه إلى منزل شريف بنفسها، هي بأشد الحاجة لفانتازيا الآن، الواقع يزداد كآبة ولم تعد قادرة على التحمل أكثر، لقد هربت دون أن تخبر أحداً، حيث خرجت هذه المرة ضمن المشاوير الكثيرة التي يترتب على العروس القيام بها وهربت إلى منزل شريف، وتوسلت إليه لإعادتها إلى فانتازيا.. وهكذا بعد جهد جهيد استطاع شريف أن يفهم أن الفتاة

^١ -حكايات من والاشيا، سلسلة فانتازيا ط ٢، د.أحمد خالد توفيق، ص ٨.

تعاني حالة عدم قبول مزمنة لعالمها وواقعها، لقد كانت لديه بعض المخاوف لكنه للمرة الأولى يرى الجانب الأخلاقي من الموضوع.. الهرب من الواقع، هذا هو ما يقدمه. نفس الشيء الذي يقدمه بائع الخمور وتاجر الحشيش.. والآن عبير تبدأ رحلتها الثانية في فانتازيا.

هذه المرة كان الانتقال أكثر سهولة وسلاسة، ومن جديد وجدت عبير نفسها واقفة على الهضبة ذاتها والمرشد خلفها.. اصطحبها المرشد إلى القطار وبدأ القطار يتحرك وسط المعالم الغريبة. إلى أن وصلت إلى رومانيا لتعيش قصة مصاصي الدماء والمستذئبين^١.. كانت عبير ككل أصحاب الخيال المرهف تحب أن تخاف، تخاف في فراشها تحت الأغطية آمنة من كل شر، لكن هنا الوضع مختلف والموت سيحيط بها..

لقد تلاشى المرشد وتركها تعيش مغامرتها وحيدة بين الغابات المظلمة.. من بعيد ترى ضوء يتحرك ويدنو منها، وسرعان ما أدركت أن هذا الضوء لعربة مسافرين تجرها أربعة خيول. توقفت العربة المتوجهة إلى بوكوفينيا، وتفاجئ الرجل عندما عرف أن عبير متوجهة إلى قلعة الكونت، حاول إقناعها بالذهاب معهم لكنها أصرت على وجهتها، هي تعرف من القصة أن الجميع سينذرها ويحاول دفعها للبقاء معهم والذهاب إلى بوكوفينيا.. بعد قليل توقفت العربة عند طريق القلعة ونزلت عبير لتركب عربة سوداء مخيفة تقلها للقلعة، هي لاتعرف من أين أتت هذه العربة وكيف وصلت إليها، لكنها إنطلقت بسرعة باتجاه القلعة.. وعند الباب العملاق وقفت عبير تتأمل المشهد المهيب وهي تسمع صوت الذئب المرعب..

لقد رحب بها دراكيولا وحياتها بالطريقة الرومانية ومن ثم دعاها إلى الداخل

قائلاً:

- أهلاً بك في داري.. إليها تدخلين حرة ومنها ترحلين سالمة، فقط بعد رحيلك

أتركي لنا بعضاً من كل هذه السعادة.. أنا الكونت دراكيولا^٢..

^١ - حكايات من والاشيا، سلسلة فانتازيا ط ٢، د.أحمد خالد توفيق، ص ٢٥

^٢ - المصدر السابق، ص ٤٠

كادت تولى الأدبار إذ سمعت عبارته الأخيرة، لكن عبير استمرت باقناع نفسها بأن هذا فيلم سينمائي لا أكثر ولا داعي للخوف الزائد.. عبير كانت تعرف كل شيء وهذا يريح دراكويلا قليلاً، فهو لا يحتاج الآن للتظاهر بالبراءة، نعم هو مصاص دماء ينام بالتابوت نهاراً ويصحو ليلاً لمتص دماء عابري السبيل. والمصيبة الأكبر أن عبير حسناء في فانتازيا وهذا يجعلها فريسة محبة لدراكويلا.. تساءلت في قلق:

- هل تنوي امتصاص دمي.

- أنا أرحب بدماء الحسنات مثلك دائماً.. الآن بإمكانني النهوض وتكبيك لأمتص دمك فوراً، لكني لا أريد أن أنهي الأسطورة في ثوانٍ، أنا مكلف بأن أجعلك تعيشين مغامرة شيقة لا بأس بطولها.. هل فهمت؟! لا بد من أحداث وإلا كان البرنامج مثير للإحباط.

-إذن ماذا تنوي؟

- سأخذك إلى القبو وأقيدك هناك! وهل تظني لن أقاوم؟

-أرجو أن تسامحيني على وضع المخدر في طعامك، إنها الطريقة المثلى لنقلك إلى هناك دون مقاومة..

الآن عبير مكبلة إلى الجدار وسط الظلام في قبو فسيح، تزحف الرطوبة على جدرانها، وتلهوا الفئران فيه.. لقد كانت عبير مخطئة حين اختارت هذه المغامرة بالذات، إن كل ما فيها مخيف وكئيب. شريف يتابع من الخارج ويحاول تحذير عبير من دخول القلعة، ولا يعرف أنه متأخر ساعات أو ربما أيام.. لقد خرجت فتاة من أحد التواييت وتقدمت باتجاه عبير لتمتص دمها، لكن سرعان ما حضر دراكويلا ورمها بعيداً، لقد بدا عليه الغضب وهو ينظر إلى الفتيات اللواتي خرجن من التواييت، وصاح بصوت جهوري: "إن الفتاة ليست لكن! عدن إلى تواييتكن حالاً!".. الآن عبير هي الضحية، وسرعان ما بدأت تشعر بأنفاس دراكويلا تدنو من عنقها، حاولت أن تقاوم فلم تستطع، وفي هذه اللحظة يغرس دراكويلا أنيابه الحادة في وريد رقبته لتفقد وعيها.. عبير

لم تصر مصاصة دماء بعد، لكنها وضعت قدمها بثبات على أول درجة من السلم لتصير مصاصة دماء.

فتحت عينيها ببطء، لتجد نفسها ممددة بالعراء تحت أشعة الشمس الحارقة، الريف الروماني الجميل يمتد أمامها.. لكنها محظوظة لأنها ليست وحيدة، قافلة غجر (التسجاني) تمر بالقرب منها، هؤلاء هم ملوك غابات رومانيا وسادة سهولها. لقد هلع هؤلاء القوم حين أخبرتهم أنها قادمة من قلعة الكونت، وقرروا تركها، لكن العجوز الذي من الواضح أنه قائد هذه المجموعة أصر على اصطحابها معهم إلى (بوكوفينا) قائلاً: "إن البائسة لا تعرف ما حل بها، لربما كان خلاصها ممكناً" .. وهكذا وجدت عبير نفسها جالسة في إحدى العربات التي تمضي ببطء مغادرة أرض دراكيولا.. استمرت القافلة بالتقدم حتى جاء الليل فتوقفت لقضاء ليلتها في هذا المكان، الذي هو عبارة عن مساحة خالية الأشجار قريبة من قرية (هالماجيو)، يبدو أن القمر مكتملاً في هذه الليلة، إن جهاز الأحلام يحاول أن يقدم كل ما يلزم لتسليّة عبير، مصاصي دماء وقمر مكتمل ومستدئين ورحلات مع العجر، هذا أقرب ما يكون إلى الأفلام الهندية؛ ثلاث ساعات من العنف والحب والجريمة والرقص والمطاردات البوليسية وأزمات العواطف، حتى لا يفلت مشاهد واحد مهما كان ذوقه من دائرة الفيلم.^١

من الغريب أن عبير كانت تحلم بحياتها الأخرى وهي نائمة، بيبتها.. بالمدرسة.. بالزقاق، هذا منطقي! خطر لها وهي نائمة أن تحلم أثناء الحلم بالواقع، كما أن نفي النفي إثبات.. وفي ضوء القمر الفضي برز خيال عملاق، ضخّم أشعث خيل لعبير أنه إنسان يرتدي قناع ذئب.. إنه أحد المستدئين يهاجم القافلة بعدما فتك بالشاب الذي كان يحرسها، ها هو ذا يعتلي جانب العربة متشبثاً بالقماش الممزق.. يدس رأسه في الفتحة، فتملاً رائحة أنفاسه الكريهة صدور النساء.. دنا المذءوب من عبير أكثر، وفجأة أطلق عواء حزيناً طويلاً، ثم وثب من مؤخرة العربة مطلقاً ساقيه للريح. وهنا أدرك العجر

^١ - حكايات من والاشيا، سلسلة فانتازيا ط ٢، د.أحمد خالد توفيق، ص ٦٠.

أن عبير كانت شؤماً عليهم، حتى المذئوب رأى عليها وصمة دراكيولا وخاف أن يلمسها..

في هذ المرة تمشي عبير وحيدة إلى بوكوفينا بعدما تخلى عنها الغجر. تمشي تحت الشمس الحارقة مقتفية آثار العجلات على الأرض الترابية.. لكن الطريق طويل والظماً مُنهك، فمن الطبيعي أن تسقط على الأرض فاقدة الوعي.. فتحت أعينها عبير لتجد نفسها في خان (جالاتز) قرب نهر (الدانوب) وبجانبها الطبيب الهولندي.. البارون (فان هلسنج)!

- هولندي؟ وماذا جاء بك إلى رومانيا؟

- تنسين يا عزيزتي أننا في فانتازيا، ولو أن المغامرة تحتاج إلى خبير في علوم الذرة من (الإسكيمو)، لوجدته أمامك قبل أن يرتد إليك طرفك.. لقد تركها البارون لتنام وترتاح وتوجه إلى قاعة الجلوس ليحتسي قدحا من الشراب.. حين فتحت عبير عينيها في منتصف الليل كانت أنفاس الكونت دراكيولا تلفح عنقها، لا تعرف عبير كيفية وصوله إليها، وقبل حتى أن تفكر، شعرت بوخزة الناين الحادين يغوصان في وريدها الودجي.. قاومت لحظة ثم خارت قواها واستسلمت لما سيكون، وفي هذه اللحظة انفتح الباب فجأة ودخل البارون، وبعد نقاش وتحدي وتهديدات بين دراكيولا والبارون، تلاشى دراكيولا بسرعة وسط سحابة من الدخان الأزرق المريب.

قلعة دراكيولا من جديد.. الشمس تعتلي عرش السماء معلنة ملكوت الظهيرة، ومن بعيد تتحرك بعض قوافل الغجر قاصدة وجهة ما، وبين الأشجار تقف عبير برفقة هلسنج يرمقان القلعة التي لم تعد مرعبة في ضوء النهار.. تقف عبير وهي تغطي جسدها ووجهها، فهي مصاصة دماء الآن وجلد مصاصي الدماء حساس وسريع الاحتراق. هي تعرف جيداً أن موت دراكيولا هو السبيل الوحيد لخلاصها، والفرصة الوحيدة لقتله، هي استغلال النهار ونومه في التابوت، في هذا الوقت هو في أوهن حالاته.. إنهما في الداخل الآن وعبير تنزع الأغطية التي كانت تحجب أشعة الشمس وتحجب رؤيتها، هنالك ثلاث ساعات فقط حتى حلول الظلام، ويجب تنفيذ المهمة في هذا الوقت وإلا ستفشل

بالتأكيد.. من الغريب الإحساس بوجود شخص يمشي في أرجاء القلعة، ففي هذا الوقت دراكيولا نائم في أحد التواييت بالتأكيد.. أخرج البارون مسدسه متأهباً، لكنه تفاجئ بهوية الرجل! هتفت عبير وهي ترى ملامحه المألوفة:

- د. رفعت إسماعيل!

_ للأسف أنا هو يا آنسة.. معذرة على قطع مغامرتكما، فقد كانت لي مغامرتي الخاصة هنا. سوف أترك لكما المكان بأكمله.. بالمناسبة إن دراكيولا نائم في تابوت في الطابق الثاني، ثالث غرفة على اليسار.. حظاً سعيداً.

ها هما يصعدان الدرج حاملين مشعلاً، لا بد أن الظلام دامس في الأعلى.. إنهما الآن عند الدرجة السادسة، لكن لا يمكن أن تكون الأمور بهذه السهولة.. لقد تهمست الدرجة تحتها لتهوي عبير ورفيقها في الظلام.. لقد سقطا إلى قبو ضيق صغير أسفل الدرجات، وللأسف البارون لن يكون قادراً على إكمال المهمة، فساقه قد انكسرت بعد تلك السقطة ومن الواضح أن المسؤولية كلها ستقع على عاتق عبير الآن. بدأ البارون يشرح المهمة لعبير.. "يتوجب عليكِ بدايةً إيجاد التابوت، ومن ثم غرس الوتد الخشبي في قلب مصاص الدماء النائم باستعمال المطرقة، وبعدها يتوجب تلاوة صلاة قصيرة، وأخيراً قطع الرأس بالفأس وحشو الفم بالثوم!".. ها هي عبير تصل إلى الفتحة وتخرج من القبو بعد محاولات عديدة، الآن يتوجب عليها أن تسرع قدر الإمكان فهذا هو وقت الغروب وسيحل الظلام قريباً. لقد ضاع المزيد من الوقت بعد أن نسيت الغرفة المقصودة ودخلت الغرفة الرابعة بدلاً من الثالثة.. أخيراً تصل عبير تابوت دراكيولا، وفي هذه اللحظات يراقبها شريف ويتحسس نبضها، إنها تمر بحالة صدمة عصبية ولا يستطيع إيقاف البرنامج، لأنه ببساطة لا يضمن النتائج، وأخيراً يقرر حقنها بحقنة (أترابين) فهو يعرف أن هذا كفيلاً بالقضاء على الصدمة.. هي بالكاد ترى تفاصيل التابوت عبر خيوط أشعة شمس الغروب، ها هو دراكيولا يرقد في التابوت، رفعت المطرقة واستعدت لتهوي بها في حين فتحت الجثة الراقدة عينيها، من الواضح أنها تأخرت كثيراً إلى أن نهض الكابوس، دراكيولا ينهض من التابوت طويلاً مهيباً مربعاً ويمسك بعبير بغضب..

لا يعرف شريف ما يجب فعله في هذه اللحظات، فقتل عبير في الحلم يعني فقدان حياتها في الواقع أيضاً.. ربما كان هناك حل، إن كل كوايس مصاصي الدماء تنتهي في أشعة الشمس، فلما لا يقدم لها شمساً، شمساً دفيئة بهيئة تقتل أوهاهما، أسرع ليفتح النافذة لينسل منها شعاع الشمس، واستخدام مرآة صغيرة يوجه بها أشعة الشمس إلى وجه عبير. بالفعل شعاع الشمس يخترق أستار النافذة الممزقة، لقد أجفل دراكيولا وقفز مبتعداً عن عبير، يا للهول، شمس في الليل؟! الآن الكونت يحترق والدخان يتصاعد منه، وعبير في هذه الأثناء منعتها من دخول التابوت عن طريق وضع الثوم بداخله، وأحكمت إغلاق الباب بعدما مزقت الستائر، هي بالتأكيد تحترق أيضاً، لكن ليس مثله فهي في المراحل الأخيرة للتحويل لمصاصة دماء..

بدأت تشعر بتحسن بشرتها بعد موت دراكيولا والتحرر منه.. ها هي تسرع لتخبر البارون الذي ما زال عالقاً في القبو، لكن كان المرشد ينتظرها بالممر لينهي مغامرتها.. أرادت أن تنقذ البارون لكن المرشد قال في هدوء: "دعك من هذا كله، سيعرف كيف يتدبر أمره.. أما عنك فمغامرتك كانت شيقة بالتأكيد والآن حان وقت الرحيل".

لقد فتحت أعينها لترى شاشة الكمبيوتر أمامها وترى شريف يتسمم. لم تستغرق الرحلة سوى ساعة بالنسبة لمقاييس الواقع، لكن في عالم الخيال استغرقت أكثر من أسبوع.. الآن حان وقت العودة إلى الواقع الكئيب.. يقول شريف ليس هنالك مرة قادمة، لقد أخبرتك مراراً، لكنها تعرف أن هناك مرات كثيرة قادمة، فهي الآن تنتمي لفانتازيا أكثر مما تنتمي لواقعها..

خيول ورماح

لقد مر شهران بعد زيارة عبير الأخيرة لفانتازيا.. هي الآن زوجة شريف ومن الواضح أن شريف يقدم لها الحب والاهتمام الكافي لينسيها فانتازيا، كما يبدو أنه لم يعد ذلك العاشق المجنون للكمبيوتر، هو فقط يعمل بهدوء الآن دون أفكار واختراعات

جديدة. أما عن عائلته فقد بدأت تتقبل وجود عبير تدريجياً وتدرّك أنها ليست بذلك السوء، وعبير كانت معهم ألطف من عصفور صغير وأرق من نسمة مساء، بالرغم من أنها لم تجد نفسها بينهم إلا أنها أخذت منهم كل ما تريد.. أخذت شريف ولا تريد أن تضايقه بمضايقه عائلته. لا مكان للكآبة الآن في عالم عبير، هي تعيش سعيدة مرتاحة البال، لكنها تشتاق فانتازيا وتشتاق مغامراتها، يستطيع شريف أن يرسلها بسهولة إلى فانتازيا لكن رغبتها هذه لا تسرّه أبداً، فهو يشعر بأنه جزء من الواقع الكئيب الذي يدفع عبير للهرب، وهو لم يزعمها بشيء.. لقد ضغط شريف زر الإدخال وبدأ الحلم دون مقدمات في ذهن عبير..

عبير هي الأميرة (إرمنحات) وهي تقف وسط السوق تشاهد الرعب الذي انتشر بعد ظهور ثور هائج يشق طريقه بين صفوف القوم، فيدوس هذا حتى تنفجر أحشائه ويطعن ذاك حتى يخترق صدره.. هي تعرف يقيناً أن الثور متوجه إليها وسيهاجمها هي بالذات لأنها بطلة الأحداث وبطلة فانتازيا، وفي هذه اللحظات يظهر الفارس الشجاع لينقذها من الموت.. يهاجم الثور بشراسة ودون تردد ومن ثم يغرس الرمح في عنقه، ويكافح الثور ويقاوم لكنه بالنهاية يسقط أرضاً ليعلن الموت النهائي لكثلة العضلات الهائلة التي ملأت الدنيا هلعاً.. حضر رجال العسس وراحوا يحققون بالأمر ورأتهم عبير يحملون قبضات لاسلكية، قبضات لاسلكية في عصر الفراغة! بالتأكيد هذا المنظر مريب وغريب لكنها بصمة فانتازيا المعتادة..

تقف عبير أمام رمسيس الثاني، الملك الذي أنجب أطفالاً لا يعرف أحد عددهم وأكثر التقديرات تواضعاً تقول أنهم سعدون ابناً! جميل أن يكون المرء قبيلة كاملة تحمل صفاته الوراثية، لكن هذا يجعل عبير أقل أهمية لدى أبيها، وهو حتى غير قادر على تذكرها. بطبيعة الحال هو رجل عظيم، أعباء الدولة تحاصره والإمبراطورية تتسع.. لهذا ليس لديه الوقت الكافي ليكون حنوناً¹.

¹ - خيول ورماح، سلسلة فانتازيا، ط ٥، أحمد خالد توفيق، ص ٢٧.

من الواضح أن عبير بدأت تهيم حياً بالجندي الشجاع الذي أنقذها، وهو يقيم في القصر حتى تتشافي جراحه، لكن اهتمامها به أصبح واضحاً للجميع، وبدأت تسري الهمسات في البلاط.. الأميرات يتوجب أن يكن حريصات، حتى بصقة الأميرة لها مغزى سياسي، وهذا الجندي الذي ضحى بحياته من أجلها، ليس سوى واحد من العامة ولن يلعب أي دور بحياتها. وهذه القصة تثير غضب ساكا، الرجل القوي الثاني في بلاط رمسيس، هو ذئب في صورة رجل، أمير له أخلاق اللصوص، وهو غارق في حب عبير ويريد الزواج منها.. لقد اعتاد ساكا القيام بالأعمال القذرة، وهذه المرة قام باعتقال منقذ عبير (حشت) واتهمه بالخيانة والتعامل مع الحيشين، مُدعياً أنه حشت أنقذ عبير من أجل استمالتها ودخول القصر لمعرفة خطط الأسد من داخل عرينه.. لقد دبر ساكا خطة محكمة لوضع حشت في السجن وبالطبع هو فعل كل هذا من منطلق الغيرة، فهو مفتون بعبير وبشرتها السمراء وشعرها المجعد.. التعذيب قد يرغب الأسد على أن يموء كالحمر والاعتراف تحت التعذيب لا قيمة له.^١ وحشت هو مظلوم ولا علاقة له بالحيشين، لكن أساليب الفراعنة الوحشية كانت قد أرغمته على الاعتراف بأشياء لم يفعلها.

لا بد من أن تتحرك عبير لتنقذ الشاب النبيل من زنارته، و (بت) ستاعدها بالتأكيد.. بت هي أختها من أم أخرى في فانتازيا ويبدو أن مهمتها مساعدة عبير وارشادها، لكن يبدو أنها واثية وتمارس هوايتها مع كل الأطراف، وهذه المرة أوقعت بعبير ودفعت بها إلى الزنارته التي يرقد بها ساكا بدلاً من حشت.. بدأ ساكا بالاقتراب من عبير وهي تتراجع باحثة عن طريقة للتخلص منه، وفي هذه اللحظة يخطر لها أن هذا الزمن هو زمن الرجال ولا مكان للمرأة فيه.. وفي هذه اللحظة يحدث التحول المحتوم.. تشعر عبير أن قامتها تزداد طولاً وعضلاتها تتضخم والشعر يغزو جسدها ويزدحم في صدرها، لقد تحولت عبير بالفعل لرجل! لقد فاق (دي جي ٢) كل حدود الخيال وجعل من عبير رجل ليمنحها إمكانيات الاستمرار في فانتازيا.. هذا التحول جعل من

^١ - خيول ورماح، سلسلة فانتازيا، ط٥، أحمد خالد توفيق، ص٦٣ .

ساكا يقف مرتعباً ومذهولاً أمام عبير، هي الآن رجل.. رجل يغرس أظفاره في وجه ساكا، ومن ثم يوجه له بعض اللكمات الحديدية ليسقطه أرضاً ومن ثم استمر عبير في ضرب رأس ساكا حتى قتله.. عندما يجدون جثة ساكا سيكون الحارس في مأزق وستكون إرمناحات قد اختفت من الحرم، أما الآن فعلى عبير أن تفر من القصر لتفتس عن بداية جديدة لكن كرجل هذه المرة.

خرجت من القصر بعد ارتداء ثياب ساكا، وبدأت تجول الشوارع كما يفعل الرجال، وكانت قد اختارت اسم ناع ليكون الاسم الجديد المتناسق مع شخصيتها.. إن اسم ناع يبدو جيداً وذا رنين موسيقي جميل، وقد لاحظ ناع أن قامته تفوق أكثر الرجال حوله. بالحقيقة لم يكن هذا التحول الذي خلقه (دي جي ٢) لغرض الفرار من ساكا فقط، بل كان هو الطريقة الوحيدة لإشراك عبير في الحرب، فالفتيات لا يسمح لهن بالقتال أساساً..

أخيراً جاء يوم الزحف.. مهيب هو المشهد، مشهد الحشود وهي تتقدم عبر سهول (فلسطين)، ووسط كل تلك الجيوش يقف ناع بجانب رمسيس شخصياً في عربته الحربية من الواضح أنه أظهر شجاعة غير عادية في التدريبات ليكون في هذا المرتبة، وفي هذه اللحظات يقف رمسيس حاملاً مكبر الصوت وعلى أنفه يضع منظاراً شمسياً يقيه وهج الشمس، طبعاً هذه فلتة جديدة من فلتات فانتازيا التي لا تنتهي.^١

يوصل رمسيس وجنوده التقدم في أراضي فلسطين قاصداً موتالي وجيشه.. موتالي الذي تمادى في وبالغ في طغيانه، وفي هذه الرحلة يقابل ناع الرجل الذي أنقذه قبل أن يتحول، لقد فوجئ ناع عندما رأى حشت بين الجنود بأحسن حال وبدأ يحاول التقرب منه ومراقبته من بعيد، إلى أن شاءت الأقدار وجعلت منهم هذه الرحلة صديقين عتيدين.. ويبدو أن الرحلة ستطول بعدما وصلت الأخبار بانسحاب موتالي شمالاً نحو حلب وقرر رمسيس اللحاق به.. وبالنسبة لناع فهو يعرف أن هذه مصيدة والأخبار التي

^١ - خيول ورماح، سلسلة فانتازيا، ط٥، أحمد خالد توفيق، ص٨٢.

وصلت هي حيلة للإيقاع بجيش رمسيس ، لا بد أن عبير قرأت عن هذا في أحد كتب التاريخ، لكن في فانتازيا لا تستطيع أن تحدث تغيير في سير بعض الأحداث، بكل الأحوال من الصعب جداً إقناع ملك متصلب الرأي كرمسيس.. وبالفعل الأمر الذي توقعته عبير حدث بعد قليل، حيث فوجئ رمسيس وما حوله بمجموعة من الجنود يركضون نحوهم هارين من الموت، بعضهم غارق في الدماء والبعض الآخر كان قد فقد ذراعاً أو ذراعين.. لقد هاجمهم موتالي في حين لم يكونوا مستعدين فدمر صفوفهم وهزمهم هزيمة نكراء. وبعد لحظات بدأت عربات الحيشيين تلتف حول جيش رمسيس في محاولة لإطباق الحصار عليهم، لكن فرقة آمون لن تستسلم بسهولة.. من بعيد يرى ناع حشت يلوح برمحه يميناً ويسراً كالأسد، إنه يحارب ثلاث عربات محيطة به على الرغم من امتلاء جسده بالطعنات والجراح، فركض ناع إليه بسرعه وبدأ يقاتل معه باستبسال.. إن الهزيمة دانية لكن هذا لن يقلل من عزيمتهم، فالشجاع يموت مرة واحدة أما الجبان يموت ألف مرة. أما عن رمسيس فهو الآخر اندفع بين صفوف الأعداء وبدأ يطلق سهامه التي لا تخطأ صدور الأعداء، هذا الرجل شجاع حقاً، ليس ملكاً فقط، بل هو ملك وطني يجب وطنه ويحارب من أجله حتى آخر قطرة من دمه.

لقد دامت الملمحة ثلاث ساعات فقط، لكنها بدت كأنها دهر بأكمله. وأخيراً وصلت النجدة وبوصولها كانت هزيمة جيش موتالي أمراً مفروغ منه.. لقد هزم رمسيس جيش موتالي بالرغم من خطتهم المحكمة ولاحقاً سيلحق بالحيشيين إلى عقر دارهم وستستمر الحرب بينهم خمسة عشر عاماً حتى يموت موتالي.. ولسوق يترنم الشعراء بيوم قادش وتملاً صور وتمثيل رمسيس البلاد.^١

الخناقون

في أعماق الهند وسط الأديان والمتعقدات المختلفة، هناك يرقد الخناقون.. الخناقون الذين جعلوا من الموت الوسيلة الوحيدة للتقرب من المعبود، يختارون ضحاياهم

^١ - الخيول ورماح، سلسلة فانتازيا، ط٥، أحمد خالد توفيق، ص١٠٧.

بدقة.. يراقبونهم بعناية، لتأتي اللحظة المنتظرة، لحظة الخلاص التي تتلاشى فيها الهموم و ينتهي العذاب الدنيوي لينتقل المخنوق إلى الحياة السرمدية، وترقد الربة كالي آهة الزمن والموت بسلام بعد أن تُشبع رغباتها الجنونية.

لقد نشط الخناقون في الهند منذ منتصف القرن السادس عشر، حيث انتشروا في المجتمع الهندي بشكل كبير، كما حاول الكثير من الحكام محاربتهم والقضاء عليهم، لكن كان الأمر شبه مستحيل بسبب السرية التامة التي تتم فيها عملياتهم، فمعظم الجرائم التي ارتكبوها لم تُكتشف إلى بعد وقت مرور وقت طويل على اقترافها.. بكل الأحوال هم لا يتركون خلفهم أثراً، فالضحية تُحنق بكل برود أعصاب وبساطة دون نزع أية دماء، وبعد الخنق يتم نقل الجثة ودفنها وسط سرية تامة وظلام دامس، كما أنهم يتنكرون في أشكال وهيئات مختلفة، وهذا يجعل تمييزهم أو اللحاق بهم أمراً صعباً للغاية.^١

عبير الآن في دلهي عام ١٨٤٣.. إن دلهي مدينة قديمة حقاً، ويبدو أنها كانت دوماً هناك منذ دخل الإسكندر الهند.. وعبير مدرسة إنجليزية اسمها هولرويد، تعمل في إحدى المدارس الهندية التي يديرها الإنجليز، ومديرها هو السيد (إميرسون)، هو مثال للعنصرية، ومثال للرجل الإنجليزي الاستعماري العتيد، كما أنه يعتقد أن أطفال المستعمرات لا يمكن اعتبارهم أطفالاً.. إنهم أعداء صغار السن ويجب تربيتهم بطريقة تلغي خطرهم حين يكبرون.

إن بطولات التاريخ قام بها أشخاص خشوا أن يبدو جناء أمام الآخرين، ربما هذا هو السبب الذي دفع عبير وصديقاتها سوزان وجوتسنا للتسلل بين الخرائب والتجسس على تلك المجموعة الدينية.. تلك المجموعة الغريبة والمريبة، هم مجموعة من الهنود يقومون بطقوس غريبة بشكل سري، ويبدو أنهم على نقيض البشر جميعاً يتفاءلون بصوت البومة، وبالتأكيد هؤلاء القوم بعيدين كل البعد عن لطافة المعشر، فالطقوس الغامضة تعني الشؤم دائماً..

^١ - مقالة "الخناقون قتلوا مليون إنسان بحرقه"، إياد عطار، ٢٠١٢.

تلك المجموعة المريبة هي مجموعة (الخناقون) ويبدو أنهم اكتشفوا أن هنالك من يراقبهم، لقد شاهدوا ظل عبير وصديقاتها بعد أن تسللوا إلى السطح.. لقد بدأت الفتيات بالركض مبتعدات عن ذلك المكان المرعب، لكن يبدو أن عبير كادت أن تسقط في الهاوية والآن هي تتشبث بالحافة بكلتا يديها، أما عن صديقتها سوزان فهي لم تتمكن من فعل أي شيء لإنقاذها فأطلقت ساقها للريح تاركة عبير خلفها، وهنا يلجأ الكاتب إلى تقنية فنية رديئة نوعاً ما، إنها تقنية (الآله من الآلة) والتي تقوم على إيجاد حل للمعضلة فجأة وبلا تمهيد.. إنه قسمت، ذلك المشعوذ الذي أبهر عبير ويبدو أنه عاد من جديد ليبرها بشهامته، وبعدها تبدأ عبير بالركض مجدداً بعد ما وعدت قسمت بعدم ذكر اسمه في قصة تسردها لاحقاً..

كانت جوتسنا خائفة، فهي الوحيدة الهندية التي تعرف الحقيقة بين صديقاتها، وأصرت عبير وسوزان على معرفة الحقيقة، الحقيقة وراء تلك الجماعة المخيفة والغريبة. لقد أدركت الفتاتان أن خوف الهندية من الكلام يفوق الخوف العادي، وأخيراً وافقت على أن تخبرهم بكل شيء وكان كل ما قالته غريباً.

- الخناقون.

- الخناقون؟؟

- نعم الذين يخنقون الناس.

- وهل هي مجرد هواية أو مهنة تميز قطاعاً من البشر؟

- نعم.. إن الخناق الذي يحترم نفسه يخنق في العادة حوالي مائة رجل طيلة

حياته.

- وهل يفعل هذا ليشعر بالسرور.

- لا.. إنه مذهب ديني خاص بالهند.^١

^١ - الخناقون، سلسلة فانتازيا، ط٩، ص٧٦.

تقول الأسطورة الهندية الوثنية إن الحياة تنازعها إلهان.. أحدهما مسؤول عن الحياة واسمه (فشنو) والآخر مسؤول عن الدمار اسمه (سيوا). كاد الأخ فشنو يقهر سيوا لولا أن تدخلت (كالي).. هبطت السيدة الفاضلة إلى الأرض وصنعت لنفسها صنماً، ثم أوصت من يعبدون هذا الصنم بأن ينتشروا في كل مكان ويخنقوا كل من يقابلونه.. ويؤمن الخناقون أن الحياة شقاء وشر، وأن الموت هو السبيل إلى الحياة السرمدية، والخنق هو طريقة لطيفة للقتل، فالخنق يخلو من إسالة الدماء والمشاهد الوحشية.. صحيح أن أعضاء هذه الجماعة لا يقتلون النساء، لكن عبير وصديقاتها دنسوا مقدساتهم، وهذا سبب كافي لكيف يخترق الخناقون قواعدهم وعاداتهم.

لقد ارتكب الخناقون جريمتهم الأولى وقاموا بخنق جوتسنا، كانت عبير نائمة لكن حين استيقظت لن تحتاج إلى عبقرية خاصة لتعرف أن الفتاة الهندية خُنقت، وكان القتال يجتبي خلف الستار ينتظر عبير لحين استيقاظها.. إن الخناقين لا يخنقون ضحاياهم أثناء النوم، ربما لأن كالي ليست رحيمة إلى هذا الحد^١. كان دهاء عبير كفيلاً بأن ينقذها من الخنق، فهي رأت أن هنالك من يقف خلف الستار، فأمسكت السكين وانحالت عليه بالطعنات حتى مات إلى أقصى درجات الموت التي يمكن وصفها.. بعد هذه الحادثة كان الهروب هو الحل الوحيد أمام عبير وصديقتها سوزان فاتجهتا نحو الثكنات العسكرية التي يتمركز فيها البريطانيون، وهنا تشعر عبير بالإرتياح والإطمئنان بعد وقت طويل. هي لا تعرف أن المعسكر البريطاني والحراسة المشددة لا تشكل عائق للخناقين، فهم يتخفون بسهولة كبيرة ومن الممكن أن يتنكروا ويدخلوا أية مكان.. عبير هنا تختار خيمة محكمة الإغلاق لتحظى ببعض الخصوصية، وخارج الخيمة يقف جندي الحراسة ببندقيته وثباته، وهذا يبعث الإطمئنان بالنفس بالتأكيد.

في الظلام تفتح عبير عينيها.. لقد احتاجت بضعة دقائق لتفهم ما يحدث حولها، جسد صديقتها سوزان ينتفض تحت العملاق الهندي الذي يحاول خنقها..

^١ - الخناقون، سلسلة فانتازيا، ط٩٨، ٩٨.

فهمت عبير أنهم أيقظوا سوزان قبل خنقها حرصاً على مشاعر السيدة (كالي) التي تحرم الخنق في أثناء النوم، لكن عبير لن تستيقظ، هي تتظاهر الآن بالنوم الثقيل فهذا السبيل الوحيد لنجاتها، وفي لحظة من اللحظات تجمع عبير شجاعته وتغرس اظافرها بعيني المهاجم وتركله ركلة قوية، ومن ثم تهرب من الخيمة بسرعة كبيرة.. لا يمكنها الثقة بأحد فلا يمكن وضع الثقة بكل الجنود، ربما يكون الكثير منهم من الخناقين ولا أحد يعرف بهذا.. الآن عبير في وضع لا تحسد عليه، لقد هربت من أكثر الأماكن أماناً بالنسبة لها، الثكنة العسكرية البريطانية لم تعد ملجئاً آمناً، فأين تجد الأمان بعيداً عن الخناقين!!؟

من جديد تلتقي عبير بقسمت، والآن تكتشف انه واحداً منهم، بل هو رئيس مجموعة ، ومنه تكتشف أن حارسها الخاص (رامو) هو من أوقع بها، وهو من كان يستدرجها ويجمع المعلومات عنها، كانت هذه صدمة بالنسبة لعبير فهي تكتشف فجأة أن كل من يحيط بها يتبع للخناقين، بالرغم من كون الموضوع غريب بالنسبة لعبير إلا أنه أقرب ما يمكن للمنطق، فالخناق لن يمشي في الطريق والحبل في يديه، ومن الطبيعي أن يبدو الخناق أقرب ما يمكن إلى المسلم المتدين أو الهندوسي المتعصب، أو ربما سيبدو كتاجر محترماً أو شيخاً جليلاً.. لقد كان رامو بجوار عبير لوقتٍ طويل، لكنه لم يقترب منها وأكتفى بجمع المعلومات، ليس لأن ذلك فوق قدرته، بل لأنه ليس جزء من اختصاصه ولا أحد من الخناقين يستطيع أن يقوم بعمل الآخر، هنالك ترتيب معين يوزع المهام والصلاحيات بين أفراد الخناقين ويكون الترتيب كالتالي:

١ - لوجا: الرتبة الأقل بين الخناقين، ومهمته هي دفن الضحية وتجهيز القبر.

سوتا: لا يسمح له بالخنق، هو فقط مسؤول عن استدراج الضحايا وجمع المعلومات اللازمة.

٢ - شوشيا: مهمته هي تشتيت الضحية إلى أن يتولى الخناق العمل.

جورو: أعلى مرتبة بين الخناقين، وأغلب الجورو يخنقون وحدهم دون مساعدين.

وتقول الأسطورة أن الربة كالي، ضبطت أحد الخناقين يتحسس عليها ليعرف ما تفعله بالجثة، وبعد هذا قررت معاينة الخناقين جميعاً بإرغامهم على دفع جثة ضحاياهم^١. أما عن جماعة الخناقين فلا أحد يعرف كيف تكونت بالأصل، ويقول البعض أن لها علاقة بمذهب (الحشاشين) القديم في العراق. والجدير بالذكر هو أن جماعة الحشاشين هي جماعة دموية ظهرت في أواخر القرن الحادي عشر، سعت إلى نشر الدعوة الإسماعيلية الشيعية في إيران والشام، لكنها فشلت بالنهاية وقضي عليها في غضون قرنين من الزمن. وظهرت هذه الجماعة نتيجة لانقسام الطائفة الإسماعيلية الفاطمية إلى جماعتين، واحدة تتبع لنزار بن المستنصر وأخرى تتبع للمستعلي بالله بن المستنصر، وجماعة الحشاشين تتبع للطائفة الإسماعيلية النزارية، وتتميز الجماعة بالولاء التام والأعمى لإمام الجماعة واستخدامهم لاسلوب القتل عن طريق الاغتيال بغرض أهداف سياسية وعقائدية^٢.

لقد خالف قسمت كالي وخالف قومه عن طريق الوقوف بجانب عبير واستضافتها في بيتها، ومكثت عبير لدقائق قليلة، حتى جاءت فرقة من الخناقين تفتش عنها، يبدو أنهم كشفوا مكانها بطريقة ما، وانهمرت قرعات غاضبة على الباب، وبسرعة تهرب عبير ومعها قسمت من الباب الخلفي.. الآن الوجهة مجهولة ربما تكون أحد المعسكرات الإنجليزية التي يعرفها قسمت. وفجأة يجدون أمامهم صفاً من الهنود يسدون الطريق ولا يحتاج الأمر للكثير لمعرفة أن هؤلاء الهنود هم من جماعة الخناقين. لا بد من أن تكون هذه لحظة الفراق بين قسمت وعبير، هي ركضت بالاتجاه الآخر هاربة وهو وقف في وجه الخناقين لكي يعطلهم.. لقد كانت لحظة صعبة جداً بالنسبة لعبير وهي تعرف أن قسمت سيف أمام الخناقين ليواجه الموت، وقبل أن تتحرك صاح قائلاً: "حاولي أن تحتمي بجدران المنازل.. ولا تثقي بالشيوخ المكفوفين ولا الأطفال الأبرياء،

^١ - الخناقون، سلسلة فانتازيا، ص ١٢١.

^٢ - "من هم الحشاشين"، مجلة سائح الإلكترونية، مايو ٢٠٢٠م.

وداعاً.. وليحفظك الله^١. من بعيد تراقب عبير قسمت وهو وهو يواجه العشرات، يركل هذا ويضرب ذاك، الخناقون ينقضون عليه كالقروذ من كل ناحية وصوب، وفجأة فطنت عبير للوقت الذي أضاعته بالمشاهدة فراحت تركض كما علمها.. وها هي ذا تركض رافعة تنورتها كما كانت تركض منذ بداية القصة، وبالنهاية تجد نفسها أمام معبد كالي ترمق في هلع هؤلاء الواقفين فوق الجدران وخلفها والجال في أيديهم. لقد شعرت بالذعر وتجمدت لوهلة، ومن ثم لاحظت أن للمعبد باباً كبيراً، وسرعان ما ركضت باتجاه الباب، كانوا كلهم يتصايحون ويتراخضون لكنها وجدت الوقت الكافي كي تدلف إلى المذبح، وبداخل المذبح ترى عبير تمثال كالي، الجسد الضخم والأذرع الستة وهي جالسة على عرشها الذي لو تزحزحت عنه لاجتاحت الزلازل العالم، بهذا الوقت كان الخناقون قد دخلوا المعبد، لكنهم غير قادرين على الدنو من المذبح والتمثال، يبدو أن ذلك أحد الأشياء المحرمة، وكباقي المعابد الموجودة في القصص، يوجد باب سري في المذبح يقود إلى بئر عميقة مظلمة، وعندما ترى عبير هذا الباب تدرك أن هذه هي الفرصة الوحيدة لها، فهي لن تظل جالسة محتمية بتمثال كالي للأبد. مددت جسدها للأسفل وانزلت عبر الفتحة، البئر منحدرية كألعاب الملاهي، والممر وعمر مليء بالانحناءات، لكن جسدها لا يكف عن الانزلاق وهي تشعر بأن النار ستندلع من رذفيها من شدة الاحتكاك وفي هذه اللحظات بدأت تتسائل عن النهاية التي تنتظرها بعد كل هذا، وبعد قليل رأت النور.. هوب! قذفت في الهواء وثم تمددت على الأرض وسط الأشجار مهشمة الأوصال. ثوان قليلة كانت كافية لتدرك عبير أنها وسط غابة، غابة تملأها النمر والحيونات المتوحشة.. وقفت متصلبة عاجزة عن اتخاذ أية قرار، وفجأة يظهر قسمت أمامها، هرعت لتعانقه في حنين وهي تغالب دموعها، إنه حي! أنساها الفرح تحفظها، لم يكن هو قسمت الذي تعرفه، بل ما تبقى منه بعدما ملأت الكدمات جسده وتهشمت أضلعه، وحين ابتسم أدركت أنه لن يأكل الخبز المحمص ثانية في حياته، كان

^١ - الخناقون، سلسلة فانتازيا، ط٩، أحمد خالد توفيق، ص١٣٣.

حضوره صدمة بالنسبة لها.. قال ضاحكاً: "لا أحد يموت بسهولة في الهند إلا بالكوليرا، هل نسيت؟"، وراح يشرح لها كيف هرب منهم وكيف عاد مجدداً ليغلق باب المعبد ويسجنهم في الداخل.. لقد حُوصِر في المعبد أكثر من خمسين خناق والآن تفكر عبير في الاتصال بالشرطة، لكن قسمت يملك حلول أكثر جذرية، لقد هرع مسرعاً لاغلاق فتحة البئر، وبعدها شرع ينشر سائل ما حول جدران المعبد وحول الباب العملاق، وبعدها أشعل النار في كل مكان وطوح ما تبقى من السائل إلى سقف المعبد ليزيد النار ناراً. لقد وقفت عبير تشاهد المشهد بجانب قسمت، النار تتصاعد والدخان الكثيف يملأ مملكة (بوهوائي) الدموية، تسمع عبير آلاف الصرخات من الداخل وتتحيل المحرقة التي تحدث بالداخل، ومن شدة الدهشة لم تشعر بأي نوع من الشفقة.. الآن تفكر عبير وقسمت بالهرب قبل أن يحضر خناقو المناطق الأخرى، وقبل أن تتحرك يحضر المرشد لينهي مغامرتهما، لقد ظنت عبير بالفعل أن هذه المغامرة ستطول ولن يحضر المرشد، لكنه يردف قائلاً:

- أنا أعود دوماً حين أشعر أنك نلت وطرك من القصة.. ولا أعتقد أن هناك شيئاً شائئاً يمكن جعلك تمرين به في قصة الخناقين بعد كل ما رأيت.

- وماذا عن قسمت؟

- إنه شاب شجاع وأعتقد أنه سيفر إلى جنوب إفريقيا كما أراد.

نظرت عبير إلى قسمت، وقالت عينها كلمات كثيرة لم يجرؤ لسانها على التلفظ بها، دائماً هو ينقذها، سواء كان البطل هو شريف أو الجوال أو قسمت، هو البطل ذاته، وستتذكر عبير ذلك البطل دائماً..

عالم الأدغال

هذه المرة تختار عبير عالم الأدغال لتعيش فيه مغامرتهما الجديدة.. اسمها الآن جين وهي ابنة دودزويرث.. يبدو أنه ارتكب ذنباً لا يغتفر حتى يتم نفيه بصحبة ابنته إلى تلك

الجزيرة المعزولة عن العالم، ومن الواضح أنه عالم مجنون يعتقد أن الجميع يحتاج على الأقل قرنين من الزمن حتى يفهموا تجاربه في علم التطور.

وسط فرجة خالية ترى عبير كوخاً، كوخ خشبي بدائي أقيم في مساحة خالية من الأشجار.. يبدو أن من صنع هذا الكوخ أوروبي أو يحاول التصرف كالأوروبيين، وفي الداخل رائحة العفن تملأ المكان ومن الواضح أن الكوخ مهجور من وقت طويل فالعناكب تلقي نسيجها الكسول على كل شيء، ويبدو أن هناك فوضى لا بأس بها في أرجاء المكان ويوجد هيكل عظمي أجزاءه مبعثرة على الأرض يعلن أشياء خطيرة. وهنا يقترب السيد دودزويرث ليحلل الوضع، وبعد لحظات يستنتج أن الجثة تعود إلى امرأة ماتت بعد أن تم تهشيم عنقها منذ ربع قرن أو أكثر.. يبدو أن الجثة تعود لامرأة بيضاء جاءت مثل عبير إلى الجزيرة وقتلت، وهذا بالتأكيد يثير البهجة في نفس عبير!!

لقد قامت عبير بتنظيف الكوخ، ونقلت الجثة بمساعدة أبيها، ثم تعاونوا على دفنها والصلاة عليها.. وأخيراً أصبح الكوخ مناسباً بعد التهوية والتنظيف. وبين الأغراض المبعثرة يجد الأب صورة لتلك المرأة الميتة، إنها شابة جميلة وعلى كتفها طفل رضيع، وهذا يطرح السؤال الأهم، الأم ميتة وتم دفن جثتها، لكن أين الطفل!.. راح الأب يقلب صفحات المفكرة المهترئة التي دُونت عليها خواطر تلك الشابة الجميلة في آخر أيامها:

- ٢٠ أبريل ١٧٦٥، إنهم لم يرحمونا.. المكيدة القذرة التي دبرها ماكميلان للخلاص مني والحصول على ميراث ابني قد أتت أكلها، لا أرى أملاً دانياً في الخروج من هنا، ولم تمر سفينة طيلة الأسابيع الثلاثة الأخيرة.. لحسن الحظ أن الماء والفاكهة متوفران، ولولا هذا لجف لبني وما قدرت على إرضاع (جراي)

إنني عاكفة على قراءة الإنجيل والصلاة.. إن نجأتنا هنا تحتاج معجزة من معجزات الأنبياء، لكنني إن هلكت أدعو الله أن يرحم ولدي وأن يرسل عواصف انتقامه على الوغد ماكميلان.^١

^١ - نداء الأدغال، سلسلة فانتازيا، طبعة ١٦، ص ٣٢.

يقول الأب أن هذا هو التفسير المنطقي للاختفاء المثير لأرملة اللورد (ستوك) وابنها، حيث كانا في رحلة بحرية ثم اختفيا، ويزعم من كان في تلك الرحلة أنهما سقطا في الماء. لندن كلها تعرف القصة، ويبدو أن هذه الرقعة من القارة السوداء موعودة بالمنبوذين، سواء لثرائهم أو لاثامهم بالهرطقة، ويبدو أن جميعهم يموت.

في الصباح تفتح عبير الكوخ لتتفاجئ بخنزير بري مذبوح، اقشعر جسدها وهي تتأمل الجثة، كأنه نوع من التهديد الواضح والمباشر، لكن هذا غريب نوعاً ما، من الذي يريد أن يهدد عبير وأبيها بينما يمكن قتلهم بسهولة، إن مشقة تهديدهم لا تستاهل هذا، ربما صرخة عالية في الليل ستقتلهم خوفاً.. لقد قام السيد دودزويرث بدفن الجثة، لكن أصبح اللغز أكثر تعقيداً عندما وجدت عبير في الصباح التالي خنزيراً آخر مذبوح أمام الكوخ. الشيء الوحيد الواضح في هذا اللغز هو أن من يريد تهديدهما هو بشر، بشر قادر على حمل السكينة ومقابلة إبهامه ببنصره.. الآن تشعر عبير بمدى جنبها وسخفها، لقد مرت أربعة أيام ولم تفكر عبير في أن تترك هذا الكوخ، ربما توجد مدينة مأهولة على بعد خطوات أو حامية إنجليزية أو فرنسية، لقد اتخذت وجودها في هذا الكوخ قضية مسلمة. عليها أن تستغل نوم أبيها لتتوغل في الأدغال قليلاً..

إن الأدغال مفرعة حقاً لمن لا يعرفها، قد يلتف ثعبان بغصن شجرة وقد يتواجد تمساح في أي بقعة رطبة، وقد يكون الأسد متحفزاً خلف ظهره يتجهز لمهاجمتك.. الأشجار تتزايد كثافة، لا بد أنها استغرقت ساعتين أو أكثر في هذا الدغل.. الآن هي تشعر بأن هناك من يتبعها، لقد توقف قلبها عن الخفقان ووقفت عاجزة محتارة، لا تعرف ما يتحرك خلفها ولا تعرف مكانه ولا تعرف ماذا ستفعل.. إن التراجع في ظروف كهذه أخطر من التقدم. تدخل عبير منطقة كورشاك، وكورشاك هو ذكر غوريلا ضخمة احترق وسط لهيب النيران التي سببته إحدى الصواعق ولم يمض وقتاً طويلاً ولم يعد أحد يتجراً على الدنو من منطقتهم.. لقد وثب كورشاك من أعلى الشجرة، وعلى الفور امتد الذراع المشعر الحديد ليحيط بخصر الفتاة، من الواضح أن عبير كانت قد فقدت وعيها، وهنا يمسك كورشاك بعبير ويتجهز لتعطيم سلسلة الظهر إلى نصفين، كما

نكسر نحن عود قصب السكر إلى نصفين. كان لا بد من أن يتدخل ذلك الكائن الأشقر الجميل، إنه الكائن نفسه الذي كان يراقت عبير وأبيها، وهنا يقفز من أعلى الشجرة ويطلق صرخة لا يمكن لحلق آدمي أن يطلقها ويقذف نفسه أمام الوحش، وينقض الوحش على القرد الأبيض، وهنا ينتزع القرد الأبيض خنجره الغريب الشكل ويولجه في بطن الغوريلا، كان قتالا مريعاً لا يمكن وصفه. المهم أن المشهد انتهى بالنهاية الخالدة، الغوريلا صريع على الأرض يعالج سكرات الموت والقرد الأبيض يضع قدمه على صدره المشعر ويطلق صرخته، وبعد أن انتهى من طقوس النصر انحنى ليرفع الفتاة إلى كتفه ويغادر المكان. وعندما أفاقت عبير وجدت نفسها بجانب الكوخ، لم تعرف من الذي أحضرها إلى هنا، لكن ما تعرفه هو أن وحشاً ما كان قد هاجمها ويبدو أنها فقدت الوعي، والحدوش في معصمها تؤكد هذا.. لقد وقفت تتساءل هل تخبر أبيها بالقصة! بالطبع لا، فهو لن يصدق وسلومها على نهورها لو صدق، ثم أنها لا تعرف ما حصل بالفعل، مجرد رؤية مختلطة..

من مكانه بين الغصون يرمق الكوخ المظلم بمن فيه من نائمين، هؤلاء القوم يجرمونه من دخول الكوخ، الكوخ الذي اعتاد أن يدخله بانتظام منذ نعومة أظفاره، يدخله ويلمس كل شيء ويتشمم كل شيء، هو يعرف جيداً أنه ينتمي لهذا المكان.. حين فتح عينيه على العالم لم يعرف له أما سوى القردة الطيبة (كال)، ومنها تعلم كيف يزأر وكيف ينتقل بين الأشجار بحرية تامة مع أخوانه من قرود العشيرة، لكنه يعرف أنه مختلف عنهم، لقد كان ذكائه واضحاً، وأبسط المعضلات التي تحير الآخرين كانت بالنسبة له أمراً مفروغاً منه. لقد أخبرته كالا أنه جاء من ذلك الكوخ، هو ليس قرداً حقيقياً ولم يكن له أب من القردة، لكن كالا وجدته وحيداً في الكوخ يبكي جوعاً بجوار جثة أمه، ومرت الأيام به حتى ازداد قوة وبراعة، وازداد خبرة بما حول الغابة، وعرف الكثير عن هؤلاء القوم سود البشرة الذين يكونون مجتمعات خاصة بهم، وهو يدرك أنهم يسمونه الرجل القرد أو في بعض الأحيان يطلقون عليه اسم (طرزان)، كان يعرف

أنه إنسان وأن هؤلاء هم قومه الدائمون، لكنه يعود دوماً إلى القردة حيث يجد راحته ويستطيع تلبية نداء الأدغال.

صحت عبير من النوم في منتصف الليل والعرق يبللها، وحين فتحت باب الكوخ عرفت أنها ستجد الخنزير البري ذاته مذبوح أمام الكوخ، هنا فهمت الأمر برمته: إن هذا الخنزير المذبوح ماهو إلا هدية من الشخص الغريب الأطوار للتعبير عن مودته وحسن نواياه، وهي تجرح شعوره كل يوم بالتخلص من الوجبة التي يقدمها، وهنا من جديد يراودها شعور الدفئ الانثوي والرضا عن النفس.. بعد حين تسمع عبير صوت طبول قادم من جهة الشاطئ، كان الفضول هو الذي قتل القط.. لهذا أغلقت مفكرتها واستغلت نوم أبيها وخرجت. راحت تمشي بجذر نحو الشرق، وأدركت أنها تدنو من البحر أكثر فأكثر، والآن أخيراً تستطيع أن ترى الأجساد السوداء المتراقصة تلتصق في وهج النار.. إنهم حوالي مائة رجل ويبدو أنهم وصلوا إلى هنا عن طريق بعض القوارب البدائية، كانت ترمق ما يحدث من بعيد، هناك ساحر وهنالك أربعة أو خمسة رجال يبدو عليهم الذعر والقنوط، من الواضح أنهم أسرى إحدى المعارك وهم الآن مركز اهتمام الحفل. في اللحظة التالية ترى عبير رجال أشداء يثبتون الضحايا ويذبونهم كما يذبح الدجاج، لقد تكرر المشهد أمام عيني عبير خمس مرات، وهذا كان كفيلاً بأن يجعلها متجمدة غير قادرة على الحركة، لقد جمد الذعر أطرافها الأربعة.. أما عن المشهد التالي فكان أشد قسوة، فهؤلاء لا يدفنون ضحاياهم بعد الذبح، بل يأكلون جثثهم ضمن حفلة من حفلات أكل لحم البشر النبيئ المعهودة.. إنها عادة بدائية قديمة لم تندثر تماماً، حيث يتم فيها أخذ الضحايا إلى مكان بعيد، ومن ثم ذبحهم وأكل لحمهم، وبهذا يعتقدون أنهم تخلصوا حتى من أرواحهم ولن تضايقهم الأرواح في المستقبل أبداً.

بعد أن انتهت عبير من المشاهدة استدارت واتجهت إلى الكوخ، وهنا تفاجئت بالرمح المصوب إلى عنقها، لقد كان واحداً منهم.. واحداً من الأسامبارا ويبدو أنه لا سبيل للهرب من هذا الوحش، بالنسبة لطرزان هو يراقب المشهد من بعيد، لكنه لا يقوى على فعل شيء أمام هؤلاء الرجال الأشداء.. إنهم قساة شديداً والعنف، يعبدون

صنماً قبيحاً يتوسط قريتهم، وهم شديداً التطير يؤمنون بكل حرف قيل عن الأرواح الشريرة، لهذا يأكلون البشر كطقس ديني مهم في عقيدتهم. كل الزنوج يهابون الأسامبارا وإغارتهم على قرية معناها إهلاك الحرث والنسل فيها.

كانت عبير تفضل الموت بدلاً من الأهوال التي الأهوال التي تنتظرها وسط قوم الأسامبارا.. كان الدهول على وجوه الجميع، الدهول من هذا الكائن التي تم جلبه إلى القرية، شعر أشقر وبشرة بيضاء، بالطبع هذا غريب جداً بالنسبة لهم. لقد تجمع الناس في ساحة القرية حول الصنم الكبير وراحوا يرمقونها في فضول، ثم يفسح الناس مكاناً بينهم ليظهر الزعيم، لقد كان زعيمهم بديناً جداً له كرش يتدلى وله شعر أشيب ثم أنه عجوز، هذه هي الصفات القياسية لأغلب زعماء القبائل، تأمل الزعيم عبير في اهتمام ثم قال: "هووم هوجا!". قالها معلناً عن فهم غير عادي وحكمة عميقة.. بنفس الوقت طرزان يعيش أصعب أوقاته وهو يعرف أن عبير الآن في قرية الأسامبارا ويتم الاحتفال بها على أعلى مستوى.

تدرك عبير أن الذي ينتظرها أصعب من الذبح والأكل، حيث يتم إعدادها الآن لتكون زوجة الزعيم، لقد بدأت النساء بتزيينها ورسم النقوش على وجهها وتعليق أقراط عظام الحيوانات في أذنيها. وفي هذه الأثناء قام طرزان بنقل أبيها الى مكان في عمق الجزيرة، حيث تتواجد قبيلة من السود.. السود الذين يثقون بطرزان ويعتبرونه حارس الجزيرة، هم يحبونه ويطيعونه في كل شيء بالرغم من أنه ليس منهم ولا يتحدث لغتهم، هذا هي اللوحة العنصرية التي رسمها المؤلف (إدجار رايس بوروز)، إن طرزان هو الرجل الأبيض الذي ابتعد عن الحضارة فصار سيد الأدغال، يحكم الحيوانات والقبائل البشرية، وفي القصص تراه هو الشخص الشجاع وسط السود الجبناء.. حكيماً بينما هم أغبياء.. عادلاً بينما هم ظالمون.. جميلاً بينما هم قبيحون. يحاول إدجار أن يرسخ في قصصه مبدأ اللون الأبيض المتفوق، فالخير والعدل لا يمكن أن يكونا إلا أبيضين، والسبب الوحيد وراء هذا هو امتلاك البيض للأدب والفن، فمن حقهم أن يجعلوا بطلهم إنجليزياً

أبيض، وبالطبع يستطيع السود أن يكتبوا القصص الخاصة بهم والتي يكون فيها البطل أسود، لكن هذا سيحدث فقط عندما يتركهم البيض وشأنهم.^١

لقد كان طرزان واضحاً في قراره ومن الواضح أنه ينوي مهاجمة قرية الأسامبارا وتحرير عبير، لقد بدأ بتجميع الحيوانات وطلب من صديقه الفيل (توننو) استدعاء قومه. وسرعان ما راحت الغابة ترتج تحت أقدام عشيرة الفيلة، وطرزان يدرك جيداً أن الفيلة ستحدث خراباً كبيراً وتحلف مجزرة، لكنه الآن معنيّ بتحرير عبير بأي طريقة. في هذه الأثناء يقتاد الناس عبير إلى الساحة حيث يقف عريسها ملطخاً بالطين في أبهى صورهِ وراح الجميع يرقصون كالملبوسين.. لم تتحمل أكثر وقررت أن تهرب قبل أن يفوت الأوان، بسرعة ركلت حارسها في بطنه وبدأت بالركض، لا بد أنها لم تقطع سبعة أمتار حتى لحقوا بها وأوقعوها أرضاً، شعرت بجد السكين على رقبتها وأدركت أنها ارتكبت خطأ دينياً جسيماً. إن هرب العروس يوم زفافها هو جريمة لدى كل المجتمعات، وهنا يبدو أن الجريمة أكبر مما تتصور عبير، فهي ترى الجميع يحيط بها وكل الرجال مجردون خناجرهم ورماحهم، في اللحظة التالية سمعت صراخاً مريعاً، نظرت ليسار لترى رجل يتلوى على الأرض بينما أسد عملاق يجثم فوق صدره لينهش عنقه، وهنا تبدأ المعركة وتتقدم عشرات الفيلة ببطء وثقة. لقد باغت طرزان ورفاقه قوم الأسامبارا وجعلوا منهم عبرة لمن اعتبر، لقد افتعلوا بهم مذبحاً تفوق كل مذابحهم وحفلاتهم الوحشية. وأخيراً انتهت المعركة وحُرت عبير، والآن هي تقابل طرزان الذي أنقذها مرتين، تراه عن كثب للمرة الأولى، هو رجل أبيض يجمع صفات مدرب الأسود ومدرب الأفيال وبطل كمال الأجسام والطبيب البيطري. لكن المشكلة أنها غير قادرة على التكلم معه، وكل ما قاله عبارة عن كلمات غريبة لا معنى لها بالنسبة لعبير.. بعد الملحمة الأسطورية يعيدها إلى قرية (الوازييري)، حيث تقابل أبيها العجوز المنهك، وبعدها يحاول الأثنان شكر طرزان، لكن طرزان لا يفهم عبارات الشكر ولا يجبها فهو شخص عملي جداً.

^١ - نداء الأدغال، سلسلة فانتازيا، طبعة ١٦، ص ٨٩.

إن طرزان مهذب جداً ولا يفرض نفسه على أحد، كان كل ما في الأمر أنه يحتاج رفيقة من جنسه، لها نفس لون بشرته وقد راقت له السيدة عبير.. هذا العملاق يملك من القوة ما يتيح له أن يختطفها ولن يجرؤ أحد على منعه، لكنه في أعماقه رجل بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، يفضل أن يعيش ويموت وحيداً على أن يرغم فتاة على شيء لا تريده.. لقد شعرت عبير بفؤادها يتمزق، إنها لم تقبل عرضه لكن مشهد العملاق طيب القلب يبتعد كسير القلب جعلها تشعر بغصة في حلقها. لقد وقف طرزان بين الأدغال يشاهد الحملة الإنجليزية المهيبة تغادر ولم يكن راضياً عن هذا، لكن هذه رغبتها، ولن يعارض رغبتها بأية حال.. أخيراً تسمع عبير صوت المرشد يناديها وهو قادم إليها ببذلته السوداء ومنظره المعهود، لقد حان موعد توديع طرزان، نظرت إلى عينيه الصريحتين ولم تجد ما تقول، وفي صمت لحقت بالمرشد دون أن تنظر إلى الوراء.

الفصل الثاني

عرض و تلخيص للروايات المختارة من عدد ٢١ إلى ٤٠

مدخل

اسمها (عبير عبد الرحمن)..

إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ورشاقة اسمها.. هي ليست جميلة بأي مقياس، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات، وليست عاملة أو أديبة أو ممثلة، ولا تملك مؤهلاً دراسياً محترماً.

عبير إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة، إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها.. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة..

لقد قابلت شريف، خبير الكمبيوتر الثري الوسيم والأهم من هذا العبقرى. كان شريف وقتها يبحث عن فتاة عادية جداً ولا تملك أي ذكاء.. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز صانع الأحلام الذي ابتكره، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء، وإعادة برمجتها في صورة مغامرات متكاملة.. ولأن عبير تقرأ كثيراً جداً، ولأن عقلها مزدحم بأبطال ومواقف القصص، صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة. عبير سترى القصص التي عشقتها، ولكن مع تحويل بسيط: إنها ستكون جزءاً متفاعلاً في كل قصة! ستطير مع سوبرمان، وتتسلق الأشجار مع طرزان وتغوص في أعماق المحيط مع كابتن نيمو.

لقد تزوج شريف من عبير، ربما لأنه أحبها حقاً، وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد، ونعرف الآن أن عبير حامل.. وتواصل عبير رحلتها الشائقة إلى فانتازيا حيث ترى الكثير وتعرف الكثير، وفي كل مرة ينتظرها المرشد ليقودها إلى حكاية جديدة.

إن عبير تنتمي إلى فانتازيا.. أرض الخيال التي صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة، وأعاد تقديمها لها من جديد.

فانتازيا هي المهرب الوحيد من براثن الواقع، وكل الوجوه التي تتغير.. فانتازيا هي الحلم الذي صاغته عبقرية الأدباء على مر السنين.. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءاً منه، لكن هذا في مقدورنا الآن.

لسوف نرحل جميعاً إلى فانتازيا برفقة عبير، نضع حاجياتنا وهمونا في القطار الذاهب إلى هناك. هو ذا جرس المحطة يدق، وهدير المحركات يدوي، إذن فلنسرع.

لا تدخلوا شيرود

تتأرجح عبير على حبلين متوازيين، فتضعُ قدمًا على حبلٍ منسوج من الحزن بينما تتشبَّثُ قدمها الثانية على حبلٍ من الفرح، فتشعرُ في لحظات البهجة أن الحزنَ لن يطرق بابها بعد الآن، في حين تنتزعُ فترات الكرب أملها بأن يكون هناك غد.

في أثناء انتظارها بجانب سرير شريف، شريف الخارج من صراع بين الحياة و الموت و المحيط بالاكْتئاب والذي يتحدث عن إدمان عبير لعالم (دي جي ٢)، لم تكن تتوقع عبير أن رحلتها التالية في عالم فانتازيا ستكون مع روبن هود.

روبن هود الذي لم تُعجب عبير به يوماً سيصيرُ هو شريكها في هذه المغامرة. أغلقت عينها و بانّت أمامها غابة تتراقصُ فيها درجات اللون الأخضر، إنها غابة شيرود التي يُنصح بعدم الإقتراب منها لأنها موطن جميع الخارجين عن القانون و على رأسهم روبن هود.

في القرن الحادي عشر، و في ظل صراع النورمان الفرنسيين الأرستقراطيين، والسكسونيين الإنكليز الذين تتم معاملتهم بقهر وُدونية، تمشي عبير بتؤدة بين أشجار غابة شيرود الإنكليزية و تتخفى بثياب رجل ثري يعملُ بالتجارة. و لم يطل مسيرها قبل أن تخرج لها أول عصابة لتحاولَ سرقتها و تهديدها.

و تحلّت بشجاعة و ثقة لا تتواجد عادةً عند التجّار الذين يتمّ تهديدهم من قبل عصابة في شيروود و قالت: أين زعيمكم روبن هود؟ و هنا زادت حيرة هؤلاء الخارجين عن القانون و قرروا أن تتحقق رغبتها ويتولى أمرها روبن هود بشكل شخصي. امتثلت عبير الظاهرة بمظهر التاجر الثري أمام روبن هود، و طارت كل التوقعات من رأسها و خابَ أملها، لم يكن روبن هود البطل الشاب عريض المنكبين الذي لطالما تخيلته، بل كان رجلاً في الخمسين من عمره، زحفَ الصلع على رأسه و تدلت طبقات الدهون أمام بطنه.

و بدأت المواجهة بين عبير و روبن هود، حيثُ كان روبن هود متمرسًا في الابتزاز والتهديد، بينما كان لدى عبير إصرار عظيم على المواجهة. المواجهة كانت مثيرة للحيرة و الدهول بين غريمين لا يجمعهما أي تشابه، بين رجل ضخم و فتاة تتنكر بزي تاجر.

نظرات شرسة متحمسة، دعسات الأقدام على العشب، عصا تطير في الهواء، ضربات تُكال، و عظام توشك على التفتت.

دام القتال ساعةً كاملةً، وتسلّل الملل إلى نفوس المشاهدين، إلى أن أوقفه روبن هود بطريقة درامية و استلقى الغريمان على الكلا. واعترف روبن هود بشجاعة وئبل هذا الشاب الشريف، عبير التي ادّعت أن اسمها روجر وليام، ثمّ أخبرها روبن هود عن عملهم الذي اعتبره عمل وطني يقومُ به تحت مبدأ "نسرُق الأثرياء لنعطي الفقراء". قاموا بتلقيبها "روجر القبيح" هذا اللقب الذي أخرجَ خواطر عبير، لكنها تماشّت معهم في احتفالهم المسلي.

انتظرت عبير حتى الفجر لتعرف المزيد عن عملهم، فكّرت في الاستحمام لكنها لم تغامر بكشف أنها أنثى، فاكتفت بغسل وجهها و قدميها، و هنا اكتشفت أنها ليست فتاة متنكرة بزي تاجر، بل إنها حقًا في جسد رجل، ولذلك كانت المواجهة عادلة و منطقية البارحة و استطاعت أن تقف نداءً لروبن هود.

وروى الراهب تاك قصّة روبن العجوز الذي خاض الحرب لعشرين عامًا، وتحدّث عن والد روبن الذي لم يخضع للنورمان، لكنّه كان مسالمًا طالبًا الحياة لنفسه و لأولاده، وفي ذلك الوقت كان هناك مأمور خبيث حاول شراء ولاء السير ألفريد والد روبن هود، وعندما رفض السير ألفريد ذلك انتقم المأمور منه و من عائلته و قام بقتلهم وخطف ماريان شقيقة روبن في حين استطاع روبن اللجوء إلى غابة شيروود.

لقد كانت الغابة أكثر حنانًا على روبن من البشر، و الأغصان الخضراء هي درعه الذي يحميه، و هكذا أصبحت غابة شيروود مأوى من لا مأوى له، و أصبح ينضم كل هارب من الظلم النورماني إلى الفارس صاحب السهم المصيب روبن هود. امتطت عبير التي أصبحت اسمها (روجر) الحصان، وخرجت من شيروود وأجّهت إلى نوتنغهام. وعندما وصلت لاحت أمامها في الأفق قلعة مهيبة عليها علم يحمل رمز الذئب، واصلت توجهها إلى القلعة وتفاجأت عندما لم يمانع أحد دخولها، بل وقام بعض الجنود برفع أيديهم لإلقاء السلام.

دخلت عبير إلى القلعة ليوقفها أحد الجنود الذي بدا عليه أنه يتمتّع برتبة أعلى قائلاً: "أسرع يا باتريك، الذئب في انتظارك"
أليسَ هذا غريبًا؟

ترجّلت عبير ودخلت القلعة، حيثُ برزت فتاة حسناء و هرعت نحو عبير بلهفة و قالت: "باتريك يا حبيبي، لقد كنتُ خائفةً عليك" و استطاعت عبير من سير الحديث أن تعرف أنها الآن تُدعى باتريك و أنها خطيب هذه الفتاة التي تُدعى بياتريس. استطاعت عبير التملّص من بياتريس، ووجدت قدميها تقودانها لتكون أمام الذئب شخصيًا. أليسَ هذا مريبًا؟

"ادخل يا باتريك، إلى ماذا توصلت؟" هنا نطقت عبير الكلمات التي كانت تخشى أن تنطقها: "كل شيء مضى كما أردت يا مأمور روجر".

صراع العاطفة و الواجب، باتريك المجنّد لكشف أسرار غابة شيروود و خطيب بياتريس ابنة المأمور، وعبير التي يكسوها العار و تكاد عيناها تنفجر بالدموع لأنها خدعت روبن هود خدعةً حقيرة لتندسّ في صفوفهم.

ضحك المأمور ضحكةً ملأى بالدناءة، و تبجّج بعبقرية خطّته التي أوحت له بدس خطيب ابنته و رجله المغوار ليكون فارساً في عصابة عدوّ اللدود روبن هود. ثم أعطى المأمور عبير زجاجةً تحوي السمّ و دسّها في ثيابها وطلب منها أن تضعها في طعامهم. وعادَ ليذكرَ باتريك بالمكافأتين اللتين تنتظرانه بعد تنفيذ المهمة. وبالطبع لم يكن لدى عبير أي طمع بهاتين المكافأتين. راحت عبير تركض نحو غابة شيروود و هي تفكر "ما هو الصواب؟" خيانة المأمور الذي يثق بباتريك ثقة عمياء، أم دس السم لروبن هدوء المطمئن لها؟ أتخلص من الزجاجة و تنسى ما حصل؟ أم تبقى في صفوف روبن هود لأنه يمثّل الخير؟

لم تنته صدمات عبير هنا، حيثُ كانت هناك مفاجأة جديدة عندما عادت لمعسكر روبن هود، حيثُ كانوا يجهزون خطةً لإنقاذ أحد رجالهم والذي سوف يتمّ إعدامه اليوم. وكانت مهمة عبير أن ترافقهم لتتعلّم كيف يقومون بمثل هذه المهام. وهنا ابتلعت ريقها، سيكون غضب المأمور شديداً لأنه يثق أن باتريك سيخبره بمثل هذه التفاصيل، ولماذا لم يخبره؟ سيكون الشك محور علاقة المأمور بباتريك بعد هذا و سيكون سريعاً جداً، لكنّها كانت قد أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً برسالة روبن هود، فالإنسان لا يفكر مرتين قبل الانحياز للخير.

وصلَ الفرسان لإنقاذ صديقهم ويليام، الذي تمّ جرّه نحو منصة الإعدام وهو أبعد ما يكون عن مظهر الإنسان من كثرة الضرب و تهشّم الوجه ونحول الجسد. وهنا اقتربَ الراهب تاك ليكونَ برفقة ويليام الذي سيتعرّض للإعدام، و هكذا بدأ الهرج و المرج عندما بدأت سهام رجال روبن هود بالتساقط على رؤوس الجلاذ والجنود، وجاءَ أحدهم وحملَ ويليام على الحصان وبدأ موكب الفرسان بكّد المسير نحو شيروود. و كان الجميع على ثقة أنهم إذا استطاعوا الوصول لشيروود فلن يستطيع أحد الاقتراب منهم

لأن رجال المأمور لا يجسرون على دخولها، لكن لم يكتفِ روبن هود بهذا بل كان هناك كمين بانتظار الجنود المطاردين لموكب الفرسان حيث حشروهم بين شجرتين كبيرتين و تساقطت السهام عليهم من على أغصان الأشجار، و بعد انتهاء هذه المجزرة، توجه "الخارجون عن القانون" للاحتفال. و هكذا انتهت مخططات هذا اليوم، و حتى ويليام نفسه توجه للاستحمام ولارتداء الثياب المعتادة الخضراء.

تقدّم فرسان ضخمان و هما يحملان شيئاً أسودّ ضخماً و ألقوه على الأرض، واقترب روبن منها في حين شرح له أحد الفرسان أنه وجد قارورة غريبة تحت السنديانة و قام بتجربتها لأنه شكّ في أمرها، حيث وضع القليل منها فوق قطعة لحم مشوي وقدمها للكلب، و ها هي النتيجة واضحة أمام الجميع.

تلمّست عبير جيبها خفيةً و عرفت أن الزجاجاة وقعت منها، عمّ الصمت في حين صرخ روبن: سمّ! هناك خائن بيننا! من يقبل من أبناء الغابة أن يقوم بتسميم إخوته؟! و هنا لا بدّ أن تتوجّه الشكوك نحو أحدث المنضمين للجماعة.

ابتلعت عبير ريقها في حين انتصبت سيوف وسهام الجنود، واتّجه رأس ويليام نحو بطن عبير الذي حاول نشب أظافره و أسنانه حول حنجرة عبير التي استطاعت بكل سهولة أن تقلبه على الأرض وتصبح فوقه، ثمّ قالت لروبن أن يقتلها على الفور أن كان يشكّ بها، و طلب منها أن تقسم أنها ليست من جلب السمّ إلى الغابة، و هنا تلاعبت عبير على الكلمات و قالت "أقسم أن روجر القبيح ليس هو من أحضر السمّ إلى الغابة" و في الحقيقة يبدو قسمها حقيقياً لأن باتريك هو من أحضر السمّ. ثمّ سأل روبن إن كان هناك من يشكّ بهذا القسم و أضاف:

"سوف نبقي على حياتك يا روجر القبيح لكننا لن نقبل رفقة السلاح معك،

اذهب ولا تعد يا روجر القبيح"

أدارت عبير ظهرها و خرجت خارج حدود شيرودود، كانت ليلة حالكة الظلام بالنسبة لها، و لم تعرف كيف حان الفجر. وأخذت تفكر أنّه لا خيار أمامها سوى العودة إلى قلعة المأمور. وهكذا اتّجهت إلى نوتنغهام و دخلت القلعة و أخبرت المأمور بما

حدث. و أخذت تجول بقلعة الذئب التي كانت تعتقد أنها ستكون مملة مقارنةً بغابة شيرود ولكنّها لم تكن كذلك.

أمرت عبير أحد الجنود بفتح مزلاج أحد السجون، استغرب الجندي لكنّه نفذ الأمر لأنه لا يستطيع ردّ طلب باتريك، وبالفعل دخلت عبير الغرفة المظلمة وشنّ عليها هجومٌ كاسخٌ و كأنّه من أسدٍ بريّ. إنّها ماريان، ماريان أحد أسباب اشتعال هذه الحرب، ماريان أخت روبن المخطوفة و التي يحتفظ بها المأمور منذ عشرين عامًا. ماريان العجوز التي لا زالت تحتفظ بلمحة من جمال الصبا. قالت عبير لها: "روبن لا زال يحاول حتى الآن الوصول إليك" و خرجت قبل أن تمطرها بالأسئلة.

خرجت عبير لتشاهد مباراة فروسية من المباريات الشهيرة في ساحة نوتنغهام، و التي كان يشاهدها المأمور وابنته بياتريس، واستطاعت عبير بسهولة أن تتعرف على الراهب تاك و روبن هود و عشرات رجاله متخفين بين الحشود. وأهبت سهام أحد رجال الغابة الهدف وتمّ تنويجه فائزًا في هذه المسابقة، و عندما علم المأمور بهذا اشتعل غضبًا لأنّ ما حصل قد مسّ كرامته و هيئته و صرخ في باتريك طالبًا منه أن يتبعه إلى القلعة.

توالت الشتائم من فم المأمور ثمّ أردف: "لقد كنت تستطيع تمييزهم بسهولة بين الحشود، لقد كنت تعرفهم، لقد كنت تستطيع إخباري أنهم مشاركون في المسابقة، ثقتي أصبحت مهزوزةً فيك يا باتريك، يبدو أن قلبك أصبح مائلًا نحو الخير، دون نفاق أرجوك، نحن الشر الخالص" ثمّ رمى المأمور مديّةً نحو عبير و قال: "باتريك، تستطيع إثبات ولائك لي من جديد، فقط، فقط بقتل ماريان!"

ثم نادى أحد الجنود و قال له: "خذ باتريك لزنزانة ماريان و تأكد أنه قتلها بوحشية و برود"

بدأت عبير تفكر كيف ستخرج من هذا المأزق، و هنا ركضت بياتريس نحو خطيبتها صارخةً: "أرجوك لا ترتكب جريمة قتل، أرجوك لا تقتل ماريان"

و بالطبع لم تكن عبير بحاجة لمن يشجعها على عدم القيام بهذا الفعل، فقالت للجندي بثبات: "أخبر المأمور أن باتريك لم يستطع قتل امرأة عجوز بدون سلاح" و هنا شهقت بياتريس، صحيح أنها لم ترد أن يقتل باتريك ماريان، لكنها في نفس الوقت لا تريد أن يعارض خطيئها أوامر والدها المأمور. و هنا تمتعت عبير لبياتريس: "إذا كنت تريدين نجاتي، أخبري روبن هود!"

ذهب الحارس للمأمور وأخبره بما كان من باتريك، و أصدر المأمور أمراً بقطع رأس باتريك وقال ضاحكاً: "بياتريس ستخطي الأمر بسهولة"

اقتاد الحراس عبير إلى منصة الإعدام، واحتشد المارّة و أخذوا يطالبون بضررها وقتلها. و أخذ جندي يقرأ من اللغافة الكبيرة قرار إدانة باتريك بتهمة الخيانة. و بالنسبة لعبير لم يكن يهمها إلا أن الأ لم قادم لا محالة. وعندما رفع الجلاد يده، انحال سهم على الجلاد و قال شخص من الحشود "كالعادة، لا يكتمل تعذيب أو إعدام في هذا البلد المشؤوم" لكن الغريب هذه المرّة أن مصدر السهم كان من القلعة! وأول من لاحظ هذا بالطبع هو المأمور.

استدار المأمور نحو القلعة، ورأى القلعة وهي مدججة باللون الأخضر، و بمعنى أدق كان رجال روبن هود مسيطرين على المكان. وهنا قفز روبن هود ومن أعلى السور ظهر الراهب تاك، و لأول مرة يرى المأمور نفسه في العراء في حين أن قلعة الحصينة محتلة، فامتطى أحد الأحصنة و حاول أن يلوذ بالفرار. و في هذا الوقت نزلت عبير من على المنصة و هي ترغب بالرحيل و جاء إليها أحد أخوة الغابة و قال: "هيا يا روجر، أو يا باتريك، هناك مباراة لا بد لنا أن نشاهدها" و انطلقا بجوادهما نحو غابة شيروود ووقفوا يرمقان الطريق بانتظار المأمور الهارب على حصان. و هنا تساءلت عبير: "كيف استطعتم احتلال القلعة؟" فأجابها: "بياتريس تحبك بحق يا باتريك، لقد أرسلت لنا وصيفتها لتخبرنا أنه سوف يعدمك وأن الجنود سيكونون تحت وقع التخدير، و كان شرطها ألا تؤذي والدها، إنها تحبك وهي مستعدة لفعل كل شيء لأجلك"

فقالت عبير: "و لماذا تنتظرون الأمور ما دمتم قد وعدتم بياتريس ألا تؤذوه؟"

فقال: "لن نؤذيه، سوف يؤذي هو نفسه"

و هنا تعالت سحابة غبار في الأفق، و ظهر جواد المأمور، و دوى صوت البوق عبر السهول، فأجفل المأمور و جواده وظهرَ روبن هود، و وقفَ الحصانان و تبادل راكباهما النظرات، و بعد هذه الأعوام نطقَ روبن هود: "ها هنا نحن أيها المأمور، عداوة عشرات السنين، لقد وعدنا ابنتك ألا نؤذيك، ارحل دون قتال ولن يلمسك أحد، أما إذا كنت تريد تسوية الحسابات فأخرج سلاحك هيّا للصراع"

و بالطبع، اختارَ المأمور الصراع، رغمَ أنه كان يستطيع المرور دون قتال، انقضَّ روبن بالرمح في حين استلَّ المأمور سيفه، و بدأ النزال بينهما مع تبادل الاتهامات واللوم، وكلَّ منهما يذكر جرائم الآخر كما يراها. وطالت فصول الصراع بينهما حتى شعرت عبير بالملل، لقد شاخَ الرجلان حقًا وصارت ضرباتهما تفتقر للتركيز. لقد استطاع المأمور أن يطيح بروبن أرضًا و أن يغرز سيفه في بطنه، دوت صرخة وركبَ المأمور حصانه مبتعدًا بسرعة، في حين أن بركة من الدماء تجمعت حول روبن الذي أخذ يلهث و قال وصيته الأخيرة: "سيعود الذئب، استعدوا" و رمى سهمًا أخيرًا وطلب أن يكون قبره في مكان استقرار السهم.

أرض قمر أرض

إنَّ عبير عبد الرحمن بشخصيتها التي يمكن القول عنها أنها أقل من عادية تبقى في النهاية امرأة مصرية شرقية، تبقى في النهاية أنثى. امرأة متزوجة زواجًا عاديًا من رجلٍ لا يشبهها في شيء. كلَّ هذا سيقودها بالتأكيد - كما تفعل كل امرأة - لأن تفتش في جيوبه بحثًا عن شكوكها.

و هذا ما حصلَ عندما فتشت جيوبه لتجدَ خطابًا أنثويًا من امرأة تُدعى رانيا. كانت عبير قد تعرّضت لثلاث صدمات؛ صدمة الخطاب بحدّ ذاته، صدمة الخيانة و وجود امرأة ثانية في حياة زوجها شريف، و صدمة محتوى الخطاب. لقد كانت رانيا هذه تتحدث مع شريف و كأنّها المنقذة البطلة في حياته، و كأنّها شريكة روحه بمواجهة زوجته

الفاشلة الغبية التي لا تشبهه في شيء ولا تستطيع مجاراته في عبقريته و قدراته. وهنا كان لا بدّ لعبير أن تدعي أنها لم تر شيئاً في حين تطلب اللجوء إلى عالم فانتازيا. "إلى أين هذه المرة يا عبير؟" سألتها شريف. فأجابت: "إلى القمر!"

قررت عبير الغوص في هذه القصة حتى النخاع، فعالم فانتازيا بمثابة القرص المهدئ الذي يأخذه المريض حتى ينام. و هكذا وجدت نفسها متجهةً إلى نادي السلاح في بالتي مور لكتابة قصة مثيرة، فهي صحفية أميركية في عام ١٨٦٤م. و في نادي السلاح يتجمع صنّاع الأسلحة الذين فقدوا أطرافهم و عيونهم ليتذكروا الأيام الخوالي، أيام الحرب الأهلية في أميركا و التي استعرضوا فيها جميع مواهبهم. استقبلها عجوز مبتور القدمين بحماس ودعاها كي تجلس، ثمّ ظهر رئيس النادي (باريكان) وقال بلهجة مسرحية: "يا سادة، أرجو أن تحيوا.. جول فيرن!"

دوّت عاصفة من التصفيق في حين انحنت عبير إلى الأمام ودستت قلمًا بين شفتيها وأخذت تفكر: جول فيرن شخصية حقيقية بينما نادي السلاح هو جزء من قصة كتبها، هذا هو لقاء المؤلف وشخصياته، الصانع والمصنوع، الكاتب والمكتوب، إنّه مشهد مألوف في (فانتازيا).

انتهت موجة التصفيق ووقف جول فيرن خلف المنصة شاكرًا نادي السلاح برئاسة باريكان على هذه الدعوة. وجول فيرن بالطبع غيّي عن التعريف، لكن لا بدّ لنا أن نتحدث عن (ميشيل آردان) الذي يدخل فوهة المدفع ليصل إلى القمر، و(كابتن نيمو) الذي يغوص إلى عمق عشرين ألف فرسخ تحت البحر، و (فلياس فوج) الذي يحاول الدوران حول الأرض في ثمانين يومًا. كل هذه العوالم و غيرها لم تكن موجودة قبل أن يبتكرها هذا الأديب الفرنسي العبقرى (جول فيرن). و من الجدير بالذكر أن أكثر خيالات قصصه تحققت بصورة مذهلة، لقد كتب عن الغواصة قبل اختراعها، ووصف رحلات الفضاء قبل حدوثها بقرن كامل، ووصف الطائرات بدقة رهيبية.

وقف هذا العبقرى مخاطبًا الجمهور في رزاة: "أنتم تعرفون مشروعنا العظيم، المشروع الذي اقترحه الرئيس باريكان، إننا سنصل إلى القمر عن طريق مدفع جبار!"

وارتجفت عبير رهبةً وقد تذكرت القصة التي هي فيها الآن، هذه قصة يصعب نسيانها. وأردفَ (جول فيرن) قائلاً: "كما تعرفون؛ فإن مواطني (ميشيل آردان) المغامر الشجاع قد قبل أن يركب قذيفة المدفع هذه، ويكون أوّل بشريّ يخطو على القمر." فقال الرئيس باربيكان: "كلّ شيء مُعدّ يا سيدي! والله لن نفشل أبداً" هنا نهض رجلٌ قصيرُ القامة وقال: "أرى الفكرة مستحيلة ومجنونة، إن هذه القذيفة ستنفجر بمن عليها في ثوانٍ" استدارت عبير لتسأل العسكريّ عن هوية المتكلم، فقال دون أن ينظر إليها "هذا الكابتن نيكولا" وعلى المنصة تلملمَ (جول فيرن) وقال في تهذيب: أعتقد أننا عبرنا هذا الجسر يا كابتن نيكولا، إن الإنجليز يحاولون أن يسبقونا إلى القمر!"

ابتسمت عبير في سرّها، كانت هذه الأحلام تعمّ أذهان الفرنسيين والإنجليز باعتبارهما القوتين العظميين، وسرعان ما غرق العالم في حربين عالميتين، ولم تدرِ هاتان القوتان متى سحِبَ البساط من تحت الأقدام لتظهر قوتان ما كانتا في الحسبان هما أمريكا والاتحاد السوفيتي.

قال (جول فيرن) مواصلاً كلامه بلكنة فرنسية: "نعم، أكرّر ما أقول، إن الإنجليز قد رسموا خطةً للوصول إلى القمر، وقد رسم معالمها أديهم (هربرت جورج ويلز) منافسي الطبيعي" ومن جديد وقف الكابتن نيكولا وقال: "ماذا نفعل؟ هل نرسل من يقتل ويلز؟" ابتسم (باربيكان) قائلاً: "لن نصل إلى هذا الحد، لكنني راغبٌ حقاً في التجسس عليه، نريد من يذهب إلى (لايبن) ليعرف ما يدور هناك.

أشعل (هربرت جورج ويلز) غليونه وقال: "إن (جول فيرن) يحزّف، إنه يتناسى أبسط قواعد علم الطبيعة، إن أول قدم ستلمس القمر ستكون قدماً بريطانية" وفي نادي السلاح تعالّت أصوات المهمة، وقال جول فيرن بصوت عالٍ ليغلب باقي الأصوات: "إنّ الأمر غامض وخطير، ويلز يعرف من الصحف كل شيء عن خططنا، بينما نحن لا نعرف شيئاً على الإطلاق" قال (باربيكان): "هذه مشكلة، إن ويلز لن يرحّب بأمريكي أو فرنسيّ يأتي من سماء صافية كي يستفهم عن مشاريعه!"

"أنا مستعدة" استدارت العيون كلها نحو صاحبة الصوت الرفيع، إنها عبير طبعًا، مألٌ بابريكان برأسه وسأل: "من هي الآنسة؟" وبصوتها الرفيع الحاد قالت: "أنا (هازل ستانويك).. صحفية"

بدا الرضا على وجه بابريكان وقال: يسرنا هذا يا آنسة، فويلز لن يمانع الحديث أمام صحفية حسناء، ولكن يجب علينا أن ننتقل إلى مكان هادئ لنشرح لك تفاصيل فكرتنا" قالت هازل: "في الواقع لا أعرف إلا أنكم ستطلقون مدفعا ضخمًا نحو القمر" تبادل (بابريكان) نظرة مرحة مع (جول فيرن) ثم قال ضاحكًا: "الأمر ليس بهذه البساطة، والآن تعالي إلى غرفه المطالعة لتسمعي التفاصيل"

أحضرت عبير مدونتها لتسجل ملاحظات، في حين بدأ جول بالشرح، لقد فكر في كل شيء؛ حركة القمر وسرعته وقطره، وقطر الأرض والمسافة بينهما، جاذبية كل منهما وكيف ستؤثر على المدفع، من أين سينطلق وكيف سيتم هذا، لقد شرح لها كل التفاصيل ولم يترك شيئًا للصدفة. و هنا قاطعه (ميشيل آردان) قائلاً بنفاذ صبر: "هل سنعيد شرح نفس الكلام؟! فأجاب جول: "هناك من يسمعه لأول مرة" و سألت عبير: "هل أنهيتم صناعة هذا المدفع العملاق؟" فأجاب: ليس بعد، لكن العمل لا يزال جاريًا، في شهر يوليو ستأتي اللحظة الهائلة، ستُفتح أبواب مئة فرن لتنصّب السبائك المتوهجة في حفرة وتملأ بالضبط تجاويف المدفع المرتقب. وفي أغسطس سيتجمد الحديد المصهور، وينزل أعضاء نادي السلاح إلى قاع الحفرة ليتفقدوا مدفعهم العملاق.

استدارت عبير إلى (ميشيل آردان) وسألته: "ومتى يأتي دورك يا مسيو آردان؟" فأجاب وهو يمسك بساقه ليمنعها من الاهتزاز في عصبية: "لم تكن الفكرة أساسًا تتضمن إرسال البشر، كانوا يريدون إرسال القذيفة إلى القمر وتصويرها بالمرقاب، لكني لم أقوم فكرة أن أكون أول بشري يضع قدميه على القمر" فأردفت (هازل): "وهل وافقوا على هذا ببساطة؟" أجاب: "بالطبع لا، حسبوني مجنونًا أو من هواة الانتحار، لكنهم حين شاهدوا ما صمّمته للقذيفة بدأوا يتراجعون، لقد قمّت بالعديد من الإضافات لأجعلها تحافظ على من يجلس في داخلها"

قالت هازل: "يبدو أنكم خططتم لكل شيء، ولا أعرف كيف ستفشلون" قالوا بإصرار "لن نفشل" فأكملت (هازل): "يبدو الأمر أعقد من هذا كله، أعتقد أن مشكلة ما ستطرأ من حيث لا تتوقعون، لا بد أن يحدث خطأ لعين دائماً" وفي شيء من القلق قال (جول فيرن): "الفشل الوحيد الذي أهابه هو أن يسبقنا الإنجليز، أنا لا أعرف خطة ويلز ولا أتخيلها، وهذه هي مهمتك يا آنسة ستانويك"

كان الليل الإنجليزي البارد يغمُر المكان، قرعت عبير الباب وفتح لها شابٌ نحيلٌ قائلاً بتهديب: "الآنسة هازل؟ تفضلي بالدخول" فدخلت إلى البيت الذي لاحظت حالته السيئة بسهولة. ودخل البروفيسور (كيفور) بعد ثوانٍ بحركاته السريعة وشروده الواضح وصاح: "الآنسة الأمريكية.. الصحفية.. مرحباً بك في (لايمبن)، هذه القرية الصغيرة. ورأت عبير رجلاً في منتصف العمر له شارب أنيق ويرتدي بذلة رمادية اللون. وقال بفخر: "أقدم لك المستر (هربرت جورج ويلز) إنّه من الكتاب القليلين الذين يعرفهم العالم بالحروف الأولى من أسمائهم (ه ج ويلز). وحيّاه ويلز بجزء رأس ثم جلس. سألتها ويلز في كياسة: "هل لنا أن نتشرف بمعرفة سبب هذا اللقاء؟" قالت في تهديب: أنا صحفية يا سيدي.. فقاطعها باستغراب: "أنت قطعتي المحيط كي تجري حديثاً صحفياً؟! " قالت بدكاء "إن الأمر يستحقّ هذا.. والمسافة بين إنجلترا وأمريكا لا تقارن بالمسافة بين إنجلترا والقمر" قال في كبرياء: "إنهم يعرفون.. وهم قلقون حقاً.. أوكد لك شيئاً واحداً.. أول قدم تلمس القمر ستكون قدماً إنجليزية"

أخرجت المفكرة وتهيأت للكتابة، وسألته: "هل يضايقك أن نتكلم بشيء من الوضوح؟" فأجاب: "لا مشكلة عندي، إن هؤلاء القوم لن يستطيعوا الوصول إلى تركيب (الكافوريت) ولو بعد ألف عام، إنّ الفرنسيين يحاولون أن يجعلوا من (جول فيرن) معبداً للخيال العلمي بينما هو مجرد محام.

ساد الصمت وقالت عبير بموضوعية: "سيدي، لقد سمعتُ القصة من أصحابها، وأجرؤ على القول أنها خاليا من الثغرات" يردّ بقوة: "بل كلها ثغرات، هذه مشكلتهم"

و هنا لا بدّ لنا أن نتعرّف قليلاً على (هـ ج ويلز) لأنه أحد أقطاب قصّتنا، وُلد ويلز عندما كان عمر (جول فيرن) ٣٦ عامًا، ويقول أدقّ عندما كتب فيرن قصّته الشهيرة (من الأرض إلى القمر). كان ويلز من أسرة فقيرة وكان واهن الصحة دائماً ولم يعيش أية طفولة كالتي نعرفها، ممّا اضطره إلى الهروب إلى عالم القراءة و الكتابة، وأصبح صحفياً ثمّ كاتباً. ويعرّف عشاق الأدب الفارق بين فيرن وويلز جيّداً، فويلز أعمق وأقرب إلى الفلسفة، أمّا ويلز أدقّ وأخطأه نادرة أو معدومة.

أظهر (ويلز) اعتراضاته على نظريات و أفكار (جول فيرن) و دحضها بما يعتبره دليلاً قاطعاً، ووصف العلم الفرنسي أنه خيالي و رومنسي، أمّا هو لا يعترف إلا بالحقائق. و هكذا استدرجته عبير بالكلام و سمعت منه اقتراحاته لتحسين نظرية (فيرن) ثمّ سألته: "أحسب أنكم أعددت تريباً أفضل؟". نهض و قال: "أفضل بكثير و الفضل لعبقرية (كيفور) ولو تبعنا إلى الغرفة المجاورة لفهمت أكثر". و قرّرت عبير بالطبع أن تتبعه.

كرة عملاقة من الزجاج تتوسط كرة عملاقة من الصلب. دارت عبير حول الكرة مبهورة، في حين صرّخ كيفور في ثلاثة مساعدين فهرعوا يضعون شيئاً كالسلم يقود إلى باب الكرة، و سعدت عبير و نظرت إلى الداخل. ثمّ سألت: "كيف سيظير هذا الشيء؟" و أتاها الجواب سريعاً واثقاً: "سيظير بفضل مادة الكافوريت" و عندما سألت عبير عن هذه المادة تحاشوا الإجابة بتحفظ وقالوا أنها سر الموضوع كله، ثمّ أروها تجربة عملية للتحليق بفضل الكافوريت.

في طريق العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية راحت عبير تتأمل جوانب هذه المغامرة التي صارت فيها المحاولتان متزامنتين، وهي على علاقه مباشرة بهما، ومن العسير التنبؤ بشيء. وهكذا كتبت (هازل) مقالاً ساخناً في الجريدة التي تعمل بها. وكانت جالسة في مكتبها تقرأ المقال مستمتعةً بذلك الشعور الذي يراود من يرى كلماته مطبوعة للمرة الأولى، حين دخل أحدهم ليدعوها إلى مكتب رئيس التحرير. دخلت إلى

مكتب المستر (هيرد فورد) الذي قال: "إن هذا مثير، مثير حقًا. أريدُ أن أعرف انطباعاتك، هل من الممكن أن ينجح أحدهما؟ أجابت: "ربما نجح كلاهما".

قال وهو يطوي الجريدة: "هناك إعلان أنوي نشره غدًا، سنجعل يوم الانطلاق واحدًا لكلا الرجلين!" فقالت في كياسة: "ربما كان هذا عسيرًا، وربما كانت لدى كل منهما اعتباراته العلمية الخاصة بساعة البدء" فقال: "وهنا يجيء دور المكافأة المالية التي لا تُرفض، هذا هو العرض الذي لا يمكنهم رُدُّه".

سألت عبير: "وما هي الترتيبات لسباق كهذا؟" فأجاب: "سنرسل مراقبين إلى إنجلترا ومراقبين إلى بالتيامور، وحين يجيء الوقت الذي سيتم الاتفاق عليه تنطلق المركبتان نحو القمر" فكرت عبير في مدى صعوبة متابعة حدث كهذا في عصر لم يكن فيه تليفزيون ولا أقمار صناعية، وأومات برأسها، هنا سألها رئيس التحرير: "أية مركبة ستختارين للسفر؟!"

وقفت عبير في ردهة نادي السلاح شبه الخالية، سمعت صوتًا من وراءها فلم تلتفت، تك تك، قالت دون أن تنظر إليه: "إنهم يتوقعون مني ركوب هذين الشيعين" قال المرشد في برودة الثلج: "لا أحد يستطيع إرغامك على شيء، لكنك ستقبلين" صاحت في ضيق: "هذه هي المشكلة! لا أحد يرغمني سواي" سألها: "وهل قررت التجربة على طريقة (فيرن) أم على طريقة (ويلز)؟" قالت: "لا أدري" فابتسم المرشد ابتسامة سمجة وقال: "تلك هي المفاجأة يا عزيزتي، لسوف تكونين في التجريتين معًا" قالت في حنق: "يا سلام! وأيهما ستكون أنا؟!" فقال: "أنت الاثنان معًا يا عزيزتي"

بدأوا يدخلون الكبسولة، (باربيكان) و(نيكولا) و(آردان) و(عبير). كانت الكبسولة مبطنة من الداخل بالإسفنج، وسمعت (عبير) صوت الباب ينغلق. بدأت الاهتزازات كل شيء يهتئ ويترجج، ثم سمعوا صوت صدمة تحت أقدامهم فأدركوا أن الكبسولة بلغت قاع المدفع. واتجهت المستر (ماستون) الذي يُعتبر من أبرز أعضاء نادي السلاح إلى الكوخ الذي يبعد ميلًا عن الموقع، فلاحقته عدسات الكاميرا قائلاً: "حقًا لا أحب ما أفعله، إن هناك احتمالًا أن أصير مسؤولًا عن موت أربعة أبرياء" وأخذ

شهيقًا عميقًا وضغط الزر، بعدها حدثت فوضى على الشاشة وسقطت الكاميرا وانقطع الإرسال.

اهتزت مدينة (تامبا) بفعل الانفجار الرهيب، فقد انطلق المدفع. و في الكبسولة، حين أفاق الجميع من غشيتهم وجدوا الدماء تغمر أكثر الوجوه، و راح آردان يساعدهم على النهوض. كانت عبير تشعر بأن ورشة حدادة تعمل داخل رأسها المسكين، وقال باريكان: "ماذا جرى؟ هل انطلقنا؟" واتّجه إلى أحد النوافذ وفتحها، واستطاع أن يرى الظلام الدامس، كانّ الجواب واضحًا، إن النجوم ترصع السماء في الخارج.

وفي إنجلترا كان (ه ج ويلز) جالسًا في مقعده الوثير يقرأ ما كتبه (جول فيرن) عندما قال في غيظ: "النصاب الفرنسي فيرن، إنه يزعم أن أبطاله لم يتحولوا إلى كفتة لحظة إطلاق الصاروخ! هذا تلفيق واضح!"

كانت عبير الأخرى قد ركبت كرة الكافوريت مع الفريق الإنجليزي. حيثُ انزلق (كيفور) أولًا إلى داخل الكرة، ثم (بدفورد) ثم جاء دور عبير، ولم تكن الكرة مريحة من الداخل كما كانت الكبسولة. قال (كيفور): "هيّا بنا".

وسمعت عبير في الظلام صوت قرقرة، ثم شعرت برأسها يتأرجح فوق كتفها، لقد طار جسدها ليحلّق في الهواء، وراحت تهتز، ونظرت فوجدت الجميع يطير من حولها. قال (كيفور): "حاولي أن تسترخي" وبعد قليل صارت قادرة على التحكم في جسدها. في كرة الفضاء الإنجليزية بدا واضحًا أنّ نجاح الإنجليز مؤكّد، وقد استطاع أحد المراصد الأرضية العملاقة أن يرى منظر الكرة التي تهبط ببطء في مجال جاذبية القمر. قالت عبير وهي ترمق القمر المشوّه: "لقد كان الشعراء حمقى!" فقال (كيفور): "لا بدّ من الابتعاد عن الشيء ليبدو جميلًا" نظرت عبير لأعلى وارتجفت، إنها الأرض، هذه الأرض حيثُ ماضيها وابنتها وزوجها وأسرّتها وذكرياتها، القرص العملاق الذي يتوهج بالضوء. أعاد (بدفورد) إغلاق النافذة وشعرت (عبير) من جديد بتلك الخفة التي ألفتها، إنها تتحرّك وتحمل وزنها بسلاسة وسهولة. بعد ساعات صار القمر قريبًا جدًا. فبدأ

(كيفور) و(بدفورد) بعملية الفرملة ليستطيعوا إبطاء هبوط المركبة السريع. أخيراً أدركت أنهم قد تدرجوا فوق جبال القمر، وأدركت أنها ترى الثلوج تتناثر من خلال زجاج النافذة.

سألت (كيفور) وهي تنتفض: "ما كل هذا البرد والظلام؟ فأجابها: إنَّ الشمس لم تشرق بعد، ومن دونها يستحيل أن نرى ما حولنا".

أشرقت الشمس ومعها التمتع صخور القمر في مشهدٍ بديع. قال (كيفور) بعدما استقرَّ الجميعُ على أقدامهم: "الآن حان الوقت لنخرج ونشاهد ما هناك".

فتح (كيبور) الباب في حذر، يبدو أن هناك نسبة أكسجين، أشعلَ عودًا من القناب ومدّه إلى الخارج فتوهجَ اللهب. كانَ الدليل دافعًا، وغادرَ الثلاثة الكرة.

صاح (جول فيرن) وهو جالس في مكتبه يطالعُ القصّة على ضوء مصباح الكيروسين الأنيق: "نصاب! ويلز النصاب كتب أنّ القمر له غلاف هوائي وبالتالي يوجد أكسجين. كنت متوقعًا السوء، لكن ليس إلى هذا الحد!"

وثب (كيفور) و(بدفورد) و(عبير) إلى الهضبة الرمادية، وصاح بدفورد ضاحكًا: "لقد فعلناها! إن القمر لنا" وأخرج من حقيبته علمًا وناولهُ كيفور الذي سرعان ما غرسه ليكون علامة استعمارية واضحة بأنّ القمر بما عليه قد صار من أملاك صاحبة الجلالة. دارَ الثلاثة على القمر، نظروا إليه ورأوه ممتدًا بلا نهاية، وهنا اكتشفوا أنهم لم يعودوا يروا الكرة! بدأوا في البحث عنها بلا جدوى، وبعدَ حين صاحت (عبير): "أستطيع أن أرى العلم يا سيدي، هذا معناه أننا دنونا جدًّا" وأشارت إلى الأفق نحو الغرب، وحين رفعتَ عينيها لأعلى صاحت تنادي (كيفور): "سيدي! هذا ليس علم صاحبة الجلالة، إنّ عليه ألوانًا ثلاثة، يبدو أن هذا علم فرنسا!"

من مكان ما بين الصخور ظهرَ (باريكان) ومن خلفه جاء (آردان) ثمَّ هبطَ (نيكولا) من الكبسولة، وتصلّب لدى مرآهم مذهولين. لم تكن معهم عبير الأخرى، وهذا منطقيّ الآن فقد اتحدَّ الفريقان. صاح (باريكان) في ذهول: "إذن لقد نجحتم ولم تهلكوا" وصاح (آردان) بلهجته شبه الفرنسية: "وكيف تمشون من دون أكسجين؟" فقال

(نيكولا) في سخرية: "سهل جدًا، إنهم إنجليز لا حاجة لديهم لأشياء كهذه!" وقال (كيفور) "كاتبكم يا سادة يلقُّ الأحداث تليفًا" فأجابه "وكاتبكم جعل هواء القمر مليئًا بالأكسجين"

قال (نيكولا): "لننسى الخلافات، ما يهمنا هو أن خطوة كبرى قد تحققت اليوم لبني الإنسان" فقال (باريكان) في حماسة: "دعنا الآن نرى كرتكم هذه، إن الفضول يغمري" فأجابه: "ضاعت!" بلل (باريكان) شفته السفلى بلسانه وقال: "أعتقد أنكم في مأزق مخيف، إن كبسولتنا لا تتحمل أي زيادة في العدد" فصاح: "لا تقل أنكم تريدون تركنا هنا!" فردّ: "سنترككم بالفعل، لكننا سنرسلُ إليكم قذيفة أخرى على الفور"

صعدَ الرجال إلى الكبسولة ليروها من الداخل، على حين وقفت عبير مع كيفور في الخارج يرمقون الصحراء الكثبية، لم يبدُ كيفور مرتاحًا ونظرَ لأعلى ليتأكد أن الرجال داخل الكبسولة وقال: "سيقال أن الإنجليز صعدوا إلى القمر وفشلوا في العودة، وأن الفرنسيين والأمريكيين قد أنقذونا، أو حاولوا ذلك لكنهم فشلوا وهلكنا نحن!" نظرت في عينيه العجوزين وتساءلت: "فيما تفكر بالضبط يا سيدي؟" فأجابه: "علينا أن نستولي على هذه الكبسولة"

قالت وهي تتراجع للوراء: "بروفيسور، أنت عالم ولست قاطع طريق" وخطر لها أنّ قصة الخيال العلمي تنحرف إلى منعطفٍ دموي. وفي هذه اللحظة برز (نيكولا) من باب الكبسولة، كان قوي البنيان برغم قصر قامته. وتساءلت كيف يحلم كيفور العجوز وبدفورد الشاب الناعم بهزيمة هؤلاء المحاربين القدامى!

سأل (باريكان): "متى تنوون الرحيل؟" فأجاب: "بعد ساعتين من الآن". فقالت عبير بلهجة عارضة لا توحى بشيء: "أقترح أن تبقوا في الكبسولة حتى لحظة الانطلاق، فلا تضلوا الطريق مثلنا". وقال (باريكان) ناصحًا: "يمكنك المجيء معنا، لقد كنت معنا من اللحظة الأولى" فأجابت: "و أتركُ كيفور وبدفورد بعدما جئت معهما أيضًا، لا شكرًا" أحست برغم كل شيء بالحسد لهم، سينجحون في العودة بالتأكيد.

وفي هذه اللحظة ظهرَ (كيفور) وكان قد اختفى بعض الوقت حاملاً في يده مسدساً عتيق الطراز، وقال ويده ترتجفُ انفعالاً: "سأكونُ شاكراً لو شرحتم لنا كيف يقلع هذا الشيء"

وأدرکت عبير أن (باريكان) لن يخضع بسهولة و(كيفور) عالمٌ مجنون يحملُ مسدساً، وما نتيجة مواجهة كهذه؟ وبدأ المرح والمرج وبدأ تبادل اللكمات والوثب على أعناق بعضهم البعض، قالت (عبير) وهي تنظر إلى ما وراء هؤلاء السادة: "أكرهُ أن أكون كالغراب، لكن أين ذهبت الكبسولة؟!"

صاحَ باريكان: "ما معنى هذا؟ نحنُ لم نبتعد إلا أربعة أمتار وانشغلنا بالشجار" قالت عبير: "خُيِّلَ إليّ للحملة أن شيئاً قد جذبها للأسفل" تصلَّب الرجالُ مذعورين، وقال آردان في تصميم: "يجب أن نعرف ماذا يوجد تحت هذه القشرة" في حين بدأت الشمس تغيب وبدأ الظلام والبرد يغشيان كل شيء. لف (نيكولا) الحبل حول خصره وبدأ (آردان) ينزلق عبر الفوهة حتى غاب رأسه. وجاءَ صوته عميقاً: "المشهد هنا لا يُصدّق"

هبطت عبير إلى داخل الحفرة، يا له من مشهد، يفوق كل ما تصوَّره ويلز وفيرن. كانت الأضواء في كل مكان، فسفورية ومُبهرة، كانت ترسم حدود مدينة غريبة، وكانت هناك طائرات مضيئة. نظرت لأعلى فرأت أشياء كالمصاعد المتحرّكة، كلها تتجه لأعلى السماء. بالإضافة إلى بعض النقوش التي نسختها عبير على ورقة، وعندما خرجت عرضتها عليهم، فقال (كيفور) هذه لغة الناكال، هذه لغة القارة المفقودة منذ مئة و عشرين قرناً، لغة قارة (ميو). "هل يفسح لنا هذا المجال لاقتراح جريء: لما لا يكون القمر هو قارة (ميو) ذاتها، ويكون سكانها قد تعلموا مع الوقت كيف يعيشون في باطن القمر ليتفادوا الشهب.

كان البرد يمزقهم الآن، البرد والجوع والظلام، عندها تكلمَ (بدفورد): "ماذا عسانا نفعل الآن؟"

سمعت عبير صوت تكتكة القلم، فاستدارت لتجد المرشد قادمًا، قالت في لهفة: "ما هي خطتك بالنسبة لهؤلاء السادة؟" أجاب: "سيتولون أمورهم بأنفسهم، أعتقد أنه لا مفر لهم من الإستسلام لحضارة ميو". وقالت للمرشد وهي تلحق به فوق الثلوج: إنهما قصتان رائعتان، لقد كان ويلز وفيرن بارعين حقا، إنهما اثنان من السحرة وهذه الأفكار كانت جديدة كل الجدة في عصريهما. ومن بعيد، في الأفق المظلم، رأت كبسولةً تهبُّ ببطءٍ بين جبال القمر، فسألته: "ما هذا؟" فأجاب: "هذه أبوللو ١١ قادمة وعليها روادها الثلاثة، سيكون نيل أرمسترونج أول رجل يضع قدمه على القمر".

من أجل طراودة

ضغطة واحدة على زر الإدخال ويتلاشى علمنا الحالي بمشاكله وخياناته، ضغطة واحدة وتجد عبير نفسها في عالم الخيال. قال لها المرشد في خبثٍ وهو يمدُّ يده ليعاونها على ركوب القطار: "أنا شديد الإعجاب بحزيمك البالغ مع مشاكل الحياة الواقعية!" أخيراً ترى أسوار مدينة، مدينة من الطراز القديم، وحول هذه الأسوار توجد خيام ومعدات حصار وجيوش جرارة. سألت المرشد وهي تحاول التخمين: "هذا المشهد من أيّة قصة بالضبط؟" فألقى نظرةً عابرةً من النافذة، ثم قال في لامبالاة: "آه هذا حصار الإغريق لطراودة" فكرت (عبير) قليلاً ثم سألت: "ما دوري هنا؟ يبدو عالماً رجولياً خشناً" ابتسم وقال: "كل شيءٍ ممكن، أحياناً كنت تتحولين إلى رجلٍ قوي، ولا تنسي أنّ هذه الحرب كلها قامت من أجل عيون فتاة واحدة" فسألته عبير في حماس: "من هذه المحظوظة؟" فأجاب المرشد: "إنّها هيلين". وحين توقّف القطار ونزلت منه أدركت أنّها لم تعد خارج طراودة، بل هي داخلها، وداخل قصر الحاكم نفسه.

كان أول وجه قابلته في القصر هو وجه العجوز الضرير الأحذب. "هوميروس! أيها الشحاذ القبيح، ألم تُمُت بعد؟! فردّ وهو يضرب الأرض بعصاه: "هيلين، أيتها الحسنة، نعم لم أمت، لأن الشعراء العظماء لا يموتون". سألته وهي تتجه الى أريكة: "ما هو دورك هنا بالضبط؟" فقال: "لو لم أكن أنا هنا، فمن سيكتب الإلياذة

والأوديسا؟" استرخت على الأريكة وسألت: "الإلياذة، ألسنت أنت كاتبها؟" فارتجف تقززًا وصاح: "بل هو الأحمق فيرجيل، أنا لا أكتب شعرًا بهذا السخف!"

وتعودُ بعير/هيلين الذاكرة إلى ذلك اليوم الأسود، عندما كان (باريس) ابن حاكم طروادة الرقيعُ النَّاعمُ يجلسُ في الليل طِ ويتأملُ، فما هي إلا ثوانٍ حتى هبطت عليه ثلاثٌ من ربّات (الأوليمب) وهنّ: (حيره) زوجة زيوس الخبيثة القوية، و(منيرفا) ربة الحكمة، و(أفروديت) ربة الجمال. كانت السيدات الثلاث يطلبن من (باريس) أن يكونَ حكمًا ويختار أجملهنّ. وراحت كلُّ واحدةٍ منهنّ تغمزُ بعينها وتعدّه بالسعادة المطلقة لو اختارها. فوجد نفسه في موقفٍ محرجٍ لكنّه بعدَ تردّدٍ قدّم التفاحة إلى أجملهن، وهي (أفروديت)، وهذا طبيعي لأنها التحفة والزهرة والجمال الخالص. وهكذا حصلت (أفروديت) على اللقب، وحصل هو على وعدٍ منها أن يتزوجَ أجمل امرأةٍ في الكون. ولكن، من هي أجمل امرأةٍ في الكون؟

بالطبع هيلين، التي يجلب جمالها المتاعب عليها أينما ذهبت. فقد خطفها (ثيديوس) في شبابه كي يتزوجها، لكن أخويها الشجاعين (كاستر) و(بولوكس) أنقذها منه. وبعد هذا وجدَ أخوها أنه من الأفضل أن تتزوجَ رجلًا يحميها، وهكذا صارت زوجة (منيلوس) ملك (إسبرطة). وهي أجمل امرأةٍ في الكون، إذن لقد صارت القصة واضحة المعالم.

أولاً يصلُ (باريس) إلى إسبرطة سائحًا. ثانيًا يستقبله الملك (منيلوس) بحفاوة باعتباره ابن الملك ويستضيفه في قصره. ثالثًا ينظرُ (باريس) نظرةً حاملةً إلى (هيلين) بالإضافة إلى سحر أفروديت القاتل. رابعًا تتدفقُ الكلمات من فمه كما يتدفق العسل، ويعدها بالمجد والسعادة. خامسًا يتمّ الفرار المهين تحت جنح الظلام. سادسًا وهو الجزء الأهم، يكتشف (منيلوس) الخيانة ويستشيطُ غضبًا ويصرخُ في رجال (إسبرطة) أن ملكهم قد أُهينَ، فيهبُ الإغريق ثائرين، وتطلقُ سفنهم قاصدةً طروادة، وهكذا كانت بدايةً حربٍ ضروس استمرّت عشرة أعوام.

صَحَّتْ (هيلين) من دوامة أفكارها المفجعة على صوتِ خطواتٍ، كانَ القادم هو (باريس) ومن فمه يسيل النبيذُ الطروادي الأحمر. صاحَت في غضب: "لقد استمَرَّتْ هذه الحرب سبعة سنوات، ما زالَ كلُّ شيءٍ ممكنًا، لقد جعلني السحرُ أميلُ إليك، لكنّه قد زالَ الآن! افتح الأسوار واسمخ لي بالخروج إلى قومي" أطلقَ باريس ضحكةً هستيريةً وقال: "فات الأوان يا صغيرة، إن هؤلاء الإغريق الواقفين خارج الأسوار لن يرضوا بشيءٍ سوى الدم". نظرت له عبير في غلٍّ ثمَّ غادرت المخدع.

اتَّجَهَتْ إلى سور طروادة العظيم، ووقفت ترتبُ ساحةَ المعركة، رأت محاربًا طرواديًا عملاقًا يتقدم في تَوَدَّة. إنه (هكتور) ابن (بريام) الأكبر وأعظم محاربي طروادة، وهو الذي استطاع دحر الإغريق عن المدينة تسعة أعوام كاملة. إنه أخو (باريس) وهو غيرُ فخورٍ بأخيه على الإطلاق، لكنّه يخوضُ هذه الحرب مضطرًا.

الآن يقفُ (هكتور) في مواجهة الإغريق، ويصيحُ: "إنني أدعو أشجعكم وأقواكم إلى المبارزة". وكانَ الإغريق حائرين خائفين وبدا واضحًا أنهم يعرفون أنّ من يقبل هذا التحدي لن يعود لأهله أبدًا! حدثت ضوضاء بين الإغريق وفهمت عبير أنهم يُجرون قرعة لمعرفة من سوف يبارز هكتور، وبعدها ظهرَ البطلُ المنتظر. كانَ ضخمًا وقويًا، إنّه (أياس). وبدأت المبارزة بينهما واستمرَّ القتال إلى أن صارت الشمس عند الأفق وقد توارى ثلاثة أرباعها. هنا وثبَ رجلٌ يحملُ عصا بين البطلين وقال: "كفكما، إنّ الليل قد جاء، وقد كان قتالًا عنيدًا" فقالَ هكتور وهو يعيد سيفه لجرابه: "الحق أنّ أياس محاربٌ شجاعٌ شهيمٌ، وإنني أرى أن ننهي القتال الآن ونستأنفه غدًا".

عادت هيلين إلى مخدعها ورأت (باريس) مستلقيًا على الأريكة يغطُّ في النوم كالدب القطبي. ولا تدري متى انفتح بابُ المخدع، وإذ بصوتٍ هادئٍ رزين يقول: "لا تخافي يا هيلين، أنا (هرمز) إنهم يريدونك في (الأوليمب)!"

وهكذا تشبَّنت بصدرِ (هرمز) وبدأت رحلتها إلى (الأوليمب) وعندما وصلت قال لها (أبوللو): "أسرعي، إن زيوس في الداخل" فأسرعت الحُطى ومن خلفها (هرمز)، ووصلت إلى القاعة حيثُ كانت هناك منصةٌ عاليةٌ يجلسُ عليها (زيوس) بِلِحِيته المجددة

وعينيه الشرستين. وعن يسار (زيوس) كانت (فينوس) ومعها ابنها (كيوبيد)، وجوار زيوس كانت هناك رقعة تشبه رقعة شطرنج. قال لها (زيوس) بصوت رنان: "مرحبًا يا هيلين، لقد تأخرت" دنت منه شاعرةً بالرّهبة، فتناول أحد التمثالين من أمامه وقال: "إنني أحبُّ (أخيل) ذلك البطل الإغريقي الهمام" ثم وضع التمثال وتأمّل تماثلاً آخر وقال: "وهذا هكتور العظيم، بطل طروادة الذي تورط في حربٍ لم يردّها" ثم وضع التمثال وأشار إلى آخر قائلاً: "وهذا نسطور وديوميدوس وبارتلوكوس، كلهم أنبائي وأبطال لم تر الأرض لهم نظيرًا، وكلهم يخوضون حربًا من أجل باريس الفتى الرقيق و هيلين الفتاة الجميلة. قالت عبير مرتبكة: "لا أدري ما أقول، لكنّ جمالي ليس ذنب" فردّ زيوس في حزم: "لكن فرارك من زوجك هو ذنبك". وهنا تدخّلت (هيرا): "لم يكن ذنبها، لكنّه ذنب السحر، سحر (أفروديت) الذي أفقدها عقلها" فصاح (زيوس) بحزم: "لقد نشبت الحرب وانتهى الأمر، لكن علينا أن نحقن الدماء، وعليك يا هيلين أن تُنهي الحرب" فأجابت: "أتمنى ولكن كيف؟" قال زيوس ملوِّحًا بكفّه: "إن الإغريق لن يرضيهم شيء إلا الظفر بطروادة بعد حصار عشرة أعوام، اعتقد أن الحلّ الوحيد هو أن يسلم باريس نفسه للإغريق وليفعلوا به ما يريدون" شعرت عبير بدهشة وقالت: "لن يقبل، فهم سيحولونه إلى رماد، ولا ألومهم على هذا" وبيده الضخمة أطاح زيوس بعض التمثال المغروسة في الرمال وصاح: "كفانا هذا السخف" وهنا شعرت ب(هرمز) يجذب كمّها برفقٍ ففهمت أن المقابلة انتهت.

يوم جديد في الحرب، بدأ هذا اليوم بمشهدٍ دامٍ هو سيفٌ (هكتور) الذي أطاح بعنق (أياس) وسطه تهليل الطرواديين. أخذت عبير تفكّر بأخيل وهكتور، (أخيل) هو الوحيد القادر على فتح طروادة، و(هكتور) هو الوحيد القادر على منع هذا الفتح عشرة أعوام. فهل يلتقي الرجلان؟

لكن حصل ما لم يكن في الحسبان، حيث دار خلاف في صفوف الإغريقين أنفسهم بين (أخيل) و(أجاممنون) وقرّر أخيل الانعزال وحيدًا. وانتشر الخبر في صفوف الإغريق: "أخيل تخلى عنّا! لا يمكن أن نتصر من دون أخيل!" وهناك كان (أوديسيوس)

يحاول أن يبشّر الجنود بالنصر، وبأنّ الإغريق قادرون على النصر بأخيل أو بدونه، فقال: "ألا تذكرون العزّاف (كالكاس) الذي قال أننا سنحارب الطرواديين تسعة أعوام ونهزمهم في العاشر؟" وهكذا سُحِذت همم الإغريقين وعادت الحرب تضطرم في أوارها.

دخلت (هيلين) على زوجها (باريس) وهو جالس أمام المرأة يتبرّج، وقالت له بصوت كسير: "باريس.. لسوف يستمر هذا إلى الأبد، يجب أن نضع له حدًا، لماذا لا تذهب أنتَ لهم؟" فصاح: "هل جُنِنْتَ يا امرأة؟" فأجابت: "لم أجن، لكنهم سيظفرون بك على كل حال، حاول أن تخوضَ مبارزة شريفة مع (منيلوس)، مبارزة بين خصمين شجاعين، فرما يذكرك التاريخ بالخير على الأقل". عادَ يضعُ المساحيق على خديهِ وقال: "سأفكر في هذا.. أعدك"

كانت (هيلين) جالسةً في مخدعها تخطِّطُ مفرشًا عملاقًا تحكي عليه بالرسوم قصة صراع الإغريق والطرواديين، عندما جاءتها وصيفتها وقالت لها أن حماها (بريام) العجوز يريدُها أن تلحقَ به في الشرفة. وعندما وصلت قال لها: "تعالي ليري قومك الإغريق، للأسف أنا شيخ ولا اخوض القتال، فأتمنى لو عرفتني أسماء هؤلاء" أشارت إلى الساحة وبدأت تعرفه بهم، وهنا صاح فجأة رجل طروادي في الصفوف: "إن ابن ملكنا (باريس) لراغبٌ في مبارزة ملككم (منيلوس). فصاحت عبير بصوتٍ مبحوح: "يا للهول" بينما قال (بريام) في شيء من الرضا: "غريب، المرة الأولى التي يتصرف باريس فيها كالرجال.. برغم أن نتيجة القتال معروفة مسبقًا" وهكذا وقفت عبير ترمقُ آخرَ فصول المأساة.

وبدأ النزال الذي كانت فيه مشاهد مرعبة وفي المقابل كانت فيه مشاهد مضحكة، عندما جرّ منيلوس باريس من خوذته بينما راح الأخير يولول ويحاول التملّص بشكل مضحك، حتى أن الطرواديين أنفسهم انفجروا يضحكون. هنا قررت (فينوس) أن المزاح طال، وأن باريس لن ينتصر، لذا نزلت من (الأوليمب) وأطلقت نفخةً قويةً جعلت الفتى الناعم يختفي. وعبثًا راح منيلوس يحاول البحث عن باريس ولم يجده. شعر كثيرون بخيبة أمل مريرة، فوقف (أجاممنون) وصاح: "ربما لم يمت باريس لكنه هُزم، والآن عليكم أن تعيدوا لنا (هيلين) هكذا كان اتفاقنا"

هنا انطلق سهمٌ مجهول المصدر واستقرَّ في كتفِ منيلاوس، كانَ هذا خرقاً صارخاً لوقفِ إطلاقِ النار. وكما يمتزجُ الكحول بالماء امتزجَ الجيشان. ومن موضعها فوق الأسوار رأت عبير رجلاً يمشي وسط الميدان ولا يُقتل، إنه (مارس) المسؤول عن إشعال الحروب، وهو الآن في ذروة نشوته. ورأت عبير (فينوس) تمشي بدورها وسط الصفوف، وهي تشعلُ حماس الإغريقين للمزيد من القتال. وازداد الأمر سوءاً حين قرر (زيوس) شخصياً أن ينزلَ إلى ساحة المعركة. وراه المتحاربون يهبطُ من السماء محاطاً بالغيوم، فتصايحُ القوم: "زيوس نفسه يحارب مع الطرواديين! كيف لنا أن نواجه زيوس" كانت الصواعق تنهمرُ كالطرر وأرض الميدان صارت كمحركة الجثث، وصاح (هكتور) هيّا أيها الطرواديون، كدنا ندحرهم" وهكذا كان نزول زيوس إلى الميدان طريقة لوقف الحرب. واندحرَ الإغريقون مبتعدين عن أسوار المدينة. ارتجفت عبير وقالت "آخيل، لا أحد ينقذنا غير آخيل!"

لم تتردد كثيراً قبل اتخاذ قرارها، فدخلت إلى مخدعها ووضعت غطاءً على رأسها وغادرت القصر، فلم يحفل بها أحد. كانت تعرفُ وجهتها جيداً، إنه الشاطئ الشرقي بعيداً عن سفن الإغريق، هناك كان البطلُ آخيل جالساً. دنت منه كثيراً وكان الحزنُ مرسوماً على وجهه، وقالت له "جئت كي أنصحك بأن تنسَ خلافاتك مع أجامنون وترجعَ إلى قومك وتحارب معهم" فأجاب: "وما دخلك أنتِ بالأمر يا أماه؟" هنا نزعَت الغطاء عن وجهها فارتجفت آخيل وقال: (هيلين) هل هذه أنتِ؟! "وخرَّ على ركبته، فقالت له: "نعم أنا (هيلين) عُدت لقومك واهزم طروادة" وهنا لاح وفدٌ من الإغريق قادمٌ من بعيد وعلى رأسهم أوديسيوس، فنظرَ آخيل لعبير نظرة ذات معنى وقال: "في الغالب إنهم أتوا لنفس السبب الذي جئت أنتِ لأجله، وأرى من الحكمة أن تتواري" هزت رأسها وانسحبت، وعندها وصل سفراء النوايا الحسنة، كانوا يحملون هدايا ثمينة أرسلها أجامنون إلى قائده السابق آخيل، وقال أحدهم: "آخيل، إن الطرواديين يذبحوننا، وزيوس يحارب معهم" فقال: "إن صديقي السابق أجامنون يستحق هذا، إنه كاذب

ومناقق وجبان، وما عدتُ أطيعُ أن أحارب مع رجل كهذا" بعد هنيهة قال أوديسيوس مهمومًا: "إذن علينا أن نرحل" فأجابه آخيل: "كما تشاؤون يا أصدقاء"

طلعت شمس الصباح وعادت الحرب إلى مجراها، وبرغم استبسال الإغريق لم تكن الأمور على ما يرام، فقد بانا بجلاء تام مدى انخياز زيوس إلى الطرواديين. وهنا سقط سهمٌ في عنق (ماكون) طبيب الإغريق، وهو أبرع أطبائهم، فأخذَ (نسطور) يجرُّ الجثة إلى الشاطئ، وعندما وصلَ إلى آخيل رأى المشهد الدامي وقال: "هل ثمة مشكلة؟" فاحمرَّ وجهه (نسطور) غضبًا وقال: "هذا إغريقيٌّ آخر لن يبيت في معسكر الإغريق الليلة" ثم التفت إلى (باتروكلوس) صديق آخيل العزيز الذي كان معه وقال: "ما دام صاحبك آخيل لن يحارب، فلتتقرض درعهُ وسيفهُ و تنضم إلينا، لعلَّ الطرواديين يحسبونك هو فيخافون"

وكان باتروكلوس وآخيل على الشاطئ يسمعان صوت الدماء المتفجرة، هنا فقط انفجرَ باتروكلوس قائلاً "رحمك يا آخيل، السهلُ هناك تغطّي بدماء قتلتنا وأنت جالسٌ هنا تأبى التدخل" نظرَ له آخيل ببرود وقال: "ماذا تريد؟" فقال: "إذا كنت تريد التدخل أريد أن تعطيني سلاحك وجنودك، وأقاتلُ أنا، لا أستطيع البقاء هنا بينما المذبحة تقترب من النهاية" مدَّ آخيل يده وناولهُ درعه الفضي وسيفه ذا المقبض الذهبي وخوذته، فهرغَ باتروكلوس إلى العربة الحربية واعتمَرَ الخوذة وأمسك الرمح وأمر الجنود كي يتبعوه.

"آخيل.. آخيل!" تصايح الإغريق والطرواديون عندما لمحوا الخوذة والسيف الذين لا تخطئهما العين، وبدا للجميع أن آخيل قد انتصرَ على حقه وغضبه من (أجاممنون). وانطلقت سهام (باتروكلوس) تجرُّ رؤوس الطرواديين، وهنا رأت عبير شخصًا مألوفًا يضيء كالشمس ويهبط من السماء، إنه أبوللو، كانَ غاضبًا لأن كفة الإغريقين أصبحت راجحة، وقرّر أن يدعمَ ظهر الطرواديين. مدَّ أبوللو يده وانتزعَ خوذة آخيل ليظهر رأس (باتروكلوس) وكانت هذه هي بالذات اللحظة التي وصلَ فيها هكتور بعد أن سمعَ أن آخيل قد عاد إلى الميدان، وعندما رأى هكتور باتروكلوس عاري الرأس دُهِش وضحك في سخرية وقال: "هذا هو آخيل! هذا مجرد طفل!" فثارَ باتروكلوس غضبًا

وانقضَّ على هكتور، ودارت مبارزة بينهما، ومات باتروكلوس. وكان هكتور غير مولع بالتمثيل بالجلث، لكنَّه كان مضطراً لاحترام التقاليد الإغريقية، فأبَّجَه إلى ساقبي (باتروكلوس) وربطَه إلى عربته الحربية. وفي الآن ذاته جرى عداءٌ إلى الشاطئ وصاح أَمَامَ آخيل: "باتروكلوس مات!" هنا خرَّ آخيل على ركبتيه منهاراً، لكنَّ العداءَ أكمل: "إنهم سيمثلون بجثته، عليك أن تسرع!" جاءَ آخيل يركضُ نحوَ الميدان، وهنا أدركَ الجميع أن هذا هو آخيل حقاً. انفضَّ الجميع ولم يبقَ إلا آخيل وجثة صديقه العزيز، وعلى ركبتيه جثا البطل آخيل يبكي صديقَ عمره الذي ذهبَ ليقاتلَ بدلاً منه. كانت الدموعُ تبللُ عينيه، لكنه تماسكَ ووضعَ الخوذةَ وتمنطقَ بالسيف، وذهبَ إلى (أجاممنون) وتعانقَ الرجلان.

فرغَت عبير من مشاهدة كل شيء، ودخلت إلى خدرها حيثُ كان الشاعر (هوميروس) العجوز جالساً ينعي (باتروكلوس) فقالت عبير: "أعتقدُ أن الحرب في عداد المنتهية الآن، لقد عاد آخيل" كفَّ هوميروس عن الإنشاد و قال: "من الخطأ اعتبار النجاح أو الفشل حكراً على وجود رجل واحد أو غيابه" وفي هذه اللحظة مرَّ بهما شبحٌ يتربَّح، فصاحت عبير بغضب: "ماذا يفعل هذا الحيوان هنا؟!" فقالَ هوميروس: "باريس لم يمت، لقد أخفَّته (فينوس) وسط الضباب وها هو هذا قد عادَ إلى القصر.

وكان اليوم التالي عسيرَ التصديق، لقد كفَّ (زيوس) عن محاربة الإغريق، ويبدو أن (هيرا) و(منيرفا) حالتا دون تدخله. وها هما آخيل وأجاممنون يتقدمان صفوف الإغريق، وكان سيف آخيل يهوي على الرؤوس فيطيرها. وكان مشهداً مهيباً أن ترَّ آخيل وأجاممنون ظهرًا لظهر يطلقان السهام بلا انقطاع. وفي النهاية صمتَ الجميع عندما وقفَ هكتور أمام آخيل. من الغريب ان البطلين لم يتواجهها قط خلال الحرب، فصاحَ آخيل: "لا أحد يقتلُ صديقي ويرى شمسَ يومٍ جديدٍ" فاندفعَ البطلان كصخرتين يتواجهان.

وهكذا انتقمَ آخيل لصديقه، وأردى هيكتور ميتاً، وظلَّ الإغريق ثلاثة أيام يحتفلون بهذا النصر بينما جثت هيكتور مُلقاة وسط الميدان. وكاد الأب العجوز (بريام) يُجن، وفي

النهاية خرج من الأسوار، وكان آخيل جالسًا عندما رفع عينيه ورأى (بريام) ملك الطرواديين العجوز قادمًا نحوه. وارتمى هذا العجوز على ركبتيه وقال: "جثة ابني، أريد جثة هكتور" هنا تصايح الإغريق رافضين، لكن آخيل رفع يده وقال: "أعطوه الجثة ليدفنها كما يليق ببطل" وفي المساء دخل باريس حجرة هيلين وسألها: "هل تحبيني؟" فأجابت: "لا" فقال "لكنك كنت تهمين بي حبًا وهربت من أجلي" فقالت: "كان هذا سحر فينوس، فقال لها: "وماذا تنتظرين؟" فأجابت: "أنتظر أن يدخل الإغريق طروادة ويقتلوك ويعيدوني لزوجي الأول" فهتف: "الن ينالوني حيًا، غدًا سأحارب ولسوف تصيبهم الدهشة" وفي صباح اليوم التالي وقف آخيل كالعادة وصاح: "إنني أتحداكم يا طرواديين، من يريد منزلة آخيل؟! " وهنا ظهر باريس وقال: "أنا لبيت نداءك" وبدأت مبارزة حاول فيها آخيل ألا يحارب، بل كان يكتفي بتحاشي طعنات باريس المجنونة، وهنا أطلق باريس سهمه على كعب آخيل، وسقط آخيل على ركبتيه ثم على وجهه وهمدت حركته. إن كعب آخيل هو الجزء الوحيد غير المنيع في جسده الذي غمرته أمه في نهر (ستيكس). وكان باريس قد عرف هذا السر. ساد صمت رهيب ثم دخل باريس القصر ووقف أمام هيلين وقال: "هل برهنت على أنني رجل؟ لقد قتلت آخيل الذي لا يُقهر"

ومن سخريّة أو ربّما دهاء القدر أن مات (باريس) بعد عدّة أيام عندما اخترق قلبه سهم أطلقه رجل طروادي أبرص. وفي الصباح التالي راح العداءون يركضون صائحين: "لقد رحل الإغريق" لم يصدق أحد وخرج القوم من بيوتهم ينظرون، فعلاً رحل الإغريق، وصاح صائح: إن الإغريق تركوا لنا هدية، تركوا لنا حصانًا خشبيًا. هنا ظهر بين القوم كهلاً ملتج، إنه (لاوكون) كاهن (بوسيدون) وقال: "ليس من دأب الإغريق أن يعطونا الهدايا، وقديمًا قيل: احترس من الإغريقي حين يجلب لك الهدية" لكن لم يبال أحد بتحذيره. وفي النهاية دخل الحصان إلى طروادة. وسألت عبير هوميروس: "ماذا عن الحصان؟" فأجاب: "إنه خدعة طبعًا، إنه مليء بالجنود الإغريق ينتظرون مجيء الليل كي يخرجوا ويدمروا طروادة" وظلت عبير واقفة في ساحة المعركة ولم تنم. وفي الليل انفتح باب خشبي خفي في بطن الحصان، ووثب الجنود الإغريق، وهنا ركضت (هيلين) إلى القصر

وسدّت أذنيها، لكنّ صرخات الرجال والنساء ظلّت تصلُ إليها، وخرجت إلى الشرفة و رأت طروادة قد تحولت إلى كتلة من الرماد المشتعل. استمرت أصوات المذبحة (وعبير) تتمنّى لو ينقذها أحدٌ من هذا كله.

سمعت صوت القلم الجاف (يتكتك) ثم ظهر المرشد وقال لها: "لقد سقطت طروادة حان وقت الرحيل" فقالت: "حقًا! لكنّ القصة ما زالت مبتورة" فقال لها "سأقدّم لك خدمة ولحكي لك مصير أبطال الحرب:

(هيلين) يعيدها الإغريق إلى منيلاوس، ويعود الزوجان إلى الوطن ويعيشان حياةً هادئةً سعيدةً ويُرزقان بطفلةٍ واحدةٍ هي هرميون. أما أجامنون يعود لوطنه ويقدم له جيشه أميرةً طرواديةً أسيرة هي (كساندرا) فيثير غضب زوجته وتقتله في الحمام، وبعد عدة أعوام يكبر ابنه وينتقم لأبيه. أما أوديسيوس البطل الإغريقي العظيم، يعتزم العودة لوطنه وزوجته، لكنه يضلُّ طريقه في البحر المتوسط ويغيب عشرة أعوام كاملة. أما (هوميروس) فبرغم الجدل حول شخصيته إلا أنه الأب الروحي للأدب اليوناني، ولا نعرف الحقيقة أبدًا هل وُجد هوميروس أم لم يوجد، لكنّ حرب طروادة حدثت فعلاً.

عودة محارب

لقد حاولت عبير تجنّب هذه المواجهة لثلاثة أيام، لكنّها في النهاية قالت لشريف: "لقد وجدتُ خطابًا في جيبك" وهنا تذكّرت أنّها كانت حمقاء حين أعادت الخطاب لجيبه ولم تحتفظ به. لكنه قال: "أنا لا أعرف عن اي خطابٍ تتحدثين" فقالت: "إنّهُ خطاب رانية" فأجاب في عنادٍ: "أنا أكزّر، لا أعرف واحدة بهذا الاسم". وقصّت - كما تتوقعون - أسودَ يومٍ في حياتها. إنّها الآن ترى رانية هذه بعين الخيال، وبدأت تتذكر ما وردَ في خطابها، أنّ لها نفس عالم زوجها ونفس مهنته. وهكذا بدأت تفكّر أنه من الضروري أن تتأكد أنه لا يوجد موظفة اسمها رانية في العمل مع زوجها شريف. فتركت طفلتها مع المريية ودخلت القاعة الفاخرة حيث السكرتيرة الحسنة التي سألتها عن ماذا تريد، فقالت لها بصوت مبحوح: "الآنسة رانية، أنا قريبتها، هل هي هنا؟"

مدّت السكرتيرة يدها إلى أزرار الهاتف. إذن، هناك رانية بالفعل وشريف كاذب. دعت السكرتيرة رانية للحضور بحجة أنّ قريبتها هنا، وبعد خمس دقائق دخلت المكان فتاةً وجدتها عبير أنها أجمل شيء رآته في حياتها. وهنا ادّعت عبير أنها أخطأت في اسم المكان وأنها تريد رانية أخرى وانطلقت كالسهم وهي تبكي. كان رأسها مغمماً بالأفكار، ماذا تفعل بالضبط؟ وضعت الأقطاب على رأسها وأغمضت عينيها، ستزور عالم فانتازيا كعادتها على سبيل التخفيف من الواقع.

كانت واقفة على التل ترمق الجزيرة مترامية الأطراف، قالت للمرشد وهي تتحسس شعرها الأشقر: "لم تبذل جهداً في سؤالي عن وجهتي، لقد اخترتها لي بالفعل" ابتسم وقال: "لا يمكن أن تعيشي الإلياذة دون أن تعيشي الأوديسة بعدها" فحاولت أن تتذكر وقالت: "قل لي ما هي بالضبط؟" فأجاب: إنها العودة الأسطورية لأوديسيوس إلى زوجته المحبة (بنيلوب) بعد انتهاء حرب طروادة. عشرة أعوام كاملة منذ رحيل زوجها إلى الحرب، وعرفت من العائدين أنه أبلى بلاءً حسناً وأنه هو صاحب فكرة حصان طروادة الخشبي. المشكلة الآن أنه لم يعد بعد، برغم انقضاء عامٍ كاملٍ على انتهاء المعركة، والمسافة لا تستحق كل هذا الوقت. فإذن أوديسيوس لن يعود، صار هذا مؤكداً، لكنّها لن تسمح لأحد هذه الغيلان بأن يصير سيد قصره من بعده.

دخلت إلى القصر وكان هوميروس العجوز بانتظارها، وجلست إلى المغزل وراحت تنسج. إن الحلّ الوحيد الذي وجدته (بنيلوب) للفرار من خُطابها هو أن تطلب منهم أن يمهلوا إلى أن تنتهي من نسج كفنٍ لأبيها الشيخ. وهكذا راحت تنسج ببطءٍ شديد، وفي كل ليلة تنقض ما نسجت في النهار. هنا دخل ابنها (تيلماك) حائناً غاضباً وقال: "أمّاه، لم أعد أحمّل كلّ هؤلاء الأوغاد، لن يعود أبي، لن يعود أوديسيوس العظيم" فقال له هوميروس: "اصبر يا (تيلماك) يا ابن بطل اليونان، كلّ العرّافين قالوا أنه

حي وأنه سيعود" فصاح الفتى باشمزاز: "اخرس يا شاعر الشؤم، سوف أعلم هؤلاء الرعاع عن الشرف"^١

فجأة سمعت ضوضاء غير معهودة وصاح صائح: قد عاد أوديسيوس يا بنيلوب، عاد زوجك" وكان أوديسيوس قادمًا من بعيد، وقد رسمت حرب العشرة أعوام خطوطها على ملامحه، لكنه كان يضحك فاتحًا ذراعيه، وعانقها في حرارة، ثم أحاط بذراعه القوية كتفها وكتف ابنه. وهكذا بدأ الناس يحتفلون به، وتجمعت أهالي الجزيرة، فمالت عبير على أذن أوديسيوس وهمست: "لا تتحمس لهؤلاء الخنازير، سوف أحكي لك بعض الأمور عنهم حين ندخل القصر" وعندما دخلوا جلس في صدر القاعة وجلست عبير جواره وكان هوميروس قد لحق بهما إلى الداخل وقال له: "كيف عدت بهذه السرعة؟!" فنظر أوديسيوس إلى العجوز بدهشة وقال: "لم أعد بسرعة، بل تأخرت كثيرًا، لقد حدثت عاصفة وكانت سبب التأخير" فأردف هوميروس: "لكن كان من المفترض أن تتأخر عشر سنوات، وبعودتك نسفت الملحمة من أساسها" فنظر أوديسيوس إلى الشاعر المجنون وانفجر يضحك. فقال هوميروس: "لا ملحمة من دون معاناة، أنت تخليت عن الخلود من أجل أن تعود" فصاح أوديسيوس في غيظ: "لم أتخل عن شيء، لم تعرض علي المغامرة كي أرفضها" فأردف: "يجب أن تر الأهوال في رحلة العودة وتعود محطماً منها" محطماً منها

فرغ أوديسيوس أخيراً من وجبته وتحسس معدته المفعمة، وعندما بقي وحيداً مع عبير قالت له: "أمل ألا أثير غيظك، لكن هؤلاء الرجال بالخارج لم يأتوا كي يحموني بل جاؤوا لطلب يدي" فقال وهو يتشاءب: "كانوا يحسبونني ميتاً يا ملاكي" فقالت في غيظ: "ألا تجد في هذا نوعاً من تدنيس حرمة دارك؟" أجاب بلا مبالاة: "بلى، لكن هذا انتهى الآن لقد عدت ولن يضايقك أحد ثانية" قالت في ضيق: "غريب هذا! من المفترض أن تقتلهم بقوسك الجبار واحداً واحداً" فغضب وقال "لو سمعتُ حرفاً ثانياً

^١ - عودة محارب، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٣٧

عما يُفترَض لسوفٍ أعودُ أدراجي" وسرعانَ ما تعالَى شخيره وجلست عبير ترمقه غير مصدقة.

أين أوديسيوس العظيم الذي خلّدتهُ الأشعار؟ ليسَ هوَ هذا الرجل الكسول الذي راحت الأيام تكسو جسدهُ دُهناً وشحمًا. سمعت صوت عكّاز يضربُ الأرض من وراءها فالتفتت لترى هوميروس الذي قال: "ما رأيك في هذا كله؟ فقالت: "مثل رأيك، أحيانًا يكونُ الأبطال مُحَبّطين" فكّر قليلاً ثمّ قالَ في حبت: "ما زالت جزر البحر المتوسط عامرة بالأهوال، والأبطال فقط هم من يبقون أحياء فيها" فقالت: "لا أفهم ما تتكلم عنه" ونظرت له في حيرة، لكنّها كانت بالفعل تفهم قصده. فقالت: "هل ستطلق على رحلتي اسم (العبيرية) فقالَ: "لا، بل (البنيلوية) ولسوف تكون أعظم ملحمة كتبها إنسان لأنها من بطولة امرأة. فكرت قليلاً ولم تجب.

وعندما صحا أوديسيوس من النوم أخبرتهُ أنا تريد الذهاب لحوض المغامرة في البحر و قالت: "هل ستأتي معي؟" فقالَ: "أنتِ مخبولةٌ تمامًا، لقد عدتُ من حربٍ ضروس، عجبًا للنساء" فقالت في ضيق: "حسنًا لن أطلب شيئًا خاصًا، ليكن ما يكون سأذهب لقطع رحلتي، وسأخذُ هوميروس معي، وكلّ ما أطلبُهُ سفينة وبعض الرجال. بالطبع سيكون عليها أن تقطع هذه الرحلة بالعكس، فأوديسيوس بدأها من طروادة، اما هي ستصل في النهاية إلى طروادة (الأناضول). ومن بعيد لاحت جزيرة كورفو الجميلة، فقالَ هوميروس: "إن دورَ أوديسيوس فيها أنهم يستضيفونه لدى عودته وتهميم به ابنه الملك إعجابًا. فكرت عبير: "إذن أوديسيوس كشريف، ولا بدّ أن ابنة الملك هذه تشبه رانية". وبعدَ أيام من الإبحار في البحر المتوسط وصلوا إلى مضيق جبل طارق، وراحت العواصف تهبُّ عنيفةً كاسحةً على السفينة، ولم تدر متى ولا كيف ارتفعت السفينة للمرة الأخيرة ثمّ انقلبت. إن الظلام قادمٌ، لكنّها لم تُمت، وحينَ أفاقت من غيبوبتها كانت ترى نور النهار حولها. وبدأت تبحثُ عن هوميروس، كان أشبه بقنديل

¹ - عودة محارب، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٥٠

² - المصدر السابق، ص ٦٨

بحرٍ ميت رماه الماء على الشاطئ، لكنه كان حيًّا. ومن بعيدٍ جاءتِ حسناء بمشهدٍ شبيهه بالحلم، وتصايح الرجال فاغري الأفواه: "حورية! هذه حورية" فقال لهم هوميروس: "طبعًا يا حمقى، فنحنُ في جزيرة الحورية (كاليبسو). وهنا استقبلتهم قائلةً: "مرحبًا بكم في جزيرة كاليبسو ثمَّ نظرتُ إلى عبير وقالت: "من أنتِ أيتها الحسنة؟" فقالت: "أنا بنيلوب زوجة أوديسيوس" هنا تبدَّل وجهُ الحورية وأشارت إلى حشدٍ من الجوارى كي يصطحبَ الرجال ويكرمنَ وفادتهم. وهنا همست عبير في أذن هوميروس: "كان من المفترض أن يعيش مع هذه سبع سنوات كاملة، لا بدَّ أنها أجبرته على ذلك" فردَّ هوميروس: "في البداية كان سعيدًا مستمتعًا، ثم بدأ يشاق إلى زوجته الحبيبة وابنه" ثمَّ دعتهم (كاليبسو) إلى قصرها، وعندما دخلوا كان جميع الرجال منتشين ذاهلين، وراحت كاليبسو ترشفُ من كأسها وهي ترمقُ عبير من خلال الزجاج. وهنا مالت عبير على هوميروس وهمست: "متى ستركنا هذه الأفعى نرحل؟" قال بغمٍ مليءٍ باللحم: "لا أراها أفعى، ولا أعتقد أنها تمانع لو رحلنا الآن، فنحنُ لا نمثّل لها بالتأكيد ما كان سيمثله أوديسيوس.

كانت هناك سفينةٌ واحدةٌ باقيةٌ لم تؤذها العاصفة، وكانت المشكلة الآن هي إقناع الرجال بالرحيل، الرجال هكذا، هم مجرد اطفال خائري العزيمة تسحرهم الأثني الفاتنة. لكنَّ الحل جاء بسهولة غير متوقعة، لقد كانت كاليبسو تمتلك مجوهرات نفيسة، وقد اختفى بعضها، وحنَّ جنون الحورية وراحت أصابع الشك تحومُ حولَ رجال عبير، وتمَّ تفتيشهم بقسوة ولم تجد شيئًا، وبعدها طردت الجميع طردًا مهينًا. وعندما أبحروا وقف هوميروس إلى جانب عبير وشعرَ بحركة عندما رمّت شيئًا في البحر، فسألها ما هو، فأجابت في لامبالاة: "لا شيء، مجرد لفافة بها بعض المجوهرات... لقد كانت هذه هي الطريقة الوحيدة كي نُطرد"

مضت أيام في البحر وبدؤوا يدنون من جزيرة كبيرة تنبعثُ منها أصواتُ ثغاء الغنم، إنها (صقلية) كما سيطلقُ عليها النَّاس يومًا ما، أما الآن فاسمها جزيرة الشمس. لقد كان البحارةُ غاضبينَ موشكين على التمرد على عبير وهوميروس، وهذا من حقهم لأنهم نُزعوا من جنة كاليبسو ويقطعون البحر الآن نحو هدفٍ مجهولٍ خطر.

لذلك أرادوا التوقف على هذه الجزيرة. لم تجِد عبير مفرًا من القبول، وهنا قال هوميروس: "اعلموا أن القطعان هنا كلها قطعان أبوللو نفسه، فإياكم أن تدبجوا أي شاة أو حروف" وعندما وصلوا انتهزَ الرجال فرصة نوم عبير وأخذوا عددًا من الخراف السمينة إلى طرف الجزيرة وذبحوها وأكلوها. وعندما رآهم هوميروس صاح "ماذا فعلتم يا مخابيل؟ أتأكلون^١ قطعان أبوللو!" وبدورها نهضت عبير وفهمت المأساة وشعرت بالخطر وقالت: "هيا، لم يعد من المستحب أن نبق هنا لحظة واحدة، لقد هدأت العاصفة، فلنسرع"

ولماذا هذه العاصفة؟ طبعًا كي يحسب هؤلاء الحمقى أنهم آمنين فيعودوا للبحر ثانية حيث ينتظرهم انتقام أبوللو. وبعد قليل هاجت الأمواج وهبت الرياح ورعدت الرعود وبرقت البروق. ومضى عليهم الليل في جحيم مستمر لكن المياه هدأت قليلًا في الصباح. وهكذا صعد هوميروس إلى السطح وسألهم: "ماذا أعددتُم للفطور؟" فنظر له الرجال في غيظ وقالوا: "لا يوجد ما يؤكل إلا الأخبار الطيبة، نعتقد أننا نجونا من غضب أبوللو" فأجاب هوميروس: "بل هو ساقنا إلى حيث بيد بالضبط" ثم دنا من أذن عبير وهمس في حذر: "نحن ندنو من مضيق (نسينا) فقالت "وما معنى هذا؟" فرد: "معناه أننا ندنو من (شילה) المخيفة وعين (كاريدي).

فيما بعد عرفت عبير ما غاب عنها، (شילה) هي وحش من وحوش الأساطير الإغريقية، تعيش في كهف داخل صخرة وسط البحر، لها ستة أعناق ويحمل كل عنق رأسًا سامّة الأسنان وتلتهم البحارة بتلذذ.

سالت عبير دليلها الكفيف: "ماذا عسانا نفعل يا هوميروس؟" فقال: "سنمرّ طبعًا من ناحية شילה" فسألته: "هل أنذر الرجال؟" فأجاب: "لا، لأنك ستسبب ذعرًا وتمردًا لا يمكن مقاومتهما" وقبل أن تناقشه أصدر تعليماته للبحارة. وهنا كان صوت عواء (شילה) يتعالى كئيبيًا مخيفًا ودنا الهول القادم. ورأى الرجال المشهد الرهيب فتصايحوا وتدافعوا. كان الكابوس يتكوّن من شطرين، فعلى اليمين ترى الأخت شילה بارزة من

¹ - عودة محارب، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٧٧

كهفها وأعناقها الستة تتلوى، وعلى اليسار ترى العين التي يفور ماؤها ثم يغور. فهتف البحارة: "لن نمرّ من هنا!" لكنّ أوان التراجع قد فات. وهكذا بدأت شيلا تغمض عينيها وتضغط على أسنانها وتختار فرائسها، وبدأت الصرخات المتوسّلة. وانتزعت ستة رجال لن يتناولوا طعام العشاء معهم، لأنهم هم صاروا العشاء لكائنٍ آخر.

وهنا صاح هوميروس قائلاً: "هيا لقد انتهى وقت المزاح، يجب علينا أن نذيب الشمع في آذان الرجال، لأن (السيرينات) ينتظرن عند جزيرتهن. فصاحت عبير في حنق: "عمّ تتكلم بالضبط؟! فقال وهو يضرب الأرض بعصاه الخشبية: "السيرينات هنّ عرائس البحر، وهنّ يجلسن على الصخور وينشدن أغنياتٍ ساحرة، وبهذا يلحق البحارة هذه النعمات ويبقى كلُّ بحارٍ على الشاطئ حتى يموت ويتحوّل إلى عظام" ثمّ صاح في البحارة: "ماذا تنتظرون يا حمقى، لتأتوا بالشمع" وعندما اقتربوا بدأ الصوت يصل إلى مسمع عبير. "أوديسيوس يا بطل، تعال أيها الحبيب و اصغ الى غنائنا" وواصلت عرائس البحر الإنشاد في حين أن البحارة واضعين الشمع في آذانهم. وعندما انتهى مرورهم بقرية تبادّل الرجال البسمات وانتزعوا الشمع. وهنا قال (هوميروس): "صبراً، لقد دنونا من كهف (تيسرس) وهناك ستأكلون كما تجبون" وابتسم ابتسامةً جانبيةً ساحرة لم يلحظها أحد.

وصلت السفينة أخيراً إلى جزيرة هادئة يُوحى منظرها بالجمال والسكينة، فقال هوميروس: "لو علموا ما ينتظرهم لفرّوا من هنا فرار الطّباء" فنظرت له عبير في غيظ وقالت: "لو كنت ترى الخطر داهماً إلى هذا الحدّ دعنا لا نرسو هنا" فأجاب: "أولاً أنتِ خرجت طلباً للخطر، ثانياً لن يقبل الرجال هذا لأنّ الأرض للبحارة كالماء للظمان" و هكذا نزل البحارة وقضوا ليلةً هادئةً لا بأس بها. وفي الصباح وقفت عبير تنظر إلى الجزيرة وخیل إليها أنها ترى دخاناً، فقررت تشكيل مجموعة من الرجال بقيادة (يوريكلاوس) لمعرفة سرّ هذه النار. وهكذا توجه الرجال وحملوا أسلحتهم، فوقفت عبير ترمقهم إذ يغيبون في الأفق. وبعد عدّة ساعات عاد (يوريكلاوس) وكان هائجاً يسعل ويهذي ويلطم خديّه. وعندما استطاع الكلام قال لهم: "كما اتفقنا ذهبنا أنا والرجال إلى

مصدر الدخان، فرأينا مكاناً يعجّ بالسباعِ والذئابِ والخنازير، كلها تعيش جنباً إلى جنب في سلام^١، وهناك كان قصرٌ تسيّس التي جلسّت تغزّل على النول، فرحبت بنا ودعتنا إلى الداخل. وعندما غادرتُ لقضاء حاجةٍ نظرتُ من النافذة فوجدتُ رفاقي يُمسّخون إلى خنازير! وهكذا استبدّ بي الهلع ورحتُ أجري حتى وصلتُ إلى هنا". راحت عبير تفكّر في عمق^٢، طبعاً ليسَ وارداً تركُ هؤلاء القوم لعذابهم الأبدي، إنهم أحياء في أجساد خنازير ويتمتعون بعقولهم. فانتزعتُ عبير سيفَ أحد الرجال وحملتُهُ وسألت هوميروس: "هل ستراقتني؟ لا إجبار هناك" فقال في حماس و شجاعة: "بالطبع لا، الأبطال يصنعون الأحداث أما الشعراء يتابعون ما يحدث ليكتبوا عنه فيما بعد" وهكذا اتّجهت عبير إلى الأفق مبتعدةً عن الرجال الذين راقبوها بصمت. وعندما وصلت إلى قصره تسيّس، رفعت الأخيرة وجهها عن النول وابتسمت وقالت: "طلباتك؟" أجابت عبير: "أنا حرم أوديسيوس" فردّت تسيّس: "آه المدام! أوديسيوس الذي لهج الأولمب بذكر بطولاته" ونهضت تدعو عبير إلى القصر الجميل، فقالت: لا وقتَ لدي لكي أضيّعه، أعيدي رجالي لحالمهم" تناولت الساحرة تسيّس كأساً من الذهب وهي تنظرُ لحدّ السيف البراق في يد عبير قائلة: "حقاً لا خطرٌ على امرأةٍ إلا امرأةٍ أخرى، ليكن، سأعيدهم إلى حالهم" ثمّ مدّت يدها إلى صدرها وأخرجت قنينة صغيرة وأشارت الى الجوّاري كي يجلبن الخنازير العشرين، وبرفقٍ راحت تمسّح بهذا الترياق على رؤوسهم، وراح البحارة يتحمّسون أجسادهم التي عادت إلى أصلها غير مصدقين. وعادت عبير معهم إلى الشاطئ، وهنا كان أسرع إقلاعٍ عرفه تاريخ السفن الشراعية.

كان هوميروس في أسوأ حالٍ، وراح يقضمُ اظافره وقال: "لقد انتهى المزاح وبدأ الهول" كادت عبير تلتهم حنجرته، في حين راح الرجال يطلبون النزول إلى الجزيرة التي وصلوا إليها للتزود بالماء والمؤن. فكثرت في الأمر قليلاً، من الواضح أن كل جزيرة في البحر المتوسط تحوي كارثة، وقررت أنه من الحكمة أن ينزل عددٌ فقط منهم، وخرجت

¹ - عودة محارب، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٧٧

² - المصدر السابق، ص ١١٢

مجموعةً من الرجال، وعندما عادوا حكوا لهم ا حدث: "لقد قابلنا عند مدخل المدينة ابنه الملك (أنتباتاس) التي أخذتنا إلى قصر أبيها، هؤلاء القوم حجمهم شبيه بالجبال، وأمسك الملك واحدًا منا من قدميه وهشّم رأسه على الحائط، فخرجنا من القصر جرياً" ونظرت إلى هوميروس الذي كانت شفّته تتحركان باستمرار، فأدركت أنه يقرض الشعر واصفًا هذه المذبحة، فقالت له في غيظ: "كَانَ بوسعك أن تنذرنا بكلماتٍ واضحةٍ بدلاً من كلامك الغامض" فأجاب: "الشعراء يكتفون بالتلميح".

وبعد أيامٍ من الإبحار ظهرت جزيرة الأيونيين في الأفق، سألت عبير الشاعر الكفيف: "هل توجد هنا وحوشٌ أو ساحرات؟" فأجاب: "لا إنها فرصة مناسبة للاسترخاء، لكن هناك خطرٌ لن أخبرك عنه، حتى لا أفسد المغامرة" وكانت أيامهم على هذه الجزيرة جميلةً، جلسَ فيها ملك الجزيرة يحكي عن قصصه ورحلاته، ثم قبلَ الرّحيل أهداهم قريةً كبيرةً من الجلد المدبوغ. طبعاً أنتم تتساءلون ماذا في تلك القرية، ظننتُ هذا واضحًا، فيها الرياح المعاكسة للبحارة في العالم كله، وقد حبسها زيوس في هذه القرية.

نامت عبير لكنّ البحارة لم يناموا، كانوا يتآمرون طيلة الليل، والسبب طبعاً تلك القرية التي ظنوا أنها مليئة بالكنوز والذهب. وما إن فكّ الحمقى الحبل الذي يربطها، حتى سمعوا صوتاً مزلزلاً وبدأت كل أنواع الرياح تتلاعب بهم. ونهضت عبير من النوم وصاحت: "ماذا فعلتم يا حمقى؟!!" وراح البحارة يتطايرون والسفينة تتقلقل، ومرّت عليهم ليلة سوداء، لكن السفينة ظلّت متماسكة حتى الصباح وفي النهاية هدأ البحر كأنما سئم من تلك اللعبة. نهضت عبير وبصقت الماء وراحت تضرب على بطن هوميروس وصدرة لتُخرج كل ما ابتلعه من ماء. وصاحت: "تبّاً لكم ولجشعكم، تارةً تذبجون خراف أبوللو وتارةً تفتحون^١ هذه القرية" وهنا قال هوميروس وهو يرتجف: "إن الجزء القادم هو أخطر أجزاء الملحمة"

¹ - عودة محارب، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٢٠

وعلى الشاطئ نامَ الجميع حتى الصباح، وعندما بزغت الشمس كانت هناك قطعان كبيرة من الماعز، وعلى الطرف الآخر وجدوا كهفًا منحوتًا في الصخر، فدخلوا إليه ووجدوا أنه يقود إلى ساحةٍ واسعةٍ مليئةٍ بالخراف والماعز، وكانت هناك تجهيزاتٌ توحى بأن المكان يُستخدم كمصنعٍ صغيرٍ لمنتجات الألبان. وهنا دوى رعدٌ وارتجفَ الجميع ودخلَ شيءٌ مهولٌ من فتحة الكوخ. مالت عبير على هوميروس وسألت: "هل لديك فكرة عن هذا؟" قال همسًا: "هذه أرض المردة (السيكلوب)، وكلّ منهم يملك عينًا واحدةً في رأسه. إنهم طُغاة يعيشون الفوضى، وكل منهم يعنى بنفسه وزوجه وقطعانه ولا يأبه بالباقيين.

كان السيكلوب الآن يسدُّ مدخل الكهف بحجر، ثم دخلَ وجلس يجلبُ أغنامه، ثم أشعلَ النار. وهنا عطسَ (هوميروس) العجوز، فأجال السيكلوب البصر حوله بعينه الواحدة، وعندما خرج (يوريكلاوس) وقال في تهذيب: "نحنُ بحارةٌ إغريق يا سيد سيكلوب، نحن رجال أوديسيوس العظيم الذي هزم طروادة" ويبدو أن الوحش كان يعرف أوديسيوس، فلم يقل شيئًا، وتناولَ رجلين من الرجال بيد واحدة وضربَ رأسيهما في جدار الكهف، ثم وضع الجثتين على الجمر. كانَ وقعُ هذا على الرجال وعبير لا يُصدق، فأخذوا يرمقون ما حدث في بلاهة، وبابُ الكهف مغلقٌ بحجر فلا أمل في انتهاز الفرصة والفرار. وفي الصباح الباكر نهضَ سيكلوب نشيطًا والتقطَ اثنين من البحارة ثم التهمهما وجرعَ اللبن. كانت عبير الآن تشعر بالغثيان، وقالت بصوت مبسوح: "إنه يأكلُ اثنين في كل وجبة، بهذا المعدل لن نلبثَ هنا أسبوعين"

كان هناك جذعُ شجرةٍ في أحد أركان الكهف، وكانت عبير تذكرُ شيئًا رآته في مجلّة، حيثُ كانَ خمسةُ رجالٍ يحملونَ وتدًا مدببًا ويثقبون به عين وحشٍ نائم. أمرتُ عبير القوم أن يتعاونوا معها. وفي المساء كان أول ما قام به السيكلوب طبعًا هو أن وضع العشاء على النار، هذانِ بحارانِ آخرانِ لن يشاركا في العملية القادمة. وبعدما فرغَ من

¹ _ عودة محارب ، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق ، ص ١٤٠

وجبتَه غطًّا في نومٍ عميقٍ فاستدارت عبير إلى الرجال وقالت "ليسَ هذا أوان التخاذل، ليذكر كلُّ منكم أنه قد يكون الإفطار في صباح الغد" فنهض خمسة رجال مترددين وحملوا الجذع الثقيل، وببطءٍ اتجهوا إلى عين السيكلوب النائم وانتظروا إشارة عبير، وعندما رفعت ذراعها غرسَ الرجال طرفَ الوتد في عينه، وانغرسَ الجذع المشتعل ودوى صوته وهو يخترقُ سوائل العين. بالطبع، فُتحت أبواب الجحيم وانفجرَ الدم ونهضَ الوحش يزار ويركل الأرض ويضرب الجدار، ثم تحسَّسَ حتى وجدَ الحجر فأزاحه وجلسَ عليه ونجح الرجال وعبير في التسلُّل جوار الوحش الغبي مفقوء العين، وراحوا يركضون مذعورين نحو سفينتهم.

وفي البحر هاجت العواصف وتوارت الشمس وكان السواد هو لون الأفق. وعندما وصلوا إلى شاطئ قال هوميروس: "هذه لوتوفاجي وهي التي سوف يطلق عليها الناس يومًا (ليبيا)" وهنا صاح أحد الرجال بغضبٍ: "لقد واجهنا الأخطار معك ومات الكثيرون ولم نزر بشيء!" عندها فطنت للحقيقة للمرة الأولى، إن أوديسيوس خاض مغامراته لأنه كان مرغماً على مواجهة ما واجهه، أنا هي تخوض المغامرة من أجل المغامرة، فكيف تقنع الرجال بهذا كله؟ وعندما نزلوا إلى الشاطئ رحَّب بهم الأهالي وقدموا لهم ورودًا وطلبوا منهم أن يأكلوها، وبدأ الرجال تدريجيًّا بفقد ذاكرتهم، فنظرت عبير وقالت: "من منكم لم يأكل الأزهار بعد؟! " رفع أكثرهم يده فصاحت: "إياكم أن تمسوها، علينا أن نعيد هؤلاء التعساء فاقدِي الذاكرة إلى السفينة معنا" كان هوميروس يقفُ بجوارها عندما رأت الرجال فاقدِي الذاكرة يرفضون العودة ويقولون أن هذا وطنهم وأنهم يريدون البقاء، لكن أصدقائهم حملوهم. فقالت متأملة: "قد يكون نسيان بعض الأمور نعمةً، ولو تركت هؤلاء الرجال لربما اختاروا البقاء، ولربما لاموني على إنقاذهم لكنني مسؤولة عنهم الآن وعليَّ إعادتهم، ما رأيك أنت؟" فنظرَ إليها هوميروس في غباء وقال: "رأي، ما معنى رأي؟" فنظرت له في دهشةٍ وفهمت على الفور، لقد أكلَ الأحقق من زهور اللوتس. استعادَ أكثر الرجال وعيهم في اليومين التاليين، إلا هوميروس الذي ظلَّ لا

يعرف من هو^١ ، حقًا إنها مصيبة، هل يمكن أن ينس كل الأشعار التي كتبها في حياته؟ تابعت السفينة الرحلة ووصلت إلى مدينةٍ محاطةٍ بالأسوار، إنها طروادة، نهاية ملحمتها الخاصة. وهنا هاجَّ الرجال وكانوا مصرّين على استعادة أجدادهم و نهب طروادة، فصاحت في عدم فهم: "لماذا؟ إن الحرب قد انتهت" وهنا سمعت صوتَ زنبرك القلم، كفى يا بنيلوب، دورك ينتهي هنا، فنظرت إلى المرشد وقالت: "البنلوية، أسطورتى الخاصة، هل سيذكرها هوميروس؟" فأجاب المرشد: "سيستعيدُ الذاكرة لكن بطريقته الخاصة، من الذي قتل السكيلوب يا هوميروس؟" فرفع رأسه وصاح: "من؟ طبعا أوديسيوس" فقال المرشد: "هل ترين؟" فصاحت في غيظ: "الوعد! بعد كل ما رأيته من عذاب! وماذا عن أوديسيوس؟" أجاب المرشد: "لن يتركه فيرجيل و دانتي في حاله، سيضعونه في مغامرة لاستكشاف مضيق جبل طارق وستكون آخر ملاحمه".

١٩١٩

قالت عبير وهما يمشيان باتجاه قطار (فانتازيا): "لو لم تكن فانتازيا لفقدت كل مبرر لي في الوجود" فقال لها المرشد وهو يداعبُ القلم بطريقته المعروفة: "لو لم تكوني أنت لما وجدت فانتازيا" فقالت: "ما زال شريف ينكر وجود رانية تلك، وما زال يعرف كيف يجعلني ألعب دور المجنونة الغيور" فقال لها: "أنت تخشين ما سيأتي، مع الحاجة إلى المواجهة، أليس كذلك؟" تنهدت ونظرت خارج نافذة القطار وقالت: "إن المرأة تدفع أحيانًا ثمنًا باهظًا مُقابل أن يكون لها بيتٌ وأطفال، هذا اعتراف مهين لكنك لست غريبًا، أنت جزء من عقلي" فقال لها: "أية قصة تريدان؟ هل تجربين حظك هنا اليوم؟" فأجابت: حسنًا لم لا.

الطرايشُ الحمراء في كل مكان، والهتاف يعلو: "نموت نموت ويحيا سعد" الجنودُ شقر الشعور زرق العيون يلبسون سراويل قصيرة، إنه الزي الرسمي للإنجليز في مستعمراتهم

¹ - عودة محارب ،سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٤٠

² - المصدر السابق، ص ١٥٠

الحاظة هنا، تنقلب عربات ترام، تسقط امرأة صارخة، يلوح آخر بعلم، وإنجليزي يطلق السباب. لكن المرشد يقف ثابتًا، فتسأله عبير: "ما هذا كله يا مرشد؟" فأجاب: "هذه ثورة ١٩١٩ ظننتُ هذا واضحًا، هذه أول ثورة حقيقية يقوم بها الشعب المصري" ضمت ياقة ثوبها كأنما البرد يمزقها وقالت راجفة: "هذا الزمن خطر" نظر لها في ضيق وقال: "نعم خطر لكنه شديد الأهمية، وهذه فرصة أخرى لتري الهلال والصليب يواجهان الرصاص معًا من أجل أن يرحل المستعمر" ثم اردف: "على كل حال أنت صاحبة الشأن، لو شئت أن نجرب شيئًا آخر..". فرفعت كفها تدعوه إلى التريث وقالت: "وما هو دوري هنا؟ هل سأكون واحدة من هاته المتظاهرات؟" فقال: "بل الصحفية الإنجليزية (دوروثي ثورنوايلد)" فحركت شفيتها محاولةً تلفظ الاسم: "دورو... ثي... ثو...". كيف يمكن حفظه؟! "وهنا صفررت رصاصةً بالقرب من رأسها فمال بعنقه إلى اليسار وقال: "هذا يبرز جانبًا آخرًا من الموضوع، الطريقة الوحيدة التي تحميك من رصاص الإنجليز هو أن تكوني إنجليزية، وأنا مسؤولٌ عن بقائك حيًا، مس (دوروثي) لقد وضعتك على الطريق الصحيح، أتمنى لك مغامرةً طيبة"

رحب بها السير (ريجينال وينجيت) وقال لها: "إنّ الصحف لا تصلنا بانتظام، لكنني مولعٌ بقراءة مقالاتك مس (ثورنوايلد) هل هذه زيارتك الأولى إلى مصر؟" فقالت له في كياسة: "نعم، وهي بلدٌ جميل" فأجاب بثقة: "نحنُ جعلناه جميلًا، هذه شعوب تجبو في أولى درجات الحضارة ولا بدّ أن نكون أوصياء عليها، والتمن الذي تدفعه في المقابل هو التخلي عن بعض ثرواتها" وافقته من سويداء قلبها مما أثار رعبها، لم تعرف أنها استعمارية إلى هذا الحد. ثم أكملت: "لقد انتهت الحرب كما تعرفين، وعاد الاستقرار إلى البلد، ونحنُ اليوم في مرحلة جني الثمار، ثم دخل عليه رجلان وعرفا بنفسيهما، واستقبلهما استقبالًا حافلًا ودعاهما إلى الشاي، ثم قال: "سعد باشا، أنا مسرورٌ لقدومك، إن حكومة بريطانيا تسعدُ بالتعامل مع مواطني المستعمرات" فتوجّه (سعد

¹ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٦

زغلول) إلى المعتمد البريطاني طالبًا السماح لهم بالسفر إلى فرنسا حيث مؤتمر الصلح في (فرساي) وحيثُ يتم تقسيم كعكة السلام والرخاء على كل الشعوب التي أضررت من الحرب. فأجابه السيد (وينجيت): "لا شأن لكم بموضوع مؤتمر الصلح، إن هذه شؤون داخلية للإمبراطورية البريطانية مع رعاياها" فقال سعد في إصرار: "كانَ هذا مفهومًا في أثناء الحرب، لكن الآن لم يعد هناك مبررٌ لبقاء مصر تحت سيطرة بريطانيا ونحن مصرّون على الاستقلال" وتدخلَ (علي شعراوي) قائلاً: "نحن نريد صداقة الإنجليز، لكن صداقة الحر للحر لا صداقة العبد للحر" وقفَ المعتمد البريطاني في حزم وقال: "سعد باشا، لقد سمعتُ وجهة نظرك، ودعني أؤكد أنك لا تملك الحق في الكلام نيابةً عن رعايا بريطانيا في هذا البلد" ثم انصرف الرجلان فقال السير (وينجيت) عندما لاحظ توتر عبير: "لا تقلقي، هذه مشاكل يومية"¹ فقالت شاردة الذهن: "ما الذي يمنح الرجل الحق في الكلام عن المصريين؟" فقال: "إنه وكيل الجمعية التشريعية" فقالت: "وهل من حق المصريين أن يطالبوا بالاستقلال؟" فقال: "ليس لهم حق، إن بريطانيا لا يُمكن ابتزازها" في الأيام التالية عرفت صحفيتنا الحسنة أن سعد ورفاقه خرجوا من دارِ المعتمد البريطاني عازمين على أن يبرهنوا أنهم يمثلون الأمة. وحينها عرفت مصر أكبر حملة جمع توقيعات في كل مكان. الحقيقة أن عبير لاحظت أن الشرارة بدأت تمشي في الفتيل، لكن السير وبنجيت كان واثقًا من أن هذه مجرد زوبعة سوف تنتهي عندما يرى هؤلاء العين الحمراء.

مشت حائرةً في شوارع القاهرة الباردة وكانت تُراقب العربات ثم اقتربت من إحداها وكانت لم تسمع من قبل بالأطعمة الشعبية المصرية، فطلبت من البائع أن يعطيها طبقًا، وبالطبع لم يرق لها الفول المدمس قط، وأحست أن خلايا لسانها ترفض الاستمرار، وكيف يعجبها وهي لا تأكل إلا الخبز المقدد واللحم؟!!

¹ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٣٠

ثم خطرَ لها أن تسأل احد الشباب الواقفين: "هل تحب سعد؟" فأجاب "بالطبع، كلنا نحبه، ولسوفَ ينصره الله" وهنا فتح أحد الرجال الواقفين الصحيفة وقال: "لقد ألقى سعد خطابًا أعلن فيه انتهاء الحماية البريطانية" فصاح الحضور: "الله أكبر، سلم فمه" وقال أحد العامة يكلم الآخرين: "لقد أنذر سعد الملك فؤاد وأرسل له كلمات ملتهبة ونصحه أن يركز جهده على الإستقلال" فسألت عبير أحد الرجال: "هل سعد قوي إلى هذا الحد؟" فأجابها: "ليس الموضوع موضوع قوة، إنه موضوع إرادة، الآن الأمة كلها تقف معه، هذا هو العصيان المدني"^١

وفي يوم ٩ مارس عام ١٩١٩ كتبت (عبير) لقراءتها: "كما تعرفون توالت الأحداث بسرعة في مصر، لقد استدعى قائد الجيوش البريطانية (سعد باشا) وطلب منه أن ينهي العصيان المدني، لكن سعد أصرَّ على موقفه فأمر المعتمد البريطاني باعتقاله، وتوجَّهت قوة من الشرطة إلى منزل الرجل واعتقلته، كانت القوة تكفي لاحتلال الصين لو أرادت، وبدا لي أنه من السخف أن يرسل كل هؤلاء لاعتقال رجل مسن وحيد لا يملك إلا الإصرار. وفي اليوم التالي تم وضع (سعد) وأصدقائه على سفينة و نفيهم إلى (مالطا). ولكن في نفس اليوم اشتعل العصيان في أرجاء البلد، حيث بدأ كل شيء بإضراب الطلبة في مدرسة الحقوق ثم امتدَّ الإضراب إلى كافة المدارس والمعاهد، فلم يجد رجال الشرطة الأعداد الكافية منهم للسيطرة على زخم الجماهير، و كان السلاح هو الحل الوحيد، فانطلقت الرصاصات تحصدُ الناس لكنَّ البنادق كانت تفرغ في لحظة، وتتقدمُ الجماهير ماشيةً فوق من أطلق عليها الرصاص. حتى النساء خرجن من ديارهن للمرة الأولى وهنَّ يحملنَ أعلام الثورة وذلك الشعار الذي صار أشهرَ من نارٍ على علم، الهلال مع الصليب. إن حكومة بريطانيا تواجهُ خطرًا لا شك فيه".

قرأ السير وينجيت هذا الكلام و قال لها: "لا أدري، لو أن أحدَ هؤلاء المتمردين كتبَ عن الموضوع لما كتب غير هذا، يصعبُ علي أن أحدد انتمائك! هل تفهمين ما

^١ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٤٣ .

أعنيه؟" فقالت باسمه: "أنا أحكي ما أراه فقط" وفي الحقيقة الثورة لم تكن إلا في بدايتها، هذا ما لم يعرفه المعتمد البريطاني وقتها وبالتأكيد لم تعرفه عبير.

كانت الثورة تشتعلُ يومًا بعد يومٍ. في البداية يلتقي الناس في الميادين، و سرعان ما تتعالى الهتافات، ثم تصلُ قوات الشرطة فيتعالى صوت الرصاص. وعندما جلست عبير مع السير (وينجيت) قال لها وعيناه زائغتان: "هذه المظاهرات قضت علي سياسيًا، ولسوف أعود إلى إنجلترا، لقد اعتبروني فاشلاً، سوف يرسلون إلى هنا من هو ألعن مني وأقسى، ولسوف يعرف المصريون أنهم استجاروا من الرضاء بالنار" فقالت: "ومن سيأتي بعدك؟" أجاب: "من غيره؟ طبعاً الجنرال العظيم (إدموند هنري هاينمان اللني) وهو مناسب جداً.

وبالفعل أثبت الرجل أنه جدير بسمعته السيئة، و راح يرتكب كل ما تعلّمه من فنون المذابح، لكن المصريين كانوا قد بلغوا نقطة اللاعودة، وصارَ أي كلام عن التراجع معناه أن من ماتوا قد ماتوا سدى.¹

ومن مكانٍ ما في الليل دوى صوتٌ (سيد درويش) ذلك المطرب الاسكندري الذي يحمل في ثناياه رائحة الأرض، ومن مكان آخر احتشد نجيب محفوظ وجورج صبحي و علي رامز، هؤلاء العباقرة الذي من عباءتهم خرج الطب في مصر، أما (طلعت حرب) فقرّر إنشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ لينهض معه الاقتصاد المصري، ومن الصعيد أتى (طه حسين) ومن أسوان أتى (العقاد). إنها الحقيقة التي لا يُمكن إنكارها؛ إن مصر تنهض وتزدري بكل من يقف في طريقها.

صحت عبير من نومها ورأسها يؤلمها، لتجد أنها راقدة على فراش في غرفة مظلمة فقيرة، و رأت شابًا أمامها يسألها: "هل استعدتِ وعيك؟" فأجابت: "من أنت؟ و ماذا تريد مني؟" فقال مبتسمًا: " و أنا محمود أحمد فؤاد، ولا أريد منك شيئًا" فقالت: "ماذا أفعل هنا؟ هل أنا سجين؟" فأجاب: "ليس بالضبط، لنقل انك ضيفة على رغم

¹ -١٩١٩ سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٥٠

من إرادتك" ثم دخل أصدقاء (محمود) فأردف قائلاً: "الإنسانية هي السبب الوحيد الذي جعلهم ينقدونك، لكن هناك عدّة عوامل تجعل إطلاق سراحك عسيراً؛ الأول: هو أنك إنجليزية، والثاني: أنك ستخرجين من هنا لتقابلي (اللنبي) شخصياً و تزعمين أننا خطفناك، والثالث: من يدري؟ ربما كان الخطف فكرة لا بأس بها"

لكنها كانت الضيفة بحق، لقد كانت والدته تدعوها (الخواجية) بينما الجميع يعاملها وكأنها فرد من الأسرة، رأتهم وهم يتحدثون عن سفر أعضاء الوفد إلى مالطا للحاق بسعد باشا، ثم تحدّث أحدهم عن توزيع المزيد من المنشورات ليفضحوا ما قام به الإنجليزي، ثم تهامسوا: "لا بد أنها رات صندوق المتفجرات" وقبل أن يرحلوا قالوا لها أن تذهب أمامهم إلى الغرفة، فصرخت "لن أبقى بالداخل مع هذه المفرقات" فأجاب: "اطمئني، لن نعمل هذا، أريد أن آخذ الصندوق، وسأحاول أن أجد لك بعض الروايات المسلية بالإنجليزية" وأغلق الباب، وتمدّدت على الفراش تفكر.^١

اقتحموا الغرفة بعد دقتين على الباب، نظرت لهم عبير في عدم فهم وسألتهم عما حدث فقال محمود وهو ينظر إلى الأرض: "لقد عُقد مؤتمر (فرساي) وأقروا بأن إنجلترا لها الحق في فرض حمايتها على مصر" فكرت قليلاً، هذا سيء لهم، هم فقدوا الأمل الذي تعلقوا فيه من دهور. سألتهم: لقد فقدت الإحساس بالزمان، أي يوم هذا؟ فأجابوا: "الثامن من مايو". معنى هذا أنها حبيسة في هذه الغرفة منذ شهر، والأغرب أنها لم تحاول الهرب. صاح أحدهم: "سوف نريهم، إن سعد باشا لن يسكت أبداً" فقالت في برود: "سعد باشا مقهور مثلكم، ولسوف يعاني الأمرين في أروقة المؤتمرات" فقال أحد الشباب: "أعتقد أن الوقت قد حان، علينا الخلاص من رموز الاستعمار كلها" ووافقه الآخر: "إنها لن تبقى هنا للأبد، لن أمنعك هذه المرة يا أخي، ولكن متى؟" فردّ: " في الليل بعد أن تنام أمك، والخروج بالحثّة في الحقيبة الكبيرة". كادت بُجن، هؤلاء السادة يناقشون تفاصيل قتلها ودفنها، صاحت والدموع في عينيها: "أنتم لن تقتلوا

^١ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ٩٤

صحفية بريطانية بهذه البساطة" وقبل أن تواصل الكلام كان الرفاق الثلاثة قد أوصدوا الباب عليها وانصرفوا. وجاء الحل بسهولة غير متوقعة لأن العجوز طرقت الباب من الخارج، إنه موعد دخولها الحمام، دار المفتاح في الباب ثم ظهر وجه العجوز الطيب الباسم. وفي ثبات مشت عبير نحو باب الدار، وأدارت المقبض، لكن الباب موصد من الخارج. فقالت الأم: "محمود يغلق الباب علي من الخارج دائماً، وأنا لا أخرج أبداً كما ترين" هنا سمعت مفتاحاً يدور في الباب ودخل محمود، فالتجته إلى مائدة الطعام وأخذت سكيناً، فقال لها: أتركي هذا قبل أن تجرحي أحداً" وأخذ السكين وأدخلها الغرفة و قال: "أنا لا أقتل النساء، خاصة إذا كنّ معدومات الحيلة، كل ما تكلمنا عنه هراء، لقد عانينا الكثير من الألم، وكنا نتحدث في جنون الصدمة" ثم فتح الحقيبة وأخرج منها دجاجة مذبوحة وأكمل: "هذه هي مشكلة أن يكون المرء قائداً مجموعة ثورية^١ ولكنه واهن القلب، نعم كما تتوقعين بالضبط، سأحشو ملاءة ببعض الأثقال والأقمشة القديمة، وأطبخها بدماء الدجاجة، وأدعي أنني قتلتك، بينما تكونين أنت قد رحلت، لا أدري إن كان هذا خطأ عمري، لكنني سأحاول أن أثق بك، وآمل أن يكون لدى الإنجليز بعض الشرف ورد الجميل، اذهبي، إذا مشيت في الشارع الرئيسي ستجدين ثكنات الجيش الإنجليزي، هم سيعتنون بك."

قال الضابط الإنجليزي لعبير: "ما زلتُ مصرّاً يا آنسة أنك تستطيعين مساعدتنا" أجابت بحدّة: "لا أستطيع، لقد كنتُ معصوبة العينين في الذهاب والإياب، و كانوا يستعملون الأرقام في التفاهم" مرّت لحظات من الصمت، أخيراً قال الضابط: "ثمة شيء أرغب أن تريه.. هات السجين" رفعت رأسها لترى شاباً متورّم الوجه، والدماء تسيل منه، إنه (مصطفى) التقت عيناها بعينيه، ودوى صوت العقيد: "هل تعرفين هذا الحيوان؟" أجابت: "لا أعرفه" فأكمل: "منذ شهر كان في مظاهرة ٨ أبريل، واليوم ألقى عليه الملازم القبض وهو يوزّع منشورات معادية لنا" فقالت: "لا أعرفه أيها العقيد، لم

^١ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٠٧

يكن من بين الذين خطفوني" ثم أخذوه بعيداً فقالت محاولةً التركيز: "ماذا حدث في أحوال السياسة أثناء خطفي؟" فقال: "لا شيء، المصريون يشعرون بأنهم خُدعوا في (فرساي) وسعد زغلول يحتج، إنهم يريدون الخلاص منّا" فقالت في ثقة: "إنهم يريدون الاستقلال، معذرةً لكنني صحفية، والصحفي مهمته الحقيقة بصرف النظر عن اعتبارات السياسة"

وهكذا راحت تمشي عبير في شوارع القاهرة الهادئة، ولا تدري كيف ولا متى حملتها قدمها إلى ذلك الرقاق الضيق الذي يعيش فيه (محمود)، فتح لها الباب وكأنما رأى شيئاً وقال: "لا أعرف لعبتك ولا يهمني أن أعرفها، لن أسمح لك بالدخول" فقالت: "كلّ ما أطلبه هو أن أكون معكم و أن أعيش هذه التجربة". أدخلها إلى أصدقائه ولحسن الحظ أن صديقيه اللذين يعتقدان أنها ماتت كانا غير موجودين، فسأله الباقون: "إنها إنجليزية، ما معنى أن تدخلها هنا؟!" فقال وهو يحاول ألا يفقد الوعي، بل هي أمريكية تؤمن بقضيتنا، صدقوني إن رأسي أول رأس سيطير لو كان كلامي خاطئاً^١

مضى بعض الوقت قبل أن يتقبل الرجال وجود عبير بينهم، ثم سمعهم يتحدثون عن قنابل بيتية الصنع يجهزها لهم الحرفيون والكيميائيون من بينهم، بعدها غادر الرجال تدريجياً حتى لا يثيروا الشبهات وحمل أحدهم الصندوق وودّع الجالسين. مرّت نصف ساعة حتى خلت الحجرة تماماً، فقال محمود: "ها قد انتهى الأمر، أرجو أن تكوني راضية عما رأيت" بانث عليها خيبة الأمل وقالت: "كنت أعتقد أن الموضوع أكثر إثارة، لماذا تفعلون هذا كله؟" فقال: "طبعاً من أجل قتلكم، لقد جربنا السياسة فرأيناها لا تصلح، سوف تسقط قنابلنا على كل رجل أمن إنجليزي، وكل عسكري، وكل مصري يتعاون معهم، الآن أرجو أن ترحلي، وسأكون أسعد لو برهنت أنك صادقة شريفة ولم تنطقي بحرف، فقالت: "ولا حتى بالتلميح داخل المقالات دون ذكر أسماء أو أماكن؟" ففكر

^١ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٣١

قليلاً ثم قال: "ليسَ قبلَ عمليتنا الأولى، من الجيد ألا يتوقع أحد الصواعق التي ستهوي من السماء" وهكذا غادرت منزله وهي تدرك أنها حقاً تهيم بهذا الفتى حباً.

وفي الأيام التالية ازدادَ انفلاتُ أعصاب السلطنة البريطانية فقامَ الجنرال (النبّي) بنفي عدد من قادة الحركة السياسية بالإضافة إلى أنه جعلَ جنوده يقتحمون (الأزهر) الشريف، كما أنه قبضَ على عدة عاملين في اللجنة المركزية للوفد وأدانهم وحكمَ عليهم بالإعدام، وفي هذه الفترة أيضاً بدأت سلسلةُ الاغتيالات.

هل مرَّ حقاً عامٌ على هذه الأحداث؟ لم تُصدق عندما عرفت أنّ العام هو ١٩٢٠م، في فانتازيا يمر الزمنُ سريعاً، ولا تحدثُ فيه إلا الأحداثُ المهمة، لقد كانت أصوات الانفجارات تدوي في سماء القاهرة، وصارَ كلٌّ من له علاقة بالإنجليز يركبُ سيّارته ولا يدري متى تسقط القنبلة على حجره، ولم تدرِ عبير مدى تغلغل هذه العمليات إلا حينَ واجهت واحدةً منها.^١

كانت تركبُ في مؤخرة العربة، وكانت منهكة لم تنم الليل. في اللحظة التالية رأت شاباً يخرجُ من مكان ما يحملُ قنبلة ويرميها على تجمع جنود، لكنها لم تنفجر، ودوت طلقة وراح الشاب يركض ويترنح وهو يجر ساقه خلفه. مرّت بالقرب منه وصاحت: "اركب يا محمود بسرعة" كانت ساقه تنزف وقررت عبير أن تمارس دور الأنتي فأخرجت منديلها وربطتها به. وتوقفت العربة بعد عدة إرشادات من محمود فوثب الفتى ووثبت هي خلفه، وأخرج مفتاحاً وفتح الباب. وفي الداخل كان الظلام دامساً، فقالت: "هذا هو مقركم السري إذن" ونظرت إلى قدمه فقالت: "ثمة رصاصة بالداخل" فأجاب: "لا تخافي، سيأتي الرفاق بعد قليل، هل تعتقدين أن القنبلة قتلت الضابط؟" وهنا سمعوا الباب يفتح وظهرَ شخصٌ ضخم على المدخل، فهتفَ (محمود): "مصطفى! هل خرجت من السجن؟" فقال: "خرجتُ أمس، لقد أطلقوا سراح بعض الطلبة في محاولة لتهدئة النفوس" ثم قال أكمل مصطفى وهو يغلق الباب: "عليّ أن أعاقب

^١ - ١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٤٠

الخائن" ورأت المسدس في يده، وصاح محمود: "مصطفى! عما تتحدث بالضبط؟" فأجاب: "عن الخائن الذي زعم أنه قتل الإنجليزية، ثم وجدتها حية ترزق جالسة مستريحة أمام الضابط، أنت تعمل معهم منذ البداية!" وانطلقت الطلقة وتحسّس محمود صدره ثم هوى على الأرض، والآن دور الإنجليزية. بالطبع لم تنتظر عبير لأن المسدس ارتفع نحوها، ففتحت الباب وراحت تجري لكن كان هناك من يقف في مدخل الزقاق ويسدّ الطريق عليها "المرشد! ماذا تفعل هنا؟" كانت الدموع تبلبل عينيها وقالت: "أنا المسؤولة عن هذا كله، لقد مات مناضلٌ بريء بسببي، ماذا سيحدث؟ هل ستنجح الثورة؟!" فأجاب: "عذا حديث يطول، لكن يمكن أن أخبرك أن كفاح الشعب استمرّ طويلاً، ولم يسفر عن الاستقلال الحقيقي إلا بعد ثورة ٢٣ يوليو، لقد حركت الثورة الشعب المصري بكل طبقاته، ومهما حاول الإنجليز قهرها فهي لن تُقهر" قالت بحزن: "فقدت مصر اليوم بطلاً" فأجاب: "لكنها خصبة ولادة، ولسوف تأتي بعشرات الأبطال!"

الوطواط

هذه المرّة اعترفَ (شريف): "نعم، هناك واحدة، وأنا أحبها، حاولت ألا يحدث هذا، حاولت كثيراً، لكنني أحبها وهي لا تريد خراب بيتي، أنا لا أطلب شيئاً مشيناً، أنا لا أتكلم عن علاقة، أنا أتكلم عن زواج، وهناك رجال تزوجوا اثنتين وثلاثاً، وأريد أن تباركي زواجي" لقد كانت ضربة قاسمة، وهكذا قرّرت الذهاب إلى بيت أمها التي استقبلتها بجملة النساء العربيات: "أخطأت إذ تركت بيتك لأخرى، على كلّ حال غداً صباحاً سيأتي أخوك ويجد حلاً لهذه المعضلة"

تنهدت بعمق، لقد تركت خلفها صانع الأحلام الذي كان هو مفتاحها لفانتازيا، ولا تدري متى نامت، فجأةً لم تعد هنا.. صارت هناك.

^١ -١٩١٩، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٥٣

كانت واقفةً في فانتازيا، وكان المرشدُ بعينه ينتظرها هناك، اندهشت كيف يمكن أن تصل إلى هنا بدون الجهاز! فأجابها المرشد: "لا مشكلة، لقد تعلم عقلك كيف يخلق عالم فانتازيا بنفسه" نظرت حولها في انبهار، ها هي تركب القطار الصغير، وبجوارها المرشد، نظرت من النافذة ونظر هو أيضاً وقال لها: "هذا المكان لا بأس به، ما رأيك؟" قالت في ضيق: "جميلٌ جدًّا، دعنا نجربه" وعبرَ السماء انطلق ضوءٌ ما، وانعكست صورة تمثّل وطواطاً يفرّد جناحيه، فقالت وقد فهمت: "هذا عالم الوطواط، وهذا (جوتام سيتي) أو (جرجر) كما تسميه المجالات اللبنانية، إن رجال الشرطة يضيئون الشارة ليستدعوا الوطواط، لن يتأخر في حضوره" هزّ المرشدُ رأسه في ثقة وقال: "بل لن يحضر على الإطلاق، وهذه هي المشكلة، إن الحياة بدون بطل خارق حياة أقرب للححيم.

الآن يمكننا أن نرى عبير قد تحولت إلى الفتاة الوطاطة، وهي تجتازُ مدخل البناية، ثم وقفت أمام بابٍ عملاقٍ يحملُ شعار (رابطة العدل). ورابطة العدل هذه هي البوتقة التي قامت فيها (دي سي كوميكس) بجمع كل أبطالها المقنعين، فبعدَ (سوبر مان) و(باتمان) حدثَ نوعٌ من التكاثر السرطاني^١ لهذه الشخصيات الخارقة، وكان لا بدّ من ضمّها جميعاً تحتَ لواءٍ واحدٍ. دخلت إلى رابطة العدل الذي كان (الفانوس الأخضر) هو رئيسها، وقالَ (البرق) وهو يتلمل: "لا فائدة، لا بدّ من فصلِ الوطواط، هذا مؤلم لكنّه الحلّ الوحيد" فقالت الوطاطة: "كل ما أطلبه هو مهلة من المجلس المؤقّر، أحتاج إلى ثلاثة أسابيع وبعدها يمكنكم فصل الوطواط لو أردتم" ثم غادرت المكان.

في الطابق الأرضي قابلها (بوب كين) مُبتكر شخصية الوطواط وقال لها: "علامَ اتفقتم؟" قالت: "لم نتفق، أنا قرّرتُ أن أمنح نفسي فترة قدرها ثلاثة أسابيع لإقناع الوطواط" فقال: "الحقيقة هي أن الوطواط فقدَ القدرة على الاستمرار بعدَ وفاة صديقه المقرب (روبين)، إن بقاءه في (رابطة العدل) لا يهم هؤلاء ولا يهمه هو كذلك. فقالت:

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٤

"والحل؟" فأجاب: "على قدر علمي لا يوجد حل" ثم سألته عن بعض ذكرياته الخاصة عن حياة الوطواط.

وهكذا راحت تقوِّد درّاجتها البخارية حول الجبل عند أطراف (جوتام سيتي). الآن ترى الجبل وعلى قمته قصر المليونير العابث (بروس واين) الذي يتحوّل ليلاً إلى الرجل الوطواط الذي يتواثب فوق قمم ناطحات السحاب. وصلت لتدخل من الباب العملاق وقربت من فمها سماعة وقالت: "الوطواط" ارتفع صوت آلي معدني: "التعرف إيجابي.. البصمات مشفرة.. يمكنك الدخول" وانفتح الباب ثم وجدت نفسها داخل كهف الوطواط.

إنه كهف عملاق تتناثر في أرجائه شاشات الكمبيوتر، وهناك الكثير من الأسلحة على الجدران، بالإضافة إلى صف من التماثيل التي تمثل أعداء الوطواط الأشهر. الآن يمكنها أن ترى الوطواط جالساً أمام شاشة صغيرة يشاهد فيلماً عن روبين وهو يؤدي بعض التمارين التي لا يمكن وصفها إلا بالإعجاز، وكان يشاهده وهو يمزج بين الضحك والبكاء، وكان يكور قبضته ويطوح بها في الهواء. قالت في حذر: "مساء الخير يا وطواط"، لم يرد، و بعد قليل قال وهو يمسح دمه: "كانَ بارعاً.. كان ذكياً.."^١

في تلك الليلة كان الوطواط مريضاً فجاء إليه صديقه روبين وقال: "وطواط، إنهم يريدونك، الفزاعة يهاجم المصرف" كانت ذكر اسم الفزاعة كافيًا ليحاول النهوض، لكن كل عظمة من عظامه كادت تتفكك، وهذا طبيعي لأنه رجل عادي ومن الطبيعي أن يمرض. قال له روبين: "سأذهب بمفردتي، أنت لا تقدر على الوقوف على قدميك" فقال: "حسنًا لكن توخى الحذر" وهكذا ذهب روبين لمواجهة الفزاعة. وهكذا كانت المواجهة، نيرانٌ وأسلحة ومطاردات، وعلى حسب ما قاله رجال الشرطة فإن الدراجة النارية التي كان يقودها روبين تحولت إلى شعلة من الجحيم. ولم يستطع الوطواط أن ينس

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٤٧

ولم يستطع أن يغفر لنفسه، ولم يعثر أحد على أثرٍ للفزاعة من وقتها، ولم يسمع عنه أحد. وتمتُّ الساعات فالأيام فالشهور والوطواط جالسٌ كما هو امام الشاشة يستدعي الذكريات، ولا يبالي بأن يستدعيه رجال الشرطة أو لا يستدعوه، لقد وقفوا ينظرون حين احترق روبين، وهو ما دوره في مكافحة الجريمة إذا كان قد عجز عن حماية أصدق أصدقائه؟ وقتت عبير في حيرة، من الواضح أن مهمتها ستكون صعبة لتبتُّ في نفسه الحماس، هذا لن يكون سهلاً لكنّه ممكنٌ.

لقد تمّ السطو على حصيلة الحفل الخيري المخصص للأيتام في الثامنة مساءً من يوم السبت. لقد برهنت (جوتام سيتي) على انعدام الأمن فيها، حيثُ يبرز المسلحون من أي مكان ويفعلون ما يشاؤون. استطاع رجال الشرطة التسلل إلى الخارج وطلب التعزيزات، لكن الوطواط لم يستجب، شخص آخر استجاب. إنها الوطواط، وإن من يستخف بها في البداية باعتبارها فتاة يدفع الثمن غالباً. ولكن الفتيات يرتكبن أخطاء في مواضيع القتال هذه، حيثُ تمكن أحد اللصوص من أن يهوي على مؤخره رأسها بينديته، فهوت على الأرض وكاد أحد الرجال أن يفرغَ فيها طلقاته ولكن أوقفه صديقه بجزم وقال: "لا تفعل! إنها رهينةٌ ثمينة".^١ ونلاحظُ هنا أن الشرطة لا وجود لها، إن رجالها مجرد أشخاص مذعورين لا يفعلون شيئاً سوى انتظار قدوم الوطواط من السماء. وهكذا انطلقت عربة اللصوص وذابت في الظلام.

كانت الوطواط معلقة في وضعية النسر المرفرف في حبال تتدلى من السقف، بينما تحتها سائلٌ موضوع في مرجلٍ نحاسي عملاق وهو يغلي. وفي المقدمة ظهرَ وجه الأسد وهو يقول: "كما ترون يا سادة، الوطواط في قبضتنا" بينما عُرضَ على الشاشة مذيعة حسناء تقول: "هذه الحقيقة، الوطواط أسيرة ومعرضة للخطر، والوحيد الذي يملك شيئاً لها هو الوطواط، فهل يسمعها؟ هل يستجيب؟" وكانَ عليها أن تنتظر كثيراً حتى تعرف أنه لن يأت. وهكذا كان عليها أن تغادر المطعم الصيني المهجور وأن تضع

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٦٠

أكياس المال على دراجتها. وكان المفتش (جوردن) واقفاً هناك فصاح: "أوه، أهلاً بك، لقد أرجعت المال، جميل جميل" فقالت في غيظ: "لكنك لم تسألني عن سلامتي ونجاتي" فقال في برود: "نحنُ طلبنا الوطواط، لكنّه رفضَ أن يذهب للبحث عنك، وقال أنّها مزحة لأنه يعرف هذا المطعم المهجور، ويعرفُ أنه لا يمكن الحفاظ على الحمض في مرجل من النحاس، الوطواط ينصحك بمراجعة معلوماتك في الكيمياء.^١

جالسًا في كهفه يطعمُ بطاريقه نظرَ لها في عدم تصديق، إنه (البطريق) أشهر وألد أعداء الوطواط، قالت له: "أنت ترى، هذه وثيقة تشملك بالعمو الكامل لو نفذت ما أقوله لك، عليك أن تساعدني في استعادة الوطواط، ألا تشتاقُ له؟" فأجاب: "بلى، أنا أفتقدُ هذا الوغد! إن الحياة من دونه لا طعمَ لها، لقد انتهى الوطواط ومعه انتهت مباراة الشطرنج البارعة ولم يعد لي دور في الحياة" ثم انفجرَ في البكاء فقالت له: "هل تقبل أن تساعدني إذن؟" فقال: "في استعادة الوطواط؟ طبعًا بدون تردد، لكنه سيبدأ بقطع رقبتي أنا" فأجابت "لن يحدثَ هذا، إن العفو العام سيجعله مكتوف اليدين."

وبالطبع فإنّ البطريق لم يكذبَ خبيرًا في استعراض قوته، ودارت مناقشات كبيرة بينه وبين رجال الشرطة، انتهت بأن أفرغَ كل ما في الخزائن ومضى تاركًا الأبواب موصدة تحمل شعار البطريق. فقط الوطواط يعرف كيف يقبض عليه، ويعرف كيف يحرر رجال الشرطة. لكن الوطواط لم يأت، وعندما تحرّر الرجال أخيرًا كانت شارته ما زالت في السماء، لكن الغيوم بدأت تنقشع عنها مما جعلها تبدو مهلهلة شاحبة.

انفجرَ الجوكر ضاحكًا وهو يتلوى في مقعده، وقال للبطريق: "لقد فشلت في مهمتك" وهنا دخلت عبير إلى نقابه الإجمام، فقد اضطرت للجوء إليها لربما يستطيع أحد هؤلاء الأوغاد أن ييث الحماس في قلب الوطواط ويعيده لمكافحة الجريمة وهناك التقت بجاك السفاح والمضحك والعديد من المجرمين. وعندما عادت قالت لها عمته (كاتي) وهي تصلحُ لها بذلتها: "هذا خطأ، أنت تلعبين بالنار يا (بيتي) أنتِ تفتحين

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧٦

عش الدباير، لقد دعوت اللصوص والمجرمين إلى التنافس في ترويع الآمنين وتخريب المجتمع. فقالت لها: "لا سبيل لاستدعاء الغطّاس إلا بأن تغرقي" فأجابتها: "ولكن إن لم يأت الغطّاس لغرقت بلا ثمن"^١

وعلى المسرح وقف المضحك، وكانت شاشات التلفاز تعرضه وهو يخاطب الجمهور: "الآن يا سادة أقدم لكم هذا العرض الضاحك" وظهر قزمٌ يلبس ثياب الوطواط، وراح يركض خلفه ليضربه على مؤخرته، وانفجر يضحك ممسكاً ببطنه وقال: "والآن يا سادة، نحن نأمل في كرمكم ما دام العرض راق لكم" وراح ينهب السادة والسيدات الجالسين. فقالت العمة: "هل رأيت ما قمت به؟ أين الغطّاس يا ترى؟" وبعد أن سلب المضحك من الحضور أموالهم ومجوهراتهم قال: "شكرا لكم" وانفجر ضاحكاً. لكنه لم ينجح برغم كل محاولاته، لأن الهدف الوحيد لهذه العملية كان إعادة الوطواط، لكن الوطواط لم يأت.

وفي نقابة المجرمين قاموا بتهنئة المضحك على عمليته، وقال جاك السفاح: "لقد لعبت المباراة ببراعة، لكنك لم تحرز أهدافاً" وهنا انطلق سوط وطار السيجار من فم جاك، فنظر الجميع في رعبٍ إلى مصدر الهجوم. كانت المرأة القطة واقفةً هناك، فقالوا: "من؟ المرأة القطة هنا!" فأجابت: "نعم يا حمقى، من سواي يملك هذه المخالب؟" وفجأةً تصلبت وتشممت الهواء للحظة ثم قالت: "عجباً! أشمُّ رائحةً أنتى هنا، بل أشمُّ رائحةً ووطواط" ارتجفت عبير، إن القطة امرأة والنساء أدق ملاحظةً وأذكى من الرجال، لا شك في هذا. فقالت القطة: "أرجو أن تشاهدوا التلفزيون اليوم في الساعة مساءً سيكون المشهد جميلاً"

الآن ترى حديقة حيوان المدينة، هكذا أمكنها أن تفهم القصة التالية. وهنا قال المذيع في رهبة: "لقد وصلت الى الحديقة مجموعةً نادرةً من النمر، وقد تم إطلاق سراحها، وهي الآن حرة طليقة، نحن ننتظر وصول الطوارئ وربما يأتي الوطواط. في حين

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٣

أن الوطواط هزّ رأسه وعاد يواصل تأمل الشاشة وكأنه يشاهد فيلم السهرة، فتحرّكت عبير عندما وجدت أنه لا جدوى من أن يتحمس الوطواط، وقالت له: "سلام، سأتولى الأمر بنفسى" فقال لها: "لا بأس، لكن كوني حذرة، إن عشرة نمور ليست بالخصم الهين"^١ وهكذا تواجعت عبير الوطواط مع المرأة القطة التي ضحكت وصاحت وهي تتباعد: "يمكنك أخذها وإعادةّها للشرطة، باي، مياااااااااااا فوقفت عبير وأمامها عشرة نمور بيضاء غاضبة. وبدأت هذه النمر تتواثب عليها وبدأ صراعها معها. أخيراً سمعت صوت سيارات الشرطة، سيكون هناك الكثير من الصخب.

في العاشرة مساءً استدعى الناس رجال الشرطة لأن شاباً كان يقوم بعملٍ غريبٍ، كان يمشي في متجر كبير ثمّ وقف أمام المرأة وأخذ يقبل نفسه، وفي التاسعة صباحاً اتّجهت فتاةٌ شابةٌ إلى متجر الأسطوانات وطلبت منه أن يبيعها كل الأغاني وموسيقى (البلوز) التي لديه في المتجر. جاء اليوم التاسع من الشهر، وكانت عبير هناك في ثياب الوطواط، لماذا كانت هناك؟ لأنها تعرف أن كل شيء غريب يحمل وراءه لغزاً ما، والألغاز هي مهنة رجل الألغاز عدو الوطواط العريق. الشاب الذي يقبل نفسه في المرأة هو إشارةٌ إلى (نرجس) بطل الأسطورة الإغريقية الذي رأى صورته في الماء فهامَ فيها حباً. والفتاة التي اشترت شرائط البلوز، ما معناها؟ لو فكرنا بطريقة رجل لتذكرنا أن لفظة بلو تعني اللون الأزرق، هناك شيء أزرق في القصة. ومتى تقع الجريمة؟ حادثة وقعت في العاشرة مساءً والأخرى في التاسعة صباحاً، هذا يشير إلى الساعة العاشرة من اليوم التاسع من الشهر.

الجديد في الأمر هنا أن الوطواط جاء بالفعل، واستطاعت عبير أن تسمعَ رجل الألغاز يصيح: "أنت هنا يا وطواط! إذن استطعتَ أن تحلّ ألغازي" قال الوطواط: "طبعاً يا أحمق، كان هذا من أسهل ألغازك وأبسطها" فأجابته: "إن لي الشرف أنك

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٠٨

تخلّيتَ عن عزلتك من أجلي" فقال الوطواط "إن إغراء توجيه اللكمات لك قد شفاني من اكتئابي" وهنا دارت بينهما مواجهة طاحنة. لقد عاد^١ الوطواط!

وفي نقابة المجرمين حملَ سيد الأوهام الدرع ليقدمه إلى رجل الألغاز، وصقّق الجميع له بجماعة، وسأله جاك السفاح: "كيف استطعت أن تزحزح الحجر من موضعه؟" فقال رجل الألغاز بثقة: "هكذا الوطواط، لو حل اللغز لن يستطيع أن يقاوم دون أن يعرف الآخرون بذلك" وبينما كانوا يحتفلون سمعوا صوتاً بارداً، وشعروا ببردٍ شديدٍ، كان القادم معروفاً لهم جميعاً وهو أخطر أعداء الوطواط، إنه (رجل الصقيع) أو (السيد صفر) وقد أخذَ اسمه من أنه أصيب بمرض خطير كاد يودي به إلى القبر، لهذا كان لا بدّ للأطباء من تجميده حيّاً في درجة حرارة صفر مئوية، وهكذا أصبح رجل الصقيع.

وهنا دخلَ وفرقَ بيده^٢ وعرضَ عليهم تحليل أصوات، فكانت أمامهم لوحةٌ رُسمت عليها موجات، الأولى تمثل صوت الوطواط، والثانية تمثّل صوت شبيهه. "كما ترون، مهما كان التقليد بارعاً لا يُمكن أن يخدع الفيزياء، الأمر واضحٌ، لقد حاولَ رجل الألغاز خداعنا، ولم يأتِ الوطواط وإنما أتى ممثلٌ. وهنا كان رجل الألغاز عملياً أكثر من اللازم، إذ ألقى بالدرع وولى الأدبار، العار سيلاحقه للأبد. بوم!.. لا لن يلاحقه إلى الأبد، هذا صوت طلقة رصاص، لقد انتحَرَ بمجرد أن توارى عن العيون. وقال (السيد صفر) وهو يضع بندقية الصقيع على كتفه: "سأنجح فيما فشَل به الأغبياء الآخرون"

على الشاشة ظهرت مذيعة تعلن عن شريطٍ وصلَ إلى التلفزيون من (رجل الصقيع) وظهرَ روبين فيه في أسوأ حال، مقيداً إلى الجدار في وضعية النسر المخلق. وثبّ الوطواط إلى الأمام وراح يتنفسُ بصعوبة عندما سمعَ صوت السيد صفر يقول: "نعم يا وطواط، هذا هو روبين صديقك الحميم، إنّه حيّ، لقد انتشلَه رجالي من البحر وأبقيناه كل هذا الوقت في الأسر من أجل مساومة كهذه، أمامك عشر ساعات لتقرّر إما أن تحضّرَ إلى هنا ومعك عشر ملايين، وإما أن نقوم بتحويل هذا الصبي إلى قطعة من

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٢٥

^٢ - المصدر السابق، ص ١٣٢

الثلج" ازدادَ تنفس الوطواط وقال: "هذه خدعة، روبين مات منذ زمن" قال (رجل الصقيع): "سأقول للوطواط فكرَ جيّدًا، لو لم تكن هذه خدعة فأنت تجازف بفقد روبين للمرة الثانية، لن أفشي أسرارًا على الهواء لكنني سأذكرك بكلمة واحدة؛ منديلٌ من قماش الخيمة"

قالت له عبير: "هل ستصدّق هذا الهراء؟" قال دون أن ينظرَ للوراء: "المنديل، إنه تذكّار روبين الخفي الذي بقيَ له من أمه، لا أحد يعرف هذا التفصيل الدقيق، إن روبين حيٌّ" ثمّ مضى فقالت في حماس: "سألحقُ بك" فقال: "لا! هذه معركتي وسوف أخوضها لوحدي"

وقفت عبير في مصنع الثلج، كانَ الظلام دامسًا والبرد قاسٍ. أخرجت كشّاف الوطواط الرفيع وأدارته من حولها في حذر، فرأت على بعدِ خمسة أمتارٍ كاميرا مثبّته راحت عدستها تصوّر كل ما يحدث. هذا هو روبين الفتى المدهش، إنّه في الطابق السفلي بالفعل، عرفته من ثيابه وقامته، والآن يظهرُ رجلُ الصقيع يقول للفتى بصوتٍ عالٍ كي تسمعه الكاميرا: "الآن سنعرف إن كانَ صاحبك الوطواط يعبأ بك حقًا، لقد اقتربت لحظة النهاية بالنسبة لك، آسف يا روبين لكن الحرب هي الحرب" وهنا دخلَ الفزاعة وقال وهو يفرد ذراعيه: "هذا ليس روبين، أنت نصبت هذا الفخ للوطواط، بينما أنت الوحيد الذي يعرف أنّه فخّ، لن تنتصرَ بخدعتك هذه، أنا سأمنعك" فأجابه: "بأي حقّ تخترقُ وكري وتهذي بهذه السخافات؟! فقال وهو يضغطُ على حروفه: "لأنّ روبين قد مات! رجالي قتلوه بأنفسهم، وأنا رأيتُ جسده الممزق بعيني" وأدركت عبير من مكانها أن الصراع الحتمي قادمٌ بينهما. لكن فجأةً رأت مشهدًا عجيبيًا، رأت سيد الصقيع ينزغُ خودته وثيابه الثقيلة ويتحرر من قيود الثلج، إنه الوطواط! ولا أحد سواه! صاح الفزاعة: "الوطواط؟! مستحيل!" فقال الوطواط: "بل صدّق عينيك، نحن لا نصنع الأوهام مثلك، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لأستدرجك وأحصل على اعترافك، كنتُ أعلم أنه سيأتي يوم انتقم فيه من قاتل صديقي، والآن نقابة المجرمين كلها ترى

هذا" وبدأت المواجهة بينهما، إنها مواجهة عادلة الآن، وهكذا سيسجل التاريخ أنّ الوطواط انتقم انتقامًا عبقرياً.

وقفت عبير بالقرب منه فابتسم وقال في رزانة: "يجب الاعتراف أن الفزاعة - بشكلٍ أو بآخر- هو الذي كسبَ المسابقة إذ أخرجني من عزلي"^١ فنظرتُ إلى ساعتها وقالت في توتر: "يجب أن تذهب إلى رابطة العدل لتخبرهم أنك عدت، إنهم سيفصلونك خلال ساعة" فقال: "لا أحد يفصل الوطواط، ثقي أنهم سينتظرون".

فقلت في كياسة: "الآن تعرفُ حقيقة أن روبين قد مات" فأجاب والدمعة تهطلُ من تحت قناعه: "نعم، اليوم فقط مات روبين ودفنته أنا"

وهنا رأت عبير وجه المرشد البارد الذي قال لها: "حان الوقت، يجب أن نرحل" فنفخَ الوطواطُ في غيظ وقال: "لم نكمل كلامنا بعد" فقالت عبير للوطواط وهي تهرع للحاق بالمرشد: "هو على حقّ، حانَ وقت رحيلي، لقد اطمأنتت عليك" وأشارت إلى السماء وقالت: "يبدو أن خبر عودتك تسرّب سريعاً". كانت شارّة الوطواط ترتسم على سحب (جوتام سيتي) من جديد.^٢

عبقري

لم تدرِ عبير لماذا وجدتَ نفسها فجأةً في عالم فانتازيا، تقفُ مع المرشد الذي قال لها وهو يتشاءب: "هل هناك مكانٌ معينٌ ترغبين في زيارته؟" فقالت وهي تنظر حولها: "لم اختر المحيء هنا، تم هذا برغمي، لكنني راضية عنه" ونظرت إلى أسوار المدينة، يبدو أن من يعيش هناك أديب مميز جدًا ومن الطراز الثقيل، فسألته: "من يعيش هنا يا مرشد؟" أجاب: "إنّه عالم دستويفسكي، هل تريدن زيارته؟" فردّت: "سأكون شاكراً لو أدخلتني إليه، لا أعتقدُ أنه سيكون مملاً"

^١ - قصة الوطواط، العدد ٢٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٥١

^٢ - المصدر السابق، ص ١٥٥

وهكذا وجدت نفسها شقراء وكانت ضفيرة جميلة تنسدل على كتفها الأيمن، قالت له: "أنا رائعة! سلمت يداك، ولكن من أنا؟" فقال وهو يتأملها بعمق: "اسمك هو (أولجا نتاليوفا) وبالطبع اسمك الآخر هو (تاشا)" فقالت: "اسمي الآخر، ماذا تقصد؟" فأجابها: "طبعًا، إن الروس يبالغون في الأسماء، هناك عدة أسماء لكل شخص" فأردفت: "وهل من معلومات أخرى عني؟" ففكر من جديد وقال: "نعم، أنت مدرسة، ومن موسكو، والأطباء نصحوك بالبحث عن مكان جاف للاستشفاء" فقالت في قلق: "استشفاء؟ هل أنا مريضة؟" فقال ببساطة: "كل أبطال الأدب الروسي قبل الثورة يعانون من الدرن، ويبحثون عن مكان حسن التهوية للاستشفاء". وسرعان ما كان قد رحل ووجدت عبير نفسها أمام بوابة عملاقة تقودها لعالم (دستويفسكي) الرهيب.

كان هناك بيت ريفي صغير، و له حديقة فيها بعض الأغنام والبط، وعجوز جالس يدخن غليونًا طويلًا ويتأمل الأفق حين رآها تدنو، فصاح بصوت واهن: "تاشا، لماذا تأخرت أيتها الشيطانة؟ إن الجميع ينتظرك في الداخل"^١ وعندما دخلت كانت هناك مجموعة عظيمة من الرجال، قال أحدهم: "تعال يا (أولجا نتاليوفا)، كنا قد بدأنا نقلق. قال الأول وهو يشير إلى الجالسين: "الحقيقة أن هناك خدعة زمنية، ما فنحن لم نجتمع جميعًا في مكان واحد بهذا الشكل ولم نكن متقاربين في السن" ثم أشار إلى الجالسين بالترتيب وقال: "هذا هو صديقي الثائر العصبي (مكسيم غوركي) صاحب رواية (الأم) وعدد لا بأس به من القصص القصيرة والمقالات، وهذا (نيكولا غوغول) صاحب (المعطف) والذي يمكن اعتباره بلا جدال أبا الأدب الروسي، أما هذا هو الكونت (تولستوي) وهو غني عن التعريف، وهذا (إيفان تورجنيف) أكبر المنادين بالاتجاه للحضارة الغربية، وهذا (بوشكين) شاعرنا العظيم" ثم أشار إلى صدره في تواضع وقال: "أما أنا (أنطون تشيكوف) رائد القصة القصيرة في الأدب الروسي" ولم تكن عبير متعمقة في الأدب الروسي، لهذا لم تصرخ فرحًا أو تقف على يديها، وقالت ببرود:

^١ - قصة عبيري، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٩

"حسبْتُ أن القصة تتعلّق بدستوفسكي" فأجاب: "لهذا نحن هنا، المشكلة التي يمر بها الرجل تحتاج حلاً سريعاً" هنا تدخل (غوركي) بطريقته العصبية نافذة الصبر: "فلتأخذني الأبالسة إن لم يكن دستوفسكي مصاباً باكتئاب شديد" وأضاف تولستوي: "الرجل يعاني شعوراً عارماً بالإحباط" وقال تورجنيف: "الحق إنه لشعور قاسٍ".

راقبت عبير الحديث دون أن تعرف ما دورها، إلى أن قال (تشيكوف): "الحب.. هذا ما يحتاجه (دستوفسكي)، وهذا ما يمكنك أن تمنحيه!" نظرت لهم في جزع وغمغمت: "هل الحب يأتي بالأمر؟! فأجابها: "ستتظاهرين بهذا، ليس الأمر صعباً" فقالت: "لكنني لا أعرف كيف أحب!"^١ وبطريقته الأبوية المتسامحة ابتسم تشيكوف وقال: "إلا هذا، أن المرأة مفضولة على الحب، وكل ما نطلبه منك أن تعترفي عالمه وتقتربي منه" وفكرت عبير أنها غير راغبة على الإطلاق في الترفيه عن شخصية من فانتازيا، لقد جاءت إلى فانتازيا كي ترفه عن نفسها، وأخذت تفكر حتى قاطعها (غوركي) بطريقته العدوانية: "تاشا، لا مجال للاختيار! إنك من الطراز المفضّل لديه، سوف تغيرين حياته كلياً" فأجابت وهي تعاني من نوبةٍ من السعال: "ليكن، لكن أين أجده؟" فأجاب: "خلفَ هذا الباب، في نهاية القاعة" هزت رأسها ومشّت في بطن، فخلفَ هذا الباب تكمن البداية الحقيقية لهذه المغامرة.

هنا روسيا القيصرية، ومجموعة من الأعمدة الخشبية مغروسة في الأرض، وعليها سجناء أيديهم مقيدة خلف ظهورهم. وصوت "استعد، صوب.." ارتجفت عبير ودمعت عيناها، القيصر (نيقولا الأكبر) قد عفا عن هؤلاء! وهنا شعرت بمن يرتّب على كتفها في رزانة، إنه المرشد، سألته: "أي رواية هذه؟" فأجاب: "ليست رواية، بل هو ما حدث فعلاً، وبالمناسبة فإن (دستوفسكي) هو أحد هؤلاء المقيدين إلى الأعمدة" صاحت غير مصدقة: "هل دستوفسكي مرّ بهذه التجربة حقاً؟! فأجابها المرشد: "نعم وعاشها في الثامنة والعشرين من عمره، ولم ينساها طيلة حياته، وقد وصفها بدقة في روايته (الأبله)"

^١ - قصة عبيري، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٨

فسألته وهي ترى الجنود يفكّون قيود المحكوم عليهم بالإعدام والذين صدر العفو عنهم: "إلى أين يأخذونهم؟" فأجاب: "إلى (سيبيريا) حيث المنفى، أرجوك لا تستبقي الأحداث"

الآن هي وسط الثلوج والجنود يرتدون معاطف طويلة من الفراء، خرجت الفؤوس وبدأوا تلك المهمة العجيبة، مهمة نقل الجليد من موقع إلى آخر، فسألت في غباء: "ما الذي يفعلونه بالضبط؟" أجابها المرشد: "لا شيء، أشغال شاقة عقابًا لهم" وأشار المرشد إلى المساجين وقال: "هذا الذي هناك قاتل، أما هذا فهو سفاح أطفال، وذاك لص بيوت" فقالت: "وهل سيعيش وسط هؤلاء السادة لطيفي المعشر؟"^١ فأجاب: "نعم، و الغريب أنه سيتعرف أكثر على الطبيعة البشرية من خلالهم وسوف يجلس ذات مساء ليكتب خبراته مع هؤلاء في (رسائل من بيت الموتى)، على كل حال حان وقت عودتك إلى موسكو"

وقبل هذه الأحداث وقبل فترة الأشغال الشاقة كان دوستوفسكي قد عمل لفترة كصحفي، وكان يكتب في نفس الوقت. وجمعتُه صدفةً مع (بلينسكي) الذي قرأ روايته الأولى وأعجب بها إعجابًا شديدًا، لكن سرعان ما شعر أن دوستوفسكي بدأ يسيطر عليه الغرور. و عندما قيل لبلينسكي أن دوستوفسكي أصبح لا يطاق، هزّ كتفيه وقال: "هذا الفتى موهوب، لكنّه لا يفعل شيئًا سوى أن يعتبر نفسه عبقرياً"

الآن هي تمشي في الظلام، ولا تعرف أين هي بالضبط، لكنّها متأكدة أنّها في حديقة منزل. أخيراً رأت نافذةً يخرج منها الضوء، اقتربت ورأت نازًا في مدفأة ورجلاً مسنًا يمسك بزحاجة ويرقص مع فتاةٍ غجريةٍ وينفجر ضاحكًا. والتناقض الغريب أن هناك ثلاثة شبّان يجلسون ويرمقونه في صمتٍ، من العجيب أن العجوز يلهو كالجانين بينما الشباب جالسون في وقار. "إنّ الأب (كارامازوف) قد تجاوز الحد" أجفّلت حين سمعت هذه الكلمات وقالت: "أفزعني يا مرشد!" فقال: "لا بأس بالفرع، فالقصة كلها

^١ - قصة عبقرى، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٤١

مرعبة مقبضة، ثم نظرت لها وابتسم وأكمل: "بالطبع لقد لاحظت أننا في قصة (الأخوة كارامازوف) ثم أشار إلى أحدهم وقال: "إنه (أليوشا) الذي يلعب دور الملاك، وهذا (إيفان) الفتى المتأنق والفيلسوف، أما الفتى الوسيم العصبي فهو (ديمتري) حاد الطباع. والحقيقة أن الأب هو نموذج لأبي دوستويفسكي الذي كان سكيراً بخيلاً يتعامل مع أسرته أقسى معاملة ولا يكف عن ضرب ابنه. ولكن بعد وفاة الأب، كان دوستويفسكي بحاجة إلى معرفة ظروف قتل أبيه، لهذا زار ضيعته، وجلس مع الفلاحين يسمع منهم ويسألهم".^١

لم يعد المرشد جوارها وكان عليها أن تبدأ من جديد، الآن ترى من النافذة أن الأمور لم تعد على ما يرام، حيث كانت هناك مواجهة تدور بين الأب وأبنائه، إنها مشكلة أسرية كما هو واضح. الآن حلّ الظلام، مشيت في الحديقة عاجزة عن معرفة أين هي. هنا شعرت بمن يصطدم بها بقوة فأجفلت وسقطت على الأرض وسقط هو بجوارها، إن هذا المسكين كان مريضاً بالصرع. إن للصرع أهمية عظمى في قصص دوستويفسكي لأنه كان مصاباً به.

في فترة نفيه في سيبيريا عرف دوستويفسكي سيده تُدعى ماري، ولعلها أول حب في حياته، حيث أرسل لها الفتى العاشق دوستويفسكي يتوسل إليها أن ترض به، لكن الجواب وصله ولم يكن منها بل كان من زوجها المستقبلي (فروجونوف) وبالطبع امتلاً بالشتائم، وكانت هذه أعظم إهانة لحقت به، وأدرك أنها لن تكون له، ولكن يبدو أن مصيرهما كان موحدًا أكثر مما يظن، حيث نال هو رتبة الملازم وتحسّن راتبه، بينما بدا أن الاخ (فروجونوف) يتنصّل من الزواج. وهكذا وجدت المرأة أنه من الأفضل أن تتزوج الشاب الموهوب غريب الأطوار. ولكن كيف يمكن أن تجد الراحة في حين أن شهر عسلها كان عبارة عن نوبات صرع متكررة من دوستويفسكي. راح الفتى يتلوى بينما عبير تردّد في الظلام: "يا لك من أحمق، اهدأ، سوف تؤذي نفسك". وفي الظلام اصطدمت

^١ - قصة عبقرى، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧٧

يدها بشيء معدني، ما هذا؟ سلاح! يبدو أن المفاجآت لن تنتهي هذه الليلة، لأن شبحًا مرّ من أمامها، كان هذا الجسد الضخم يخص (ديميتري كارامازوف) الذي يقف بجوار الشجرة وصدرة يعلو ويهبط. السيرك يستمر^١ حيث أن الرجل العجوز الأضلع يخرج من البيت ويمرّ جوار (ديميتري) في الظلام وهو لا يراه، وهكذا رفع (ديميتري) يده الماهون في السماء، و كانت اللحظة التالية لحظة سرعة بديهة و قوة ذراع ملكتها عبير ولم تكن تتخيلها قط، حيث امتدّت ساقها أمام ساق ديميتري الذي فقد توازنه، في حين أنّ يدها أمسكت بيد الماهون في قسوة وعناد، وانحالت على رأسها بالطبع شتائم روسية بذيئة جدًا. اتّسعت عيناه وهو ينظر لها غير فاهم، فقالت: "كدت تقتل أباك! يا لك من ثور هائج" فقال: "هذا ليس أبي، إنه جريجوري الخادم العجوز" ثم نظر إلى الفتى الذي صرعه الصرع وقال: "سمردياكوف! قم وكلمني، لماذا تسللت في الظلام مسلحًا؟" فأجاب: "أردت أن أقتل أبي" فهزّه ديميتري في عنفٍ وقال: "قلت لك مرارًا أن العجوز ليس أباك، إنه أبي أنا، وأنا أرفض أن أكون أخاك" فأجاب: "لكنّها الحقيقة يا ديميتري، أنا أخوك من أمّ أخرى" فقال ديميتري: "ليكن، سنتناسى هذا مؤقتًا، لماذا أردت قتل العجوز؟" فنظر إلى السماء وقال بصوتٍ كالفحيح: "كل شيء مباح" وهنا كان صبر ديميتري قد نفذ تمامًا وراح يضرب رأس الفتى مرارًا في الأرض حتى استوقفتها عبير في رعب: "كفى! لا نريد جريمة" فنظر لها: "لا أعرف من أنت ولا من أين جئت، ولكنك ملاك، جعلتني أعدل عن القتل" ثم نهضت وراحت تركض مبتعدة في الظلام.

كان المرشد يقف خارج أسوار البيت، فقال لها: "الأمر خطير، إن الرجل غاضب" فقالت: "أي رجل؟" فأجابها: "دستوفيسكي طبعًا، لقد أفسدت أهمّ قصتين له، ففي (الجريمة والعقاب) لم تحدث جريمة وبالتالي لن يكون هناك عقاب، وفي (الأخوة كارامازوف) أفسدت الموقف الأساسي في القصة لأنك عندما قابلت (سمردياكوف) كان يريد أن يبرهن أنّ كل شيء مباح حتى القتل، لذلك أراد أن يقتل (كارامازوف)

^١ - قصة عبقرى، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٨٢

الأب. أمسكت برأسها وهتفت في ضيق: "رحمك، اعفني من كل هذه الدهاليز النفسية" فقال لها: "من قال أن دستوفسكي أديب سهل؟ لكنك -ولك الفخر- قمتِ بتدمير القصة كلها، وحوّلتها إلى خرقة بالية. وفي اللحظة التالية لم يعد المرشد جوارها.

لقد قرّر العبقري (دستوفسكي) أن يستحمّ قليلاً في أوروبا كي لا يصاب بانحيارٍ عصبي بعدما أغلقت الحكومة القيصرية جريدته (الزمان) ولم يكن وحده في أوروبا، حيث كانت معه تلميذته الذكية المثقفة (بولين) التي اختارها هي بالذات كي ترافقه في رحلته. بالطبع سقط في شرك جمالها وركع عند قدميها مُصارحاً إياها بحبه، ولم تستطع أن تصدّق أن ينحدر الأستاذ العظيم إلى هذه الدرجة. هذه هي المشكلة؛ لقد أحبته كمثل أعلى^١ بينما هو أحبها كفتاة جميلة. وهنا ظهر المرشد، إنه يظهر كثيراً في هذه القصة، ولكن وجوده مهم. فقالت: "هل هي جميلة إلى هذا الحد؟" مطّ شفته السفلى وقال: "لا، ولكن كلّ الكتاب الكبار يقعون في حبّ فتياتٍ جميلاتٍ وسوف نجد أنّ بولين تسللت إلى كل قصص دستوفسكي لاحقاً، ك(الجرمة والعقاب) و(الإخوة كرامازوف) و(الأبله)، أما دورها الأساسي ظهر في (المقامر) التي تُعتبر أعظم وأعمق ما كتبه دستوفسكي عن داء القمار. حيث أن بطل المغامرة كان قد خسّر كل شيء في النهاية وخرج من الكازينو، حين شعر بشيءٍ يتحرّك في جيبه، كانت قد بقيت معه عملةً واحدة، وبعد ما سار مئة خطوةٍ غير رأيه، وعاد وقامر بهذه القطعة الأخيرة وكسب، وغادر وفي جيبه مئة وسبعين عملة.

كانَ هناك صحبٌ وضوضاء، والعديد من الشخصيات تتنافس على طاولة القمار، في حين أنّ الجدة العجوز كارهة القمار (أنتونيدا فاسيليفينا تراسيفيشا) قررت أن تجرّب بنفسها، وأخرجت قطعة عملة صغيرة من جيبتها، وجربت، وبالطبع خسرت وخسرت وخسرت، فصاحت في عصبية: "مراقبُ اللعبة هذا فرنسي! إنه نحس!" هنا التفت المرشد إلى عبير وهمس في أذنها: "هذا من المشاهد التي لا تُصدق في الرواية،

^١ - قصة عبقري، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٥

مشهد العجوز الوقور وهي تنغمس حتى النخاع في هذه اللعبة الشيطانية، التي جربتها على سبيل الفضول ثم فجأةً صارت مدمنة" وهنا شعرت عبير بالحزن يخنقها، وبدأت بالبكاء، فنظر لها البعض في فضول، وتقدّم نحوها (أليكسي إيفانيتش) وسألها: " أنتونيدا فاسيليفينا) تريد معرفة سبب بكائك أيتها الأنسة.. " فقالت: "إنها تنزلق إلى البئر الذي لم يرجع منه أحد، وأرى أن نساعدنا" فأجاب: "أنت لا تفهمين، أنا ولدتُ مقامراً! فكيفَ أساعدها." فقالت: "هل يمكننا أن ندخل إلى الشرفة لتتكلّم بهدوء؟" وهنا بدأ المرشدُ في البحث عنها، أخيراً وجدها في الشرفة، ولشدة غيظه سمعه يقول: "أشكرك، أنت ملاكٌ، ولا بدّ أنّ ظهورك في حياتي كان لغايةٍ مهمة، سوف أكون شخصاً آخر"^١ وما إن غادرَ الفتى المكان حتى راحَ المرشدُ يضربُ كفاً بكفٍ: "لقد أنقذته من المقامرة، ونسفت الرواية نسفاً". حاولي أن تجدي دستوفسكي وأن تجعله يقع في حبك بأسرع وقت.

وهكذا تابعت عبير في تغيير الأحداث في أعظم روايات دستوفسكي، فبعد (الجريمة والعقاب) و(الإخوة كارامازوف) و(المقامر) انتقلت لتغيير أحداث في رواية الأبله، وقد نجحت في ذلك. فقال لها المرشد: "أهنئك على إفساد قصة إضافية" فقالت في استخفاف: "أعتقد أن دستوفسكي قد كتب الكثير، ولا أحسبُ إفسادَ ثلاث أو أربع حبكات سوف... " فقاطعها قائلاً: "صدقت، حقاً هناك الكثير: (المساكين) و(الليالي البيضاء) و(الزوج الأبدي) و(مذلون مهانون) يوجد الكثير جداً.. " ثم نظر في ساعته وأكمل: "دستوفسكي الآن منهمكٌ في كتابة (رسائل من بيت الموتى)، لقد كتبَ هذه الرسائل بعد ما زاره أخو زوجته، وهو شابٌ روسي فرّ من الشرطة في موسكو، ودارت بين الرجلين مناقشاتٌ كثيرةٌ كتبَ على إثرها دستوفسكي قصته هذه. راحت تسعل وتسعل، وقد بدأ الدم يغطّي صدر ثوبها، ثم أظلمت الدنيا من حولها، كان المرشد على حقّ، إن الدرّن يكسبُ دائماً.^٢

^١ - قصة عبقري، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١١٠

^٢ - المصدر السابق، ص ١٤٦

كانت حيّة، بالتأكيد هي حيّة، وراقدة على أريكة أنيقة، رفعت عينها فرأت وجهه، لم تكن تذكر وجهه لكنها عرفت على الفور أنه ذلك الرجل. نهضت وسوّت ثيابها في توتر، فقال لها بصوت متعب: "أنت بخير" فقالت وهي تصلح خصلات شعرها: أنت دستوفسكي؟ فأجابها: "فيودور ميخائيلوفيتش دوستوفسكي" نعم أنا هو" ثم راح يتفحص الأوراق على مكتبه ويغمغم: "كما أرى أنت أفسدت بعضاً من أفضل رواياتي، لقد تدخلت بشدة في قصصي وفي اللحظات الحاسمة، لماذا تعمدت هذا؟" فأجابت: "لم أتعمد، لكن أبطالك كانوا في أسوأ حال، وكانوا في حاجة للمساعدة، هل لي أن أسألك ما سر الاكتئاب الذي يخيم على حياتك؟" فقال بعد تفكير: "ربما لأنني لم أجرب الحب قط، كنت أتعامل مع القبح البشري والضعف البشري" فقالت: "لكنك تركت لنا ما يعيننا على فهم أنفسنا" فأجاب: "أنا أشبه بسائق القطار الذي لا ينعم بحياته لكنه يجعل حياة الآخرين أفضل" كانت تنظر له محاولة فهم ما يرمي إليه، فقال دستوفسكي مواصلاً شرح أفكاره: "الحقيقة أنه من العسير عليّ أن أعترف أنه من الأفضل لو أنني كنت مجرد رجل بسيط سعيد بلا عقل، كان هذا سيريجني." ثم بدأت ذراعه ترتجف ببطء، والتوى فمّه وسقط على المقعد والزبد يسيل من فمه، إنها نوبة صرع عظيمة، فنظرت ووجدت قارورة الدواء على مكتبه، وهرعت وفتحتها وسكبت منها بعض قطرات في فمه. مرّت لحظات ثم بدأ يثوب إلى رشده، وعندما فتح عينيه كانت قد أصيبت بالهلع، فقال لها: "هل ترين؟ كل أنثى عرفتها كانت تُصاب بالهلع حين ترى هذا المشهد" وأكمل: "أنت طاهرة جميلة كخواطر الأطفال، وقد تمكنت من تحرير أبطالي من تعاستهم الدائمة، فهل تقدرين على هذا معي؟" ومن دون إنذار هوى على ركبته أمامها وقال: "أنت الوحيدة القادرة على منحي السعادة، أنت قادرة على أن تلهمني الحب" وفي اللحظة التالية أطلقت عبير صرخة فقد كانت الدماء تسيل من فمه، فتراجعت إلى الوراء غير فاهمة ما حدث له، وارتطمت بمن يقف وراءها فأجفلت، كان هذا هو المرشد الذي قال: "لا جدوى، هكذا مات دستوفسكي في

الحقيقة، عندما سقطَ منه القلم فأنخى ليحضره لكنَّ شرياناً رئيسياً في رئته انفجر.. " ثمَّ تأبط ذراعها ليخرجها من الغرفة الكئيبة. وفي الخارج كان قطار فانتازيا يتأهب للرحيل^١.

في مملكة الأخوين

بعد مرور هذه الفترة لوجودها في بيتِ أمها، أرسلَ شريفٍ لعبير هديةً مع أخيها. وصلَ أخوها إلى البيت و معه الصندوق، وعندما فتحه وجدَ كمبيوتر وشاشة وبعض الأسلاك. وعندما رآها عبير تذكرت كم أنها مواطنة في عالم فانتازيا، هذا هو مكانها الوحيد ومن دونه هي عاجزة للأبد عن التأقلم. أخذته إلى حجرتها ومدت يدها وبجثت عن القابس، بدأ المدير، الجهاز يستردُّ كينونته وذاكرته، تَبَّتْ الأقطاب على رأسها وأخذت شهيقاً عميقاً.

وجدتُ المرشدَ قادمًا نحوها بتؤدة وسألها: "إلى أين تريدان الذهاب هذه المرة؟ هل تحبّين الأميرات والأمراء والساحرات الشريرات؟" فأجابت: "يبدو هذا مغريبًا، ماذا عندك بهذا الصدد؟" لم يردَّ عليها وأشار إلى القطار ليقف وقال وهو يجذُّ السير " يجب الإسراع إذن، إن المملكة في الجانب الآخر من فانتازيا، إنه مشوارٌ شاقٌّ لكنَّهُ يستحق" نظرت من النافذة فرأت عالماً من المروج الخضراء التي فيها طواحين متباعدة وخراف شديدة الاكتناز وفلاحات متوردرات الوجوه وسماء شديدة الزرقة وبيوت ذات سقوف منحدرّة من القرميد. شعرت بالسعادة وأوشكت على القفز من النافذة، وقالت للمرشد: "أين أنا؟" فأجابها: "يا له من سؤال! أنتِ في ألمانيا طبعًا، ثمَّ أشار إلى مبنى كئيب يتوسط شارع كئيب و قال لها: "أتمنى لك حظاً سعيداً، فسألته: "لماذا تركت كل هذه المناظر الجميلة وجمت بي إلى الجهة الكئيبة؟!" فقال لها: "ظننت هذا واضحًا، إن هذا المبنى هو قسم الشرطة و هنا ستكون البداية"

دخلتُ إلى قسم الشرطة واتّجهت إلى مكتب المفتّش (بليتز) الذي سأله: "هل تريدان أن تبدأي اليوم يا (باومان)؟" فأجابته: "طبعًا، أنا أكره أتهام الأبرياء" فقال لها:

^١ - قصة عبقرى، العدد ٣٠، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٥٧

"أريد أن تدخلني بنفسك إلى عالم الأخوين (جريم) لتعرفي أنّ هذين الرجلين يتمتعان بميولٍ نازية، ولهذا بدأنا نصادر كتبهما"^١ فأجابت: "كلامك هذا عن كاتين لقصص الأطفال!" فأجابها: "إن الأطفال تربة خصبة تصلح لبذر أي معتقد" ثم فكّر قليلاً وأضاف: "لربما اضطررت أحياناً إلى التدخل في القصص، وربما وجدت بعض رجالنا هناك، والآن يمكنك البدء، إن الملازم (دانييل) سوف يساعدك في الوصول إلى الغابة" خرج معها (دانييل) وقال: "سأضعك على أول الطريق في بلدة (هانو) قرب (فرانكفورت) حيثُ وُلد الأخوان، هناك بعض الأشياء التي يجب أن تعيها". سيكون عالماً ساحراً أو هكذا من المفترض أن يكون.

كانت الآن على ركبتيها منهمكةً في تنظيف البلاط بالفرشاة عندما دخلت امرأةٌ شريرةٌ ووقفت فوق راسها وقالت لها: "يا لك من حمقاء" ثمّ ظهرت فتاتان شريرتان. شعرت تعبير أنّ القصة مألوفة، إنها في شخصية (سندريلا) وهذه هي زوجة أبيها الشريرة وابتناها المزعجتان. لكنّ عبير تعرف أنّ فانتازيا لا تتصرف كما هو متوقع لذا وصلت التنظيف في اجتهاد وقررت أن تنتظر لتمر. "أنت قبيحةٌ جداً، قالت إحدى الفتاتين ثمّ قالت الثانية: "لن تحضري الحفلة معنا" فنهضت عبير في صمتٍ وذهبت إلى المطبخ حيثُ رأت فأراً حكيمًا قويَّ الشخصيةً وأدركت على الفور أنّه يتكلّم فقال لها: "إن (سندريلا) لمعلوماتك ليست من بنات أفكار الأخوين (جريم) بل هي أسطورةٌ شعبيةٌ موجودةٌ في ثقافات معظم الشعوب" فقالت: "هل تعني أنّهما سرقاها؟" فأجاب: "لا! إن جمع الفلكلور الشعبي وتنسيقه ليس سرقة، وعلى كلّ حال لن نستبق الأحداث، لنعد إلى دورك، أنت الآن حزينةٌ لأنّ الحنزيرات الثلاث ذاهبات إلى الحفل الذي يقيمه الأمير". وبالفعل ذهبن وهنّ يسخرن منها فبقيت وحيدةً وجلست تبكي، وهنا تسلل ضوءٌ أزرق غامض من باب المطبخ وراحت النجوم تتناثر، ودخلت الجنية وقالت بصوتها الرقيق: "هل تبكين يا سندريلا من أجل حفل؟ سوف تحضرينه اعدك بهذا" وتمّ الأمر

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٧

بسرعة، لمسةً من العصا السحرية ووجدت نفسها ترتدي ثياب الأميرات وتحول شعرها إلى أروع قصة شعر رأتها في حياتها، وبللمسة أخرى بنت لها أجمل عربة. هنا دنت الجنية من باب العربة وقالت: "هناك مشكلة صغيرة، إن مفعول سحري ينتهي عند منتصف الليل".^١ كان دخولها إلى القصر أسطوريًا، حيث هبطت من العربة ممسكةً وأخذت نفيراً يدوي من مكانٍ ما، وتصدت الدرج ومن خلفها ذيلٌ ثوبها الطويل، الخدم ينحنون، الحجاب ينحنون، الأبواب تفتح، الموسيقى تتوقف، والكل ينظر في دهشة إلى هذه المعجزة الجميلة التي دخلت، في حين أن شابًا رشيماً كالغزال ومتأنقًا كالطاووس جاء بخطى واسعة نحوها، إنه الأمير طبعًا، ثم ينحني ويلثم كفها ويبدأ الرقص، في حين أن الخنزيرات الثلاث من بعيد ينظرن في مزيج من المقت والحسد، لا بأس بهذا الانتقام لكن لذته لن تكتمل إلا حين يعرفن أن هذه سندريلا بالذات. لكنها في وسط هذه الأحداث لم تنتبه إلى الساعة، وفجأة شعرت بأن ثيابها لم تعد بذات الجودة والرائحة العطرة وأن قدميها كانتا حافيتين على الأرض، وهنا بدأ الكثير من الذعر والتساؤلات، وبعد صمتٍ قال الأمير: "أنت نفس الفتاة؟! لقد استعملت السحر، أنت ساحرة" وصاحت زوجة أبيها: "سندريلا، يا لعينة!" وأكمل الأمير وهو يدير ظهره: "خذوها إلى السجن، ولتواصل الفرقة العزف"

وهكذا يا سادة انتهت قصة سندريلا بالنسبة لعبير البائسة، ونحن الآن مع عبير في السجن في عوالم الأخوين (جريم) وهنا دخلت امرأة وقالت لها: "هل تذكريني؟ إنني (دوروثي فايمن) فقالت لها عبير: "من أنت؟" فأجابت: "أنا...". ثم تذكرت شيئًا فمدت يدها وأخرجت مفتاحًا ودسسته بالقفل وقالت: "الآن يجب أن تفري، لا وقت للشرح لأنهم سيحرقونك باعتبارك ساحرة عند الشروق" فسألته عبير: "وإلى أين أهرب؟" فأجابتها: "إلى الشمال، حتى تصلي إلى (شفالماشتات)" وراحت عبير تركض بين

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٥٠

الأقفاص وضمت أسمائها على جسدها وغمغمت: "لم يكن الأخوان (جريم) صادقين تمامًا، هناك قبْحٌ في هذا العالم، قبْحٌ شديد"

تعبرُ عبير غابةً مظلمةً باردةً وهي وحيدةٌ خائفةٌ، لا تدري كيف ولا متى فقدت وعيها وسقطت على الأرض من فرط الإرهاق والتعب، لكنها حين صحت من نومها بفعل ضياء الشمس^١ وجدت أن الغابة أرحب وأجمل. ومشت حتى رأت كوخًا من بعيد، فتوجهت نحوه ودخلت إليه، وكان - كما نعرف - يحوي سبعةً أسرّةً ومنضدةً صغيرةً عليها سبعة أطباق وملاعق، أما المعجزة الكبرى التي جعلها الأخوان (جريم) ممكنةً فهي أنها نامت بعمق. وهكذا صار المسرح معدًا لقصة (بياض الثلج) التي هي من أهم وأجمل ما كتبه الأخوان.

وحين عادَ الأقزام السبعة إلى الكوخ من عملهم في المنجم، كانَ الترتيب المفزع الذي ربّته عبير قبل أن تنام هو أول ما لاحظوه، و المفاجأة الأخطر أن هناك فتاةً جميلةً تنام في فراشٍ أحدهم. وبعدَ الكثير من الزعر تنهضُ عبير لتعلنَ أنها فتاه وأنها حسناء، وتعطي كلاً منهم قبلةً على خده. وهكذا - بنعومةٍ لا تُصدق - تحولت (بياض الثلج) إلى الحاكم بأمره في هذا البيت، وصارت تحدّد للأقزام البسطاء السعداء ماذا يأكلون ومتى ينامون ومتى يصحون. وفي هذا الوقت - كما نحن نعرف - توجد ملكةٌ شريرةٌ وساحرةٌ، والساحرات في عوالم (جريم) رائعاتُ الجمال، لكنّه جمالٌ باردٌ كالثلج. كانت هذه الملكة تعرف أنها رائعة الجمال، ولكنها كانت بحاجةٍ إلى أن يطمئن قلبها من حين إلى آخر، فكانت تسأل مرآتها: "من هي أجمل امرأةٍ في الكون؟" فتقولُ المرآة نفس الجواب الذي ردّدته آلاف المرات: "أنتِ طبعًا". إلى أن جاءَ اليوم الأسود الذي قالت فيه المرآة جوابًا مختلفًا: "إن بياض الثلج التي تعيش في كوخ الأقزام السبعة أجمل منك بمراحل" وبالطبع يمكننا تخيّل كيف جنّ جنون الملكة، وانتقامها كان من نوع مبتكر.^٢

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٦٦

^٢ - المصدر السابق، ص ٧٤

في هذه اللحظة رأت عبير شبح امرأة يخرج من الغابة متجهًا نحوها، وعندما اقتربت غريبة الأطوار هذه اكتشفت أنها (دوروثي فايمان) التي قالت وهي تنظر حولها: "هؤلاء الأقرام ليسوا على ما يرام، حاولي ألا تثقي بهم إلى هذا الحد" هنا تعالت أصوات الأقرام عائدين من بعيد مرددين نشيدهم الشهير، فنظرت المرأة إلى عبير واتسعت عيناها وهتفت في جزع: "لم يعد هناك مزيدٌ من الوقت للشرح، أنا راحلة، أعتقد أن اليوم هو اليوم المختار، سلي نفسك عن السبب الذي جعلهم يعودون مبكرًا" ودست في يدها وريقة صغيرة ملفوفة حول مسحوقٍ ما، ثم توارت بين الأشجار. استقبلتهم عبير ثم دخلت إلى الكوخ وراحت تعدّ الطعام كعادتها، لكنها سمعت ثرثرة الأقرام "يمكننا الانتهاء الآن، أنا سأبدأ بالعنق أما أنت فقيّد اليدين معًا" القصة واضحة، دوروثي لم تكن تكذب، هؤلاء الأوغاد يعملون تحت إمرة الملكة الساحرة، بشكل ما استطاعت تلك الشريرة أن تجنّد هؤلاء السبعة حتى يقتلوا (بياض الثلج)، والآن ماذا تفعل؟ كيف تتصرف؟

المسحوق! لقد أنقذتها (دوروثي) من قبل ولا يوجد ما يمنع أن تستمر في هذا. مدّت عبير يدها إلى الورقة وأفرغتها في إناء الطعام، والتف الأوغاد السبعة حول المائدة وبدؤوا بالأكل، إنهم يعتقدون أن الوقت قد حان وهي تعتقد الشيء ذاته، فقالت وهي تضغط على كلماتها: "أريد أن أفهم لماذا تريدون قتلي؟ هل أنتم أشرار أم مرغمون على الشر؟" وقبل أن يجيبوا تهاوت أجسادهم أرضًا، ودنت عبير وتحسست عنق الأول فأدركت أنه يتنفس لكنه نائمٌ بعمق، فنظرت إلى الكوخ نظرة أخيرة وعلمت أنها لن تراه ثانية، كانت هناك عباءة حمراء رائعة وهي أجمل من أن تتركها في هذا الكوخ اللعين، لهذا ارتدتّها حول جسدها ورفعت القلنسوة لتغطي شعرها.^١

جلست تحت شجرة وأخذت تكتب في مفكرتها: إلى حدّ ما يمكن القول أن الأخوين (جريم) تحدثا عن عالمٍ لا وجود له، عالمٌ ينتصر فيه الخير ويمكنك فيه ببساطة

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٨٤

أن تعرف الطيب والشرير" ثم وضعت المفكرة بين حاجياتها وقررت أن تواصل الرحلة نحو الشمال. هنا فقط بدأت تعي حقيقة ثيابها، إنها تلعب دور (ذات الرداء الأحمر) لم لا ونحن نعرف أن (شفاليشتات) هي بالفعل موطن (ذات الرداء الأحمر). هنا دوى عواء ذئب، فأجفَلتُ ونظرت حولها، ورأته يتقدّم نحوها وقال: "صباح الخير أيتها الحسناء" فقالت وهي تبتعد: "قالت لي أمي ألا أكلم الغرباء" وابتعدت عنه، ولكنه كان يقترب منها باستمرار، فقررت أن تلجأ إلى سلاح المرأة (الصراخ) وهنا رأت جدارًا من العضلات يقفز من بين الأحراج حاملاً فأسأ يلوخُ به في الهواء، وعندما رآه الذئب أطلق عواءً قصيراً ثم أطلق ساقيه للريح. فقال لها الحطّاب: "ما كان لك أن تكلمي الغرباء يا فتاة، أين دارك؟" فقالت وهي تشير إلى الدخان يتصاعد إلى السماء: "هذا كوخ جدتي" فأوصلها إليه وقال: "لا تنسي، لو ضايقتك أحد ثانيةً اصرخي، اسمي هانز" وهكذا دخلت الكوخ، ثمة امرأة عجوز في الفراش، هذه هي الجدة طبعاً، والتي قالت بصوت واهٍ ضعيف: "هل جئتِ يا (ذات الرداء) فأجابت: "نعم يا جدتي" وبالطبع تذكرت عبير كيف أن الذئب كان متخفياً في ملابس الجدة وأسنانه كبيرة ليأكلها، وهكذا صرخت عبير ووثبت إلى الورا. وهنا كشفت الجدة عن وجهها، إنها (دوروثي) المرأة التي تصرُّ على الظهور حين لا ينبغي لها ذلك. فصرخت عبير: "لا بد أنك جنتِ يا دوروثي" فقالت: "أسفة جداً لكن يجب أن يتخفى المرء في هذا العالم" فقالت: "أين جدتي؟ هل ماتت؟" فأجابت: "لا، هي بخير وتنام في الغرفة الأخرى" وقبل أن يكتمل الحديث ارتجت الأرض حين اقتحم الحطّاب المكان وهو يعوي ويلوح بالفأس، فصرخت عبير: "لا تفعل! إنها بريئة، إنها ليست ذئباً" فقال: "لماذا صرحتِ إذن؟ على كل حال المرأة الثرثرة أخطر من الذئب" ثم وضع الفأس جانباً وقال: "أعدي لنا شيئاً نأكله" فقالت: "مرحبا بك، وليس لدي ما يؤكل، وأنت انتهيت من مهمتك" فأجاب: "هكذا يكون العرفان بالجميل؟ على جميع الأحوال لقد وجدت أنك في أمس الحاجة إلى رجلٍ قوي يعني بهذا البيت، وأنا بحاجة إلى بيت مريح وامرأة تجيد الطهي" هكذا إذن، يريد الاستيلاء على البيت ومن فيه. هنا حدث شيء غريبٌ حيثُ وثب الذئب من النافذة،

وقبل أن يفهم الخطاب شيئاً كان الاثنان قد التحاما في صراعٍ عنيفٍ حوّل الخطاب إلى جثة غارقة في الدماء. أمسكت عبير الفأس، فقال لها الذئب: "دعي هذا السلاح، فقد يؤذيك، مشكلتك أنك تصدقين القصص الخيالية! في الحقيقة هناك ذئب طيب القلب وشهم، أضناه الفقر وأضنته الوحدة، إنه أنا. اعرفي أن الخطاب لم يكن ملاكاً، وأنا لسْتُ شيطاناً. أتمنى لك حظاً سعيداً في رحلتك نحو الشمال.^١

وهكذا اتجهت عبير إلى (سابادورج) غيرِ عالمةٍ ما ينتظرها، جلست تحت شجرة وراحت تدوّن الملاحظات كي لا تنساها "من جديد أجدُ فرقاً كبيراً بين العالم كما أراد (الأخوان جريم) وصفه للأطفال، وبين الحقيقة المريرة". هناك كانت قلعةً وسط الضباب، نهضت ومشيت في رفقٍ عبر الطريق المتعرج، وكان هناك بابٌ معلقٌ من النوع الذي يهبطُ من أعلى وكان في وضع الهبوط، فدخلت بكل حماقة، كلُّ شيءٍ يدلُّ على أن هذه القلعة مهجورة، مشيت بين الممرات كأنها تبحثُ عن أي شخص، وهنا صرخا عندما تحرك شبحٌ أمامها ومدّ يده لها، وعندما نظرت إليه قالت: "أنت من جديد! أنت كالكابوس الذي لا ينتهي يا دوروثي" فردّت: "لي معك كلمتان لكني لا أستطيع أبداً أن أجدَ الوقت المناسب كي أقولهما، أنا أعرف كل شيء عن الأخوين جريم..". ثمّ تعالى صوتٌ مغزلٍ في القاعة المجاورة فتوارت دوروثي في الظلام. وفي فضولٍ مشيت عبير إلى مصدر الصوت، وكان ما رأيته هو امرأةٌ عجوز تجلسُ على الأرض منهمكةً في إدارة المغزل. وشعرت بأنها متعبةٌ فعرضت عليها أن تساعدتها، ابتسمت المرأة وناولت المغزل لعبير، الآن تذكرت! عندما جرحت كفها تذكرت قصة (الأميرة النائمة) وشعرت بنعاس غير مسبوق، فتحاملت على نفسها حتى تصل إلى الدرج، ثمّة غرفة نوم مفتوحة كأنما هي دعوة صامتة لها كي تنام. لم تعرف كم نامت، أسايغاً أم شهوراً أم أعواماً، ولكن هناك أصوات حوافر حصان قادمة من بعيد، هل هو أميرها؟ نعم، إن أحداً يقف الآن جوار فراشها، ولكن هنا حدث أغرب شيء في العالم، في البداية أطلقَ هذا الرجل سبة ألمانية

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٠٠

بذئبة، ثم قال: "حتى الجثث أكثر ثراءً مني! ماذا تفعلين بهذا العقد الثمين؟" ومدّ يده وانتزع العقد المحيطَ بعنقها ثمّ غادر الغرفة. هنا وجدت عبير أن حركتها صارت ممكنة، لقد زال السحر إذن بفضل هذا اللص الذي يسرق الجثث. هل هذا أمير الأحلام الذي انتظرته؟! هذه قصة أخرى ليست بالروعة المرجوة.^١

من بعيدٍ رأت قريةً صغيرةً، وعندما اقتربت رأت لافتةً عملاقةً تحملُ اسم قرية (هاملن) وعندما اقتربت أكثر داخلَ القرية رأت الفئران في كلِّ مكان، الأرض مغطاةٌ بعشراتٍ منها، في حين تجمّع أهالي القرية مع العمدة في الساحة، وراحوا يقترحون اقتراحات غبية لمكافحة الفئران، وهنا سمعوا صوتًا من بين الحشود يقول: "أنا أستطيع" كان صاحبُ الصوت رجلًا طويلًا يعلّق مزمارًا تحت إبطه. فسأله العمدة: "هل تقول أنك تستطيع؟" فأجاب: "بالفعل يا سيدي، ولكن يجب أن نتفق على أجري أولاً" وهمس في أذن العمدة بكلمات جعلت وجهه يحمر، واضحٌ أن الثمن الذي طلبه فادح، ووافق العمدة عليه. وبدأت الأنغام تنساب من المزمار، وبدأت الفئران تلاحق هذا الغريب، هو يتقدم الموكب وهي تتبعه، إنه متّجه إلى النهر، أخيرًا وصلت الفئران إلى الماء وراحت تھوي وتغرق، لم يتوقف عن العزف وكانت النتائج باهرة. وبعدها وقف وقال: "لقد بررت بوعدي، تمّ العمل وبقي الأجر" فحاول العمدة أن يطري عليه لكنه قال بحزم: "أجري أولاً لو سمحت" وتجادل الرجلان حتى صاح العمدة: "لن تلوي ذراعنا، إن أجرك مبالغٌ فيه" فنظر له الزمار في صبر وابتعد. هذه المرة كان اللحن يختلف بعض الشيء، لكن النتيجة كانت مشابهة لما حدث قبل ذلك، الفارق الوحيد أن الأطفال هم الذين تبعوه ومشوا وراء ألحان المزمار وبدأ الناس يتصايحون. هنا سمعت عبير صوت امرأةٍ تقول: "هذا هو انتقام الزمار، إن أحدًا لن ير هؤلاء الأطفال بعد اليوم" استدارت عبير لتتعرّف صاحبة الصوت فوجدت أنها (دوروثي فايمن) بالطبع ومن غيرها، فقالت لها: "لقد خدع العمدة الزمار، ولكن ما ذنب الأطفال؟" فقالت (دوروثي): "ليس عالمٌ

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١١٦

(الأخوين جريم) جنة (ديزني) كما ترينها في الرسوم المتحركة" فقالت عبير: "معك حق، ولو تناسينا كل شيء، أريد أن أعرف من أنت؟" فقالت لها دوروثي في غموض: "أنا صاحبة هذه المملكة الحقيقية"^١ قالت لها عبير: "ماذا تقصدين؟" فقالت دوروثي وهي تمسك بيدها وتقتادها إلى طريق بين الأشجار: "في هذا الكوخ ستعرفين كل شيء" وقرعت دوروثي الباب، وعندما دخلت كان أول ما رآته عبير هو منضدة ثقيلة من الخشب عليها كومة من الكتب وشابان يجلسان إلى المنضدة أحدهما منهنك بالكتابة والآخر يقرأ في بعض الأوراق الصفراء، قال الذي يكتب: "دوروثي، قلت لك أنه غير مرحّب بك هنا" فقالت العجوز: "أريد أن أعرف الآنسة عليكما، أقدم لك الأخوين (جريم)" نظرت عبير لهما في انبهار غير مصدقة، فقال أحدهما: اشرفنا يا آنسة، هل استمتعت في عالمنا الساحر؟" فقالت عبير في حجل: "لم أر كل شيء" فأجابها: "ولن تستطيعي أن تري كل شيء، لأننا كتبنا ٢١٠ قصة، ولا يمكن أن تزعمي أنك تعرفينها جميعاً" ثم أشار إلى دوروثي و قال: "هذه المرأة تدّعي ببساطة أنها هي من صنعنا، وأنها ملهمتنا الأولى، وكل ما في الأمر أنها حكّت لنا بعض القصص الشعبية" وتدخّل الآخر قائلاً: "لو كان لكل مصدر من مصادرنا الحقّ في أن يتفاخر بأنه هو من صنعنا لما صار في هذا العالم موضع قدم" وفهمت عبير ما يريد الأخوان قوله، إنهما استقيا الحكايات من أفواه عشرات الفلاحين والخدامات و .. ثمّ طوروها وصنعوا منها ذلك المزيج الساحر. وهنا بدأت عبير تفهم لماذا اتّهم المفتش الأخوين جريم بعدم الأصالة، إن كل قصة مما كتبنا لها أساس ما في الحكايات الشعبية. وخارج الكوخ علت أصوات الصراخ وكان الزحام عظيمًا، أول من رأته هم الأقرام السبعة فصاح أحدهم "ها هي ذي قد سرقت ذهبنا" ثمّ ظهر لصّ القلعة وقال: "تلك النائمة، لقد خدعتني" ومن بعيد جاء رجل شرطة يلوّح بقيد حديدي ويقول: "لقد وجدنا جثة الحطاب في كوخك، أنت ذات الرداء الأحمر بعينها" وتصاعد الغبار عندما جاءت مجموعة من الخيول وقال رجل

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٣٩

الشرطة: "الأمير يريد هذه الساحرة، لقد أعددتنا الساحة لحرقها" هنا سمعت صوت المرشد المطمئن يقول: "معذرةً يا رفاق، لن يأخذ أحدٌ هذه الفتاة، حان وقت العودة" فقالت: "مرشد، لم أسر قط برؤيتك مثلما سررتُ اليوم" فقال في تواضع: "الإنقاذ في اللحظات الأخيرة، هذا سهلٌ بالنسبة لي".^١

ما أمام الطبيعة

تساءلت عبير عن وجهتها هذه المرة. "رفعت اسماعيل العجوز! هو ذا؟ إذن نحن في عالم.. فتابع المرشد: "ما وراء الطبيعة، ظننتُ هذا واضحًا". فقالت: "أودّ أن أحوض تجربةً معك، ولكن ما دوري؟" فأجاب: "أنتِ مراسلة تلفزيون شابة، متوسطة الجمال وذكية كالثعالب" ثم أردف: "يجب أيضًا أن يكون هناك اسمٌ للمغامرة، وإلا لن تحدثَ أبدًا" فأجابت بغیظ: "يا سلام، لا أعرفُ شيئًا، فكيف اخترت اسمًا؟! فأجابها: "رفعت يؤمن أن الأحداث تولد من العنوان وأنه هو نقطة البدء" فبدأت تفكر وقالت: أسطورة ال... فقطاعها المرشد: "رائع! أنت عبقرية، لم يستعمل المؤلف هذا العنوان، هيا نطلق للقصة" فقالت في عدم فهم: "أية قصة؟! فأجاب: "قصة ال... بالطبع"

الآن هي واقفة في مدخل بناية، لكنها ليست مصر، إنها نيويورك. ماذا أتى بها هنا؟ وماذا يفعل رفعت هنا؟ وجدّت نفسها تحمل مكبر صوت و تعطي حدثًا ما، أي حدث؟ جثةٌ تخرجُ من المبنى، إنها جريمة قتل، خرج المفتش (رودمان) و تطايرت الأسئلة من حوله دون أن يجيب ثم انسحب إلى سيارته وذهب بعيدًا وسط أضواء وأشرطة الصحفيين. وبدأت تحاول معرفة تفاصيل أكثر فسمعت من يقول: "لقد مات ويليام هذا البائع المتجول الهادئ بنفس الطريقة الشنيعة التي مات فيها جوش من فترة" إذن هذه ليست الجريمة الأولى، عليها أن تسمع و تفتش بدقة. وقفت أمام الكاميرا وقالت: "هذه الجريمة تطرح سؤالًا، من قتل هؤلاء؟^٢ من يقوم بهذه الجرائم؟ على الشرطة أن تحدّ

^١ - في مملكة الأخوين، العدد ٣٢، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٥٦

^٢ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٣

حلاً قبل أن يدبّ الذعر، كانت معكم (ويلما موريسون) وراحت تفكر، إذن هذا هو اسمي، ويلما، اسم جميل. وهنا سمعت صوتاً يقول: "إنها الثالثة ونحن لم نأكل بعد، ما رأيك في همبرجر بالجن؟" طبعاً هذا صوتُ صديقها المصور، وجلست تفكر كيف مات هؤلاء بهذه الطريقة؟ لا أحد يقتل ضحاياه بأن يلقّهم حول أنفسهم ثلاث مرات كأنك تطوي رغيفاً، إن طريقة القتل هذه لها رائحةٌ شيء حارق. المهم أنها تناست الأمر وراحت تلتهم الهمبرجر بالجن، بينما صديقها المصور (جيرري) يثرثر عن أحلامه في التوجه إلى هوليوود. راحت عيناها تدوران في القاعة ثم توقفنا أمام رجلين جالسين على منضدة، الأول أصلع الرأس ونحيل، يبدو مألوفاً ببذلته الكحلية الواسعة، والثاني ضئيل الحجم له ملامح طفولية وينهضُ مسرعاً. الأول بالطبع هو رفعت اسماعيل، لا شك في هذا، إنه متأهبٌ للموت في أي مكان وأي لحظة، وهنا رأيت أنه يحاول التقاط قرصٍ ودسه في فمه لكنه يفشل ويقع منه القرص على الأرض، فهرعت إليه والتقطته ودسته في فمه. ظلّ ساكناً للحظة ثم بدأ يهدأ وقال: "شكراً لك، إنه النتروجليسرين كما تعلمين.. نوبةٌ قلبية..". ثم مدّ يده وقال: "رفعت اسماعيل، طيبٌ مصري، أنا هنا في مهمةٍ علمية" فقالت: "ويلما موريسون، مذيعة التلفزيون" وقدمت له زميلها جيرري، ثم عاد الرجل الثاني قصير القامة وقال: "معذرة، كنت في الحمام، إنها مشكلة البروستات، أنا (سام كولوبي) وكما يزعمون أنا أعظم ساحر في نيويورك" ثم نظر إليها بتمعن وهتف في ذهول: "أنت ويلما! المذيعة الأهم في شبكات الأخبار، هناك شيء أود أن أقوله عبر شاشتكم وصديقي إن ما سأقوله سيجلب اهتمام المشاهدين، وهو نفس السبب الذي جعلني أطلب لقاء الدكتور اسماعيل، إن لديّ معلومات هامة عن سفاح نيويورك، إذا كان الأمر يهّمك تعالي أنتِ وطاقم التصوير، سيكون هناك جلسة تحضير أرواح ذات أهمية خاصة"^١

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٣٠

في الساعة العاشرة مساءً عرفت عبير أن هناك قتيلاً آخر في (مانهاتن) وراحت تركض وسط الراكضين مع المصور جييري، وهذه المرة كانت الجثة قد تحوّلت إلى عجين، نظرت عبير في الأرجاء وتصلّبت منابثُ شعرها، قد يكون هذا مهماً وقد يكون لا، لكنها متأكدة أنها رأت شعاراً على شريط الفيديو يشبه الشعار الذي أمامها الآن في مرة سابقة، شركة (شانجري لا) وعندما اقتربت لتتأكد صاح فيها ضابطُ ضخمة الجثة: "أنت مراسلة تلفزيون، أنا أعرفك، حذار أن أراك في مسرح جرائمي بعد اليوم!" واستطاعت بسرعة قبل أن ترحل أن تدوّن عنوان شركة (شانجري لا) من على أحد الشرائط.

لم يكن أفخم ولا أكبر نادي فيديو في الولايات المتحدة بل كان عادياً جداً، دخلت ووجدت فتاةً تتقدّم نحوها وتسالها: "هل لي أن أقدم لك خدمة؟" فأجابت: "أريد فيلم (الشفرة)" وبلا رد فعل ذهبت الفتاة وأحضرته ووضعتة في كيس، فشكرتها عبير وأعطتها بياناتها ودفعت الثمن، وعادت إلى منزلها وأعدت لنفسها عشاءً ثم التشغيل الشريط هنا دق الهاتف شغلت الشريط. هنا رنّ الهاتف وسمعت صوت الدكتور اسماعيل قائلاً: "هل كولبي عندك؟ أعرف أنك بعد إجراء اللقاء خرجتِ معه" فقالت بغباء: "أي لقاء؟" فقال: "اللقاء الذي قام فيه بتحضير الأرواح، لو كنت قد نسيتِ ما قمت به منذ ساعتين فأنت في مشكلة" هنا توترت وقالت: "دكتور رفعت، أنا مرهقة بحق ولا أعرف شيئاً عن سيد كولب ولم أره" فقال: "إن أحداً منا كاذبٌ أو مخبولٌ، ولا أرجو أن نكون الاثنين معاً، لكن أؤكد أنّ كولبي اختفى تماماً" بعد نصف ساعة جاء رفعت إلى شقتها وقال لها: "أؤكد لك أنك كنت موجودةً في ذلك اللقاء" فقالت في ضيق: "أنا لم أكن في أي لقاء" فقال: "في السابعة مساءً اتصلتِ بكولبي وأخبرته بحضورك، ثم جئتِ إليه واستدعاني لأحضر التجربة معكم، وبدأت جلسة تحضير الأرواح وكنتِ تصورين كل شيء في اهتمام، بينما زعم (كولبي) أنه يحضر روح (جوش) أول ضحايا هذا السفاح، وقال أيضاً أن روحه تقول: 'أنا أبصق على قبرك' و هنا صحتِ أنتِ في ذكاء أنك تعرفين معنى هذا، وأنه اسم ملهى رومنسي رقيق في (بروكلين) فأنهي الجلسة وقلتِ أنك ستذهبين معه إلى هذا الملهى أنت والمصور، ومن هنا يمكن أن أقول

أن كولبي ذهب إلى مكانٍ مجهول مع شخصين لا نعرف عنهما شيئاً واستطاعا الادعاء أنهما أنت والمصور" ثم غادر رفعت، وحصل ما أدهشها؛ جلست أمام شاشة التلفاز لتتابع الفيلم فراحت تمر أمامها مشاهدٌ من يومها أثناء وجودها في مسرح الجريمة، وهكذا راحت عبير تستعيرُ شريطاً تلو الآخر وتشاهد ما حصل معها! إنها قد جنت أو توشك على ذلك.^١

كانت المفاجأة هي في الحدث التالي، حيث كان مسرحه في صالون حلاقة، دخلت هي ورفعت. وقالت له وهي تشير إلى شيء ما: "ألا تلاحظ أن شرائط الفيديو هي القاسم المشترك بين كل الضحايا؟" وأخذنا يتفقدان المكان، فأتجهت وسط الزحام إلى مرآة معلقة على الحائط وألقت نظرة، ووقف رفعت يتأمل وجهه في المرآة وقال لها: "إن هذه المرآة من الطراز المعتم من جهة والشفاف من الجهة الأخرى" فقالت له: "ماذا يعني هذا؟" فأجاب: "يعني أن هناك فجوة خلفها، وأنا حقاً شغوف بمعرفة ماذا يوجد على الجانب الآخر" فكرت حيناً ثم قالت: "سنخبر الشرطة، لا أعرف حلاً آخر" وبدوره هتف رجل الشرطة: "تعالوا وساعدوني يا شباب" وجاءت المطارق من كل مكان وهشموا الحائط واتسعت الثغرة، وكان ما وراءها مظلماً فراحوا يسلطون الكشافات إلى الداخل وهنا دوت صرخة رعب مريعة.

كان الحلاق سفاخاً وأكل لحوم بشر كما هو واضح، حيثُ كانت هناك سبع جثث معلقة في خطاطيف، ودنت عبير من رفعت لتقول له في حماس: "أنت نجم السهرة، بدون وجودك لربما مرّ أمرُ المرآة دون أن يلاحظه أحد" فقال وهو يدسّ يده في جيبه: "بالمناسبة، الشريط الذي رأيته أصبح معي، لقد رأى القتل شيئاً ما على هذا الشريط، لكن الاحتمال الأكبر أننا سنجد الشريط نظيفاً، هذه الشرائط لا يراها إلا صاحب الشأن" فقالت له: "هل من استنتاجات بصدد هذا كله؟" فأجابها: "بالطبع لا، لكن لدينا عدة نقاط غامضة، أولاً أين كولبي؟ ثانياً كل القتلى كانت لديهم شرائط

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٥٥

فيديو من نفس النادي وهذه شرائط غير طبيعية، وثالثًا إن القتل الاخير الذي هو الحلاق كان أيضا قاتلاً وأكل لحوم بشر، فمن قتله يا ترى؟"^١

ثم عاد كل منهما إلى سريره، ولم تعرف عبير كيف نامت، ولم تستيقظ إلا حين رن جرس الهاتف وجاءها صوت رفعت: "استيقظي، إنها الرابعة عصرًا، أريد أن أعرف مكان نادي الفيديو هذا" فاتفتت معه على موعد وذهبا، وعندما دخلا جاءت الفتاه المربية وسألتهما: عدت يا حبيبي، هل أحببت الفيلم الأخير؟" فأجابتهما: "جدًا" ثم أشارت إلى رفعت وقالت: "جلبت لكم عميلًا آخر يهوى أفلام الرعب" فنطق رفعت قائلاً: "أنا أبصق على قبرك" فقالت: "لا نعتبر هذا فيلم عنف، فإنه من كلاسيكيات السينما، سأحضره لكما" وعاد رفعت وعبير إلى شقتها وقاما بوضع الشريط ليشاهداه، تبادلوا النظرات وساد صمت ثقيل وانتصب الشعر على جسديهما، بعد قليل قالت بصوت كالفحيح: "هذه الشرائط لا ترينا فقط ما حدث، بل ما سيحدث" فأجابها: "لا أعتقد هذا، إن هذا الفيلم ببساطة هو شرح لما يجب أن نفعله، وليس تنبؤ للمستقبل" ثم نهض وقال: "على كل حال، أين هذا المطعم الذي نظهر فيه؟"

وهكذا اتجها إلى المطعم وجلسا على إحدى الطاولات، لقد كان صاحبًا وكان هناك زحام، فتسللا إلى المطبخ دون أن يشعر أحد، وبكل ثقة تسلل رفعت إلى المخزن الخلفي الذي رآياه في الفيديو. شقّ (رفعت) طريقه وسط المخلفات التي تملأ المخزن واستطاع أن يصل إلى الخزانة، وعاد حاملاً حقيبة نسائية وحذاءً يخص رجلاً و آخر يخص امرأة وربطة عنق. وأخرج شيئًا من الحقيبة النسائية ودسّه في جيبه. وعادا إلى الطاولة وتناولوا الطعام ودفع رفعت الفاتورة وغادرا إلى منزل عبير. وهناك شغلا الشريط وجلسا يشاهدان، لم يريا نفس المشهد الذي كان في المرة السابقة، بل كان مشهدًا غريبًا، كانت هناك جثة مقطوعة الرأس تزحف على الأرض، فقالت عبير وهي تشيح بوجهها: "هذه لقطة من الفيلم، أنت قلت أنه يحوي مشاهد عنف..". قاطعها وهو

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧١

يأخذ جهاز التحكم: "ليس هذا المشهد في الفيلم، لو دققت النظر لوجدت أن الجثة ترتدي بذلة كحلية اللون"^١

قال رفعت في جدية: "أنا أعرف أن ما رأيناه لم يكن نبوءةً لكنه تحذير، هناك من يرغب في قطع رأسي" ثم أردف وهو يركض لإيقاف سيارة أجرة: "سنذهب إلى الشرطة" ركبا السيارة فسألته: "وماذا سنقول لهم؟" فأجابها: "كنت أحسبك أذكى من هذا، سنخبرهم أن عليهم أن يفتشوا بعناية بيوت من قتلهم السفاح" فقالت في دهشة: "لماذا؟ لا يوجد رابطٌ بينهم" فأجابها: "بل هناك رابط، الحلاق كان قاتلاً وأكل لحوم بشر، وفي المطعم وجدنا أحذية وحقائب، لماذا يمكن أن يتركها أصحابها؟ ببساطة لأنهم ماتوا" فقالت "وما معنى هذا؟" فردّ: "معناه أننا نعرف نشاط هذا القاتل التابعي، إنه أول قاتل في التاريخ يتخصص في قتل القاتلين التابعيين" راحت تضحك طويلاً فنظر لها في دهشة وصعد الدم إلى رأسه وقال: "هل جاء دور الهستيريا الأنثوية؟" فأجابت: "لا، ولكنني فقط أتخيل وجه رجال الشرطة وأنت تخبرهم بهذا التصور" فأوقف السيارة ونزلا، فسألته: "هل عدلت عن الذهاب إلى الشرطة؟" فأجابها: "هذا واضح، سنجري مكالمةً من مجهول ومن هاتف عمومي" وبعد فترة وجيزة كانت الشرطة تحاصر المطعم، ووصلها خبر بأن تغطي الحدث، فسألها رفعت: "هل ستغطين الحدث حقاً؟" فأجابت: "طبعاً، العمل هو العمل" فقال لها: "أريد مفتاح شقتك" فقالت: "لماذا؟" فأجابها: "لأنني سأمر على متجر فيديو (شانجري لا) لأحضر فيلماً جديداً، يجب أن أتلقى رسائل جديدة، ولا يوجد لدي جهاز فيديو في الفندق فسأذهب لأشاهده في شقتك" انتهت من تغطية الحدث وقررت العودة إلى شقتها، راحت تفرغ الباب مراراً دون جدوى، ما معنى هذا؟ إنه غير موجود، فهل جاء ونزل؟ أم أنه لم يأت من البداية؟ ذهبت إلى حارسه العقار لأنها تملك مفتاحاً لكل شقق البناية. أخذت المفتاح وفتحت الباب، كما توقعت كانت الشقة خالية، وكان جهاز الفيديو مفتوحاً لكن الشريط بداخله بلغ نهايته. فالتجته إلى

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩١

الجهاز وأعادَت الشريط للبداية وجلست تشاهد ما يحدث، كانت تركض في الشارع وتنظر للوراء، وبدا عليها هلعٌ غير عادي، ثم وجدت نفسها تركض نحو (كولبي) وتقول له حمدًا لله أنني وجدتك، أين كنت؟ ولكن بدأ وجهه فجأةً يذوب ويتحول إلى واحد آخر، ما معنى هذا؟ ما دامت هذه ليست نبوءةً فهي تحذير، ولكن تحذير من ماذا؟ وهنا سمعت من يسعل في الحمام^١

الآن يمكننا أن نتساءلَ عن مصير العجوز رفعت قبل عودة عبير، لقد اتَّجه إلى شقتها وفتح الباب وجلسَ أمام التلفزيون، وعرض شريط الفيديو الرهيب، ورأى المشهد فدنا من الشاشة، كان المشهد يمثّل شقةً سكنيةً فاخرةً، تبدأ اللقطة في الحمام وتتقدّم ببطء نحو الردهة، وهناك رجلٌ نحيلٌ أصلع يجلس ويتابع في اهتمام ما يدور على الشاشة، يرفع هذا الرجل رأسه وينظر للوراء في رعبٍ ويصرخ، فيهوي عليه شيء ما ويتدحرج رأسه الأصلع على الأرض. طبعًا عرفَ رفعت على الفور أنه كان يرى نفسه، فوثبَ من مكانه وهرع إلى الباب، وأقفلَ القفل ونزل بسرعةٍ. وفي سيارة الأجرة بدأت أفكاره تصفو قليلًا، وكان يحاول الاتصال بعبير عدّة مرات لكنها لم ترد، الآن خطر له أنها لن تستطيع الدخول على أي حال ما دام المفتاح معه، وذلك الشيء سيظل حبيس الشقة الآن، والآن فقط يمكنه أن يتأكد من شيءٍ واحد: أفلام الفيديو هذه تحاول إنقاذه.

ومن الحمام ظهرَ رفعت إسماعيل وهو يجفّف وجهه وقال: "من حق البشري أن يدخل الحمام ويسعل" فقالت عبير: "حين تقترض مفتاحًا من أحدهم فمن أبسط الأشياء أن ترهف السمع للباب" ثم توقفت عن الكلام، فالمشهد الذي ظهر على الشاشة كان يظهرها وهي تشاهد التلفزيون، و أمامها رجل عجوز أصلع، وبدأ العجوز يتحول إلى مسخ، إنه ينهض نحو الفتاة ويفتح مخالبه، ثم نظرت للوراء فوجدت وجه رفعت يذوب، هذا التلفزيون يعمل الآن كمرآة، لكنها مرآة تسبق الواقع بثوانٍ. نُحضت وركضت نحو الباب، وراحت تثبُّ على الدرج، وأخيرًا وقفت في الشارع المظلم تعبٌ

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٠٧

الهواء في جشع، وتتساءل ماذا كان مصير رفعت؟ والسؤال الأخطر منذ متى لم يعد هذا رفعت؟ هل كان الذي أخذ مفتاح شقتها رفعت أم لا؟^١ وهكذا قررت أن تذهب إلى نادي الفيديو (شاجري لا) هذا هو الاتجاه الوحيد الذي تعرفه، وعندما دخلت قالت لها الفتاة: "فيلم آخر يا حبيبي؟" فقالت عبير في حزم: "اسمعي أيتها الأفعى، فلنكف عن المزاح، ماذا يوجد في هذه الغرفة خلف الستار؟" فأجابتها الفتاة: "هل ستدخلين؟ أنت تريدان أن تدخليني، بكامل إرادتك الحرة..". وهكذا تقدمت نحو الستار الأحمر وأزاحته. يا للعوالم الجهنمية التي لا يمكن وصفها، لم يكن للمكان أبعاد، كان ممتدًا إلى لا مكان، ونيران خضراء تتراقص وفراشات تحلق هربًا من اللهب، وهناك كان الألم شخصًا له طول وعرض وارتفاع، هناك كان (المينوتور) يصرخ و(ميدوسا) تبرز للبحارة فتحيلهم تماثيل. وسط هذا كله كان العجوز (رفعت اسماعيل) وسمعت صوته: "جئت يا حمقاء!" فسألته: "أين نحن؟" فقال بصوت مبسوح: "في قلب عالم الرعب ذاته، هذا المتجر يحرس إحدى ثغرات جانب النجوم" همست: "وأين كولبي؟" أشار إلى أعلى، وقبل أن تصرخ في فزع، هتف: "إنه حي لكنه لن يظل كذلك طويلًا..". كان كولبي معلقًا. وهنا شعرت عبير بالحيرة، لو كان هؤلاء القوم أشرارًا فلماذا يقتلون السفاحين؟ قال لها رفعت همسًا: "القصة هي البساطة ذاتها، لقد جاء أحد سادة النجوم إلى عالمنا في شكل رجلٍ وديعٍ مهذب لا أعرف ماذا كانت مهمته في البداية لكنه بالطبع وجد في نيويورك مسوخًا أكثر فظاعة، وسقط في يد الحلاق الذي قتله ومزقه إربًا، وطبعًا لم يمت بل خرج من المخزن وقرر أن ينتقم من كل السفاحين الذين فروا من العقاب وبهذا صار قاتلاً للقاتلين. وكانت الامور تسير على ما يرام إلى أن ظهر أحق اسمه كولبي بدأ يعرف شيئًا على القصة، وظهرت بعدها مراسلة مع عجوز أحق، فقرّر سادة النجوم أن يكتفوا بهذا، وقرر السيد القاتل أن يقتلني ويقتلك، ولهذا ثمة حقيقة واحدة: نحن لن نر الشمس ثانيةً فبعد أن عرفنا كل هذه الأشياء لن يتكونا. ثم دوى هدير رهيب ونظر الجميع نحو القادم، كان

^١ - ما أمام الطبيعة، العدد ٣٥، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١١٦

مسحًا يزحف على الأرض بطريقة مذهلة ونظر إلى عبير ورفعت وقال: "هذان لي" في حين دوى صوتٌ أعلى منه يقول: "لقد طلبت الانتقام وحصلت عليه، أما هذان فسادة النجوم يحددان مصيرهما" لكنه عاد يكرر بغضب "إنهما لي" وفي هذه اللحظة أخرج رفعت من جيبه شيئًا أسطوانيًا وانطلقَ الغاز مسيل الدموع في عيون المسخين، وفي اللحظة ذاتها هوى كولي من السقف وتصاعدت أبخرة الكبريت وصاح رفعت في عبير: إلى الباب بسرعة" ولكن أين الباب في هذا العالم الذي بلا قواعد؟ فصاح كولي وهو يتقدمهما: "أنا أراه، أرى الباب" وهكذا ركضا وراء كولي الذي راح يشق طريقه. الستار الأحمر، صاروا في الخارج، قالت الفتاة الشيطانية شيئًا لكن رفعت أفرغ ما تبقى من الأنبوب في وجهها، وسرعان ما وجدوا أنفسهم في شوارع نيويورك. وهنا أخذهم كولي إلى منزله، وسألت عبير رفعت: "هل انتهت القصة بهذا الشكل؟" فأجابها: "لا، مازلنا في الذروة، إن المسخ سوف يلحقنا، وإما أن ينتصر علينا أو أن نتصر عليه" فتح كولي باب البيت سائحًا لهما بالدخول، حين قال رفعت: "لم أكن يومًا حاد البصر يا كولي، لكن لا بد من أن أكون أعمى كي لا أرى هذا الشيء الذي يزحف بين الأعشاب متجهًا نحونا" نظر له كولي في حيرة ثم اتجه إلى الباب وأوصده، فقال رفعت: "لا يوجد شيء في الخارج، وهذا ليس كولي" اتسعت عينا عبير وهتفت: "ليس كولي؟!" فأجاب رفعت: "طبعًا لا، كولي الذي أعرفه لن يتحمل ثلاث دقائق دون أن يدخل الحمام لأنها البروستات كما تعلمون، ثم كيف حرّر نفسه؟ لقد حرره سادة النجوم لأنهم أرادوا ذلك، وكيف رأى الباب ونحن لم نر أي شيء؟" ضغطت على أصابعها وقالت: "يا إله السموات، فقد كانت خدعة إذن، ولكن لما هذه المناورة؟" فأجاب: "لا أعرف، لكني أعرف جيدًا أن هذا أحد سادة النجوم، وهكذا راحا يركضا وسط الأعشاب، و فجأة اصطدمت عبير بالمرشد، فهتفت في رعب: لا تطالبي بالرحيل، لن أترك هذا العجوز وحده يأخذه المسخ إلى المنزل" فقال وهو يساعدها على التماسك: "لا تقلقي، تعالي الآن لنرى" وسار في ثبات ومشيت وراءه، واتجها إلى الباب وفتحه، نظرت إلى داخل الشقة متوقعةً أن تجد رفعت ميتًا ومطويًا إلى نصفين، لكنها وجدته ممزق الثياب، وعلى

الأرض تناثرت حوله أشلاءً مشتعلة، فقال لها رفعت: "كنتُ محقًّا، لم يكن هذا كولبي، بل كان هو المسخ نفسه الذي حلّ محله في اللحظة التي سقط فيها من أعلى" فتساءلت في غباء: "وكيف مات؟" فردّ: "لقد أصدر سادة النجوم حكمهم عليه، إنه متمرد" قال المرشد وهو يدسُّ يده في جيبه: "الآن وقد صار الجميع بخير ما عدا كولبي الذي لا نعرف مصيره فإنني أريدُ أن نرحل" صافحت عبير رفعت بجرارة وقالت: "لقد أحببتُ هذه القصة برغم غرابة أطوار مؤلفها" فقال في تواضع: "ليس بوسعنا نحن الأبطال اختيار المؤلفين، والآن وداعا أيتها الحاملة الكبرى"

حب في أغسطس

قالت عبير: "أشعر بالذنب أحيانًا لأنني أهربُ إلى عالم فانتازيا" فقال المرشد: "هذه الأشياء تحصل" فقالت: "أين وجهتنا هذه المرة؟" فأجاب: "كما تريدن، أحلامك أوامر" فقالت: "أفضل أن يكونَ الأمرُ عشوائيًا، وسأختار أول مكان يقع عليه نظري عندما أفتح عيني" وعندما فتحت عينيها من خلف نافذة القطار وجدت منظرًا مخيبًا للآمال، مدينةٌ رتيبةٌ لا يوجد فيها أي شيء. فقالت له: "تبدو القصة مملة" فأجاب: "بل إنها رومانسية، هل تحبين هذه القصص حيثُ هناك الكثير من الدموع والخطابات والفرق؟" فقالت: "نعم أحب القصص الرومانسية لكني لم أعشها من قبل إن كنت تعرف ماذا أقصد..". ثم أكملت: "وما دوري في القصة؟" فأجاب: "مدرسةُ شابة ناعمة تدعى (ميتوشوكوزاكي) فقالت: "ميتو..شو..ماذا؟ هل سأكون في اليابان؟" فأجاب: "نعم، والآن ستبدأ القصة" وهكذا نزلت من القطار ووجدت نفسها في ثيابِ ناعمة مهفهفة تليق بمعلمة يابانية صغيرة ولطيفة، لقد كانت رقيقةً كزهرة وأنيقةً كفراشة ومحبوبةً من قبل تلاميذها بوجهها الطفولي وغمازتيها، وكانت واقعة في الحب حتى النخاع. لماذا هو بالذات؟ ربما لأنه خجول، ربما لخصلات شعره الأسود، ربما لأنه يقدسها؛ إن (توشي موكازا) يتعامل مع المرأة على أنها كائن أسطوري جدًّا. وكانت تناديه (توشيو) في حين يناديها (موتشيكو). كانا كعصفوري حب جميلين، متناغمين

مثل لحنين عذبين، يتراقصان كعودي نعناع ويرفران كنعلتين. كانا يمشيان في الشارع وينظران للسماء، كانَ شهر أغسطس الرائع الذي تحبه موتشيكو، ولم يعرفا أن المشاكل على الأبواب.

لقد اعترف لها بحبّه في اليوم الأول من أغسطس، ومنذ ذلك الوقت أصبحت تعتبر أغسطس رمز الحب، هذه أيام لن تنساها إن كان لها أم لم يكن. يجب أن تعرفَ الجدة، هناك أشياء لا تُقال للأب أو الأم، لكنها تقال للجدّة أولاً. كانت الجدّة (فومورا) جالسةً في الحديقة الخلفية للمنزل^١ تسللت (موتشيكو) بقرها فضحكت الجدّة وبدأت تروي لها كل قصتها. وقدّمت لها الجدّة نصيحة: "تعرفني على أخته الصغرى أو أخيه الأصغر، سيكون هو مرآته" فقالت لها: "وماذا لو لم يكن له إخوة صغار؟" فأجابت الجدّة: "لن يكون جديرًا بحبك" ففكرت موتشيكو، ما ذنب الشاب إذا لم يكن له إخوة، تحتاج دهورًا لتفهمَ حكمة الجدّة. ثم تابعت الجدّة: "إنك يمامة، وتحتاجين لأن تعيشي في كنف نسر، و الأهم من أن يكون نسرًا هو أن يراك يمامة"

وهنا فكرت أنها لم تسأله من قبل عن إخوته، فقالت له وهما يمشيان: "هل لديك إخوة صغار؟" فأجاب: "نعم ثلاثة" فقالت: "وهل بينهم فتاة؟" فقال: "نعم، وأنت تعرفينها، إنها هيروكو" فصاحت بفرح: "هل هي هيروكو طالبتني في الفصل؟" فأجاب: "نعم هي بالتحديد" تذكّرت هيروكو، إنها كالدمية بريئة جميلة. وعندما عادت إلى المنزل، قالت لها والدتها: "انتبهي يا صغيرتي، أنت بريئة، بريئة أكثر من اللازم" هل يمكن أن تكون قد عرفت شيئًا أم أنه مجرد حدس؟ ارتبكت طبعًا وقالت لأمها: "سأخرج قليلًا" وأجّهت إلى الشارع وتحديدًا إلى عربة (الزلاية) ووقفت تتحدّث مع البائعة التي رحبت بها، وقالت لها: "إن هذه الأشياء تتناقل عبر الأجيال" فقالت في استغراب: "أي أشياء؟" فقالت البائعة: "المرض العضال، إن شقيقي حبيك الوسيم مصابان به، فهو

١- حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٧

يضعهما على كرسي متحرك ويأتي بهما إلى الحديقة وفي المرة الماضية أحضر لهما (الزلاية) وعندما سألته قال أنهما أخواه، إنهما عاجزان عن رفع حاجبيهما".

ارتبكت الأفكار في رأسها، هل كذبَ عليها؟ هل سيصبح زواجهما مستحيلًا، وخاصةً أنّها اتفقت معه على أن يأتي أهله لخطبتها. وذهبت إلى المدرسة عندما حان دوامها ودخلت الصف وندهت على هيروكو وقالت لها: "يا حبيبتي، هل الصغيران اللذان يجلسان على كرسيين متحركين هما شقيقاك؟ فأجابتها: نعم، ولديّ أخ كبير اسمه توشيو"

وهنا فكرت، يجب أن تتعقل،^١ من الواضح أنه لم يكن صريحًا معها ولم يقل الحقيقة كاملةً. لم يعد الزواج بهذا الشكل إلا مخاطرة، طفلان في عائلة واحدة معناه أن الصفات الوراثية موجودة وقوية. وفي موعد عودتها إلى ديارها رآته مقبلًا نحوها ولم تدر ما تقول أو ما تفعل، وهكذا لم تجد نفسها إلا وقد أطلقت ساقها للريح، وسمعت صيحةً مبحوحةً: "متشيكووو، هل حدث شيء؟!"

خرجت صباحًا لتشتري الخبز ومرّت بجانب الطفلين الجالسين على الكرسي المتحرك، كان ضمور العضلات قد حول جسميهما لقطعتين صغيرتين تتسعان على الكرسي بدون إزعاج. اقتربت من المرأة و قالت: "هل هذا الطفلان إخوة (توشي سان)" فأجابت المرأة "نعم" فقالت موتشيكو: "لحسن الحظ أن أختهما غير مصابة بأي مرض" فقالت: "ليس لهما أخت!" فردّت: "أختهما هيروكو..". فقالت الأم: "هي أختهما مجازًا، توشي سان يعتبرهما كأخويه، لم أر أنبل منه، ومنذ معرفته بهما قرّر أن يساعدني في رعايتهما" ضحكت وقالت: "لكن هو لديه أخان" فأجابتها: "نعم، أخان وأخت و الثلاثة في صحة جيدة" ابتسمت وعادت بفرح إلى المنزل، وتأكدت أن عيناها لم تكونا مخطئتين عندما رآته نبيلاً رقيقًا.

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٤٢

إنه يوم الاثنين، نهضت بنشاط وتوجهت إلى العمل، وأرادت أن يحين وقت الانصراف للثلاثي به وتخبره أنها ظنّت أن قصتهما انتهت لكنها بدأت من جديد. كانت تجلس في الصف وتتحدث مع طلابها عندما رأت اللون الأبيض يملأ المكان، لم تكن عبير قد سألت عن اسم المدينة الموجودة فيها، ولكن الآن تستطيع رؤية لافتة تطير في الجو الساخن كُتب عليها (هيروشيما).^١

لقد صار العالم كله لا شيء سوى اللون الأبيض، حتى ظلّ الناس أنهم أصيبوا بالعمى، و اللحظة التالية هي لحظة الحر وكأن الشمس هبطت من السماء، ثم غلفت سماء المدينة سحابة سوداء ثقيلة، كأنما هم جربوا النور التام و الظلام التام في ثوانٍ، وفي الحاليتين لم يروا شيئاً. وبعدها انتشرت النيران في كل مكان وراح الناس يصرخون ويركضون لكن النار كانت أسرع منهم. لقد بدأ العصر الذري، وسقطت القنبلة فوقهم. وسمعت الناس يصيحون: "إنها نهاية العالم" هي تملك مزياً واحدة لا يملكها جميعها هؤلاء، إنها تعرف ما يحدث، تعرف أن المرشد الوغد قد اختار لها مغامرة عاطفية في (هيروشيما) يوم سقوط القنبلة الذرية عليها. خرجت إلى الشارع الجميل الذي تحوّل كله إلى نيران، والسماء كلها بلون السواد تكّلت. عادت وحملت طفلين من الصف وألقتهم على أرض لم تصلها النار، وعادت تبحث عن المزيد فالتقطت ثلاثة أطفال يصرخون كالقطط الصغيرة العمياء وهرعت إلى الخارج، لكن الدخول لمرة جديدة أصبح مستحيلاً لقد اكتمل جدار النيران. لم تنقذ إلا خمسة أطفال، وأخذت تصيح: "انتظروا، أنتم، ساعدوني..". لكن الجميع أصابهم العمى من وهج القنبلة فلم يعودوا يعرفون أين النار، وسمعت من يصيح بها: "إلى النهر، إلى النهر، لا سبيل نحو النجاة إلا النهر" أشاحت عبير برأسها عن كل المآسي، ستجد الوقت الكافي فيما بعد كي ترتاع، عليها الآن أن تفعل شيئاً. انحن أرضاً ونظرت حولها وقالت للأطفال الباكين "انتظروا هنا بلا حراك" وركضت في الشارع باتجاه دارها -أو ما كان دارها- وفي الحديقة الخلفية -أو

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٤٩

حيث كانت الحديقة الخلفية- رأت كومةً من الرماد المتصلب، ولما أمعنت النظر -بما تمتلك حاليًا من نظر- رأت أنها تمثل تمثالًا متقنًا لامرأةٍ جالسةٍ على ركبتيها، إنها الجدة! دنت أكثر وحاولت أن تلمس الرماد لكنّ الحرارة الحارقة المتصاعدة منه جعلتها تتراجع. ولو كان ظنُّها صحيحًا فهي تمشي الآن في الطريق الذي كانت تمشي فيه وهي ذاهبة للمدرسة، رأت شيئًا ملتصقًا بالجدار، أدركت أنه إنسان أذابه الانفجار "من فضلك لا تكن أنت، لو سمحت لا تكن أنت" لكنه كان هو، وكانت معلمه قد تلاشت، راحت تركزُ وسط النيران صارخةً "القَتلة، إنهم قتلة!"^١

وهكذا صارت موتشيكو بلا حبيب، بلا عائلة، بلا بيت. والأدهى أنها كانت مدركة أن حتى من بقي حيًّا لن يسلم من التأثيرات الشعاعية اللاحقة. لو كانت مسؤولة عن نفسها فقط لظلت جالسة في مكانها إلى أن تموت، لكن هناك أطفال قد تستطيع إنقاذهم. وهكذا عادت إليهم، كانوا جالسين ينتحبون، وسألتها الصغيرة (هيروكو) -التي احترق معظم جسدها- عن أخيها (توشيو) فقالت: "إنه بخير، لقد نجنا كما نجوت" وصاحت في الأطفال: "هيا سنتجه إلى النهر" ووجدت الناس متجهين في موكب نحو النهر، وعلى رأسهم رجل يصيح: "هينوا لي مكانًا جيدًا في المركب، أنا أحملُ صورة القيصر" وفكرت "هل كل ما فكر في إنقاذه هو صورة القيصر؟!" والآن هي ترى نهر (كوباشي)، لم تعد تراه من هول الناس، لكنها كانت على كل حال تشق طريقها حاملةً الأطفال، بدأ هطول الأمطار، وبالطبع فإن عبير تعرف أن هذه الأمطار تعبر الغلاف الذري الذي شكلته القنبلة وتتحول إلى ما يشبه الماء المشع. إن من نجنا من النار لن ينجوا من الأمطار.

وهنا سمعت صوت جندي يصيح في مكبر الصوت: "سوف ننقل الجرحى في قوارب إلى جزيرة (ميتي) ليس لدينا عدد كافٍ، فلتختاروا أكثركم حاجةً" فهرعت نحو الجندي حاملةً الأطفال وقالت: "لا بدّ من إبعادهم، أريدُ أن يركبوا معكم" فأجابها:

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٦١

"بالطبع، وأنت أيضاً تحتاجين إسعاف سريع" وهنا فكرت "ماذا يقصد؟ إسعاف ماذا؟ هي سليمة" ونظرت في مياه النهر لترى انعكاسها، من هذا الشبح! لقد كانت مشوهة تمامًا.

وهكذا يشقُّ القارب طريقه وسط المياه تحت سماء سوداء مكفهرة، نظرت إليها (هيروكو) وقالت: "أعتقد أنني سأموت الآن، في حقيبتى طعام، أعطيه ل(أكوكو) فهو جائع..". صاحت عبير في جنون: "كفي عن هذا، ستعيشين" ولكن الطفلة أغمضت عينيها للأبد.^١

إننا في أغسطس، لكنه ليس أغسطس ١٩٤٥، بل هو بعد ذلك بأعوام، وهو ليس في (هيروشيما) ولكنّه في (نيويورك) وبالتحديد في الحفل الذي نظّمه مستشفى (جبل سيناء) في نيويورك. ثم جاء صوتٌ مذيع من مكان ما يقول: "سيداتي وسادتي، لنرحب بالرئيس (هاري ترومان) الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة" وتفرقت الحشود من حوله عندما سمعوا صوتًا يقول: "لقد جاءوا" فاندفع الجميع نحو المدخل ورفع الصحفيون آلات التصوير، ودخل رجلٌ ياباني أشيب له عينٌ زجاجية لا يخطئها النظر برغم أنها متقنة الصنع. وبعد دقيقةٍ دخلت فتاتان مرتبكتان، لا داعي لأن أقسم لك أن هذه عبير ذاتها - أو (متشيكو) لو كنت تفضل هذا الاسم - إنها بارعة الحسن وشقراء، لم تعد تمثُ بصلة لتلك الفتاة التي كانت يومًا. راحت الأضواء تسقطُ عليها وسألته مديعةٌ منفوشة الشعر: "ما هو شعورك بوجهك الجديد؟" ابتلعت عبير ريقها وقالت الكلمات الإنجليزية التي قامت بحفظها ألف مرة "أنا أشكرُ رجُلِي البر والإحسان الأمريكيين على ما قاما به من أجلي، كما أشكر الجراح البارِع على جهده..". فسألته المديعة: "هل وافقَ أهلك على سفرك للولايات المتحدة؟" فهزّت رأسها أنها لم تفهم فترجموا لها ما قيل، فقالت: "لم يعد لي أهل..". ساد الصمت ثم سألتها الصحفية محاولةً تدارك الموقف: "هل أهلُ بلدتك سرّوا للأمر؟" قالت وهي تبسّم بخبث شديد: "أنا

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧٤

أشكرُ رجُلِي البر و....." ثم سألتها: "هل ستعودين إلى هيروشيما أم تقيمين في الولايات؟" فهزّت رأسها وقالت بركة: أنا أشكرُ رجُلِي البر و.....". بالنسبة للعالم كان هذا دليلاً على أن أمريكا تشعر بتأنيب الضمير، أما بالنسبة لهؤلاء اليابانيين فإنهم كانوا يشعرون بأنهم يُستعملون كأداة لتحسين صورة أمريكا، وبالطبع لم يكن هذا عسيرَ الفهم على عبير. فبعد الانفجار ظلت عبير في المستشفى أسبوعين كاملين حيث كانوا يغذونها بأنبوب أنفي، وهناك رأت من المآسي ما يفوق الحصر،^١ فرأت الضحايا الذين سقط شعرهم وقضى الإشعاع على نخاع عظامهم، ورأت دم الموتى لا يتخثر أبداً. ولا تعرف كيف ولا متى حملوها على متن طائرةٍ متّجهةٍ إلى الولايات المتحدة، حيثُ رسموا فوق وجهها المتفحّم وجهًا جميلاً زائفاً، لم يكن وجهها على أي حال. وها هي الآن تقفُ في هذا الحفل راسمةً ضحكةً صناعية.

في ركنِ القاعة رأت عبير المرشد فالتفت نحوه وثنت ركبته ووجهت له ضربةً قويةً وقالت: "أنت تتسلّى أيها السافل، أنا آتي لفانتازيا من أجل الخيال وليس من أجل مزيدٍ من الواقع الأليم" فقال وهو ينهض: "ليكن، لم تنته القصةُ بعد، انظري إلى هذه الحفلة، لا يجتمعُ الرئيس الأمريكي مع أينشتاين مع كل هؤلاء المشاهير من أزمنا مختلفة، ومع الطيارين الذين ألقوا القنابل إلا في (فانتازيا). وهل ترين ذلك الرجل الذي يصرخ هناك ويحاول الحراس سحبه؟ إنه بطلٌ حربٍ بالنسبة لهم، وكان اليوم هنا من أجل أن يتمّ تكريمه من قبل الرئيس، إنه قائد المهمة المشهور بقسوته وحبّه للتدمير، كان هو المرشح ليكون في طائرتي القنبلة الذرية على هيروشيما وناكازاكي معاً، وكان سعيداً بهذا الترشيح، وبعد إتمام المهمة كان مسروراً مما حقق. ولكن بعد ذلك بدأت الكآبة تسيطر عليه، وأصبحوا يجردونه نائماً في الشارع، كان يصرخ طيلة نومه "لا تجذب الرافعة! لا تلقوا القنبلة! إن الأطفال يحترقون، وكان ينهض في منتصف الليل ويركض، وظلت حالته

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٨٨

العقلية تتدهور هكذا.. " ثم قال المرشد وهو يتعدّد مسرعاً: "كيف حالك الآن؟ انتهت المعاناة وبدأ المرح، هيا عودي للحفلة، سلام.."^١

وهكذا من جديد وجدت أنّها تقف وحدها وسط الجمع، فقررت أن تبحث عن أينشتاين وتتكلّم معه، وعندما وجدته اقتربت منه وقالت: "لماذا فعلت ذلك بروفيسور أينشتاين؟" فقال مرتبكاً: "لو كنت تتحدثين عن القنبلة الذرية، فأنا لا ذنب لي في هذا الموضوع كله، كل ما حدث أننا كنّا جميعاً من العلماء اليهود الذين هربوا من النازية وجاءوا إلى الولايات المتحدة، وكنا نرتجف هلعاً من فكرة أن يلتهم (هتلر) أوروبا ويأتي إلى أمريكا، وكان (زيلارد) العالم المجري يعتقد أن هتلر سيتوصل إلى القنبلة الذرية ويحكم بها العالم، لهذا حاول إقناع الأمريكيين بخطورة الأمر وأن القنبلة الذرية يجب أن تكون أمريكية. وهكذا جاء دوري، أنا مجرّد عالم" فقالت له: "إذن يجب أن أرى زيلارد" وهكذا اتجهت نحوه وقالت له: "دكتور زيلارد لماذا فعلت ذلك؟" فقال: "القنبلة؟ لاحظني أنني لم أكن من اتخذ قرار إلقائها، أنا مجرد مشارك في صنعها، حيث قدمت أهم النظريات التي أدت لصناعتها، وكان معي زميلٌ عظيم هو (فيرمي) الذي طوّر أول تفاعل متسلسل، لكنني أكرر لم أقبل قط فكرة استعمالها" فقالت في غيظ: "لكنك صنعتها!" فأجاب: "كنتُ خائفاً من هتلر، كلنا كنا كذلك، وكنا مؤمنين أنه قاب قوسين أو أدنى من اكتشاف هذه القنبلة" نظرت له مفكرةً: "إذن أنت بريء مثل زميلك أينشتاين؟" فأشارَ إلى نهاية القاعة حيث كان هناك رجل نحيلٌ كثيرُ الحركة وقال لها: "هذا هو (أوبنهايمر) مع الجنرال (جرو)، باختصار هذان الاثنان هما الأخوان (قنبلة). اتجهت نحوهما وقالت: "لماذا فعلت ذلك يا دكتور أوبنهايمر؟" فقال: "هل تقصدين القنبلة؟ لقد كنت أخاف أن يسبقنا هتلر إليها" فقالت: "لكن هتلر مات بعد ذلك، وصديقك زيلارد تراجع عن الفكرة" فقال: "عندها كان يجب علينا إثبات فكرة أننا لم نصنعها خوفاً من هتلر ولكن حباً بأمريكا، وصار من الواجب علينا أن نجدّها ونجرّبها

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٤

وأن تنجح" ثم نظر إلى الجنرال وأردف: "أصبحتُ مكلِّفًا بمشروع (مانهاتن) الذي هو صنع القنبلة، وهناك واصلنا أبحاثنا حتى نجحت" وقال الجنرال في جدية: "كنت أنا المشرف على الجانب العسكري" فقالت له: "ألم تتخيل لحظة ما يمكن أن يحدث للبشر الذين سيكونون في قلب هذا الانفجار؟" فقال في صرامة: "اسمعي يا فتاة، هذا الكلام لا يهمني، هذه القنبلة هُشمت إرادة اليابان التي لا تتهشم، ووفرت علينا حياة مليون جندي أمريكي على الأقل" ثم اتجهت عصيته نحو (أوبنهايمر) وقال: "حتى هذا العالم المتخاذل حاول ما بوسعه أن يعرقل مشروع إنتاج القنابل" فقال (أوبنهايمر): "لقد انتهت الحرب يا جنرال، لا جدوى من صنع قنابل ذرية لن تُستعمل ثانية، ولا جدوى أصلاً من استعمالها ثانية، الآن السوفييت يعرفون طريقة صنعها بل وصنعوها بالفعل" واستمرَّ الجدل بينهما، فأتجهت عبير إلى الرئيس (ترومان) الذي كان يقفُ مع الصحفيين، فدنا منها وقال: "جميل، أنتِ إذن اليابانية التي استعادت جمالها بفضلِ جراحِي أمريكا" فابتسمت وقالت بتهكم: "لم أستعد جمالي وإنما أعطوني جمالاً آخر! سيدي، لماذا أصدرتِ أوامركِ بإلقاء القنبلة؟" فقال: "سأكون صريحًا معك يا آنسة، لقد كان بلدك موشكًا على الاستسلام، وكانت الحرب موشكة على الانتهاء، ولكن لم يكن بإمكانني إعلان هذا لأن القنبلة كلفتنا الكثير من الجهد والوقت والمال، وكان لا بدَّ من تفجيرها ونجاح التجربة، كان هذا الأمر أقوى منا، ثم إن الأمريكيين كانوا متعطشين إلى الدم الياباني بعد هزيمة (بيرل هاربور) ولم يكن من حقي أن أحرمهم هذه المتعة، لقد كانت القنبلة بمثابة الإعلان عن ميلاد إمبراطورية جديدة، وكان عليّ أن أرتبَ عالم ما بعد الحرب، غزو (كوريا)، مشروع (مارشال)... " وقبَّ أن يكملَ كلامه كانت عبير قد تركته وابتعدت.^٢

إنه أغسطس، وإنها (ميتشكو)، لم تعد رقيقةً وأنيقةً كالزهرة، لقد تقدّمت في السن. خرجت تسير على نفس الطريق، ورمت السلام على بائع البطيخ وبائعة الزلايبية،

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٠٢

^٢ - المصدر السابق، ص ١٠٧

وواصلت السير في خطواتٍ ثقيلة رصينة، لقد تغيرت هيروشيما بالكامل، فمنذُ أغسطس ١٩٤٥ واسم هيروشيما خالدٌ في تاريخ البشرية إلى جوار أسماء البلاد المنكوبة، كانت تمشي كل يوم في هذا الشارع نفسه شاعرةً بأنها لا تنتمي لشيء، فعالمها القديم توارى والآن المسرح يُعد لعالمٍ جديد. فجأةً رأت رجلًا يابانيًا أشيب له عينٌ من زجاج مرّ بجوار السور ورمق الحديقة في افتتاح. لقد عرفته، لا يمكن أن تخطئ به، وعندما اقتربت منه قالت له: ،لماذا تنظر إلى هذه الحديقة؟" فقال: "قبل القنبلة بأيام رأيتُ نفس الحديقة ونفس الورود ونفس الفراشات مع حبيتي..". فسألت: "وبعدها ماذا حدث؟" فقال: "أظنها ماتت، وأظن أني متٌ أنا كذلك" نظرت له طويلاً وقالت: "أنت توشيو" فنظر بعينه الحقيقية وقال: "وأنت ميتشكو!"

إنه أغسطس، وحكايات الحب لا تنتهي. قال وهو يرتجف: "رأيتك مرارًا في الولايات المتحدة، ولم أتصور للحظة أنك ذات الفتاة التي أحببتها" فقالت: "لم نعد نملك ذات الوجهين، وربما لا نملك ذات الروحين" فقال لها: "رأيت جثة متفحمة على الأرض تشبهك كثيرًا، ولذلك ظننتك متٍ" فقالت: "وأنا كذلك" ثم ابتسم بمرارة وقال: "لا أعرفُ شيئًا عن أهلي..". فصمتت للحظة ثم همست في حزن: "هيروكو ماتت، من حقل أن تعرف هذا" فنظر لها وقال: "هل تعذبت كثيرًا؟" هنا يأتي دور الكذب، أحيانًا يكون مفيدًا، فقالت له: "لا، لقد ماتت لحظة سقوط القنبلة، لم تعرف ما حدث" ويرفقي وضعت يدها على وجهه، ووجدت خيط دمٍ ينزف من أنفه، فسألته: "ماذا دهاك؟" فأجاب: "سرطان الدم، هل تظنين أن التلوث الإشعاعي قد فرغ من مهمته الشيطانية؟ هناك الآلاف ينتظرون الموت بسبب سرطان الدم أو النخاع في الأعوام القادمة" فقالت: "لن أتركك هذه المرة"

يمكن للقنبلة أن تحرق كل خلية من جسدك، لكن لن تحرق روحك أبدًا، هذا هو ما تعلمناه. وهنا ظهر المرشد وقال: "حان الوقت للرحيل، هذه هي النهاية" فنظرتُ له في غلٍ وقالت: "تتركني أحترق في وسط النيران ثم تظهر في اللحظة التي نضجت فيها قصة الحب؟" فقال: "أنت تعرفين أنك لن تبقي هنا للأبد، لا بد من العودة، وتعرفين أن

موتشيكو سوف تظل مع توشيو حتى يموت، هل تحبين هذا المشهد؟ وكانت تعلم في داخلها أنها لن تتحمل المزيد من المصائب. نظرتي لتوشيو نظرة طويلة ذات معنى، ثم ابتعدت مع المرشد.^١

فلاسفة في حسائي

في نهارٍ بهيجٍ من شهر (أكتوبر) تمّ الطلاق، فبمجرد عودته من سفره في الخارج تسارعت الإجراءات، لكنها لم تتوقع هذا قط، كانت في قرارة نفسها تؤمن بأنها تستحق أن يعود شريف لها ويترك الأخرى، لكن شيئاً من هذا لم يقع. قالت لها أمها: "لم يكن ابن أصلٍ من البداية، وغداً تتزوجين خيراً منه". لقد كانت تستعمل الجهاز (دي جي ٢) لدخول عالم فانتازيا، وكانت خائفة من أن يتلف رغم تقديرها أنه لن يتلف في القريب العاجل، لكنها قررت أن تطلب عون من يفهم في هذه الأجهزة كي ينسخ لها البرنامج على أسطوانة صلبة، فهل هي تكره الجهاز الآن لأنه يذكرها بشريف؟ تأرجح قطار فانتازيا عبر السهول والوديان، والمرشد جوارها يتسلى بالضغط على قلمه محاولاً احترام صمتها، ثمّ رآها تنظر من النافذة إلى مكان مليء بالآثار فسألها: "هل تحبين الفلسفة؟" فقالت: "لا يهم، ليكن سأجرب هذا"^٢ تمشي بين الخرائب اليونانية، أخيراً ترى باباً حديدياً موارباً كُتب عليه عبارة باليونانية (نادي الفلاسفة الغربيين) فأزاحت الباب وكان له صريرٌ محبّب، وكان يقود إلى حديقةٍ في نهايتها بابٌ آخر وبناءٌ مهالك له طابعٌ كئيب. قابلها رجلٌ قصيرٌ، من فمه تتدلى لفافة التبغ، وجواره امرأةٌ نحيلةٌ، وقال لها بالفرنسية: "أنت قررت القدوم هنا وأنت مسؤولةٌ عن قرارك" وقالت المرأة: "جربي أن تحققي كينونتك كامرأةٍ من دون المرشد" ثم تركاها وغادرا، فمرَّ رجلٌ آخر له سالفان كثنان وقال: "أنت مكثبة، لا غرابة في هذا، فالحياة كلها شر" وبعده جاء رجلٌ معاصر

^١ - حب في أغسطس، العدد ٣٦، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٢١

^٢ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٥

وقال: "هل جربت الانتحار يا صغيرتي؟ لو لم تكوني قد جربته فأنا أنصح به". كانت كلما تم تبذو مألوفة، ربما قرأتها في مكان ما. دخلت لآرى قاعةً كبيرةً واسعةً وفيها مائدةٌ كبيرةٌ، وفي صدر المائدة يجلسُ رجلٌ، قال لها بصوتٍ وقور: "آعالى يا فتاة، لماذا آعتقدين أنك جديرة بالانضمام إلى نادي الفلاسفة؟" كان السؤال سآيقاً فهي لم آطلب الانضمام للنادى، قالت وهي آآراجع للوراء: "آسفة على إزعاجكم، وداآاً" فصاح: "انتظري، نحن هنا مجموعة من الفلاسفة، وكلمة فيلسوف في حد ذاتها آعنى آحب الحكمة، ومن المآير أن نر هذا الاآتمام الشغوف لآى فتاة في سنك" قاطعت عبير كلامه بأن نظرت نظرة إلى الأعلى، فوجدت شرفةً آطلُّ منها امرأةٌ شرسة المنظر، آقولُ كلاماً يونانياً فظاً تبذو من آلاله سلاطة لسانها، آم آمسكت دلو ماء وسآبت على الرجل. كان المنظر آآرجاً وآخاصةً مع وقار الرجل، لكنّه لم يعلق وآآرج مندبلاً وآآقف به آاجبيه وقال: "إن المطر ينهمر دائماً بعد الرعد". آذآرت عبير بسهولة هذه الجملة وهذه الآآآة وآصاحت: "إذن أنت سقراط" فأجاب: "آعم، آآآبرني رآيس هذا النادى الموقر" هنا آآآل الرجل ذو الشعر الكآ قائلاً: "آسمعى يا فتاة، نحن هنا نآباين في آرائنا في الآياة، ولن آآرجى منا مجآمعين برآى موآد، لذا آرى من الصواب أن آرافقى كلاً منا بضعة أيام" فقال سقراط: "هذا رآى صائب يا (آيتشه)" فصاح رجلٌ ذو عین آولاء في آآآاج: "هراء! آريد منها أن آلم بالفلسفة الوجودية في آيوم واحد؟!" فقال سقراط باسمًا: "مهلك يا مسيو (سارآر) أنت لا آأاضر في الآامعة، هذه الفتاة آدافع مجرد دفاع يآس عن النفس، هذا الدفاع الذى يجعلنا نشعر بأننا لم نضيع أعمارنا هباءً" آم نظَرَ سقراط إليها وآآبع في برود: طبعاً سيعقد لك آآآان صغير في نهاية الآورة، وإن لم آآآازبه سىكون عليك أن آبقى هنا للأبد" فقآلت: "لىكن، أنا موافقة لكن من آين نبدأ؟"^١

^١ - فلاسفة في آسائى، العدد ٣٧، سلسلة فآآازبا، الكآب آآمد آآالآ آوفىق، ص ٢٥

قال لها سقراط وهما يمشيان وسط بستان: "ما هي السعادة؟" فقالت في غيظ: "ظننتك ستخبرني بهذا، أنت الفيلسوف هنا" فردَّ باسمًا: "أنا لا أقدم إجابات، لكنني أطرح أسئلة تحفز الناس على التفكير، هذه هي مدرستي" وفي هذه اللحظة رأت حشدًا من الجنود المدججين بالسلاح يقتحمون الحديقة، وتقدّم ضابطٌ وسيّم من سقراط وقال: "صدرَ أمرٌ باعتقالك وإعدامك بشرب خلاصة (الشوكران) فالحكومة تتهمك بإفساد شباب أئينا". وهكذا في اليوم المحدد جلسَ سقراط وسط المكان يضحك كأنه عريس في ليلة زفافه، وهنا تقدّم منه أحد تلاميذه وقال: "هيا يا أستاذي، إن الفرصة متاحة، إن الشبه بيننا قوي..". وقبل أن يكمل قال سقراط في حزن: "يا بني، لو هربت وأجلستك مكاني لصار كل ما ناديت به في حياتي هراءً" وهكذا أفرغ سقراط محتوى الإناء في فمه ثم تماوى رأسه وغاب عقله العظيم عن التفكير للمرة الأولى. نهضت عبير دامعة العينين وابتعدت عن المشهد. فرأت في الخارج تلميذًا يعبث بلحيته، فاقتربت لتبادل الكلام معه، فصاح في اشمزاز: "أنتِ امرأة!!" فردّت في برود: "وأنت رجل، لا مشكلة هناك" ثم قال لها أحد الواقفين: "لا تحاولي تفاهم مع أفلاطون، إنه يمقت النساء كأنهن الطاعون"^١

قصّت شعرها قصة قصيرة تبدو مثل الشباب عندما عرفت أن أفلاطون قد أنشأ لنفسه مدرسة شهيرة في أثينا فذهبت إليها. وعندما دخلت وجدت نفسها تمشي وسط حشدٍ من الشباب لتدخل إلى حديقةٍ أنيقة. وحاولت أن تقترب من المكان الذي يعلم فيه الآن، ولم تتجرأ على الاقتراب كثيرًا حتى لا يُكشف أمرها بطريقةٍ ما، وسمعت أنه يقول ما معناه أنه تأثّر لموت أستاذه سقراط فقرر أن يدافع عن أفكاره وأن يكون فلسفته الخاصة، وأن لديه مبدأً يقول: لو تعلم السياسة والحكام الفلسفة لصارت الدنيا بألف خير. وهنا وجدت أفلاطون ينهض مسرعًا ويشير إلى صخرة ويسأل التلميذ: "هل ترون هذه الصخرة؟" فأجاب الجميع في بلاهة: "نعم" فردّ: "يا لكم من حمقى، أنتم تتخيلون

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٣٧

أنكم ترونها، ولو قرأتم كتابي (الجمهورية) لعرفتم أنها وهمٌ لا وجود له". وهنا تعثرت قدمه فهوى على الأرض وارتطم رأسه بالصخرة، فراح يعوي ألماً والدم يسيل من جبهته، لكنه واصل الشرح: هذا وهم، الدم الذي يسيل من جبهته مجرد ظلال من عالم المثل العليا، هناك عالم عقلي وعالم مادي، والرياضيات هي الشيء الوحيد المحكم في هذا العالم، أما الباقي كله ظلال. وفي هذه اللحظة رأت شاباً يركض ووراءه حشدٌ من الفتية يتصايحون "لص! لص" فقال أفلاطون: "اتركوه، المرء لا يرتكب الرذيلة عامداً" فسألتُه عبير: "هل تريد القول أن خطايانا ليست باختيارنا؟" فردّ: "نعم، أو من بهذا إيماناً تاماً، كما آمن به سقراط العظيم، على هذا الفتى أن يطهر نفسه بالرياضيات والفلسفة، فإن لم يستطيع فسوف يموت و يعود للحياة حيواناً أو امرأةً. غلى الدم في عروقها، لم تتلقى أنوثتها إهانة كهذه من قبل، فقالت له: "يبدو أنك لا تميل للنساء كثيراً" فأجاب بفخر: "بل وأشمز منهن". لم تعد تشعر براحة مع هذا الرجل، وطبعاً لا جدوى من استشارته في مشكلتها، أولاً لن تستطيع إخباره بأنها فتاة، ثانياً لن تنال منه إلا كلمة أنها هي وشريف ورائية وكل هؤلاء ظلال. وهنا اقترب منها (مينوس) زميلها في الأكاديمية وقال: "بيني وبينك أنا لا أستريح لهذا المتحذلق، فما رأيك أن نجرب مدرسةً أخرى؟ فواحدٌ آخر من تلاميذ أفلاطون كوّن مدرسته الخاصة، إنه أرسطو"^١

ما إن خرجت من الأكاديمية حتى تحرّرت من تمثيل دور الرجل، فصاح زميلها (مينوس) في عجب: "لو عرف أفلاطون لفتك بك" ثمّ تابع الاثنان إلى مدرسه (أرسطو) وهناك كان يجب أن يدفع رسوم دخول، يبدو أن الفلسفة لم تنزع من أرسطو الرغبة في جمع بعض المال. وفي الداخل كان الأمر شبيهاً بسباقات الماراثون، فهو يمشي بسرعة والتلاميذ تركض من خلفه، وكان بينهم طفل صغير يلعب بسيفٍ خشبي، ولم تنتبه له إلا بعد ان داست على قدمه، فصاح في وقاحة: "لابد أنك عمياء أو بلهاء، لو عرف أبي فلن تري يوماً آخر" وهنا سمعت أرسطو يناديه: "ولد! تعال هنا واصغ للدرس". وكان

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٤٧

أرسطو في درسه يتكلّم عن كل شيء تقريبًا، ويثب من موضوع لآخر، فلا غرابة أن آرائه ظلّت تسيطر على أوروبا فترةً لا بأس بها وأن (جاليلو) كاد أن يفقد رأسه لأنه خالفه، ثم أكمل: "لقد قمت بوضع علم المنطق، عليكم دراسته جيدًا، والروح البشرية هي أعلى شيء في الكون وهي التي تقودنا إلى حياة أسعد عندما نرفقها بالقواعد الأخلاقية، وهي تشبه الشكل الكروي الذي اعتبره أكمل الأشياء" وهنا استطاعت عبير الدنو منه فسألته: "أيها المعلم، لقد تخلّى عني من أحببت بلا سببٍ واضحٍ.. فقال دون أن ينظر لها وهو يواصل المشي: "حين تموتين ستدور روحك سامية للأبد بين النجوم، أليس هذا عزاءً كافيًا؟" وفي هذا الوقت رمى عليها الطفل حجرًا، فأخذته إلى خلف العمود وبدأت تضرب فيه، ولم تتركه إلا عندما صار كالعجين. وفي لمح البصر اندفع إلى الرواق طالبٌ وهو يصيح: "أيها المعلم، إنّ فيلقًا من جيش مقدونيا يقف بالخارج، فيليب الثاني سمع أن هناك من ضرب ابنه في المدرسة" فلطم الفيلسوف خديه، بينما مالت عبير تسأل مينوس: "إذن هو ابن الملك.. حين تضرب صبيًا يجب أن تتأكد من شخصية أبيه. وهكذا بدأت تركض حتّى وصلت إلى السور ورمت نفسها على العشب وواصلت الركض.^١

وهنا سمعت الناس في وسط الشارع العام يتصايحون: "هيا هيا، المدرسة الذرية ستبدأ" ومال عليها (مينوس) الذي لا تعرف متى جاء وقال: ،هذه مدرسة أبيقور، وعندما توجهنا هناك وجدنا حفلاً صاخبًا وفتيات يرقصن بالدفوف وشبان يحملون الخمر، ووجدت ابيقور يضع عنقودَ عنبٍ خلف أذنه ويحمل كأسًا عملاقًا ويقول: "الهدف الوحيد للحياة هو الحصول على أكبر قدر من اللذة..". وهنا نهض أحد الرجال وصاح في حماس: "بحقّ زيوس أنت تتكلم كلامًا صائبًا" ومدّ يده يمسك بمعصمها وقال في حماس فلسفي: "لماذا لا تجلسين معي أيتها الحسناء نناقش مذهب أبيقور؟" فهوت الصفعه على وجهه، وخرجت عبير وقررت أن الفلسفة الأبيقورية لا تناسبها كثيرًا.

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٥٥

وأثناء سيرها في الطريق مرّت بمجموعة من الفلاسفة أو التلاميذ يقفون فوق مرتفع، وفي نهاية الطريق كانت هناك هاوية وكان أحدهم يمشي بخطوات ثابتة نحوها، فجذبت أحد الواقفين وهتفت: "إنه يتّجه للهاوية!" فنظر لها ثم قال في ملل: "لسنا متأكدين من هذا.." ففقدت الأمل من أن يتحرك الجمهور واتجهت نحو هذا الرجل الذي كاد يبلغ حافة الهاوية وجرّته من عباءته الإغريقية إلى الوراى ونجحت أخيراً في تغيير اتجاهه فأصبح ينظر إليها، فصاحت به: "ماذا تفعل أيها المجنون؟!" فقال بهدوء: "أنا لست مجنوناً، أنا الفيلسوف (بيرو)" فقالت: "تشرفنا لكن هذا لا يبرر أن تمشي في غباء نحو الهاوية" فقال: "هاوية ماذا؟ لا يمكن التأكد من هذا، الإنسان غير مؤهل لمعرفة شيء عن يقين، هذا هو مذهبي" واتجه بصوته نحو تلاميذه (الشكوكيين) ليسألهم: "هل الطقس باردٌ يا شباب؟" فقالوا بصوتٍ واحدٍ: "لا نعرف" فسألهم: "هل هو حار يا شباب؟" فأجابوا: "لا نملك القدرة على إعطاء رأي كهذا" فأشرق وجهه بالرضا وقال لها: "أرأيت؟ كنت أتمنى أن أقول أنهم عباقرة لكني لست حكيمًا إلى هذه الدرجة بالطبع". وهنا شعرت عبير أن اليونان في هذا الوقت كانت عبارة عن مشفى مجانيين ضخمة، وتركتهم وتابعت المشي.^١

قابلها (مينوس) وهي تمشي جوار أحد الأسواق هناك، فقال لها: "كيف الحال؟ هل عرفت نفسك وفهمت أسرار الكون؟" فأجابت: "لا أعرف إلا أن رأسي موشكٌ على الانفجار" فقال في جدية وهو يجذُّ السير مبتعدًا: "إن نادي الفلاسفة أعدّ لك امتحانًا عسيرًا في نهاية التدريب، فخذني الحذر، يجب أن تصلي إلى الحقيقة سريعًا" كان الليل قد جاء واستطاعت عبير أن تجد خانًا إغريقيًا صغيرًا يقدمُ لضيوفه عشاءً مع الغرفة، وعندما دخلت سألتها الخواجة (خريستو) صاحب الخان: "أي فيلسوف تريدان أن تجلسي معه؟ نحن محترفون ونحب إرضاء الزبون، ما هو مذهبك؟" فكّرت حينًا ثمّ قالت في ضيق: "ليس لي مذهبٌ بعد، أحاول أن أتعلم" فقال وهو يناولها مفتاح

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٦٤

غرفتها: "حاولي أن تجدي مذهبك بسرعة، إن اليوناني بلا مذهبٍ فلسفي هو إنسان ضائع، إنسان في ورطة"

جاء الصباح وخرجت من الخان ومشت حتى وصلت إلى أرضٍ فيها حقول، فسمعت صوتَ هدير، الأرض تهتُّ بشدة، ركعت على ركبتيها بشكل غريزي وشعرت أن الصوت القادم هو صوت دبابات، ولكن دبابات في هذا الزمان؟! بالفعل كان هناك صفان منها، وكان هناك رجلٌ متوسطُ الطول ونحيل يقف بجوارها، ومدَّ يده اليمنى بحركة مميزة ورأت شاربه الرفيع المضحك فصاحت: "هتلر!" وهنا هتف: "تقدموا يا أبناء الجيش الآري، ألمانيا فوق الجميع" ولاحظت رجلاً آخر قصيرَ القامة يرمق المشهد في رضا قائلاً لهتلر: "مرحى! أنت تفهم تعليماتي جيداً" فأخرج هتلر منظاراً مقرباً وراح يتفقد المشهد وقال: "بالطبع يا نيتشه العظيم، إنني أضعُ كتابك (هكذا تكلم زرادشت) تحت وسادتي، أقرأه كل ليلة، لم أنسَ حرفاً فيه" فاقتربت عبير من الفيلسوف الذي راح يداعب شاربه الضخم في استمتاع وقالت: "هل من مشكلة لو سمعتُ فلسفتك؟" فقال لها في رضا: "يمكنك أن ترافقيني بعض الوقت" ثم صاحَ لرجلٍ آخر: "زرادشت، أيها العبقري! تعال" وقال نيتشه وهو يقدم لها الرجل: "هذا هو زرادشت، أحد حكماء الفرس القدامى، وهو بريءٌ من أكثر الأقوال التي قلتها على لسانه، لكنني استعملته ليقولَ هو كل ما أردت قوله، وكان كتابي (هكذا تكلم زرادشت) شديد الأهمية. هزت عبير رأسها في أدب وقالت: "أنا عبير" فقال زرادشت: "أنت امرأة، وأنا لا أعتبر المرأة إلا وعاءاً للحمل، يتعرع فيه الجنس الأسمى (السوبرمان)، فلو كان لكِ عدو، فلا تقابلي شره بالخير، بل قابليه بشرٍّ أكبر، وإذا نزلت بك مظلمة فقابليها بمثلها وأضيفي إليها خمسَ مظالم أخرى، ليس من الإنسانية أن يترفع مظلوم عن الانتقام" ورأت عبير في الحقيقة أن هذه الفلسفة طريق لخراب العالم، كان يدعو للفلسفة القاسية التي لا رحمه فيها، حيث

الأقوياء يمارسون قوتهم وكأنها حقهم الطبيعي، فحسب هذه الفلسفة يتم الانتقاء الطبيعي وفي النهاية نصل إلى الشخص الأعظم (سوبر مان).^١

لم تعجبها هذه الفلسفة ولم ترغب بانتظار مجيء السوبر مان، فتوجهت إلى شوارع برلين حيث رأت شوبنهاور وعرفته على الفور، إنه الرجل ذو السالفين الكثرين والنظرة النارية المجنونة، كان يمشي في الشارع هامساً بصوت غليظ: "صبراً يا أمي، سترين، سأنتقم منك". والحق إن علاقة هذا الفيلسوف بأمه فريدة من نوعها، كراهية متبادلة لا يمكن وصفها، والحقيقة أيضاً أن نيتشه تأثر كثيراً بفلسفة شوبنهاور، اقتربت عبير من الرجل وهي ترتجف وقالت: "أنا عبير" فأجابها: "وما في ذلك؟" فقالت وهي تتراجع خطوة للوراء: "المفروض أن أتلمذ على يديك" فأجابها: "لا خير لك في فلسفتي يا فتاة، فهي قاسية كئيبة، وعلى كل حال أنا لا أثق بأي مخلوق في العالم، وخلاصة فلسفتي هي أن الحياة شرٌّ خالص ويجب ان تنتهي" وفي هذه اللحظات تقدم رجلٌ من شوبنهاور فصاح به في اشمزاز: "ناشري، ماذا جاء بك؟" فدنا الناشر أكثر وقال: "كتابك (العالم إرادة ورأي).. يجب أن أعترف لك.. لم نبع منه إلا بضع نسخ.. لأن المقدمة التي كتبتها مستفزة جداً.. وقد اضطررت في النهاية إلى إحضار تاجر كتب يحمل ميزاناً.. وقمنا بوزن الكتاب ثم.. فقاطعه صارخاً: "هل جنتت!" وأطبق على عنقه، وهنا صاح صائحٌ من الناحية الأخرى من الطريق: "كفى أيها المجنون" هنا فقط تخلت قبضة الفيلسوف عن الناشر، وصاح: "هيجل! بعد زمان" فأجابه هيجل: "أنت عازٌ على الفلسفة بتشاؤمك" فردَّ شوبنهاور: "وأنت لا تفقه شيئاً بتفاؤلك" واجتمع الناس حول الفيلسوفين يصغيان إليها، شوبنهاور المتشائم، وهيجل الذي تمتلئُ فلسفته بالأمل، وقال هيجل للناس الواقفين: "أنتم تعرفون أنني أدعو لفلسفة مثالية، فالحقيقة عملية متغيرة، أما الشيء الوحيد الثابت فهو قوة كونية عليا، الإنسان وحده لا يساوي شيئاً ولا توجد حقيقة ثابتة" فصاح شوبنهاور: "هذا كلام نظري يصعب تطبيقه، الحقيقة هي

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانناريا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٨٢

التشاؤم، أنا أهديت للعالم (فلسفة الإرادة)، إرادة الحياة الموجودة فينا ترغمننا على القيام بأشياء غير منطقية وهي صراع طويل لا جدوى منه، لأننا نموت في النهاية وتنتصر إرادة الديدان!"^١ وفي الأيام التالية قابلت فلاسفة كثيرين جدًّا، حيث رأت الفيلسوف الألماني (كانط) في مختبر، يمسك بقطعة من الورق وشععة، فقال: "الآن سألمس الورقة باللهب، ماذا سيحدث؟! " نظرت له في حيرة وغباء ثم قالت: "يا سلام! تحترق طبعًا" فأجاب: "لا، لا بدّ من التجريب، فهناك جزءٌ من الاستدلال العقلي في الموضوع، لكن لا بديل عن التجريب" وهنا لامست النار الورقة وبدأت تحترق، فقالت عبير: "تجربة ناجحة، النار تحرق الورق" فقال: "كانت هذه معضلة فلسفية حقيقية، وقد حللتها!"

خرجت عبير من عند الفيلسوف واتّجهت الى أقرب صيدلية وابتاعت مهدئًا قويًا، فقال لها الصيدلي: "جربي الفرنسيين، إنهم يختلفون عن الألمان، وفلسفتهم لها مذاقٌ خاص، لأن الكثير من الفلسفة الألمانية أمرٌ متعب" وهكذا اتّجهت إلى الكهل الفرنسي الوقور، الذي جلس يتأمل النهر وهو يكرّر: "أنا أفكر إذن أنا موجود" ثم استدار وطبع قبلةً على يدها وانصرف. وبعدها وجدت (مينوس) يقف بجوارها فقالت له باسمه: "لا أعرف كيف تنتقل معي عبر الأزمان والأماكن، لكني مسرورة بوجودك، على كل حال من هذا الأخ؟" فأجابها: "رينيه ديكارت" فقالت: "بصراحة، لم تعد مرارتي تحتل كل هذه الفلسفات، لم يبقَ إلا أن يظهر لي شخص ويقول إن في يدي خمسة أصابع" فأجابها: "ربما يأتي هذا اليوم السعيد، إن التقدم لا يقف عند حد"^٢ بعدها قابلت ألبير كامو أثناء خروجه من حفل جائزة نوبل، كان يحتضن الجائزة في اعتزاز فقالت له في كياسة محاولةً ألا تستفزه: "لا بد أنك فخور بها، ولكن (سارتر) رفضها لأنه يرفض اللجنة ذاتها.." فقال في غيظ: "يمكن لسارتر أن يمارس المواقف البطولية الطفولية كما يريد، هذا حقه، لكن لا تطلبي من كل إنسان أن يرفضها، هل قرأت (الغريب) أو (الطاعون) أو (الأبرار)؟" هزت رأسها نفيًا فقال في ضيق: "أين كنت تعيشين؟ على

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٣

^٢ - المصدر السابق، ص ١٠١

المريخ؟ على كل حال هذه هي خلاصة فلسفتي، حياتنا عبثية لهذا نحاول أن نجملها بالفن والدين والحب.. ومن دون هذه الأمور يكون الانتحار مسألة وقت، بل وواجبًا على كل إنسان" فسألته في فضولٍ حقيقي: "لماذا لم تنتحر إذن؟" فأجاب: "لا بدّ من شجاعٍ يضحى ويقبل البقاء على الأرض لينصح الناس بالانتحار" ثمّ ركب سيارته وانطلقَ بسرعة جنونية، ثم سمعت صوت ارتطام قوي، لم ترَ ما حدث لكنّها خمنتّه دون جهد، السيارة المجنونة اصطدمت بشيء وتحولت إلى كتلة من الصفيح. هزّت رأسها في أسى واستعدّت للعودة، لقد دنا وقت الامتحان الأخير.

دخلت نادي الفلاسفة وهي متوترة، فاستقبلها أرسطو الذي كان بانتظارها، طبعًا صار هو المدير بعد إعدام سقراط، وقال لها: "اجلسي هنا" ثم وضع أمامها ورقة الامتحان ووقّع عليها وابتعد. وراحت تتأمل الأسئلة في قلق:

لماذا رفض سقراط الفرار من السجن؟ اذكر عشرة فوارق بين أفلاطون وأرسطو. ما هي نظرة نيتشه إلى المرأة؟ ما الفرق بين نظرة نيتشه و شوبنهاور لإرادة الحياة؟ اذكر اسم فيلسوفين يكرهان هيجل بشدة. ما الفرق بين سارتر وكامو؟ من هو مؤسس الفلسفة الذرية؟ ما هي نظره أبيقور للسعادة؟ لقد استغلّ الطغاة أفكار نيتشه، علل.

وهكذا راحت عبير في تعاسة تحاول أن تكتب شيئًا ما، طبعًا كان الأمر عسيرًا، لقد اختلطت الفلاسفة في ذهنها، ولم تعد تذكر من قال ماذا. فنظرت إلى ارسطو في قنوط وهتفت: "لا جدوى" فاقترب منها وقال: "دعك من هذا الامتحان، قولي لي بشكل عام ما الذي خرجت به من الفلسفة؟" فكرت حينًا ثم قالت: "لا شيء في الواقع، عندما جئت إلى هنا كنت أطلب إجابةً بسيطة عن مشكلة بسيطة، وهي كيف أنتصر على الألم الذي أشعر به لأن زوجي تخلى عني، فوجدت أفلاطون يطالبني بأن انغمس في الهندسة، وأبيقور يطالبني بأن أشرب الخمر، وأرسطو يطالبني بأن أنتظر لتصعد روحي وتعيش بين النجوم، وكامو يقترح أن أنتحر، وسارتر يطالبني بتحمل مسؤولياتي، وكانط يطالبني بالتجريب، ونيتشه وشوبنهاور يريان أنني كائن حقير لأنني امرأة" ووضعت القلم على المنضدة وتابعت بعصية: "الفلسفة كما رأيته هي فن إضاعة الحقيقة، البحث عن

الشمس بينما هي تضيء في الأفق، اعتقاد أن الأكل وُجد كي لا نأكله، والشراب وُجد كي لا نشربه، والحب وُجد كي لا نعيشه" ثم أطلقت زفيراً طويلاً وقالت: "لقد نلت درجة الرسوب بمجدارة إذن" ولكن على عكس ذلك، ابتسم أرسطو وقال: "لا بأس، عرفت كيف يفكر هؤلاء، واستطعت تكوين رأيك الخاص، فالرأي في الفلسفة هو نوع آخر من الفلسفة، سأعطيك درجة النجاح". هنا شعرت بيد توضع على كتفها، مع صوت مألوف: "لا داعٍ للفلسفة، لقد أعطاك درجة النجاح" نظرت للوراء فوجدت المرشد يساعدها على النهوض، فقالت: "لقد كانت رحلة مرهقة، لكنها انتهت" وخرجنا معاً من المعبد.^١

صديقي جلعاميش

جلست عبير في قطار فانتازيا المضحك وأمسكت بالنشرة التي تشرح معالم فانتازيا، تلك النشرة التي يُعاد طبعها قبل كل زيارة لها، وتعالى صوت المرشد الذي شعر بالملل لأن أسوأ لحظات حياته هي تلك التي تظل فيها عبير عاجزة عن اتخاذ قرار واختيار مغامراتها القادمة. وفجأة توقفت عند صفحة وقالت للمرشد: "أين نحن؟" فنظر خارج النافذة وقال: "بلاد ما بين النهرين، بمعنى آخر أنت في العراق وشرق سورية" فسألته: "وما هذه القصة؟" فأجابها: "بالطبع أسطورة (جلجامش)" فقالت في ضيق وهي تضع المنشور جانباً: "لا أعرف عنها حرفاً، وطبعاً ستقول لي الآن أنني أعرفها لكنني نسيت أنني أعرفها، وأني لو لم أعرفها لم استطعت أن أحلم بها" فأجابها: "بالضبط" فقالت: "حسناً دعني أجرب، ولكن ما دوري هنا؟" ففكر قليلاً ثم قال: "عشثروت! ما رأيك أن تلعي دور عشثروت؟" فقالت: "ومن هي؟ قلت لك أنني لا أعرف" فأجاب: "ستعرفين كل شيء في وقته" وهكذا وجدت عبير نفسها تقف للمرة الأولى في حياتها على ضفاف نهر دجلة.^٢ بعين الخيال تراه عبير عبر المسافات وعبر

^١ - فلاسفة في حسائي، العدد ٣٧، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٣١

^٢ - صديقي جلعاميش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٢

الأزمان، منذُ مئة عام، يجلس هناك في الظلام الذي لا يبده إلا ضوءُ شمعةٍ خافت، ينقشُ على قطعةٍ من الصلصال. وها هو ذا (غروتن فند) عالم اللغات الألماني العظيم يحاول فكَّ أَلغاز هذه الألواح المكتوبة باللغة المسمارية، واستطاعَ العالم بالفعل أن يفكَّ الكثير من الحروف الهجائية للغة المسمارية، وانفتح الستار على تلك الحضارة الهائلة، حضارة بلاد ما بين النهرين.

كَانَ (آنو) وزوجته (أنتوم) جالسين عندما دخلت ابنتهما (عشتار)، فقال لها أبوها: "ماذا بكِ يا عشتور" وبالطبع يبدو من تدليل أبيها لها أنها عصبية غيور مدللة، اعتادت منذ الصغر أن تنال ما تريد. فقالت في حنق: "اللعين جلعامش! لقد رفض حيي له" فقالت والدتها: "بيني وبينك يا حبيبي، أنت تتلاعبين بعشاقك طيلة الوقت، ويبدو أن هذا البطل المغوار والملك العظيم جلعامش غيرُ راغبٍ في أن يصير مجرد اسم في قائمتك" تصاعدَ الدم إلى رأسها وهتفت: "أنا عشتار الفاتنة القوية أقضي الليل في البكاء من أجل كائن بشري تافه! أية إهانة هذه" ثم أكملت: "أنا أريد أن أعاقبه، أريد أن أراه يتعذب يا أبي!" وحاولَ والدها المسالم التهربَ قائلاً: "عشتار يا عزيزتي، دعكِ من هذه القصة، هذا الفتى لا يستحقُّك على الإطلاق" فاتسعت عينها لتصيرا كعيني وحشٍ مفترس وهتفت: "لو لم تتصرفِ يا أبي فسأتصرف أنا، سأتوقف عن جلب الخصب والنماء إلى الأرض، ولسوف تحلّ بالأرض سبع سنين من القحط" وهكذا لم يرَ حلاً، حياة جلعامش مقابل حياة آلاف التعساء الذين سيموتون بسبب غضب عشتار، فقال لها: "ليكن، جلعامش يستحق الموت على أي حال، خذي الثورَ الأسود" فصاحت في مرح: "شكرًا يا بابي، شكرًا"^١

هبطت عشتار من السموات نحو مدينه (أوروك) وهي تمسكُ ثورَ أبيها بالسلسلة، ففوجئ البشر بالظل الذي حجب الشمس، ثم رفعوا عيونهم لأعلى وبدأ الهول، كان هدفها أن تمزق جلعامش وحده، وطبعًا هذا كان عسيرًا بالنسبة للثور البري

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٧

العَملاق الذي راح يطأ البيوت ويرفس الحقول وينطخ من يظهر في طريقه. لا ترى جلعامش حتى الآن، لكنها تعرف أنه لن يتحمّل ما يجري لشعبه، إنه آتٍ ولا ريب. وهنا ظهر بطلٌ عظيم يدعى (إنكيديو) ولوّح بسيفه، وطار في الهواء قاصداً عنق الثور، فصاحت عشتار: "لا تحاول يا حيوان! أنت لا تعرف من تتواجه" فقال وهو يتابع عمله: "أعرف أنك عشتار، وأنّ عليّ قتلَ هذا الثور" لكن الثور ماجّ وهبّ منتفضاً، فطارَ إنكيديو بضعة مئات من الأمتار ثم ارتطم بالأرض، وبالطبع هنا ظهر (جلجامش) -تعرفون أسلوب الإنقاذ في اللحظة الأخيرة" وصاح: "انهض يا صديقي إنكيديو، ولا تدعه ينل منك" وعلى الأرض أمسك البطلان جذع شجرة عملاق كالمرح ورفعاه عاليًا نحو الثور، وهنا صاحت عشتار: "يا لكما من وقحين! اتركها ثوري!" لكنّ عملية السيطرة على الثور وقتله استمرت، ونافورة الدم أغرقت المكان، ومدّ جلعامش يده فانتزع القلب، ونظرَ بحثًا عن عشتار الشريرة اللعوب فلم يجدها، أين ذهبت يا ترى؟ بالطبع كانت عند أبيها تخبره بالكارثة، وهذه المرة استشاط أبوها غضبًا، صحيح أن ابنته تجتّت على البشر، لكن يجب أن يعيد الأمور إلى نصابها.^١ وهنا اجتمع (أنو) و(انليل) و(ايا) و(شاماش) ليتشاوروا في العقاب الذي سيناله قاتلا الثور. وفكروا أن أحدهما يجب أن يموت، ولكن من هو؟ جلعامش نصف إله ونصف بشر، أما إنكيديو نصف حيوان ويصلح للموت. وفي الصباح التالي بدأت أعراض الحمى على إنكيديو، وكان تدهورُ صحته سريعًا، وقد احتشدَ الناس يحاولون عمل شيءٍ للبطل الذي أنقذهم من الثور، وفكّر البعض في أن جروحهم قد تلوثت أو أنه قد تعب وعرق، ولكن جلعامش كان يعرف أن الأمر لعنة لا أكثر ولا أقل. وكان صراخ إنكيديو ونواحه على نفسه يجعل الحالة النفسية لجلجامش غايةً في السوء، وهكذا ظلّ في هذه الضوضاء والنعي عدة أيام إلى أن أغمضَ عينيه للأبد. وهنا أطلق جلعامش صرخةً ارتجت لها أوروك بأسرها، وكانت هذه النقطة -موت صديقه- هي البداية الحقيقية للملحمة.

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٣٥

جلسَ (جلجامش) وحده يتأمل مياه نهر دجلة، ويتذكر كيف تعرّف للمرة الأولى على صديقه أنكيديو. لقد كان جلجامش ملك أوروك القوي المسيطر، ولم يكن قويًا وعادلًا بل كان قاسيًا وظالمًا، وهكذا اتجه الرعايا البائسون يطلبون العون من (أنو) والد عشتار، فقال لهم: "لا يفِل الحديد إلا الحديد، سأصنعُ لكم واحدًا في ذات قوة جلجامش" وهكذا خرج أنكيديو إلى الوجود، ثم تزوّج من (شامحات) فاتنة المعبد، وبالطبع قضى أسبوعًا واحدًا في العسل، بعد هذا أصابه الملل كأبي زوجٍ معاصر، وشعرَ بأن زوجته ثرثرة ولحوح أكثر من اللازم، وهكذا صحت (شامحات) من نومها يومًا لتجد أن أنكيديو يريد الذهاب إلى الغابة ومصارعة الوحوش، وهكذا وجدت له حلًا آخر وقالت له: "هيا بنا نذهب إلى اوروك، هناك جلجامش في نفس قوتك، لكنك قادر على هزيمته بالتأكيد ولسوف تصير ملكًا" وهكذا ذهب، ودارت مواجهة طاحنة بين الرجلين. وفي النهاية وبعد الكثير من العرق والدم والغبار واللعب، زحف جلجامش حتى وضع ركبته على عنق خصمه، وصاح بصوت مزلزل برغم تعبته: "من الأقوى؟؟" فأجاب أنكيديو: "جلجامش" وعلى الفور سقطَ جلجامش جواره لاهثًا، ثم انفجر الجبلان يضحكان ويضحكان. وقال (جلجامش): "يجب أن أعتزف، أنت قوي أيها الرجل البري" فأجابه أنكيديو: "بحق شاماش، أنت تقاثل كجبل دبت فيه الحياة" فصرخ جلجامش أمرًا للنساء: "قدموا لنا عصير البلح المختمر أيتها النسوة". وهذا ما حدث مع الرجلين الذين أصبحا أعز صديقين، وراحا يخوضان أعتى المغامرات وأصعب الصراعات معًا، ويخوضان المعارك كأنهما رجلًا واحد. وبعد كل هذه الذكريات الصعبة جلس (جلجامش) بطل الأبطال وملك (أوروك) بلا حراك، وكأنه ينتظر الموت. هو الذي صارع الأسود والثعابين وأقوى الأبطال أرهقته فكرة رؤيه الموت قريبًا منه لهذا الحد، لدرجة أن يأخذ منه صديقه أنكيديو الذي كان نصفه الآخر. وتمتّى لو يستطيع لقاء أنكيديو دقيقة واحدة ليخبره أين ذهب؟ وكيف مات؟ وماذا عرف؟ ما هي الحقيقة؟ وجلست عبير تراقبه، إنها تعرف أنها تسببت له في تلك الكارثة، وجلجامش هو بطل

ملحمي لن يظلّ جالسًا هكذا، هنا جاء وقت رحلة البحث الأسطورية،^١ رحلة البحث عن الحقيقة.

جاء أحدهم إلى (جلجامش) العظيم ووضع يده على كتفه وقال: "أنت حزينٌ ومهمومٌ لأنك تهاب الموت، هذا الموت الذي سرق صديقك وصار على مقربة منك، لكن الخلود موجود أيها العظيم، هناك من يعرف سرّه" فنظر له (جلجامش) مذهولاً وقال: "هل هذا صحيح أم أنك تتسلى؟" فأجابه الرجل: "هل سمعت عن (أوتنابشتيم) هو الوحيد الذي ظلّ حيًا بعد الفيضان، ذلك الفيضان الذي أغرق الأرض وأزال البشر، ولم يخرج منه سوى هذا الرجل وزوجته، إنه يعرف سر الخلود" وهكذا نظر جلجامش إلى الأفق، بدا له أن هناك أملاً ما.

وبدأ جلجامش يقطعُ السهول والوديان والتلال قاصداً عنوان (أوتنابشتيم)، وبالطبع مشواره لم يكن سهلاً، حيث اجتاز بوابات يحرسها غيلان، وخاض جداول تعج بالتماسيح، وهشّم عظام السحرة، وأطار أعناق الوحوش بالبلطة، وفي المساء كان ينام راضياً ويستيقظ في الصباح ليتابع المسير. وفي النهاية وصل إلى حديقة أشجارها تحمل ثماراً من الياقوت والمرجان واللؤلؤ والزبرجد، ومشى نافذ الصبر وسط هذه الأشجار، وطبعاً كانت عشتار تراقبه، وقالت في نفسها "هو ذا الأحقق يبحث عن الخلود، ولا يعترف بأن الخلود محرّم على البشر" وأقسمت أن تفسد له خطته ما استطاعت، لكن بعد أن يقبل بحبّها أولاً، وفي هذه اللحظة بالذات سيموت، هذا هو الانتقام الأمثل لكرامتها، لأن موت أنكيدو لم يشبعها.^٢ وهكذا وصل إلى مكانٍ قدّر أنه مكان لتقطير الخمر، ورأى شابة تعمل بجدّ، فسألها: "كيف أستطيع الوصول إلى أوتنابشتيم الخالد؟" فقالت: "لا يمكنك ذلك إلا عن طريق عبور نهر الموت، وعبور هذا النهر صعب جدّاً، هناك بحّار واحد يُدعى (أورشنابي) يقومُ بعبور نهر الموت بانتظام" فسألها: "وكيف يمكنني

^١ - صديقي جلجامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧٠.

^٢ - المصدر السابق، ص ٨٢.

الوصول إلى أورشناي هذا؟" فأشارت إلى وادٍ مظلم مكفهر يمتد أمامهما في الأفق وقالت له أنه إذا استطاع عبور هذا الوادي فسوف يجده. وهكذا بدأ في السير داخل الوادي الذي كانت أفواج الموتى تقطعه، وارتمت فتاةٌ حسناء عند قدميه وقالت: "جلجامش، أيها الملك العظيم، أتوسلُ إليك أن تنقذني وتعيدني لعالم الأحياء" فتابع السير وهو يعرف أنه لا يستطيع فعل شيء، وفي النهاية وصلَ وصول الأبطال. ووجدَ مركبًا يقف جوار الشاطئ، وهو مركبٌ جديرٌ فعلاً بعبور نهر الموت، وكان ذلك الملاح واقفًا يتسلى بربط مجموعة من العظام البشرية بسلك. فتوجّه جلجامش نحوه وقال له: "مساء الخير، هل أنت أورشناي؟" فقال له: "مساء النور، نعم، لنكن مختصرين، أنت تريد العبور وأنا أريد أجرًا، والأجر هو أن أعرف قصتك" وهكذا روى له قصته، فانطلق القارب بيتعد في مسيرته الرهيبة.

وعلى الضفة الأخرى وقفَ أوتنابشتيم، فعلاً ينطبقُ عليه كل شيء قيل عنه، الذقن البيضاء التي توشك على أن تلمس الأرض، والعينان الثاقبتان، والتجاعيد في كل بوصة من وجهه. كان بانتظار أورشناي ليثرثر معه كما اعتادا، لكنه اليوم أحضرَ له زائرًا، وفي النهاية بلغ القارب الشطّ فترجّل جلجامش وحيّا العجوز الذي قال: "مرحبًا بك، من أنت؟ ولماذا جئت هنا؟ تعالى معي إلى الكوخ كي نتحدث" وبعدها روى جلجامش قصته قال له العجوز: "إذن أنت راغبٌ في الخلود، هل لي أن أعرفَ السبب؟" فقال له: "لنصحح الأمر، أنا لا أرغب بالخلود، لكني خائفٌ من الموت، لا أطيق فكرة أن يتعفن جسدي فتأكله الديدان، بينما أعبر أنا عالمًا لم يرجع منه أحدٌ يومًا، هذه الفكرة مفرّعة، وقد جعلتها وفاة صديقي أنكيديو كابوسًا" فقال أوتنابشتيم أسفًا: "لا وجود للخلود بالنسبة للبشر، يجب أن تعرف هذه الحقيقة" ثم خرج وكانت زوجته في الحديقة تنشر بعض العباءات، فقال لها همسًا: "هل ترين أن أخبره؟" هزّت رأسها لا تعرف ما تقول، ثمّ قالت في حذر: "جرّبه أولًا"^١ عادَ العجوز إلى الكوخ وقال

^١ - صديقي جلجامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٨

له: "سبعة أيام كاملة لا تنام فيها، هذا هو الشرط" فنظر جلجامش إلى الكوخ من حوله، كان هذا آخر شيء يتوقعه، ثم قال في ضيق: لا أخفي عنك أنني أحب النوم حباً جماً، لكن الأمر يستحق" وقد قاوم كثيراً، لكنه في النهاية نام من تعبته، وكان ينهض فقط لالتهام بعض الخبز الذي تضعه المرأة جواره ثم يعود للنوم، فقال العجوز لامرأته في غيظ: "تأملي هذا البطل الذي يشتهي الخلود إلا أنه عاجز عن البقاء ساهراً سبعة أيام" فقالت له: "لقد أنهلك المسكين، لا تنسَ كم من المسافات قطع" وأخيراً نال جلجامش كفايته من النوم، واستعادَ رونقه ونشاطه، فقال له العجوز: "لقد فشلت فشلاً ذريعاً في الاختبار، ولكنني أحببتك ویشقُّ عليّ أن أتركك ترحل دون أن أخبرك بالسر الذي آليت ألا أخبره لبشري، هل تعرف (الأوبسو)؟" فأجاب: "لا أعرفها" فقال العجوز: "هي بقعة في أعماق البحر، وهناك نوعٌ من الأعشاب السائكة، إذا استطعت الوصول إليها والعودة وأكلتها فستنال الخلود" ثم وقف على باب الكوخ وأشار إلى النهر وقال: "إن الملاح عائدٌ الآن، قل له أن يأخذك إلى البحر، إلى الأوبسو" وبالفعل أخذه الملاح وأشار له إلى مكان معين وهو يواصل التحديف وقال: "هل ترى هذه البقعة؟ يمكنك الغطس هناك" وقرّر أن يغطس، وظلّ يغطس حتى وصل إلى أعشاب فريدة من نوعها، مملوءة بالأشواك، حتمًا هذه هي، وهكذا مدّ يده واقتلع بعضها وبدأ يرتفع حتى وصل إلى السطح، فصاح به الملاح: "هل وجدت العشب؟" فأخرجه من حزامه ولوّح به منتصراً وصعد إلى القارب وقال له: "هيا بنا نعود، لقد أخبرني العجوز أنه يجب عليّ أن أكل هذه الأعشاب بعدما أصل إلى ديارى (الأوروك) وراخ القارب يتهدى فوق المياه.^١ ما أجمل أن يعود إلى الوطن منتصراً، وما أجمل أن يُقال "لن يموت جلجامش، سوف يعيش للأبد وسوف يكون أعظم ملك عرفته الأرض". لكنه ينسى تفصيلاً مهمًا؛ عشتار ما زالت هنا، وهي تحمل له الضغينة. وكانت عشتار في المقابل تعرف شيئاً واحداً؛ لن تتركه يعود إلى أوروك بهذه الأعشاب. وفي طريق العودة كان جلجامش يعاني

^١ - صديقي جلجامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١١٠

حاجةً ملحةً للاستحمام لأنّ رائحته صارت كوحوش الغابة، وكان النهر قريبًا وماؤه يتلألأ في الشمس، وهكذا نظر حوله ثمّ خلع ثيابه كلها وكومها على الضفة، ووثب إلى النهار. في حين وقفت عشتار خلف مجموعة أشجار تراقب البطل البابلي يسبح، فمدت يدها إلى صدرها وأخرجت أفعى ومسحت على رأسها برقة، وهكذا فإنّ الأفعى عرفت ما يجب فعله، فراحت تزحف حتى بلغت ثياب جلجامش وبلطفٍ ورقة حتى تلتهم الأعشاب كلها. فضحكت عشتار وهي ترمق المشهد، سوف تنال الأفعى الخلود إن كان كلام أوتنابشتيم صحيحًا. وخرج جلجامش من الماء ليحفّ جسده، وهنا تلقى أفسى صدمة يتلقاها في حياته، وهكذا حمل درب طريقه وعاد إلى مدينته. وعند مدخل المدينة نام بعمق، نام للمرة الأولى منذ دهر هادئًا لا يؤنبه ضميره. وفي منامه زاره أنكيديو وسأله: "ما بك يا جلجامش؟ لا تبدو سعيدًا" فأجابته: "كيف لا أحزن وقد أضعت فرصة الخلود للأبد؟" فأجابته: "ألا تحب أن تأتي إلي، ألا تحب أن تلحق بصديقك الصدوق؟ مهما فعلت أنت آتٍ لنا" وفي العالم السفلي سمعت (أرشيغال) هذا البكاء فلانت ناصيتها، ونادت أحد أتباعها وقالت له: "هات لي المدعو أنكيديو" ثمّ قالت له حين حضر بين يديها: "اسمع، سوف نعيدك إلى عالم الأحياء لتقابل صاحبك جلجامش وتخبره بأحوالك، ثمّ تعود إلى هنا" وهناك على أبواب (أوروك) تمّ اللقاء، وارتقى جلجامش في أحضان أنكيديو، وهنا سأله جلجامش: "كيف الأحوال؟" فأجابته "يعاملوننا أسوأ معاملة، كل شيء قاسٍ أو مظلم أو مؤلم أو كئيب..". فهتف جلجامش في رعب: "كنت أتوقع هذا" فقال أنكيديو: "نصيحتي لك: حاول أن لا تموت لأطول فترة ممكنة" وكان المرشد يقف هناك في المرح بانتظارها وهو يضغط على مؤخرة قلمه فقالت له مذعورًا: "ماذا حدث للقصة يا مرشد؟ لماذا وقفت هكذا؟" فأجابها: "لقد وصلت إلى القرص الثاني عشر من الملحمة، وهذا القرص مهشّم، لهذا لا يمكننا استنتاج الأحداث أكثر، لكن أغلب الروايات قالت أنه فهم أن الخلود بمعناه المعنوي، فترك آثارًا تحكي عنه للأجيال القادمة" وقالت عبير وهي تدمع: "عظيمة أنت يا بلاد ما بين

النهرين، خالدٌ أنتَ يا عراق منذ كان حمورابي يمشي على أرضك وهارون الرشيد يحكم في قصورك، فما أهمية بضعة أعوام سيئة في تاريخ يتكلم بآلاف السنين..^١

جلست عبير في قطار فانتازيا المضحك وأمسكت بالنشرة التي تشرح معالم فانتازيا، تلك النشرة التي يُعاد طبعها قبل كل زيارة لها، وتعالى صوت المرشد الذي شعر بالملل لأن أسوأ لحظات حياته هي تلك التي تظل فيها عبير عاجزةً عن اتخاذ قرار واختيار مغامراتها القادمة. وفجأةً توقفت عند صفحةٍ وقالت للمرشد: "أين نحن؟" فنظرَ خارج النافذة وقال: "بلاد ما بين النهرين، بمعنى آخر أنت في العراق وشرق سورية" فسألته: "وما هذه القصة؟" فأجابها: "بالطبع أسطورة (جلجامش)" فقالت في ضيق وهي تضع المنشور جانباً: "لا أعرفُ عنها حرفاً، وطبعاً ستقول لي الآن أنني أعرفها لكنني نسيت أنني أعرفها، وأني لو لم أعرفها لم استطعتُ أن أحلم بها" فأجابها: "بالضبط" فقالت: "حسناً دعني أجرب، ولكن ما دوري هنا؟" ففكر قليلاً ثم قال: "عشتروت! ما رأيك أن تلعي دور عشتروت؟" فقالت: "ومن هي؟ قلت لك أنني لا أعرف" فأجاب: "ستعرفين كلَّ شيءٍ في وقته" وهكذا وجدت عبير نفسها تقفُ للمرة الأولى في حياتها على ضفاف نهر دجلة.^٢ بعين الخيال تراه عبير عبر المسافات وعبر الأزمان، منذُ مئة عام، يجلس هناك في الظلام الذي لا يبده إلا ضوءٌ شمعةٍ خافت، ينقشُ على قطعةٍ من الصلصال. وها هو ذا (غروتن فند) عالم اللغات الألماني العظيم يحاول فكَّ ألغاز هذه الألواح المكتوبة باللغة المسمارية، واستطاع العالم بالفعل أن يفكَّ الكثير من الحروف الهجائية للغة المسمارية، وانفتح الستار على تلك الحضارة الهائلة، حضارة بلاد ما بين النهرين.

كانَ (آنو) وزوجته (أنتوم) جالسين عندما دخلت ابنتهما (عشتار)، فقال لها أبوها: "ماذا بكِ يا عشتور" وبالطبع يبدو من تدليل أبيها لها أنها عصبية غيور مدللة، اعتادت منذ الصغر أن تنال ما تريد. فقالت في حنق: "اللعين جلجامش! لقد رفض

^١ - صديقي جلجامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٢٦

^٢ - المصدر السابق، ص ١٢

حبي له" فقالت والدتها: "بيني وبينك يا حبيبي، أنت تتلاعبين بعشاقك طيلة الوقت، ويبدو أن هذا البطل المغوار والمملك العظيم جلعامش غيرُ راغبٍ في أن يصير مجرد اسم في قائمتك" تصاعدَ الدم إلى رأسها وهتفت: "أنا عشتار الفاتنة القوية أقضي الليل في البكاء من أجل كائن بشري تافه! أية إهانة هذه" ثم أكملت: "أنا أريد أن أعاقبه، أريد أن أراه يتعذب يا أبي!" وحاولَ والدها المسالم التهربَ قائلاً: "عشتار يا عزيزتي، دعك من هذه القصة، هذا الفتى لا يستحقك على الإطلاق" فاتسعت عينها لتصيرا كعيني وحشٍ مفترس وهتفت: "لو لم تتصرف يا أبي فسأتصرف أنا، سأتوقف عن جلب الخصب والنماء إلى الأرض، وسوف تحلّ بالأرض سبع سنين من القحط" وهكذا لم يرَ حلاً، حياة جلعامش مقابل حياة آلاف التعساء الذين سيموتون بسبب غضب عشتار، فقال لها: "ليكن، جلعامش يستحق الموت على أي حال، خذي الثور الأسود" فصاحت في مرح: "شكرًا يا بابي، شكرًا"^١

هبطت عشتار من السموات نحو مدينه (أوروك) وهي تمسكُ ثورَ أبيها بالسلسلة، ففوجئ البشر بالظل الذي حجب الشمس، ثم رفعوا عيونهم لأعلى وبدأ الهول، كان هدفها أن تمزق جلعامش وحده، وطبعًا هذا كان عسيرًا بالنسبة للثور البري العملاق الذي يطأ البيوت ويرفس الحقول وينطح من يظهر في طريقه. لا ترى جلعامش حتى الآن، لكنها تعرف أنه لن يتحمل ما يجري لشعبه، إنه آتٍ ولا ريب. وهنا ظهر بطلٌ عظيم يدعى (إنكيدو) ولوح بسيفه، وطار في الهواء قاصدًا عنق الثور، فصاحت عشتار: "لا تحاول يا حيوان! أنت لا تعرف من تتواجه" فقال وهو يتابع عمله: "أعرف أنك عشتار، وأن علي قتل هذا الثور" لكن الثور ماج وهب منتفضًا، فطار أنكيدو بضعة مئات من الأمتار ثم ارتطم بالأرض، وبالطبع هنا ظهر (جلجامش) -تعرفون أسلوب الإنقاذ في اللحظة الأخيرة" وصاح: "انفض يا صديقي أنكيدو، ولا تدعه ينل منك" وعلى الأرض أمسك البطلان جذع شجرة عملاق كالرمح ورفعاه عاليًا

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٢٧

نحو الثور، وهنا صاحت عشتار؛ "يا لكما من وقحين! اتركها ثوري!" لكنّ عملية السيطرة على الثور وقتله استمرت، ونافورة الدم أغرقت المكان، ومدّ جلعامش يده فانتزع القلب، ونظرَ بحثًا عن عشتار الشريرة اللعوب فلم يجدها، أين ذهبت يا ترى؟ بالطبع كانت عند أبيها تخبره بالكارثة، وهذه المرة استشاط أبوها غضبًا، صحيح أن ابنته تجنّت على البشر، لكن يجب أن يعيد الأمور إلى نصابها.^١ وهنا اجتمع (أنو) و(انليل) و(ايا) و(شاماش) ليتشاوروا في العقاب الذي سيناله قاتلا الثور. وفكروا أن أحدهما يجب أن يموت، ولكن من هو؟ جلعامش نصف إله ونصف بشر، أما أنكيديو نصف حيوان ويصلح للموت. وفي الصباح التالي بدأت أعراض الحمى على أنكيديو، وكان تدهور صحته سريعًا، وقد احتشدَ الناس يحاولون عمل شيءٍ للبطل الذي أنقذهم من الثور، وفكّر البعض في أن جروحهم قد تلوثت أو أنه قد تعب وعرق، ولكن جلعامش كان يعرف أن الأمر لعنة لا أكثر ولا أقل. وكان صراخ أنكيديو ونواحه على نفسه يجعل الحالة النفسية لجلعامش غايةً في السوء، وهكذا ظلّ في هذه الضوضاء والنعي عدة أيام إلى أن أغمضَ عينيه للأبد. وهنا أطلق جلعامش صرخةً ارتجت لها أوروك بأسرها، وكانت هذه النقطة -موت صديقه- هي البداية الحقيقية للملحمة.

جلسَ (جلعامش) وحده يتأمل مياه نهر دجلة، ويتذكر كيف تعرّف للمرة الأولى على صديقه أنكيديو. لقد كان جلعامش ملك أوروك القوي المسيطر، ولم يكن قويًا وعادلاً بل كان قاسيًا وظالمًا، وهكذا اتجه الرعايا البائسون يطلبون العون من (أنو) والد عشتار، فقال لهم: "لا يفل الحديد إلا الحديد، سأصنع لكم واحدًا في ذات قوة جلعامش" وهكذا خرج أنكيديو إلى الوجود، ثم تزوّج من (شامحات) فاتنة المعبد، وبالطبع قضى أسبوعًا واحدًا في العسل، بعد هذا أصابه الملل كأبي زوجٍ معاصر، وشعرَ بأن زوجته ثرثرة ولحوح أكثر من اللازم، وهكذا صحت (شامحات) من نومها يومًا لتجد أن أنكيديو يريد الذهاب إلى الغابة ومصارعة الوحوش، وهكذا وجدت له حلًا آخر

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٣٥

وقالت له: "هيا بنا نذهب إلى اوروك، هناك جلعامش في نفس قوتك، لكنك قادر على هزيمته بالتأكيد ولسوف تصير ملكاً" وهكذا ذهباً، ودارت مواجهة طاحنة بين الرجلين. وفي النهاية وبعد الكثير من العرق والدم والغبار واللعباب، زحف جلعامش حتى وضع ركبته على عنق خصمه، وصاح بصوت مزلزل برغم تعبته: "من الأقوى؟؟" فأجاب أنكيديو: "جلعامش" وعلى الفور سقط جلعامش جواره لاهثاً، ثم انفجر الجبلان يضحكان ويضحكان. وقال (جلعامش): "يجب أن أعترف، أنت قوي أيها الرجل البري" فأجابه أنكيديو: "بحق شاماش، أنت تقا تل كجبل دبت فيه الحياة" فصرخ جلعامش أمراً للنساء: "قدموا لنا عصير البلح المختمر أيتها النسوة". وهذا ما حدث مع الرجلين الذين أصبحا أعز صديقين، وراحا يخوضان أعتى المغامرات وأصعب الصراعات معاً، ويخوضان المعارك كأنهما رجلٌ واحد. وبعد كل هذه الذكريات الصعبة جلس (جلعامش) بطل الأبطال وملك (أوروك) بلا حراك، وكأنه ينتظر الموت. هو الذي صارع الأسود والثعابين وأقوى الأبطال أرهقته فكرة رؤيه الموت قريباً منه لهذا الحد، لدرجة أن يأخذ منه صديقه أنكيديو الذي كان نصفه الآخر. وتمي لو يستطيع لقاء أنكيديو دقيقة واحدة ليخبره أين ذهب؟ وكيف مات؟ وماذا عرف؟ ما هي الحقيقة؟ وجلست عبير تراقبه، إنها تعرف أنها تسببت له في تلك الكارثة، وجلعامش هو بطل ملحمي لن يظلّ جالساً هكذا، هنا جاء وقت رحلة البحث الأسطورية،^١ رحلة البحث عن الحقيقة.

جاء أحدهم إلى (جلعامش) العظيم ووضع يده على كتفه وقال: "أنت حزينٌ ومهمومٌ لأنك تهاب الموت، هذا الموت الذي سرق صديقك وصار على مقربة منك، لكن الخلود موجود أيها العظيم، هناك من يعرف سرّه" فنظر له (جلعامش) مذهولاً وقال: "هل هذا صحيح أم أنك تتسلى؟" فأجابه الرجل: "هل سمعت عن (أوتنابشتيم) هو الوحيد الذي ظلّ حيّاً بعد الفيضان، ذلك الفيضان الذي أغرق الأرض وأزال البشر،

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٧٠

ولم يخرج منه سوى هذا الرجل وزوجته، إنه يعرف سر الخلود" وهكذا نظر جلعامش إلى الأفق، بدا له أن هناك أملاً ما.

وبدأ جلعامش يقطع السهول والوديان والتلال قاصداً عنوان (أوتنابشتيم)، وبالطبع مشواره لم يكن سهلاً، حيث اجتاز بوابات يحرسها غيلان، وخاض جداول تعج بالتماسيح، وهشم عظام السحرة، وأطار أعناق الوحوش بالبلطة، وفي المساء كان ينام راضياً ويستيقظ في الصباح ليتابع المسير. وفي النهاية وصل إلى حديقة أشجارها تحمل ثماراً من الياقوت والمرجان واللؤلؤ والزبرجد، ومشى نافذ الصبر وسط هذه الأشجار، وطبعاً كانت عشتار تراقبه، وقالت في نفسها "هو ذا الأحقق يبحث عن الخلود، ولا يعترف بأن الخلود محرّم على البشر" وأقسمت أن تفسد له خطته ما استطاعت، لكن بعد أن يقبل بحبها أولاً، وفي هذه اللحظة بالذات سيموت، هذا هو الانتقام الأمثل لكرامتها، لأن موت أنكيدو لم يشبعها.^١ وهكذا وصل إلى مكانٍ قدّر أنه مكان لتقطير الخمر، ورأى شابة تعمل بجدّ، فسألها: "كيف أستطيع الوصول إلى أوتنابشتيم الخالد؟" فقالت: "لا يمكنك ذلك إلا عن طريق عبور نهر الموت، وعبور هذا النهر صعب جدّاً، هناك بحار واحد يُدعى (أورشنابي) يقوم بعبور نهر الموت بانتظام" فسألها: "وكيف يمكنني الوصول إلى أورشنابي هذا؟" فأشارت إلى وادٍ مظلم مكفهر يمتد أمامهما في الأفق وقالت له أنه إذا استطاع عبور هذا الوادي فسوف يجده. وهكذا بدأ في السير داخل الوادي الذي كانت أفواج الموتى تقطعه، وارتمت فتاةٌ حسناء عند قدميه وقالت: "جلجامش، أيها الملك العظيم، أتوسلُ إليك أن تنقذني وتعيدني لعالم الأحياء" فتابع السير وهو يعرف أنه لا يستطيع فعل شيء، وفي النهاية وصل وصول الأبطال. ووجد مركباً يقف جوار الشاطئ، وهو مركبٌ جديرٌ فعلاً بعبور نهر الموت، وكان ذلك الملاح واقفاً يتسلى بربط مجموعة من العظام البشرية بسلك. فتوجّه جلعامش نحوه وقال له: "مساء الخير، هل أنت أورشنابي؟" فقال له: "مساء النور، نعم، لنكن مختصرين، أنت تريد العبور وأنا

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٨٢

أريد أجزًا، والأجر هو أن أعرف قصتك" وهكذا روى له قصته، فانطلق القارب بيتعد في مسيرته الرهيبة.

وعلى الضفة الأخرى وقف أوتنابشتيم، فعلاً ينطبق عليه كل شيء قيل عنه، الذقن البيضاء التي توشك على أن تلمس الأرض، والعينان الثاقبتان، والتجاعيد في كل بوصة من وجهه. كان بانتظار أورشناي ليثرثر معه كما اعتادا، لكنه اليوم أحضر له زائراً، وفي النهاية بلغ القارب الشطّ فترجّل جلعامش وحيّا العجوز الذي قال: "مرحباً بك، من أنت؟ ولماذا جئت هنا؟ تعالى معي إلى الكوخ كي نتحدث" وبعدهما روى جلعامش قصته قال له العجوز: "إذن أنت راغب في الخلود، هل لي أن أعرف السبب؟" فقال له: "النصحح الأمر، أنا لا أرغب بالخلود، لكني خائف من الموت، لا أطيق فكرة أن يتعفن جسدي فتأكله الديدان، بينما أعبّر أنا عالماً لم يرجع منه أحد يوماً، هذه الفكرة مفرعة، وقد جعلتها وفاة صديقي أنكيديو كابوساً" فقال أوتنابشتيم آسفًا: "لا وجود للخلود بالنسبة للبشر، يجب أن تعرف هذه الحقيقة" ثم خرج وكانت زوجته في الحديقة تنشر بعض العباءات، فقال لها همساً: "هل ترين أن أخبره؟" هزّت رأسها لا تعرف ما تقول، ثم قالت في حذر: "جزّيه أولاً" عاد العجوز إلى الكوخ وقال له: "سبعة أيام كاملة لا تنام فيها، هذا هو الشرط" فنظر جلعامش إلى الكوخ من حوله، كان هذا آخر شيء يتوقعه، ثم قال في ضيق: لا أخفي عنك أنني أحب النوم حباً جمًّا، لكن الأمر يستحق" وقد قاوم كثيراً، لكنه في النهاية نام من تعبته، وكان ينهض فقط لالتهام بعض الخبز الذي تضعه المرأة جواره ثم يعود للنوم، فقال العجوز لامرأته في غيظ: "تأملي هذا البطل الذي يشتهي الخلود إلا أنه عاجز عن البقاء ساهراً سبعة أيام" فقالت له: "لقد أنهك المسكين، لا تنس كم من المسافات قطع" وأخيراً نال جلعامش كفايته من النوم، واستعاد رونقه ونشاطه، فقال له العجوز: "لقد فشلت فشلاً ذريعاً في الاختبار، ولكنني أحببتك ويشق عليّ أن أتركك ترحل دون أن أخبرك بالسر الذي آليت

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ٩٨

ألا أخبره لبشري، هل تعرف (الأوبسو)؟" فأجاب: "لا أعرفها" فقال العجوز: "هي بقعة في أعماق البحر، وهناك نوعٌ من الأعشاب الشائكة، إذا استطعت الوصول إليها والعودة وأكلتها فستنال الخلود" ثمّ وقفَ على باب الكوخ وأشار إلى النهر وقال: "إن الملاح عائداً الآن، قل له أن يأخذك إلى البحر، إلى الأوبسو" وبالفعل أخذ الملاح وأشار له إلى مكان معين وهو يواصل التحديف وقال: "هل ترى هذه البقعة؟ يمكنك الغطس هناك" وقرّر أن يغطس، وظلّ يغطس حتى وصل إلى أعشاب فريدة من نوعها، مملوءة بالأشواك، حتماً هذه هي، وهكذا مدّ يده واقتلع بعضها وبدأ يرتفع حتى وصل إلى السطح، فصاح به الملاح: "هل وجدت العشب؟" فأخرجه من حزامه ولوّح به منتصراً وصعد إلى القارب وقال له: "هيا بنا نعود، لقد أخبرني العجوز أنه يجب عليّ أن أكل هذه الأعشاب بعدما أصل إلى ديارى (الأوروك) وراح القارب يتهدى فوق المياه.^١ ما أجمل أن يعود إلى الوطن منتصراً، وما أجمل أن يُقال "لن يموت جلعامش، سوف يعيش للأبد وسوف يكون أعظم ملك عرفته الأرض". لكنه ينسى تفصيلاً مهمّاً؛ عشتار ما زالت هنا، وهي تحمل له الضغينة. وكانت عشتار في المقابل تعرف شيئاً واحداً؛ لن تتركه يعود إلى أوروك بهذه الأعشاب.

وفي طريق العودة كان جلعامش يعاني حاجةً ملحّةً للاستحمام لأنّ رائحته صارت كوحوش الغابة، وكان النهر قريباً وماؤه يتألأ في الشمس، وهكذا نظر حوله ثمّ خلع ثيابه كلها وكومها على الضفة، ووثب إلى النهار. في حين وقفت عشتار خلف مجموعة أشجار تراقب البطل البابلي يسبح، فمدت يدها إلى صدرها وأخرجت أفعى ومسحت على رأسها برقة، وهكذا فإن الأفعى عرفت ما يجب فعله، فراحت تزحف حتى بلغت ثياب جلعامش وبلطفٍ ورقة حتى تلتهم الأعشاب كلها. فضحكت عشتار وهي ترمق المشهد، سوف تنال الأفعى الخلود إن كان كلام أوتنابشتيم صحيحاً. وخرج جلعامش من الماء ليحفّ جسده، وهنا تلقى أقسى صدمة يتلقاها في حياته، وهكذا

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١١٠

حمل درب طريقه وعاد إلى مدينته. وعند مدخل المدينة نام بعمق، نام للمرة الأولى منذ دهر هادئاً لا يؤنبه ضميره. وفي منامه زاره أنكيديو وسأله: "ما بك يا جلعامش؟ لا تبدو سعيداً" فأجابه: "كيف لا أحزن وقد أضعت فرصة الخلود للأبد؟" فأجابه: "ألا تحب أن تأتي إلي، ألا تحب أن تلحق بصديقك الصدوق؟ مهما فعلت أنت آتٍ هنا" وفي العالم السفلي سمعت (أرشيغال) هذا البكاء فلانت ناصيتها، ونادت أحد أتباعها وقالت له: "هات لي المدعو أنكيديو" ثم قالت له حين حضر بين يديها: "اسمع، سوف نعيدك إلى عالم الأحياء لتقابل صاحبك جلعامش وتخبره بأحوالك، ثم تعود إلى هنا" وهناك على أبواب (أوروك) تم اللقاء، وارتمى جلعامش في أحضان أنكيديو، وهنا سأله جلعامش: "كيف الأحوال؟" فأجابه "يعاملوننا أسوأ معاملة، كل شيء قاسٍ أو مظلّم أو مؤلم أو كئيب..". فهتف جلعامش في رعب: "كنت أتوقع هذا" فقال أنكيديو: "نصيحتي لك: حاول أن لا تموت لأطول فترة ممكنة" وكان المرشد يقف هناك في المرج بانتظارها وهو يضغط على مؤخرة قلمه فقالت له مدعورة: "ماذا حدث للقصة يا مرشد؟ لماذا وقفت هكذا؟" فأجابها: "لقد وصلت إلى القرص الثاني عشر من الملحمة، وهذا القرص مهشّم، لهذا لا يمكننا استنتاج الأحداث أكثر، لكن أغلب الروايات قالت أنه فهم أن الخلود بمعناه المعنوي، فترك آثاراً تحكي عنه للأجيال القادمة" وقالت عبير وهي تدمع: "عظيمة أنت يا بلاد ما بين النهرين، خالد أنت يا عراق منذ كان حمورابي يمشي على أرضك وهارون الرشيد يحكم في قصورك، فما أهمية بضعة أعوام سيئة في تاريخ يتكلّم بالآلاف السنين.."^١

^١ - صديقي جلعامش، العدد ٣٩، سلسلة فانتازيا، الكاتب أحمد خالد توفيق، ص ١٢٦

الفصل الثالث

عرض و تلخيص للروايات المختارة من عدد ٤١ إلى ٦٤

مدخل

لا بدّ بداية من أن نعرف أن عبير عبد الرحمن هي شخصية عادية إلى حد غير مسبق.. إلى حد يخطف الأبصار.. إنها الشخص الذي نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا.. الشخص الذي لا يتفوق في الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء لكن لا بد من شيء ما يميزها وإلا عاشت وماتت دون أن نسمع عنها. ثمّة أبطال قصص يمتازون بالقوة.. ثمّة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق.. ثمّة أبطال يمتازون بالحظ العاثر.. ثمّة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشيء.. ويبدو أن عبير من هذه الفئة الأخيرة.

في نقطة واحدة تفوقت عبير علينا.. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التي أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممي الألعاب، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذي يولد الأحلام، والذي لا يصلح إلا لها في الواقع، وبهذا غدت أول مخلوق بشري يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة، بل يشارك فيها كذلك.. ومن البديهي عبير أصبحت تنتمي إلى (فانتازيا) أكثر مما تنتمي لعالمنا.. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر في فانتازيا".

(عبير عبد الرحمن) تقرأ كثيرا ، وهذا بالتأكيد يجعل عقلها مزدحما بالأبطال والقصص، بل يجعل عقلها خامة صالحة لخلق القصص المثيرة.. عبير لا تقرأ القصص فقط بل هي تشكل جزءا متفاعلا في كل قصة!

"إن عبير كريمة النفس، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير.. سوف تصبحنا معها إلى فانتازيا.. (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هي لاقواعد والحدود الوحيدة للخيال هي لاحدود.."^١.

..(نحن)

بطريقة ما تتحول إلى (أنا وأنت)، ثم يحدث التفكك العبقري فتصير (هو وهي).. ومع مرور الوقت يتلاشى الرابط الأخير (حرف الواو)، فيرحل هو بحثا عن رزقه وترحل هل بحثا عن عالمها الخاص.

تحاول عبير تحسس الحياة بعد رحيل (شريف) وهذا عسير، لأن شريف أصبح عادة سيئة لا تمكن الحياة من دونها.. يمكننا بسهولة فهم الظروف النفسية التي تدفع عبير إلى طلب بعض السلوى عن طريق جهاز الأحلام، جهاز الأحلام الذي هو من حقها وحدها ولا أحد سواها يعرف كيف يستعلمه ولا أحد سواها يمكن أن يستفيد منه. جهاز الأحلام هذا يدعى (فانتازيا)، وفانتازيا تتمحور حول قطار تركبه عبير ليسافر بها إلى عوالم مختلفة.. طبعاً هناك المرشد الذي يرافقها دائما وينقدها عندما تورط نفسها في المتاعب.

تواجه عبير قصة جديدة وأبطال جدد في كل مرة تدخل فانتازيا.. وبالتأكيد نحن سنسافر معها لنلقي نظرة^٢..

ألعاب فارسية

في البدء وجدت عبير أن اسمها رودابة، اسم غريب بالطبع لكنه محبب للأذن الفارسية. إن أباه هو "مهراب" ملك كابول شخصياً.. هناك شاب شجاع مكافح اسمه زال يتقدم لها، وبالرغم من موافقتها إلا أن أباه يرفض هذا الشاب رفضاً قاطعاً، صحيح

^١ - مقدمة سلسلة فانتازيا ، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥.

^٢ - المصدر السابق. ص ٨.

أنه من نسل ملوك ولكنه ليس ملكاً، كما أنه ربيب عنقاء، تخيل أن يتقدم لابتك عريس ربه عنقاء!

أصر الأب على موقفه، فقابلت عبير هذا الموقف بالدموع والهستيريا، حيث كان قد تعلق قلبها بالفعل بذاك الشاب.. كان لابد من تدخل أمها "سيندخت" لإقناع الأب، كان تأثير أمها قويا وكافيا لإقناع السيد مهربان بأن الفتى يبشر بالخير لتتم الجائزة التي سيكون ثمرتها بطل أبطال الفرس.

لقد كانت الولادة عسرة جداً، لربما كان الجنين أكبر من ذلك.. لم يعلم أحد أنها على وشك ولادة أسطورة يخلدها التاريخ، لقد كان الوضع خطير وأوشكت رودابة على الموت، وبعد أن فقدت وعيها لجأ زال لبعض الطقوس الغريبة التي تضمنت لهب شمعة وريشة وانتهت بحضور العنقاء التي مسحت رأس زال بجناحها وراحت تساعد رودابة في الولادة، وهكذا ربت العنقاء زال وأنقذت حياة أبنه.

نقفز إلا الأمام بضع سنوات، لم يكن رستم إلا بطلاً إيرانياً فريداً، أمه بنت ملك كابول وأبوه ربيب العنقاء ينحدر من عائلة أبناء ملوك.. لقد نادى زال أبنه رستم ليخبره أن وقت القتال قد حان وإيران كلها بحاجة إليه الآن، طبعاً كان ذلك أفضل ما يمكن أن يتوقعه الصبي فإنها دعوة للقتال ولا مزيد من الذهاب للمدرسة وتعلم اللغة الفارسية. هناك مشكلة واحدة وهي الحصان الذي سيركبه رستم، إنه لا يحتاج لحصان عادي بل يحتاج لحصان قادر على خوض المعارك وكتابة التاريخ.. وبعد بحث طويل وجد الحصان المنشود وكان اسمه "راخاش" معناها البرق، لم يكن ثمن ذلك الحصان كثر من باقي الأحصنة، حيث قال صاحبه أن ثمنه أرض إيران، ورستم هو الشخص الوحيد القادر على حماية تلك الأرض، وبالفعل حصل رستم على الحصان وركبه فبدأ كأسطورة، بدأ أكبر من الحياة بذاقتها..

انتهى رستم من عشاءه في الخلاء، ومعنى أنه أنهى من عشاءه أنه أكل بغلا مشويا ثم هشم عظامه من أجل النخاع، وبعدها نام بسلام، نام على ظهره مباعدا الأطراف كما ينام الأبطال، فلا تدل هذه الطريقة إلا على السيطرة والثقة بالنفس، لكن

ربما كانت الأمور خارج السيطرة فرائحة الشواء التي ملأت الغابة جلبت زائرا من بين الأحرار، يدنو الزائر أكثر فتسمع زئيره، إنه أسد ورستم نائم لا يشعر بشيء.
يستيقظ رستم من نومه العميق ليرى المذبحة التي حدثت، لكنه لم يمتدح الحصان بل راح يوبخه لعدم إيقاظه قائلا "لو مزقك هذا الأسد لكان علي أن أجتاز الصحراء وحيدا"، ثم نهض ليكمل رحلته متعكر المزاج. كالعادة لا تخلو رحلة الصحراء من الصعوبات، الشمس حارقة والظما لا يوصف، دعك من الحقيقة التي لم يصارح بها نفسه: لقد ضل الطريق..

جوار النهر رقد رستم وعاد يمارس عاداته القديمة: النوم كصخرة، ولكن ما لا يعرفه رستم هو أن هذا المكان مسكن تنين عملاق، تنين فارسي عصبي لا يوحى بالثقة، كان التنين يراقب رستم وفي كل وقت يحاول الحصان إيقاظه يخنفي التنين حتى أقسم رستم على ذبح الحصان في حال أزعجه من جديد لكن في المرة الثالثة كان للحصان حظا كافيا للعيش، فقد رأى رستم التنين.. والآن يدور صراع لا يمكن وصفه إلا بمشاهدته، التنين يهجم بأسنانه السامة والبطل يهاجم بسيفه البتار وراخاش يساعد بجوافره وصهيله في النهاية تمكن من غرس سيفه في قلب التنين ليلقي به ويملاً النبع بدمه، ولم يعلم رستم أن قصته مع التنانين لم تنتهي بعد..

ويواصل رستم رحلته بحثا عن "كاي كاوس"^١ الذي سقط في الأسر كطفل. أخيرا وصل إلى أرض خضراء جميلة، لكنها لا ترى الشمس ولا النجوم.. ليدرك لاحقا أنها الأرض المنشودة التي يُحتجز بها "كاي كاوس". اجتاز رستم الأبواب السبعة التي لا تصفها الملحمة بدقة، لكن بوسعنا تخيل ما حدث، وفي النهاية وجد نفسه عند مدخل عرين (ديف)، ديف التنين الأبيض الكبير، كان كجبل يسد العرين. دار صراع مرعب بين التنين ورستم واستمر الصراع لوقت طويل، لكن كالعادة لم تكن هذه الملحمة إلا

^١ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢

نصرا جديدا لرستم، حيث قتل فيها واحد من أخطر الثنانين مجددا. وهكذا تحرر شاه إيران بفضل رستم الذي خاض كل الصعاب من أجله..

تعود عبير لتلعب دورا نسائيا جديدا في هذه الملحمة، فهي الآن "تهمينة" ابنة الملك، تهمينة فتاة جميلة تلبس النقاب ولم يرى أحد وجهها من قبل، فهي تعتقد أن كل الرجال حولها ضعفاء لا يستحقونها ولن تكشف الحسنة عن سترها إلا لرجل قوي شجاع كرستم.. وفي هذه المرة بالتأكيد تلعب عبير دور فتاة أكثر شجاعة، فهي سرقت حصان رستم لاجتذابه إلى المدينة.. وبالفعل كشفت تهمينة عن وجهها أخيرا ولك أن تتخيل اللحظة، حسب رستم للحظة أن القمر العاثر تسلل إلى مخدعه.. حقا لم يكن هذا جمالا أرضيا.. فلو لم يكن لرستم فمن يستحقه!

أصبحت ملامح قصتنا واضحة، رجل شجاع وفتاة جميلة كالقمر.. يقعا في الحب وتنتهي الأمور بزواجهما، وهكذا عاشا أياما من الأفراح والليالي الملاح.. ربما قد نسي رستم أنها سرقت حصانه يوما، إنه الحب الذي يسيطر بسحره على القلوب والعقول. وفي النهاية أعلن أن رستم أنه ينوي الرحيل، ببساطة هو لم يكن إلا بطلا للملحمة فإذا بقي بأحضان زوجته لن يجد الشعراء والكتاب ما يكتبون عنه.. تهمينة تعرف جيدا أنه لن يعود، فهذا النوع من الأبطال يغرق في مشاكل وحروب تنسيهم أنهم ملكوا عائلة يوما. لقد أعطاهم رستم جوهرة وقال: إن أنجبتي فتاة فعلقها على صدرها وإن أنجبتي فتى فلتربطها على ذراعه ليكون فتى قويا وشجاع، وانطلق رستم على صهوه حصانه يسابق الريح..

الولادة من التجارب المروعة في (فانتازيا) فعبير تجربها للمرة الثانية على الطريقة الفارسية حيث لا تعقيم ولا مسكنات.. وأخيرا زال الألم ودوت صرخات ولي العهد. جاء الجد وحمل حفيده كقرود تعس في الهواء وقال سيكون أسماك صحراب، وبالرغم من

اشتمتاز عبير من هذا الاسم إلا أن الجد كان مصرأً، وما كان عليها إلا أن توافق بالنهاية، فاسمها "تهمينة" وهذا الاسم لا يقل سوءاً عن "صحراب"^١.

كبر صحراب سريعاً، وفي سن العاشرة صار قادراً على هزيمة كل من يصارعه، إنه فتى شجاع كأبيه، ترتج الأرض تحت قدميه.. وذات يوم سأل أمه عن هوية أبيه، أرادت الكتمان لكنها فزعت قليلاً أمام عصبية وطيشه، فقالت له لك أن تفخر بأبيك فهو رستم العظيم، لكن لا تخبر أحداً بهذا فلأبيك الكثير من الأعداء وإن عرفوا لن يترددوا بقتلك.. كانت الأم تفكر بحماية ابنها ولكنها لا تعلم شيئاً عن أحلام ذاك الفتى، فابنها كان يحلم بالسيطرة على إيران وإنهاء حكم "كاي كاوس"، وأراد أن يجعلها ملكة أيضاً ويهدي إيران كلها لأبيه الذي لم يراه قط.

بلغت الأخبار مسمع الذئب (أفراسياب) عدو رستم التقليدي، حيث قال له تابعه: "ابن الأسد يريد أن يكون أسداً بدوره).. فأراد أفراسياب أن يستغل الفرصة ويوجه ضربة لرستم. فأرسل السيد أفراسياب وفداً لاستقطاب رسام، وكان مفاد الرسالة التي حملها الوفد: (إن أفراسياب متحمس ولسوف يساعدك على غزو إيران).. شعر صحراب بالرضا والحماس ووضع يده بيد أفراسياب لغزو إيران دون أن يدرك ما هو مقدم عليه. دقت صنج الرحيل وراح الجنود يتصايحون ملوحين بالسيوف والرماح، وانطلق الجيش قاصداً غزو القلعة البيضاء الحصينة.

بتغير مجريات الملحمة كان لا بد من أن تتغير شخصية عبير، فيجب أن يكون دورها أكثر قوة هذه المرة، حيث وجدت نفسها أكثر شباباً وأكثر قوة وتكوينها أقرب للرجال، مازالت فتاة لكنها الآن فتاة أنضجتها الحروب. وكأن فانتازيا تختار لها الدور الأنثوي الأقرب لمتمكن من متابعة الملحمة.. في هذه المرة أسمها "جوردافريد" ابنة حاكم القلعة "هجير". المهم أن الجيشين التحما وتمكن صحراب من هزيمة جيش هجير كما أنه أسر هجير نفسه. وهنا جاء الوقت المناسب لتدخل عبير، فأبوها وقع بالأسر والدماء

^١ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٤

الغاضبة تجري في عروقها وتشعر أنها قادرة على سحق جيش من ذوي الشوارب، وضعت اللثام على وجهها وخرجت من القلعة متحدية جيش صحراب بأكمله.. تقدم فارسان لمواجهتها ولكنهم هزموا شر هزيمة، وهنا تقدم صحراب لمواجهتها، كانت هذه أعظم لحظات الملحمة.. فعبير تريد حياته بصفتها أمه، وترغب بموته بصفتها جوردافيد.. أطلقت عبير سهما أو اثنين على رأس صحراب، ولكن الفارس ينحني ليمر السهمان فوق رأسه ويرفع درعه بعدها. انتهى مطر السهام فهجم على الفارس الجريء بسيفه وارتطم النصلان.. لحظات مروعة من القتال، وبعد لحظات من المباراة سقط الفارسان من على الأحصنة، فأدركت عبير أن فرصتها في إخفاء سرها صارت ضعيفة حيث سيثبت عليها صحراب وينزع اللثام، فراحت عبير تركض لتتوارى في الغابة المجاورة.. بعد كرفر ومراوغة وثب صحراب على الفارس الجريء فاسقطه أرضا. هنا وقع المشهد المعتاد الذي رأيناه مئات المرات، فقد صعق صحراب عندما اكتشف أن ذاك الحارس الشجاع لم يكن إلا امرأة، امرأة لم ير أجمل منها في حياته. وببساطة لن يقتل الفارس الشجاع امرأة لكنه بنفس الوقت غير قادر على أسرها، فسيكون من الخزي أن امرأة تمكنت من صحراب وكانت قريبة من إنهاء حياته.. قالت له وهي تنهض وتعيد اللثام إلى وجهها: "سنصل إلى صيغة صلح ما وستكون القلعة لك".^١

دخلت جوردافيد القلعة وأمرت الحراس بإغلاق الأبواب ليترك بعدها صحراب بالخارج أمام الباب المغلق، لقد كانت بالفعل حيلة صبيانية جعلت الدم يحتشد في رأسه. إن الرجل لا يتصرف بحكمة وإتزان أمام الجميلات دائما.. وعلى الفور انفتحت الطاقة الأرضية داخل القلعة لتهرب جوردافيد وليهرب كل الجنود معها. سوف يتلقى صحراب صفة أخرى عندما يدخل القلعة الخاوية، لكنها ما زالت قلقة على أبيها، يبدو أنه لا يملك أي فرصة للنجاة.

^١ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٠

ربما اقتربنا من الحلقة الأخيرة، الأمور تزداد تعقيدا وشيء كبير على وشك الحدوث، ربما أنت لاتفهم الوضع، لكن ركز جيدا ورتب هذه الأفكار وإلا ضعنا جميعا..

رستم هو البطل المعروف "حامي إيران"، لكن ابنه يريد أن يستولي على إيران ليهدئها لأبيه. أبيه لا يريد الاستيلاء على إيران بل هو يريد حمايتها فقط.. حمايتها من أي شخص بالتحديد! الشخص الذي يحاربه من أجله!! إذا فهمت المشكلة التي نواجهها، فأنت رجل سعيد الحظ بالتأكيد..

الآن الشاه كاي كاووس يستغيث برستم فهو الوحيد القادر على حماية إيران، لكنه كان بالحقيقة أمرا وليس طلب مساعدة.. أخذت الأمور أياما فرستم رجل مغرور ولن يلي نداء الشاه كاي كاووس ببساطة. ثم تأتي اللحظة التي تغلب فيها النخوة شهوة التشفي، ومن ثم ينهض البطل يستل سيفه ويعتمر خوذته وينطلق.. وصحراب بدوره سمع أن جيش إيران قادم لمواجهته فتاه فخرا. الأب يوشك على مواجهة ابنه وكلاهما لا يعرف الآخر..

أراد رستم أن يلقي نظرة على جيش صحراب الذي يوشك على التحول إلى أسطورة، وهكذا تسلل إلى معسكر الأتراك الذين كانوا يقيمون مأدبة كبرى استعدادا للحرب القادمة، وأخذ يراقب الخيمة التي يجتمعون بها إلا أن كشف أمره زنده، زنده خال ابنه واخ زوجته، لم يجد رستم وقتا كافيا للتدقيق فمد يده إلى عنق زنده وعصره بيده واحدة على وقع على الأرض جثة هامدة.. لقد قتل رستم الشخص الوحيد الذي يعرفه ويعرف صحراب معاً.. وفي الصباح بعد حسرة العثور على جثة زنده وقف صحراب يراقب معسكر الإيرانيين وبجانبه الأسير هجير "والد جودافريد" حيث كان يستعمله كخبير تجسس، راح هجير يشير إلى خيمات الإيرانيين ويخبر صحراب عن كل خيمة ومن يسكنها وعندما وصل إلى خيمة رستم قرر أن لا يخبره أنها خيمة رستم فالتزم الصمت.. هنا تتحرك المأساة في مسارها الحتمي، لماذا يصبر الجميع على ألا ينطق

بكلمة عن رستم!!.. قد فهم صحراب أنه يكذب ويخفي شيئاً فأخرج سيفه وأطاح بعنقه. كان يدرك صحراب أن قاتل زنده إيراني ولا مجال للشك بذلك^١.

انطلق الفارس العظيم رستم على حصانه باتجاه جيش الترك الذي يقوده ابنه الذي لا يعرفه، ثم وقف في المنطقة المحرمة بين الجيوش وقال: لا أريد دماء، بل أريد قائدكم صحراب.. وبعدها انطلق نحوه جواد رشيق، وعلى ظهر الجواد كان ذلك الشاب حديث السن "صحراب". وبعد لحظات من الصمت ولحظات من مبارزة العينين، شهر صحراب سيفه لتبدأ المباراة بين الأب وابنه، وبعد أن تصارعا كثيرا وفي وسط المباراة قال صحراب: تبدو قويا أيها الفارس لا بد أنك رستم، فقال رستم وهو يسدد الضربات: "لا.. أين أنا من رستم".. قد تتفاجأ بهذا التكم، لكن الكاتب مستعد لتحدي أية منطق مقابل الحصول على النهاية التي يريدتها. انتهت المباراة في اليوم الأول بعد أكثر من عشر ساعات، هذا النوع من المبارزات لم يكن شيئاً غريبا في ذلك العهد. وفي اليوم الثاني بدأت المنازلة من جديد لكن رستم أكثر ثباتا اليوم، كما أنه تمكن من توجيه ضربات لا بأس بها، وعند منتصف النهار استطاع أن يطرح الفتى أرضاً، ولم تكن هناك أي مجاملات في هذه المرة فأخرج رستم السيف وغرسه في الفتى، وهنا تصل المأساة إلى ذروتها في هذا المشهد العظيم، الفتى على الأرض يئن مفارقاً للحياة، ويلقي خطبة عظيمة كان أبرز ما جاء فيها: "سوف ترى! لو أنك صرت سمكة في المحيط فسوف يجدهك أبي ويقتلك.. إن أبي هو رستم، هل تعرف رستم بطل الأبطال!!)، وهنا كانت الصاعقة الكبرى عندما يمد رستم يده ليتفحص ذراع الفتى فيجد الجوهرة.. هكذا أطلق رستم صرخة عنيفة ارتجت لها السهول والوديان ولا بد ان الفايكينج سمعوها في سفنهم في الشمال!

وبحلول المساء حمل رستم جثة ابنه عائداً إلى أمه تهمينة، ثم أعلنوا الحداد وبنوا قبرا لصحراب. لقد كانت النهاية مأساوية، ويبدو أن أفراسياب تمكن بالفعل من توجيه

^١ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٦١

ضربة محسوبة جدا لرستم، أما عبير أو كما عرفناها "تهمينة" تحملت هذه الذكرى عاما كاملا إلى أن قتلها الحزن..

الملل بعينه

كان المكان جميل بشكل ساحر، حديقة ممتدة لا تمت للواقع بأي صلة فكل شيء فيها كان مثالي! لم يقتصر الأمر على المكان فقط، فكان لا بد من تغيير شخصيتها أيضا، حيث وجدت عبير نفسها أكثر جمالا وشبابا.. عبير الآن فتاة جميلة محاطة بالعشاق، هربت من تودد المتوددين وتلطف المتلطفين لتجد نفسها في وضع أكثر تعقيد.. هذا هو الملل بعينه^١!

اسمها الآن غيداء، لا تستطيع الكلمات وصف جمالها.. نشأت في بيت جميل، كان هناك أبوها وخادمة عجوز وبواب طيب القلب. أبوها الأستاذ منصور الموجه السابق بالتربية والتعليم، رجل وقور وسلطته في البيت لا تنزحزح للحظة، يقضي وقته بعد المعاش في مهنة واحدة وهي حمايتها، وحماية هذه الزهرة اليانعة يفوق قدرة الرجل أحيانا!.. أسرة عبد المنصف مصدر دائم للإزعاج فهم يواصلون مضايقته كما قد أستولوا على قطعة أرض مؤخرا ومعنى هذا أنهم يعلنون الحرب. كان خيار اللجوء للمحاكم خيارا ثانويا هذه المرة، لأن إجراءات التقاضي تأخذ وقتا طويلا بالعادة، فكان لا بد من أن ينفذ الأستاذ منصور عدالته الخاصة، بالامكان تسميتها عدالة عنتر، لأنه الشخص الذي يلجأ إليه منصور لمواجهة أسرة عبد المنصف.. عنتر البواب الأسمر الضخم مفتول العضلات الذي لا يهاب شيئا^٢!

جمع البواب عنتر عددا من الرجال الشجعان وهاجم رجال عبد المنصف على حين غرة، لقد أوسعوهم ضربا وطردهم ممزقي الأوصال إلى الخارج، كما ترك عنتر ثلاثة رجال لحراسة الأرض إلى حين بناء جدار حولها.. بعيدا عن الملحمة التي حدثت تلك

^١ - الملل بعينه، سلسلة فانتازيا ٤٢، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٣

^٢ - المصدر السابق، ص ٢٢

الليلة، كان رامى يقف في الظلام تحت شرفة غيداء، إنه نموذج العاشق الرقيق الذي يقف تحت الشرفة ليلقي أشعارا تجذب عبير إليه. إنه شاب شجاع برغم وهنه، فلو شعر به أبوها لفجر رأسه ولو كشف أمره عنتر لجعل منه عبرة لمن اعتبر، فهو بكل الأحوال من عائلة عبد المنصف وهذا بالتأكيد يجعل الأمور أكثر تعقيدا!

(تكلم في عليائك أيها الملاك المشرق.. روعة ملاك بجناحين تراءى رسولا من السماء.. ينظر إليه الناس بعيون مبهورة شاخصة حتى ليرى بياضها..) كانت هذه كلمات رامى الواقف تحت شرفتها، لكن وقوفه لم يدم طويلا، فعنتر حضر الآن.. لربما كان جمالها فاتنا لدرجة أن يدفع بالجميع لإلقاء الشعر، عنتر وقف تحت شرفتها بدوره قائلا:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المبتسم^١

ولأننا في فانتازيا لم يكن رامى إلا "روميو"، وعنتر الذي يجبها بصمت هو "عنتر بن شداد".. عبير الآن في وضع فريد، فهي الآن الجميلة غيداء التي يتقدم لها أشهر العشاق في كل العصور يطلبون يدها.. كل واحد بطريقته، وعليها أن تختار الأقرب لقلبها^٢!

تتلقى عبير رسالة من مجهول عن طريق كهربائي جاء مدعيا فحص الكهرباء بالبيت.. كانت الرسالة غريبة نوعا ما، فهي من رجل يدعى تامر الذي ابتلع علبة كاملة من أقراص الكورتيزون المنومة، وكتب تامر عنوانه في آخر الرسالة، على أمل أن لا تبخل عليه غيداء بلقاء قبل موته!.. لم تتمالك غيداء نفسها من الرعب، ركضت إلى الخارج لتركب بسيارة عمومية متوجهة بسرعة لرؤية تامر.. إنها شقة في الطابق الثاني من بناية خالية، شقة عادية جدا ومن الغريب أن يكون لصاحب الشقة هذه خادما يفتح لها الباب.. كان تامر طريح الفراش في غرفته، دخلت عليه عبير ونظر إليها فأشرق وجهه

^١ - ديوان عنتر بن شداد، شرح حمدو طماس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣.

^٢ - الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، ص ٣٠

وهمس: "أنت هنا!". جلست عبير بجانب تامر وأمسكت يده، وبعد لحظات أدركت مدى حماقتها وتلاعب الشاب بها، فلون وجهه متورد متفجر بالصحة، وكورتيزون ليس منوما، لربما يكون مضاد التهاب فأمرها أعتادت تناوله قبل موتها.. تركت عبير يده مبتعدة فقاومها وأمسك يدها مجددا ليسقط قناع زير النساء ذاك، لم تكن هذه الحادثة إلا مسرحية يستخدمها هذا الشاب الفاسق لاستدراجها، لم تجد غيداء وسيلة تدافع بها عن نفسها إلا الأباجورة بحوار فراشه، فأمسكتها بسرعة وضربته على رأسه ليسقط بفراشه مجددا، لكننا جعلت له الآن سببا منطقيا أكثر للبقاء بالفراش، خرجت مسرعة لتوجه للخادم ركلة مؤلمة وتهرب راكضة للخارج، أوقفت سيارة أجرة وعادت إلى منزلها وهي تفكر بالورطة التي وقعت بها.. لم تدرك غيداء أنها كانت في حضرة "دون خوان"!.. دون خوان شخصية جاسوس أسباني حقيقي لا يترك امرأة في حالها.. وعندما عادت غيداء إلى المنزل حضر ابن عمها لاستعارة اسطوانة الغاز، لربما لم يكن هذه السبب وراء ظهوره، فهو يخلق حججا بشكل دائم ليتمكن من رؤية غيداء وعندما يحضر يبدأ بمغازلتها وترديد أشعار سرقت وحرّفت لتبدو كأنها كتبت لغيداء.. أخيرا انتهت المسرحية وخرج قاسم ابن عمها.. لكن الذي خفي عن غيداء هو علاقة القرابة بين عنتر وقاسم، عنتر البواب الأسود الضخم! بالطبع هذا غريب لكن والد قاسم كان والد عنتر بالفعل، لقد كانت علاقة غير شرعية ولا أحد يعرف بها، وهذا سر بقاء عنتر قريب من العائلة! العائلة التي تنكر أية صلة قرابة به على الرغم من كونه بابا والاعتماد عليه في الأوقات الصعبة.. الأمور تزداد تعقيدا فقاسم ابن عمها ماهو إلا تجسيد لشخصية "قيس"، وبنفس الوقت عنتر أخوه.. بينما يتسلل "روميو" كل ليلة تحت شرفتها، وينصب لها "دون خوان" أحابيله! ترى هل تلقى "جميل بثينة" و "كثير عزة".. أنه الملل بعينه^١!

^١ - الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، ص ٣٧

كان رامى أو "روميو هو الشخص الأقرب لقلبها! لكن دائما هنالك بعض المفاجئات والشذوذ في فانتازيا.. فرامى لم يكتب شعرا قط! ولم يكن ذلك العاشق المرهف الرقيق.. لربما كان موفقا في تمثيل هذا الدور فقط.. اعتاد رامى الوقوف تحت شرفة غيداء لكنه لم يلقي القصائد بنفسه، كان يرددها بعد صديقه سمير الذي يقف بين الأشجار في الظلام.. سمير هو الآخر منجذب لجمال غيداء لكنه لم يكن وسيما كرامى، فوسامة رامى مع كلمات سمير المتناغمة تشكل تكاملا جميلا^١.

لابد من زواج غيداء، لربما يكون هذا الحل الوحيد لإنهاء الصراعات والمتاعب.. لكن هل يكون عنتر الزوج المناسب! لقد تجرأ ذاك البواب على طلب يدها لكن بالتأكيد رفض والدها رفضا قاطعا، وعنتر بدوره يعتبر نفسه ابن عمها وبنفس الوقت هو الخادم المخلص لهذه العائلة، وهذه الأسباب تجعله الشخص الأنسب للزواج بها.. قال الأستاذ منصور غاضبا: (لن تتزوج ابنتي بوابا أسود يتسلى بقتل الذئب التي تحوم ليلا حول البيت)، لقد كانت بالفعل كلمات ثقيلة على قلب عنتر، بالإضافة إلى خيبة الرفض، فوقف مكسورا يعزي نفسه ببعض الأشعار.

لئن يعيوا سوادي فهو لي نسبٌ	يوم النزال إذا ما فاتني النسب
إن كنت تعلم يا نعمان أن يدي	قصيرةٌ عنك فالأيام تنقلب
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها	عند التقلب في أنيابها العطب

لقد لازمت فكرة الزواج تفكير والدها، فقد جاء إليها يحدثها عن "عطا الله الأشموني" ضابط جيش كريم النفس شهد الناس له بالصدق والشجاعة، إنه في الأربعين من عمره ولم يتزوج بعد! في الحقيقة لم يكن عطا الله إلا نسخة متحضرة من البواب عنتر، فهو أسمر ذو بنية جسدية مشابهة إلى حد كبير..

^١ - الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، ص ٤٤

في وقت متأخر من الليل تشتعل النيران ويتصاعد الدخان من الحديقة، لقد كانت سيارة الأستاذ منصور تحترق، وبالتأكيد رجال عبد المنصف وراء هذه المصيبة، حيث عادوا ليأخذوا الثأر وينشروا خرابهم بالأرجاء.. لقد حاصروا المنزل وراحوا يرمون قطع القرميد ليكسروا زجاج النوافذ، بالتأكيد الأستاذ منصور لن يستسلم بسهولة، لكن ماذا يفعل رجل مثله بمسدس وست رصاصات أمام هذا الجمع من الرجال، أين عنتر الآن من هذه الملحمة.. لقد جعل غيابه الأستاذ منصور لقمة سائغة. في هذه الأثناء ركضت غيداء إلى الجراج القريب لتستنجد عنتر، وبالرغم من تردده بالبداية وعدم اكتراثه لما يحدث بالأستاذ منصور بعد النزاع الذي حدث بينهما إلا أنه ضعف بالنهاية أمام غيداء ووافق على القدوم. دخل عنتر حديقة المنزل وبدأ يضرب بالفأس يمينا ويسارا، كان الرجال يتطايرون من حوله ولا أحد قادر على الوقوف بوجهه، في النهاية صرخ أحد الرجال "هل بقي أحد!.." إن هذا الحيوان لا يهزم فليهرب من بقي حيا! لقد أرتكب عنتر مجزرة حقيقية ولم يبق أحد، كما أنه أمسك برامي الذي جاء لتهدئة قومه، الأستاذ منصور وعنتر لن يفهما موقف رامي، فهو من عائلة عبد المنصف بكل الأحوال.. انتهت تلك الليلة بقتل رامي أمام أعين عبير، لقد قضت عبير يومين في المستشفى بعد إصابتها بإهتبار عصبي لمقتل رامي، ورجال الشرطة اعتبروا أن ما حدث كان دفاعا عن النفس.. لكن أي دفاع هذا فالجناة في حالة يرثى لها وأهل البيت في أحسن حال!

في حفل عائلي بهيج يقام الليلة حفل زفاف غيداء منصور الفرجاني إلى العقيد عطا الله الأشموني، سيحضر الحفل عددا من أصدقاء العريس، وهنالك من سينظر للحفل من بعيد ويتنهد.. من هؤلاء شاعر مرهف اسمه سمير، وشاب أسمر ضخم يدعى عنتر، ناهيك عن قاسم العاشق المجنون! أما عن زوجها فهو لا يعرف الكثير عن العالم الخارجي خارج الجيش، إنه جندي ممتاز وخلق لهذا فقط.. كانت هذه الزيجة نهاية للمتاعب حيث بدأت المشاكل تنحسر وبدا أن الحياة أكثر انتظاماً.. كانا يعيشان في بيت جميل قرب منزل والدها، وكان والدها كثير الزيارات فهو مدعو إلى مائدتهم في

أغلب الأيام، كان يجلس ويحدثها عادة عن تقدم علاج قاسم ابن عمها الذي جن بحبها وعن عنتر الذي سافر إلى الاسكندرية برفقة امه محاولا نسيانها.. كما كانت عبير تحتفظ لنفسها بقصة سمير ذو الوجه القبيح والأشعار الجميلة ورامي الذي مات وهو يحاول إنقاذ حياتها.. لربما يجب أن تكون هذه نهاية القصة، لكن في فانتازيا المفاجئات لا تنتهي، مجددا الوغد تامر "زير النساء" يظهر في حياتها، لقد أصبحت زيارته لزوجها كثيرة وزوجها مقتنع به بشدة.. لكن تأثيرا ساما يتسرب إلى روح زوجها في كل مرة، وبدأ يسأل عن رامي وعن ابن عمها قاسم باستمرار، لربما سكن الشك قلبه ولم يعد يرى حب زوجته، فتامر يزرع الكثير من الأفكار في رأسه ويحدثه عن حياة عبير قبله مضيفا بعض الدراما وقصص لا صحة لها! لتصبح حياتهما دوامة لا تنتهي من الاسئلة.

لم تدرك عبير خطورة الأمر إلا في تلك الليلة، عندما كانت نائمة وجاء زوجها باكيا ليضع يده على عنقها ويقول: (سامحيني.. ستدفعين الثمن أيتها الخائنة)^١، فتحت عينيها المذعورتين فرأت وجهه الأسمر الذي احتشدت عليه أمارات القسوة والأسف والحنان والأسى والرقة والغضب والغل، كل هذا في وقت واحد! كان الحد الوحيد قريبا وسهلا، وكان عليها أن تتخذه قبل أن يجعلها نقص الأوكسجين عاجزة عن تحريك عضلاتها.. هكذا مدت يدها إلى الأباجورة جوار الفراش وضربته على رأسه، ثم تحسس عطا الله رأسه الذي تغطى بالدماء وأطلق سراحها. نهضت من الفراش بسرعة بدلت ثيابها ثم هرعت إلى بيت أبيها.. في اليوم التالي أدرك عطا الله مدى حماقته وحاول أن يصلح الأمور لكن الأستاذ منصور رفض عودة ابنته إلى زوجها فهو يشكل خطرا بالنسبة لها الآن، ولحظة الغضب هذه من الممكن أن تتكرر في أي وقت. لم يكتفي الأستاذ منصور بهذا فراح يستجوب ابنته ليعرف حقيقة المخادع تامر الذي يسعى لتدمير حياتها، ولأنه مثال للوالد المصري الغيور أخذ مسدسه وانطلق لمنزل تامر.. وصل ذاك المنزل ولحظة اللقاء لم تكن عادية، فهو قادم لقتل تامر.. لكن الوغد تامر كان مخادعا كبير

^١ - الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، ص ١٢١.

وكان تهديد الأستاذ شيئاً اعتيادياً بالنسبة له، لا بد أنه كان في مثل هذا الموقف من قبل! لم يأخذ وقتاً ليفكر لقد دفع الأستاذ منصور من على قمة الدرج ليستقط ملاقياً مصرعه، والأستاذ منصور رجل كبير ولن ينجو من هذه السقطة بالتأكيد.. بعد هذا لم يكن تامر خائفاً أبداً وقال لخدمته بكل برود استدعي الشرطة لتعاین الحادثة، فماهي إلى حالة من الدفاع عن النفس لقد كان في وسط بيتي ويهددني بمسدسه!.. بكل الأحوال السقطة لم تكن سبب موت الأب بل هبوط القلب الذي سببته كل هذه الانفعالات العاطفية. (سينجو تامر بفعلته، فهو ينجو بفعلته كل مرة..)

لقد كان تامر وغداً إلى حد الجنون، فقد توجه لمنزل الأستاذ منصور ليقوم بواجب العزاء كما يدعي.. هو يعرف تماماً أن عبير الآن وحيدة في المنزل وهي الآن في موقف ضعف كبير. لم تستطع عبير طلب نجدة أحد، فقد قطع سلك الهاتف مسبقاً ليمنعها من الاتصال بالشرطة، والخدمة سنوية لا تستطيع الذهاب لاستدعاء عطا الله أو أي أحد آخر فخدمته سراج يقف عند الباب مانعاً خروجها. بالرغم من محاولات عبير لطرده خارج المنزل إلا أنه لم يحرك ساكناً، بل كان يتعامل مع الموقف في استنزاف كبير، جلس بجانب الطاولة وبدأ بتناول العشاء الذي أحضره بنفسه.

وقف تامر أمام صورة الأب، دون أية احترام لشخص قد مات مدافعاً عن شرفه وكرامته.. وبحركة تمثيلية انحنى تامر أمام الصورة ملوحاً بقطعة اللحم وقال: سيدي هل تقبل دعوتي للعشاء! هنا قالت الصورة " بكل تأكيد!"^١، فجأة انهار منطق الواقع ليفسح المجال لمنطق الخيال والكابوس، ففي فانتازيا عادة ما يختلط الواقع بالخيال، وسرعان ما مد الأب يده من داخل اللوحة ليسحب تامر إلى الداخل أو لربما إلى الجحيم! بالرغم من محاولات المقاومة كان منطق الخيال أقوى بكثير وسرعان ما توارى بالكامل داخل اللوحة والتأمت دوامة الألوان ثم عاد وجه الأب الباسم الذي يعرف بواطن الأمور، وعادت الصورة إلى مجرد صورة متوفي..

^١ - الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، ص ١٣٨

بالرغم من أن النهاية بعيدة عن المنطق إلا أنها كانت النهاية التي يستحقها تامر.. الآن عبير أمام خيارات عديدة: العودة إلى عطا الله الذي حاول قتلها مسبقا أو الزواج من تامر الذي أنهى علاجه ويدعي أنه شخصا عاقلا الآن، أو ربما تختار عبير البقاء لوحدها بعيدا عن العشاق وهذا صعب بالطبع!

نظرت عبير إلى المرشد وقالت: هل يمكننا الرحيل من هنا فلقد صار الوضع هو الملل بعينه.

أسطورة نهر

هذه المرة عبير صحفية بريطانية، واسمها "الستري بارتريدج" واسمها صعب نوعا ما لكنه قريب من شخصيتها! لقد أصيبت بالذهول عندما رأت ما صارت عليه.. إنه ذلك الزي البريطاني الفيكتوري الذي لبسته ألف مرة من قبل.. وجدت بارتريدج نفسها في لندن وبالتحديد خارج بناية جريدة هيرالد، النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

لقد شارك ستانلي في الحرب الأهلية الأمريكية كما شارك في غزو أثيوبيا والآن سيشارك في البحث عن "د. ليفينجستون" الطبيب الاسكتلندي فائق الشهرة الذي يتساءل العالم كله عن مصيره، لقد ذهب في رحلة لاستكشاف منابع نهر النيل برفقة عائلته قبل خمس سنوات وللآن لم يسمع عن مصيره أحد.^١ هذه هي مهمة السيدة بارتريدج الآن، "هيرالد" سيمول الحملة وسيكون عليها أن تكتب القصة كاملة بينما يكتب ستانلي مذكراته.. لم تكن عبير راضية عن هذه الحملة ولربما لم تكن راضية عن دورها بأكملها! لكنها بكل الأحوال قبلت بالمهمة فهي لا تملك سبيلاً آخر..

القافلة تتحرك عبر سهول إفريقيا، بارتريدج وستانلي في المقدمة وخلفهم جيش عرمرم من الرجال السود، الحملة هبطت من البحر على ساحل إفريقيا الشرقي متوغلة في الداخل، لقد اختار ستانلي أن يرسم خطا عرضيا يقطع القارة ويتجه إلى حيث فُقد

^١ - أسطورة نهر، سلسلة فانتازيا ٤٣، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٨.

ليفنجستون.. المسيرة تتقدم وسط الأحرار الكثيفة، إفريقيا كما خلقها الله أعظم معرض للطبيعة على وجه الأرض. كان ستانلي رفيق سفر جيد لكن ما يغيظ عبير هو تعامله العنصري مع الأفارقة، وبالتأكيد لم يعتقد للحظة أن الإفريقي مجرد كائن بشري. وعند منتصف اليوم الرابع توقف الرجال وأعلنوا إقامة معسكرهم، وبدأ ستانلي في توزيع البنادق ونشر الحراس في أماكنهم.. إنها الخامسة وهذا موعد الشاي للمستكشف البريطاني، سألته عبير "هل تعتقد فعلا أنك متجه لمنابع النيل؟"، نفت سحابة دخان كثيفة وقال "على الأقل أنا متجه للمكان الذي كان يجب أن ينبع منه. وفي المساء جاء الوطنيون بغوربلا ليشوووها، وبعد انتهاء العشاء كالعادة راحوا يرقصون حول النار.. أين كان المصريون في هذا الزمن! تركوا كنوز بلادهم ليكتشفها لهم الغربيون، لقد كانوا غافلين غائبين عن الوعي تحت حكم السلطان العثماني، أو لربما الالتصاق بالأرض هو الذي أخرهم أكثر من اللازم.. صحت عبير من النوم شاعرة بذلك الشيء الذي يجعل النيام يفتحون عيونهم. سمعت الزئير وشممت الأنفاس الكريهة، إنها لبوءة أو نمر على الأرجح! أطلقت صرخة جمعت فيها كل صرخات النساء في أرجاء الأرض، هكذا أطلق الوحش ساقيه للريح وتعالصت أصوات الرجال والبنادق، لكنهم فشلوا باللحاق بتلك اللبوءة مما أثار غضب ستانلي فراح يوبخهم بأقبح العبارات، ودس بيدها مسدسا لتدافع عن نفسها بوقت الخطر.

أخيرا تصل الحملة إلى أهم منطقة في الرحلة، إنها بحيرة هائلة الحجم، المشهد يبدو أسطوريا من بعيد، لم ير ستانلي هذا المكان قط ولم يعرفه على أي خارطة، لقد جلس على العشب وأخرج أجهزته وراح يحدد الإحداثيات، وقال لعبير إن هذه البحيرة عالية جدا، ويبدو أن الماء يخرج منها لبدأ رحلة النيل، ثم وقف وبلهجة مسرحية قال: (سأطلق على هذه البحيرة اسم ملكة إنجلترا "فكتوريا" وستكون هذه بحيرة فكتوريا من الآن وصاعدا)^١.. مع مرور الأيام كان ستانلي يتحرك حول البحيرة وهو يرسمها بدقة

^١ - أسطورة نهر، سلسلة فانتازيا ٤٣، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٢.

بالغة ولاحظ أنها بحيرة عملاقة حيث تقع في ثلاث دول وهي "أوغنده" و "كينيا" و "تنزانيا"، لذا لم تكن العملية بهذه البساطة.. بدأت أعراض الملاريا تزداد عند ستانلي، عرق وسخونة وارتجاف لكن الأخبار الطيبة قد أنسته مرضه فقد جاءت الأخبار بوجود "د. ليفنجستون" في قرية قريبة اسمها "أوجيجي"، فكرت عبير وهي تمشي مع الرجال باتجاه تلك القرية أن مهمتها قد انتهت عند هذا الحد، فهي أرسلت للبحث عن ليفنجستون وقد وجدته والآن يمكنها أن تعود.. مشى ستانلي في ثقة بين أكواخ القرية، وأخيرا وصلوا إلى كوخا فيه رجل أوروبي أقرب إلى الأشباح، ضلوعه بارزة وعينييه غائرتين تنظر بلا تركيز إلى القادمين، إنه د. ليفنجستون لكنه مريض جدا، والآن حان وقت إرجاعه إلى وطنه، لكن لم تكن هذه رغبته فهو لم يستلم بعد ويريد إن يكمل استكشافه برفقة ستانلي.. وفي الأيام التالية راح الرجلان يرسمان حدود البحيرة مع بعضهما. كان هذا جهدا شاقا مع الحر والعرق والجهد العضلي.. لقد جاءت اللحظة المحتومة والتي تأخرت بعض الوقت، لقد سقط ليفنجستون على الأرض وقال بصوت فحيح: (أعتقد أن جولتي الاستكشافية انتهت هنا أيها الزميل) وأغمض ليفنجستون عينيه إلى الأبد.. لم تنتهي رحلة ستانلي بعد فهو يريد أن يكتشف من أي مكان يخرج النيل من البحيرة.

كان رجال ستانلي يتناقصون بسرعة كبيرة، أما ستانلي نفسه فقد تورمت قدماه حتى صارتا كجذع شجرة، ويبدو أن بوله أصبح أبيض اللون، لم تكن الملاريا السبب بل إنه داء الفيل فالبعوض هناك شرس للغاية. وبكل الأحوال وقت مغادرة ستانلي قد حان، فقد استلم رسالة لتوه تلمي عليه بالذهاب للسودان وانقاذ محمد أمين، ويبدو أن عبير ستكمل المهمة وحدها مع مائتين رجل! نعم لقد كانوا ألفين لكنه الحر والملاريا والتماسيح والأسود.. قال لنها ستانلي قبل الرحيل: "لو توجهت غربا قليلا لوجدت من يواصل معك الرحلة!". الآن عبير وحدها مع الرجال وهي مهمة عسيرة بحق، لكنها استمرت بالتوجه غربا كما قال لها ستانلي..

مرت أيام من المشي المرهق باتجاه الغرب، فتحت عبير عينيه في الصباح لترى أمامها ذلك الرجل متين البنيان الذي ذكرها بستانلي، لقد كان "سبيك".. إنه

مستكشف بريطاني آخر.. وسرعان ما انضم إليهم ليتابعوا رحلة البحث، وهكذا مشى الجميع عدة أيام على حافة البحيرة إلى أن وصلوا إلى مشهد مهيب بحق، هناك من ذاك المكان المرتفع ترى عبير أضخم شلالات رأتها في حياتها. شلالات "ريون فولز" لقد كانت من اكتشافات سبيك بنفسه وهو من أطلق عليها هذا الاسم كما أطلق اسم "ألبرت" على البحيرة التي تصب فيها الشلالات.. القصة تزداد وضوحا الآن، هناك بحيرة ثالثة على الأرجح، بحيرة فكتوريا تلعب دور رئيس لكن بحيرة ألبرت تساهم. كان لابد من أن ينضم إليهم بيكر ليرشدهم إلى البحيرة الثالثة، اسمه (صمويل وايت بيكر) وهو من الأسماء المهمة جدا في قصة منابع النيل.. والبحيرة الثالثة هي بحيرة "إدوارد"، هي في حجم بحيرة ألبرت تقريبا وكالعادة اختاروا لها اسما من العائلة المالكة البريطانية. القصة اكتملت الآن، النيل يأتي من هذه البحيرات الثلاث "فكتوريا" و "ألبرت" و "إدوارد" لكن بدايته الحقيقية هي نهر "كاجيرا" الذي يغذي فكتوريا، وبالتأكيد نحن نتحدث عن نصف النيل فقط المدعو بالنيل الأزرق^١.

لقد احتاج هذا النهر إلى عدد كبير من الرجال كي يتبعوا مساره المعقد، والآن هم يتحركون في جنوب السودان ويقتربون من المناطق المأهولة، ولكن سبيك بدوره لا يستطيع المواصلة لقد فتكت فيه الملاريا بالفعل، كان عليهم أن يتركوه خلفهم ويواصلوا السير.. لقد اقتربوا من الخرطوم حيث يتم اللقاء الشهير بين النيل الأزرق والأبيض، إنه الزواج المقدس بين النهرين ليصنعا النيل الذي نعرفه.. بعد الرحلة الشاقة في مجاهل إفريقيا يصير هناك نيل واحد وهو مصمم على التقدم نحو الشمال ليستحم في البحر المتوسط.. استمر الرجال بالتقدم نحو الشمال وكانوا يمشون في واد جاف كونته الشمس لكن كان يجب عليهم التوقف بالتأكيد بعد كل هذه المسافات والتعب، فنصب الرجال الخيام في مجرى النهر الجاف، صارت عبير تعرف من أين يأتي النيل وإلام يمضي واعتقدت أن مهمتها قد انتهت هنا فخلدت للنوم بسلام في إحدى الخيام، وغرقت في النوم لبضع

^١-أسطورة نهر، سلسلة فانتازيا ٤٣، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٧.

ساعات حتى وقعت الكارثة، عندما شعرت بأن السماء ترعد.. ليس رعدا فإن الأرض تهتز! وبالتأكيد لم يكن زلزلاً في وسط السودان! إنه نهر متوحش ينقض عليهم بسرعة البرق ليحتل هذا المجرى الجاف، لقد كان يجرف الخيام التي لم يجد الرجال الوقت لفكها، وكان الوضع أشبه بكابوس! النهر يهدر في الظلام كوحش كاسر.. هذه المشاهد التي لا تراها إلا لو كنت مع بيكر في رحلته الأصلية أو ارتحلت إلى فانتازيا. كان يجب على بيكر أن يتوقع هذا، لكن بكل الأحوال ما هذا إلا اللغز الأخير الذي يبحث عنه، لقد كان مستغرباً من قدرة النهر على الوصول إلى الشمال بهذا الهدوء.. في الحقيقة هذا النهر قادم من الحبشة، حيث تهطل الأمطار في هذه الأيام فوق مرتفعات الحبشة فتدب الحياة في نهر عطبرة الوحش النائم، لقد كان النيل مسالماً إلى أن جاءه هذا الوحش المشاغب!.. لقد اكتملت القصة هنا، لكن كان عليهم أن يكملوا الرحلة بقارب لأن اجتياز الأرض صعب للغاية بعد الفيضان المدمر.

لم تكن رحلة اكتشاف النيل سهلة على الإطلاق لقد كانت قاسية بالفعل.. والان المركب يواصل رحلته نحو الشمال، وعبير ترى معالم تعرفها جيداً، إنها تقترب من الدلتا! كلمة دلتا دخلت كل لغات العالم للدلالة على هذا الحرف الإغريقي الذي يشبه مجرى النيل^١.. والآن هم في القاهرة أخيراً مدينة الألف مئذنة تتوهج في ضوء الشمس. ترمق عبير النيل الناعس وهو يواصل رحلته الأبدية جوارها، خطر لعبير مواصلة الرحلة حتى فرعي رشيد ودمياط"، ولكن بيكر أراد أن ينهي الرحلة هنا فقد استكمل خريطته بعدما كان نصفها مبتور، لقد كانت رحلته طويلة وشاقة وهذا وقت الراحة بالنسبة له، وهنا بدأت حبال تشد وحبال تنزل ومرساة تلقى وانتهت الرحلة.. نظرت عبير إلى القاهرة التي لم ترها منذ عامين أو أكثر ثم مشيت في الشوارع الخالية التي رصفت بالحجارة وفي سرها كانت تغني:

أنا النيل مقبرة للغزاة أنا الشعب ناري تبديد الطغاة

^١-أسطورة نهر، سلسلة فانتازيا ٤٣، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٢٦

أنا الموت في كل شبر إذا عدوك يا مصر لاحت خطاه^١

شيء من حتى

العام ١٤٨ هجري.. قرية البيضاء في "شيراز"، هنا نشأ سيبويه العظيم.. سيبويه الشاب حديث السن يجلس في الصف الأول متحمسا متأفزا يوشك على أن يثب من مكانه، عندما رآه الأستاذ أدرك أن له مستمعا واحدا وحليفا واحدا وخصما واحدا بين كل الحضور، والأستاذ هو بالتأكيد (حماد بن سلمة) مفتي البصرة وقطب علماء النحو فيها^٢.. لقد كان سيبويه طالبا للأستاذ بن سلمة حتى اكتشف الأستاذ (خليل بن أحمد) الذي لم يأتي في العرب بعد الصحابة من هو أذكى منه. الذي اكتشف محور الشعر وهو يتدلى في البئر، فالبئر هي المكان الوحيد الذي يرجع الصدى جيدا.. وقف الخليل بين الجموع وقال: (أيها العرب لكم أن تفخروا بشعركم فله قواعده الأصلية التي اتبعها الأولون بالسليقة.. لقد وجدت أن إيقاع الشعر يعتمد على الحركة والسكون بشكل ثابت، لا يخرج الشعر العربي عن الأوزان: فاعلن وفعلون ومفاعيلن وفاعلتن وفاعلاتن ومستفعلن ومفعولات ومتفاعلن ومستفعلن، من هذه الأوزان تتكون البحور.. وقد أمكنني أن أحصر خمسة عشر بحرا من الشعر هي الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجث والمقارب.. مثلا بحر البسيط هو مستفعلن فاعلن أربع مرات، بحر الطويل هو فعلون مفاعيلن أربع مرات)^٣.. كان اكتشافه هذا الدافع الأكبر لسيبويه ليصبح أحد طلابه وينتظم في دروسه

لقد كان الخليل من أكثر العرب ذكاء ودهاء، رجل من مسك وذهب. حتى أن دفعه ذكائه لإنهاء حياته عندما كان يمشي إلى السوق فسمع جارية تتشاجر مع أحد

^١ - انا النيل مقبرة الغزاة، محمود حسين إسماعيل، ١٩٥٦.

^٢ - شيء من حتى، سلسلة فانتازيا ٤٤، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥، ص ٣٨.

^٣ - المصدر السابق، ص ٤٩.

الباعة لأنه غالطها في الحساب، فقال الخليل لمن معه الحساب عسير على جارية بائسة مثلها ولا بد من طريقة لتسهيل الحسابات بحيث لا يخذعها أحد ثانية، ومضى الخليل يفكر ويقول في نفسه "لو أن هناك طريقة لتسهيل العمليات الحسابية.. لو أن هناك طريقة لتسهيل العمليات الحسابية" حتى اصطدم بعامود في وسط المسجد وهو شارد الذهن غارق في حساباته.. لقد قتلته عبقريته ويالها من ميتة! مات الخليل ليترك خلفه سيبويه كبير نحاة البصرة، ولقد ترك لسيبويه مهمة إنجاز كتاب النحو الذي كان آخر شيء طلبه منه.^١

لقد جاء يوم الصراع، الصراع بالحقيقة هو بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة!.. جاء سيبويه وسط تلاميذه شاحبا قليلا، فهو لا يلعب بأرضه والجمهور كله ضده، لكن بالتأكيد ثقته في علمه كبيرة، وبعدها دخل الكسائي حيث كان ضخما مرعبا يحيط به أتباعه.. تذكرت عبير رجال المصارعة حين يدخلون للمصارعة فكان الأمر مشابها لحد كبير، ولكن البرود هنا يجعل الوضع مختلفا حيث يقف المتبارزون وسط هدوء كبير وثقة واضحة ليتبادوا نظرات نارية، وبالتأكيد لا يوجد حكام لأن الرجلين هما الحكمان الوحيدان وما من أحد يعرف ما يعرفان.. بدأ الكسائي يطرح بعض الأسئلة التي أجاب عليها سيبويه بكفاءة وبدأ التوتر يزول شيئا فشيئا. وبعد نقاش طويل دون أية خطأ من الطرفين، سأل الكسائي "ما رأيك في العبارة التالية: خرجت فإذا عبد الله القائم.. أم عبد الله القائم".. لقد أكد سيبويه على أن الرفع هو الأنسب، لكن الكسائي أصر على أن الحالة هذه تقبل النصب والرفع! لقد كان النقاش عقيما ولا يوجد من يحكم بينهم، فقال الكسائي مشيرا للخارج: (الأعراب.. أعراب الحطمة، إنهم يجيدون العربية إجادة تامة وهم يقفون على الباب) وهنا دخل أربعة رجال من الأعراب، لقد كانوا بالحقيقة أصدقاء الكسائي ولكن لم يحتج أحدا على هذا الأمر!.. صاح أول الأعراب ملوحا بسيفه في الهواء: (والله أصاب الكسائي ومقاله صحيح!) كما قال

^١ - شيء من حتى، سلسلة فانتازيا ٤٤، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥ ص ٧٤.

الآخرون (الصواب هو مقاله الكسائي.. إنه الرفع)، فقال أحد الحاضرين إن الكسائي لم يختار الرفع بل هو يرى أن هذه الحالة تقبل الرفع والنصب ليرد الأعراب بعدها: (إذن هو الرفع والنصب.. والله صدق الكسائي!).. إنها اللعبة القديمة التي تنجح دائما "التلاعب بالتحكيم"، وهنا أعلن فوز الكسائي، تصايح الناس وراحوا يهللون ويتبادلون التهاني.. لقد كانت الخسارة قاسية جدا على سيويه.. قال سيويه وهو يتجه إلى الباب خارجا من المكان: (حسبت الخداع في كل مكان في العالم ماعدا محراب العلم.. حتى هنا يوجد تحايل وتزوير ورشوة).^١

لقد هُزم سيويه فأبى أن يعود مهزوما إلى الأرض التي اعتبرته بطلا لها.. أبى أن يرى نظارت خيبة الأمل في عيون أهله وجيرانه، وهكذا ركب ناقته وتوجه إلى خراسان ليعيش فيها إلى الأبد.. وبعد فترة قصيرة قهرته الحمى، ربما لم تكن الحمى وحسب! إنه الجو الفارسي الحزين مع هزيمته في المباراة التي خسر فيها كبرياءه.. بكل الأحوال مات سيويه وترك لنا كتبه وعلمه، وترك عبير تبكي حزينه فوق رأسه.. سيبقى سيويه محتفظا بمكانة خاصة في قلبها، ولن تنسى أبدا اللحظة التي مات فيها بين يديها، لقد مات وفي نفسه شيء من حتى، (حتى) التي أمضى حياته وهو يحاول اكتشاف معانيها واعرابها..

تشي (الحالم الأخير)

"إنني أحس على وجهي بألم كل صفة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني. الثورة قوية كالفولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالسندان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن لا يهمني أين و متى سأموت بقدر ما يهمني ان يبقى الوطن. الثوار يملؤون العالم ضجيجا كي لا ينام العالم بثقله على أجساد الفقراء. إن الطريق مظلّم وحالك فاذا لم تحترق أنت وأنا فمن سينير الطريق. لن يكون لدينا ما نحيا من أجله.. إن لم نكن على استعداد أن نموت من أجله".^٢

^١ - شيء من حتى، سلسلة فانتازيا ٤٤، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥ ص ١١٥.

^٢ - تشي جيفارا.

انطلاقاً من هذه المقولة المشهورة لتشي تبدأ القصة.. تشي جيفارا هو أرجنتيني الأصل، درس الطب في جامعة (بوينس أيريس) الأرجنتينية ولم يلتحق بعدها بالتجنيد العسكري لأنه كان مصاب بمرض الربو، وانتقل بعدها للمشاركة في الثورة الكوبية التي استمرت لمدة سنتين، ليصبح بعدها وزيراً للصناعة في كوبا.. لكن حياته السياسية لم تطول لأنه ببساطة اعتاد أجواء الثورة والنضال، وهذا دفعه للتخلي عن مسؤولياته في قيادة الحزب ومنصبه كوزير لبحث عن قضية ثورية جديدة..^١

حاول جيفارا إقامة مجموعات حرب عصابات في الكونغو، لكن هذه المرة فكرته لم تلق صدى واسعاً لدى بعض القادة فتوجه إلى بوليفيا ليظهر كقائد لثورة جديدة، وكانت رسائله ل (فيديل كاسترو) تمثل الشاهد الوحيد الذي يوثق هذه الفترة.. بشكل عام كان مشروع جيفارا يهدف إلى رص صفوف الحركات التحريرية في كل أرجاء أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية التي تستغل ثروات القارة.

بعد صراعات وحروباً أثارها جيفارا في بوليفيا تعرض لخيانة أنهت حياته، حيث أفشى أحد الثوار عن مكان تواجده ليتم اغتياله في ٩ أكتوبر عام ١٩٦٧م، ورفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه ولم يتعرف أحد على مكان دفنه، لكن لاحقاً كشف السيد (فيليكس رودريجيس) عن بتر أيدي تشي جيفارا بعد قتله للتعرف على البصمات.

بكل الأحوال لم يرغب الكاتب (د. أحمد توفيق) في إنهاء حياة جيفارا في بوليفيا.. فأخذت القصة منحىً آخر في فانتازيا.. بعد وفاة جيفارا بشهر قام أحد رجال المخابرات البوليفية بنقل سلحة من إيهام جيفارا إلى البروفيسور الصيني "زينج لي وان" الذي كان مهتم بعلم النسخ "الإيونوجيا"، وبعدها تمت تجارب سرية في إحدى المختبرات الصينية قرب بكين، حيث قام البروفيسور بإخلاء بويضة أنثوية من محتواها ثم أجرى بعض التقنيات المستخدمة مع أطفال الأنابيب ليتم بعدها نقل كرية الخلايا إلى

^١ - ويكيديا، اختفاء تشي جيفارا.

رحم امرأة من الحزب قبلت بأن تكون رحما بديلا، وفي أغسطس ١٩٧٠ ولد شبیه جيفارا وظل هذا سرا بالطبع وكان اسم الطفل على الورق "ريكاردو" .. لقد كانت خطة محكمة، حيث رباه أبوان أرجنتينيان ووقعت بين يديه نفس الكتب التي قرأها جيفارا ودرس الطب أيضا كما فعل جيفارا، وعندما قال طبيب ريكاردو أنه سيظل يعاني الربو للأبد تأكد الجميع من نجاح التجربة.. وهكذا أصبح لدينا جيفارا جديد يطلق عليه (سي عمارة) يحارب الأمريكان بالطبع، لكن هذه المرة في مكان مختلف..^١

سي عمارة كان يشارك العراقيين في حربهم ضد القوات الأمريكية المستعمرة، ولأنه نسخة عن جيفارا سيحارب بالتأكيد الإمبريالية الأمريكية في أية مكان، والاستراتيجية تقريبا نفسها.. حرب العصابات من جديد، الفئة هي الوحدة الأساسية وهي تضم عشرة مقاتلين يقودهم ضابط برتبة ملازم، وكل أربعة فصائل تكون رتلا يقوده رائد.. كان يقتل الجنود الأمريكان ويلغم جثثهم، لقد أرهق أعداءه في كل معركة دون أي خسائر في فصيلته، لم يسيطر على أي نقطة أو معسكر لكن خطته كانت إرهاب الخضم فقط وتوجيه ضربات خاطفة وسريعة. وكان يعتقد سي عمارة أن العرب لديهم فرصة ذهبية قلما تتكرر.. لقد جاءهم الأمريكان في عقر دارهم كي يسهلوا عليهم مهمة قتلهم دون مشقة السفر.. جيفارا كان يتمنى لحظة كهذه لكنه لم يحارب الأمريكان قط.. بالرغم من كفاح جيفارا وضرباته المتواصلة للأمريكان إلا أنه مع مرور الأيام بدأ يشعر بعدم رضا العراقيين وكرههم لوجوده، فهو بالنهاية يحمل أفكارا بعيدة كل البعد عن أفكارهم وهذا دفعه للرحيل، ليمضي أيامه الأخيرة بعيدا عن هذه الحروب.

وبالتأكيد الحل الوحيد للإيقاع بعمارة هو الخيانة، هكذا أبطال يصعب قتلهم بشكل مباشر ولا يمكن حتى تتبعهم، الحلم الأمريكي يمكنه أن يجعل من الكثير أداة يستعملها الأمريكان للإيقاع بالذين تعجز الطائرات والدبابات الحديثة من قتلهم.. في فلسطين وبالتحديد في قرية (كفر الهجيرة) القريبة من رام الله يتعرض من جديد (سي

^١ - تشي، سلسلة فانتازيا ٤٥، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٦

عمارة) للخيانة، ليواجه إعداما ميدانيا كم فعل من قبله جيفارا، وبهذا تنتهي أسطورة الحالم الأخير.. لقد لاقى جيفارا نهايته من جديد، نهايته التي كانت مكتوبة منذ اللحظة التي جاء بها إلى هذا العالم، إنه الحالم الأخير في عالم يفترس الأحلام. لم يغير الكثير في الواقع لكنه ترك أثرا لا يمحي في النفوس^١.

الساحر و أنا

عبر اسمها (فلهلينا بياتريس رانر) لكنها معروفة باسم (بيس)، هي زوجة (هاري هوديني) عبقرى الهروب.. الأب الشرعي لكل تلك الألعاب التي يتم فيها تقييد الساحر أو وضعه في تابوت أو غمره في الماء. وما يميز هوديني فعلا هو حقيقة أنه قادر على إخراج المفتاح من معدته، بل قادر على تقليص معدته لإخراج مفتاح معين. وبكل الأحوال يملك هذا الرجل تاريخا مع المفاتيح، فقد بدأ حياته صبيا لدى صانع الأقفال، وكانت هذه الخبرات الغريبة هي التي أفادته فيما بعد في فتح أية قفل يواجهه. إن الرجل يتمتع بذكاء مخيف ولياقة جسدية كبيرة.. لقد كان يمارس ألعابه معتمدا على رشاقته، أما طريقة فتح الأقفال عند هوديني فكانت تعتمد على ترسانة لا تنتهي من الحيل ومفاتيح دقيقة يخفيها في كل مكان. أضف على هذا أنه كان مخرجا مسرحيا بارعا وكان يجيد تصميم العرض بحيث تنقطع أنفاس المشاهدين.. في بدايات ممارسته لمهنة الهرب كان يؤديها خلف ستار، أي أن تقييده يتم على المسرح ثم يسدلون ستارا عليه وعندما يزيحون الستار يكون قد تحرر، هذا أدى لانتقام الصحفيين له بأن مساعديه يتسللون وراء الستار لفك قيوده. وهذا دفعه إلى اتخاذ سياسة جديدة لم يتبعها الحواة من قبل، هي أن يؤدي الفقرة كاملة أمام عيون المشاهدين، أي أنهم يرون كل تفاصيل الهرب لحظة بلحظة، والغريب أن هذه الطريقة زادت من نجاحه وجعلت عروضه مثيرة تقطع الأنفاس^٢.

^١ - الحالم الأخير، سلسلة فانتازيا ٤٦، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٣٧.

^٢ - الساحر وأنا، سلسلة فانتازيا ٤٧، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٠.

أما عن آرثر فإن هذا الرجل ينتمي لمذهب "اللا إرادية"، وهو يرى أن عقلنا البشري غير قادر على معرفة الحقيقة، كما أنه يذهب لوسيط روحاني ليستحضر له روح ابنه، وكان واثق تماما بأن روح ابنه تتصل فيه عندما يذهب هناك..^١ لم تكن عبير تؤمن باستحضار الأرواح وهوديني لا يؤمن بهذا بدوره، لكن كما قال هوديني ذلك الرجل طيب القلب ويريد أن يصدق هذا، يريد أن يعتقد أن ابنه يتصل فيه فعلا وهكذا يترك نفسه فريسة للنصابين.. ليس هذا فقط بل أنه أصبح من أكبر داعمي فكرة استحضار الأرواح. إن الإنسان لا يقتنع إلا بما يريد الاقتناع به، مهما كان ذكيا أو عبقريا فهو يحتفظ بجزء من عقله في معزل عن المنطق. وأكبر مثال على هذا إصرار آرثر على أن هوديني يمتلك موهبة خارقة للطبيعة، بينما هوديني نفسه يقول أن كل مايفعله هو براعة وخفة يد ولا أكثر!. إن العلاقة بينهم غريبة إلى أبعد الحدود، هم صديقان لدودان لكنهم اختلفوا في كل شيء تقريبا، الأديب المفكر يؤمن بالسحر، بينما الساحر يؤمن بأن السحر هراء.

"فانتازيا تخطط الواقع بالخيال كثيرا.. إن علاقة هوديني وآرثر حقيقية، لكن هناك قدرا لا بأس به من الخيال في الحكاية.."

يوم غرق الأسطول

لقد وجدت عبير نفسها وسط ذلك الفراغ.. مساحة شاسعة تخلو من أية معالم، تمشي مذعورة كالجائنين باحثة عن المرشد.. هل هي مجنونة؟ لا وجود لفانتازيا إلا على جهاز الكمبيوتر وجهاز الكمبيوتر قد تلف، إذن لا وجود لفانتازيا إلا في عقلها.. إذن هي مخبولة.. بالحقيقة لا يفصل عبير عن عالم الجنون إلا خيط واحد، خيط لا يراه سواها وشريف، شريف زوجها الذي تحلى عنها، والآن شريف هو الوحيد القادر على أن يخبرها بحقيقة وضعها العقلي.. سمعت صوت خطوات المرشد وهو قادم من الخلف، وقف المرشد وبدا القلق واضحا على وجهه هذه المرة..

^١ - الساحر وأنا، سلسلة فانتازيا ٤٧، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٣

- "لم تتصلي به بعد؟"

- "لم أعد قط"

فكر المرشد قليلا ثم سألها بحذر: "هل مازلت تحبينه؟"

بالحقيقة عبير لا تحمل نحوه أي عاطفة، بوسعها أن تحتقره وبوسعها أن تقول أنها تموت شوقا له.. لكنها وصلت الآن إلى نقطة تحمل فيها مشاعر متعادلة، متعادلة تماما كمحلول بلغ درجة التوازن.. وليكتمل الجنون شريف موجود في فانتازيا هذه المرة، لكن المرشد بجد ذاته لا يعرف مكان شريف وهو غير قادر على مساعدتها، و عبير تحلم بالعثور عليه فلا غرابة في أن يظهر في أحلامها.. كل ما يعرفه المرشد هو أن شريف في مكان ما وسط بحارة أسطول يوشك على تلقي ضربة مروعة.. العثور على بحار وسط أسطول في ألحن لحظة يمر بها هذا الأسطول، هذا ما قاله المرشد، وكان دقيقا على الأرجح!

تبدأ عبير رحلة البحث عن شريف من ميناء (بيرل هاربور) لتشهد تلك المجزرة التي حدثت عندما استغل اليابانيون عنصر المفاجأة ليفتحوا أبواب الجحيم على مرفأ اللآلى.. تلك الهجمة استمرت لتسعين دقيقة فقط، لينقشع الدخان عن جثث ٢٤٠٠ جندي أمريكي وألف جريح وثمانية عشرة سفينة أمريكية غارقة، كما تم تدمير ال ١٨٨ طائرة التي تملكها أمريكا في (بيرل هاربور)^١.. اليابانيون أيضا خسروا، فقد هلك ٥٥ طيارا وغرفت تسع من غواصاتهم. أما عن حاملات الطائرات اليابانية فقد كانت على بعد مائتي ميل شمالي (هاواي) وقد عجز الأمريكان فعلا في تحديد المصدر الذي جاؤوا منه. وعجزت عبير في إيجاد شريف.

والآن للمرة الأولى تجد عبير نفسها تقف على ظهر سفينة عملاقة أقرب إلى بارجة، وهي جارية لدى الملكة (كيلوباترا).. لم تكن السفينة الوحيدة، فهناك أسطول مصري كامل جاء تحت قيادة كيلوباترا لمساندة (أنطونيو) في حربه على بلاده، بكل

^١ - قائمة ضحايا ميناء بيرل هاربور، ١٩٤١.

^٢ - باريس، ٢٠٠٦، ص ٢٨٨.

الأحوال هذه المعركة لا تعني لعبير شيئاً فهي مهمة فقط بأن تجدد (شريف). شهدت عبير المعركة وسقوط أسطول أنطونيو وأخيراً نهاية كيلوباترا. ومن جديد لم تجدد شريف. وأخيراً عبير رومانية تدعى (هيلانة) ويبدو أنها سقطت في أسر العرب عندما استولوا على تلك المدينة المدعوة (فينكس)، ويجب أن يكون (فيريس) بمثابة البطل بالنسبة لها، حيث قام بتهرب الأسرى وقتل الحاكم وحررها. وفيريس يتجهز لمعركة ذات الصواري التي ستبدأ وتنتهي أمام عيني عبير، المعركة التي انتصر فيها المسلمون، وكان لعبير دور مهم في هذا الانتصار، فهي الخائنة التي ترسل للعرب خطط الروم وتحركاتهم.. لقد أوقعت عبير بالروم لكنها أوقعت بالبطل فيريس أيضاً الذي أنقذها من الأسر.^١

بعد كل المغامرات التي خاضتها عبير وهي تنتقل بين الأساطيل لم تجدد شريف بل ربما هي اعتقدت أنه ليس موجود، فالمرشد أكد أن شريف هو فيريس وقال:

" كان شريف موجوداً فعلاً، وكانت هناك علامة مهمة، شريف كان في قصة ذات الصواري وأنقذك من الأسر، كنت تحملين نحوه عاطفة متناقضة بين مقتك له لأنك عربية، وحبك له لأنه أنقذك من الأسر، وهذه هي عاطفتك نحو (شريف) بالضبط.. إنه البطل والوغد معاً، ولو فكرت في هذا الاسم الغريب الذي لا يحمل أي طابع روماني لفهمت.. لفظ اسمه باللغة الإنجليزية يطابق عكس كلمة شريف.

قال المرشد باسماء: "إن غرق الأسطول لحظة فارقة في التاريخ، لحظة تمثل المجد والكبرياء والغرور وهم يهوون إلى أعماق المحيط، حيث تلتهم الأسماك كل شيء...^٢

هي وأنا

للمرة الثالثة كانت الثعابين..

الثعابين التي تملأ الردهة وتزحف في كل مكان.. فتحت فمها لتنادي أباهاً، لكن أين ذهب صوتها؟ لا صوت على الإطلاق، إنها تصرخ لكن لا يخرج شيء.. قدماها

^١ - يوم غرق الأسطول، سلسلة فانتازيا ٤٩، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٥.

^٢ - المصدر السابق، ص ٧٠.

ثقيلتان، حركتها غبية جدا. لكنها قادرة على أن تمشي على الجدار، لم تدر من قبل أنها تستطيع فعل ذلك!.. تمشي في حذر وترى الدنيا مقلوبة، تدنو من المكان الذي تجتمع فيه أسرتها. لكن لقد تأخرت كثيرا الكل على الأرض وسط الثعابين والكل قد مات.. تصرخ من جديد، ترى هذا كله من أعلى وقوتها على التماسك تتلاشى..

تفتح عينيها وترى ابويها فوق رأسها.. الأب يقول في توتر: "للمرة الثالثة في أسبوع واحد.. هل هو ذات الكابوس؟" نعم إنه الكابوس ذاته!

تجلس عبير أمام (فرويد) شخصيا ليقوم بعلاجها وتشعر برهبة لا حد لها.. قال فرويد بصوت ملىء بالاهتمام: "جميل.. أنا أحب الأحلام وأعتبرها الطريق الملكي إلى اللاوعي. إن اللاوعي موجود لكن هناك آلاف المفاتيح والجدران السميكة تحيط به كي لا يعرف أحد ما يدور هناك.. فقط ينكشف هذا اللاوعي في لحظتين"^١

بعد جلسات عند الدكتور فرويد، وجدت عبير أن هذا الرجل مجنون ومريض، ووجدت أن كل شيء في عالمه عن الجنس.. يتخيل أننا مجموعة من الوحوش نداري حقيقتنا حتى عن أنفسنا، إنه يجعل الحياة جحيما.^٢

من جديد تزور عبير طبيبا آخر، وهذه المرة الطبيب هو (د. أدلر) وهو العدو اللدود لفرويد.. ويعتقد أدلر أن عبير تملك فكرة راسخة بعقلها الباطن بأنها قبيحة وهذا يكون لديها مركب نقص، وهذا يؤدي إلى العصاب! يضيف أدلر ويقول بأن الكابوس الذي تراه عبير ما هو إلا نوع من الإحتجاج الداخلي على التناقض بين ما تريد وما لا تقدر على بلوغه. ومركب النقص هذا يحرك حياتها كلها.. وبالرغم من دفاع عبير ورفض هذه الفكرة إلا أنه مصر على أنها قبيحة، وهذا الإدعاء دفع عبير لعدم زيارة د. أدلر مرة أخرى، فهذا مهين لها كأثني وهي لا تؤمن بفكرة مركب النقص.

هذه المرة تزور عبير الدكتور (كارل يانج)، وفسر يانج المشكلة على أنها اللاوعي الجمعي، وأكد أن عليها أن تفهم لغة الحلم الرمزية، فهذا الفهم يشكل بداية علاج

^١ - هي والأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٣٧

^٢ - المصدر السابق، ص ٦٤.

العصاب.. يجب عليها أن تعقد علاقة طيبة مع رموز الحلم. الآن دخلت عبير في دوامة ولا تعرف ما هي المشكلة الحقيقية.. هل هي الرغبات الدفينة أم مركب النقص أم هو الوجدان الجمعي؟ أم هي ببساطة ممسوسة أو مجنونة!

قررت عبير العودة للبداية للطبيب فرويد، وبعد جلسات عدة ومحادثات طويلة أقر فرويد أنه كان مخطئاً بشأن الكبت الجنسي.. إن المشكلة كلها تتمحور حول أختها (مي) التي ماتت أمامها حيث وقعت في بئر عميق ولم تستطيع عبير (غادة) أن تفعل أية شيء. قال فرويد "يجب علينا أن نبرأ الطفلة الصغيرة غادة فما كان بوسع طفلة الثالثة أن تنقذ أختها، إهمال الكبار هو المسؤول.. يصعب أن نقنع الأنا العليا بشيء لأنها لا تعترف بالطفولة والبلوغ، لكننا سنواصل في هذا للنهائية". أخيراً وجدت عبير التفسير المنطقي لمشكلتها، بعيداً عن الرغبات الدفينة والوجدان الجمعي..

فلننقد الدوتشي

إنه يقف هناك في وضع متخشب رافعا يده بالطريقة النازية محيياً الجماهير.. يلبس قميصاً بنياً وسروالاً أسود وهو لباس النازية المعروف.
إنه أدولف هتلر..

لقد قابلته من قبل.. بالأحرى كانت حبيبته، وشهدت معه سقوط الرايخ. في تلك الفترة كان أقرب إلى حطام بشري وكان يجر نفسه بصعوبة وعسر وكان شاحبا. لكنه اليوم في خير حال، متألقا لامعا ويشع بالثقة.. النازيون في ذروة قوتهم قبل بدء الحرب. تصل سيارة سوداء فاخرة، تفتح السيارة وترى ذلك الرجل الذي ينزل من السيارة وقد فرد صدره للأمام، ثياب عسكرية أنيقة وأكثر من وشاح وطاقية غريبة.. هذا هو (موسليني) الدكتاتور الإيطالي الشهير.. (الدوتشي) أي القائد كما يسميه الإيطاليون.

هذا هو يوم لقاء الدكتاتورين (هتلر) و (موسليني) في سبتمبر عام ١٩٣٨ من أجل الإتفاق على التحالف وتوحيد القوى.. هتلر يحتقر كل الأوروبيين، لكنه يؤمن بالإيطاليين باعتبار جينات الإمبراطورية الرومانية مازالت موجودة فيهم.^١

لا تعرف عبر كيف ولا تعتقد أنها سمعت بشيء كهذا.. فرقة نسائية مقاتلة؟؟ يبدو أن هذه هي طريقة فانتازيا لدجها في الأحداث، لن تعود عبر للمنزل وسيتم نقلها إلى مكان سري حيث ستخضع لتدريب عال في الالتحام والقتال والهبوط المظلي..

كانت المؤامرات تتزايد ضد موسليني وبدأ الجميع يتهامس أن الوقت قد حان ليتخلى عن كل سلطاته، وفي جلسة شهيرة جدا للمجلس الأعلى للحكومة تم التصويت على حجب الثقة عن موسليني.. وهنا يحدث ما يحدث في كل مرة.. كل الذين كانوا سيكون من فرط الهيام بالفاشية خرجوا للشوارع يرقصون احتفالاً بالخلاص من الديكتاتور.. لا فاشية ولا موسليني بعد اليوم.

هو بيت صغير ويطل على خليج صغير، هذا هو المكان الذي اختير للدوتشي كمزيح من السجن والمنفى.. سرير حديدي ومنضدة خشبية عتيقة وجدران متسخة. في هذا البيت الصغير قضى موسليني وقته في القراءة والكتابة، لقد كان يقرأ عن حياة المسيح، فهو كان متأكد من تطابق حياته مع حياة المسيح. وبعد مرور عشرة أيام على عزل الدوتشي بعيداً عن العالم تم نقله إلى (مادالينا)، كانت جزيرة مادالينا شبه فارغة من السكان بسبب الغارات المتكررة، ونقل الدوتشي ليقام فيها بيب مطل على البحر.. أخيراً تم توقيع ميثاق الهدنة، ومن شروط هذه الهدنة تسليم موسليني لإنجلترا..

لطالما خشي موسليني استسلام إيطاليا!

موسليني يمثل لهتلر عظمة الرومان ولهذا يتوجب عليه أن ينقذه، والغريب في الأمر هو تكليف عبر للقيام بهذه المهمة، لكن كل الصفات المطلوبة تنطبق عليها، كالهبوط المظلي ومعرفة اللغة الإيطالية والولاء للرايخ.. راحت عبر تجهز كل مايلزم

^١ - فلننقذ الدوتشي، سلسلة فانتازيا، العدد ٥١، ص ٢٣.

لعملية الاستكشاف في إيطاليا وفي صباح اليوم التالي كانت طائرتها تحلق نحو إيطاليا. الحقيقة أن البحث عن الدوتشي في إيطاليا كان عسيرا حيث كانت الكثير من النظريات تتناثر..

- الدوتشي انتحر.

- الدوتشي في الشمال تحت الحراسة.

- الدوتشي في إسبانيا.

لكنها في النهاية وصلت إلى جزيرة (مادالينا) مكان وجود موسيليني، لقد رأته ورأت المنزل الذي يقيم فيه.. وهكذا هرعت إلى برلين تخبر الفوهرر بما وجدته. السابع والعشرين من أغسطس هو اليوم المقرر لتنفيذ عملية خطف موسيليني، لقد تم نقله مسبقا إلى الصخرة الكبرى (جران ساسو).. هذه المرة لن تكون هناك أخطاء. سرعان ما هبطت الطائرات حول الفندق، واندفعت عبير وخلفها الرجال داخل الفندق، الحقيقة أن سماع الكلمات الألمانية أصاب الحراس الإيطاليين بالهلع، ولهذا ألقوا أسلحتهم وراحوا يهربون كالدجاج.. أخيرا وصلت عبير إلى غرفة موسيليني وأدت له التحية العسكرية النازية: "الفوهور قد بعثني لك يا دوتشي.. أنت الآن حر". قال الدوتشي متعبا: "كنت أعرف أن هتلر لن يتخلى عني". ركب موسيليني برفقة عبير بالطائرة، وحلقت الطائرة عاليا فوق الجبال.. نهاية ممتازة لفيلم سينمائي تاريخي^١.

بعد فترة قليلة أعلن موسيليني قيام الجمهورية وعين أعضاء حكومته الجديدة التي كان مقرها على ضفاف بحيرة (جاردا)، وحاول موسيليني من جديد فرض سلطته فخلع الملك وأعدم الكثيرين حتى اشتعلت الحرب الأهلية في إيطاليا ودار القتال في الطرقات بين الفاشيين والذين رأوا أن الفاشية جلبت الخراب. أخيرا انتهت الحرب بالنسبة لموسيليني في ٢٩ أبريل عام ١٩٤٥، لقد تم إعدامه هو وحبيبته التي أصرت على أن تموت معه في

^١ - فلننقد الدوتشي، سلسلة فانتازيا، العدد ٥١، ص ١٠٠.

قرية (جيلينو دس متسيجرا). حتى بعد الموت لم ينعم موسليني بالراحة، لأن جثته سرقت مرات عدة ثم أعيدت إلى مرقد الأخير (بريدايبو).^١

البطل ذو الألف وجه

لقد توقف القطار عند سوق الأبطال.. وقفت عبير تنظر حولها مستغربة، لم تستطع فهم المطلوب، كيف تتركب مغامرتها الخاصة؟ من أين تبدأ؟ كانت تعتقد أن البداية ليست بيدها و يتوجب أن يقوم أحدهم ببدء القصة.. تجولت بالسوق كثيرا وقابلت أشخاصا كثر، حتى قابلت جوزيف كامبل..

إنها تشبه سندريلا كثيرا. لقد كانت حافية القدمين وتلبس ثيابا ممزقة، لكنها جميلة ووجهها يجمع بين المرارة والسخرية. اسمها (لارين) وهي تعمل لدى أسرة تتكون من زوج قاس غليظ وزوجة باردة جميلة تبدو كساحرة شريرة، أما عن سيدتها الصغيرة فهي فتاة شيطانية قبيحة. الفئران كانت موجودة بكثرة في المنزل.. الفئران كائنات مذعورة بريئة لا تريد إلا الفرار ببعض الطعام، لذا أدركت عبير أنها تحب الفئران جدا، ولو خيروها بين قتل فأر وقتل سيدتها فلن تتردد كثيرا، فسيدتها تتصرف كأبي سيدة شريرة في العالم، كما كانت تبقئها جائعة ومحرومة دائما وكل ماتحصل عليه لارين هو بعض قطع الخبز اليابس.

في السوق رآته للمرة الثانية.. وهنا تعرفت عليه أكثر، إنه (د. جوزيف كامبل) صاحب كتاب (البطل ذو الألف وجه).. بعد الحديث الطويل عن نفسه ومدح أعماله وقف قائلا:

- أنت فتاة فقيرة تافهة غير مؤهلة للبطولة.. تعانين سوء المعاملة، هل يمكنك أن

تخبريني بالبطل الذي تشبهينه؟

- فكرت عبير قليلا ثم قالت "سندريلا طبعاً"

^١-فلننقد الدوتشي، سلسلة فانتازيا، العدد ٥١، ص١٢٩.

- بل أن تشبهين هاري بوتر وأوليفر تويست والرجل الوطواط قبل أن يصير بطلا والسندباد قبل أن يبدأ رحلاته وجيمس بوند قبل أن ينضم للمخابرات البريطانية.. وبالنسبة لك سوف يتغير كل شيء مع دعوة المغامرة التي ستقدمها (المرأة المعطاء).^١

بعد العشاء كانت عبير جالسة تكلم الفئران، حتى رأت تلك العجوز المتقرمة تقف على بعد خطوات منها، كان الأمر طبيعيا بالنسبة لها لأن كامبل قد أعطاها خلفية لا بأس بها عن هذه العجوز القصصية، بدأت العجوز توبخها على الكلام الفارغ الذي تقوله للفأر.. لم تتوقع عبير أن تأتي الجنية لتسخر من سندريلا بهذا الشكل. قالت المعطاء وهي تجلس على مقعد المطبخ "الآن عليك أن تختاري المغامرة" وبدأت تعد على أناملها المغامرات المتاحة لعبير.. بعد تفكير قررت عبير اختيار مغامرة (يجب الانتقام من الوغد الذي قتل أبويك). جاءت سيدة عبير إلى المطبخ لتوبخ عبير مجددا، لكن عبير هذه المرة لن تتحمل أكثر فهي على وشك بدء رحلة البطل، حيث تناولت القدر الثقيل الذي كان على الموقد وسكبته على سيدتها وأغرقتها بالحساء الساخن.. لقد انتقمت من سيدتها وشفقت لغيليها إلى حد كبير، المرأة الشيطانية لم تعد جميلة على الإطلاق.^٢

لا بد أن الساعة كانت منتصف الليل عندما خرجت عبير إلى العالم الخارجي لتبدأ رحلتها، مشت في الشارع المبهم الذي لاتعرف إن كان شرقيا أو غربيا.. لا تعرف ماحدث ولا كيف شعرت بتلك اليد توضع تحت أنفها، وشعرت بأن الأرض تنزلق من تحتها، ومن ثم فقدت وعيها.. عندما فتحت عينيها كانت في داخل صندوق في مخزن كبير وكان الظلام دامساً حولها لكنها استطاعت أن ترى رجلين. بالحقيقة لم يكن هذا مخزنا بل كانت طيارة تنقلها إلى (بيرو)، وهؤلاء الرجال متعاونون مع النازيين ويخطفونها إلى بيرو خوفا من اليهود وصيادي النازيين.. وأخيرا عبير تصل (ليما) عاصمة بيرو، التي تقع في شمال أمريكا الجنوبية، لقد أطلق الخاطفون سراحها ومنحوها مبلغا من المال وتمنوا لها حظا سعيدا.

^١ - البطل ذو الألف وجه، ، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٨.

^٢ - المصدر السابق، ص٣٨.

قضت عبير أياما في ذلك الفندق الرخيص الذي يعج بالبراغيث والبق، إلى أن زارها جوزيف كامبل، لقد جنت عبير في اللحظة التي ظهر فيها وبدأت بضربه وبشتمه، فهي تظن أنه ألقى بها في مغامرة مسدودة بلا مستقبل.. "لا بد أولا من فهم عدوك ولماذا صار كذلك" هذا ما قاله جوزيف في محاولة منه لتهدئة عبير.

منذ عشرين عاماً كان الأبوان (بابلو) و (ماريا) يقيمان في إحدى ضواحي باريس، وكان لهما ابنة تدعى (لارين)، صحت من نومها طفلة الخمس سنوات لارين وخرجت إلى الفناء لتقضي حاجتها لكنها لاحظت شيء غريب، خيال مسربل بالظلمة يدخل البيت.. سوف تظل للأبد تتذكر تلك الصرخة المذعورة المتوسلة، عندما بدأت تزحف نحو البيت في الظلام كانت تتوقع مشهدا مفرعا لكن ليس إلى هذا الحد، فقد وجدت لارين أبويها ملقيان على الأرض بلا رؤوس، صرخت ولم تفهم بالضبط ما يحدث فهي في هذا السن لا تفهم الموت ولا تعرف ما هو.. فيما بعد حضر الجيران وحضرت الشرطة وانتقلت لارين إلى ملجأ الأيتام. تطلب الأمر عدة سنوات لتعرف ما حدث في تلك الليلة، شخص تسلل إلى المنزل وقطع رأس الزوجين بالبلطة ويبدو أنه كان يبحث عن الطفلة لكنها نجت بمعجزة^١. وفي يوم من الأيام حضرت عجوز إلى الملجأ والتقت بعبير لتعطيها قلادة تركتها لها أمها، على الفور أدركت عبير أن القلادة قديمة وقيمة وهناك لغز يحيط بها.. بالحقيقة القلادة هي سبب موت أبويها وهي ما جاء السفاح يبحث عنه.. ولاحقا عرفت عبير أن أمها كانت أميرة من أميرات الإنكاس، والسفاح هو (جوميز) الوريث الحقيقي لإمبراطورية الإنكاس، إنه رجل شرس وخبيث ويمارس نوعا قديما من السحر.

لقد قضت عبير أياما عديدة في التدريب لمواجهة جوميز حيث عاشت في الغابات وتكلمت مع الحيوانات وواجهت النمر وتسلقت الجبال.. حتى وصلنا إلى اللحظة الهامة (اللقاء مع جوميز).

^١ - البطل ذو الألف وجه، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٤.

"سوف أنتقم لأبي وأمي"، لقد طار سهم عبير بقوة باتجاه جوميز الذي يقف بين الحراس، لكن السهم ضرب كتف أحد العبيد وفشلت المهمة.. لقد انتبه الجميع لوجودها وانطلقوا للقبض عليها، لكنها لم تملح أو تركض، فقط وضعت سهم آخر وأطلقتها، وهذه المرة السهم يستقر في عنق جوميز قبل أن يجد أي فرصة لاستغلال سحره، ليسقط جوميز على الأرض وتنتهي حياته، وبالتأكيد قبض الرجال على عبير بعد أن أوسعوها ضربا.

تفيد عبير إلى جذع شجرة عملاق وحوّلها نار مشتعلة تبلغ عنان السماء والناس يرقصون حول النار.. وهناك فتاة عذراء تقف على منصة عالية بجانب الكاهن، فيرفع الكاهن ذراعه بسيف بتار ويهوى على عنقها.. القرابين البشرية! جزء أصيل من الثقافة الدينية لدى الأديان غير السماوية.. وهنا خرج جوميز من قلب اللهب وقد بدت عليه مخايل النصر كاملة، الإمبراطور عاد من الموت.. ربما هو لم يمت فعلا واستطاعوا أن يعالجوه! بعد لحظات تتذكر عبير قدرتها على التكلم مع الحيوانات، فتحرك النمل والطيور لمساعدتها.. يغطي النمل وجوه بعض الحاضرين وتهاجم الطيور آخرين وعبير تتحرر ببساطة.. وهنا تواجه جوميز وجها لوجه، لم يعرف جوميز من قبل ماذا تريد عبير لكنها الآن تلوح بالقلادة أمامه وتقول أنا وريثة أتاهولابا أيها الأحمق.. تركض عبير فارة من المدينة وخلفها جوميس، لقد قطعت إحدى الأنهار لتحد جوميس يقف بانتظارها.. هذه هي لحظة المواجهة الأخيرة لقد دار جدال طويل بينهما إلى أن حركت عبير ثعبان الأناكوندا العجوز ضده، فلفت الثعبان نفسها حوله وعصرته حتى الموت، لقد كانت هذه نهاية رحلة البطل الخاصة بها..

إن أبطال الواقع مثل غاندي وبوذا نفذوا أنماط البطل في الحكاية الشعبية لا شعوريا.. فهم قد خرجوا في رحلة بطل عادوا منها مظفرين بجوائزهم، وهذا هو سبب خلود قصصهم..^١

^١ - البطل ذو الألف وجه، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٣٥.

وداعا يا كامبل..

في جحيم الألعاب

في عالم فانتازيا.. العالم الخيالي، اختطفت عبير وهي تفتح باب سيارتها، حاولت المقاومة والصمود إلى ان غابت عن وعيها. أفاق والصداق يكاد يفتت رأسها ثم راحت تصرخ: أين أنا!! مجموعة من السادة المهمين يرمقونها بغل واضح، أحدهم ياباني أدعى أن مقالات بطلتنا (عبير) تشكل خطر كبير على مستوى مبيعاتهم^١.. صاحت عبير:

- هل ستقتلونني؟

- بل سنقذف بك في العالم الافتراضي حيث ينتشر العنف والقتل والدمار..
إنها الآن في ذلك المعبد وهي تتقمص شخصية (لارا كرافت) حيث الهاوية تحت قدميها.. حاولت عبور الجسر لكنه تهاوى تحت قدميها، وهنا صرخ أحدهم "إذا كنت تريد الخروج ما عليك سوى الغش".. من جديد وجدت نفسها محاطة بكائنات غريبة، يبدو أن النازيين صغروها.. يجب عليها الإعتماد على ذكائها وسرعتها للخروج من جحيم الألعاب، هنا ورت يدها وإنترعت مسدسها وبدأت بإطلاق النار حتى ملأت رائحة البارود المكان، هل انتهت اللعبة! فجأة فتح الباب ووجدت نفسها عبير داخل حلبة رومانية تحيط بها جماهير متعطشة للدماء ويتوجب على عبير أن تدخل الحلبة من الأسود. وجدت زر على شكل نجمة ضغطت عليه لتجد نفسها من جديد تحتاز عالما سحريا من إبداعات الياباني (ساكاجوشي)، وكانت تملك قدرات سحرية هائلة، إنها قادرة على استدعاء مخلوقات غريبة! لم يعجبها هذا الجو وعليها أن تجرب لعبة أخرى.

من جديد وجدت نفسها تقود سيارتها في شوارع أمريكية لقد اختلطت بعالم المافيا، إنها ترى برج التجارة ترى تمثال الحرية، هنا سمعت من يقول هذا هدف للضربة القادمة!!

^١ - في جحيم الألعاب، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٩، ص ١٧.

إنها مدججة بالسلاح مكلفة بقتل مجموعة جنود صليبين، إنها الحرب بين القدس وعكا ودمشق، أدركت أنها وسط الحرب ولم يتحمل قلبها هذا فانزلقت لعالم الظلام ببطء.. أفاقت من غيبوبتها لتجد نفسها تقاتل في حرب جماعية أمامها صور التخريب.. صور الهيمنة.. دوي انفجارات. جلست على مقعد لتتذكر كلمات الياباني "يجب أن تعتمد على سرعتك وذكائك وشجاعتك لتخرجي من جحيم الألعاب".

إن هذه الألعاب تنمي الكثير من الوحشية والعدوانية، لا زالت تخوض التجربة.. لا بد أن تهرب من هنا.. لا بد أن تخرج!

^١- في جحيم الألعاب، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٩، ص ١٣٩

الباب الثاني

تحليل موضوعات أدب الخيال العلمي فى سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق

الفصل الأول: السفر عبر الزمن، الانتقال الآني، الأوهام العلمية، و القوة الميتافيزيقية

الفصل الثاني: أوبرا الفضاء، خيال علمي صعب، التاريخ البديل، و السايبربانك

الفصل الثالث: غزوات الأرض و الفضاء، مخلوق خارق الطبيعية، الطيران و الاختفاء واستحضار الأرواح

الفصل الأول

السفر عبر الزمن، الانتقال الآني، الأوهام العلمية، والقوة الميتافيزيقية

مدخل

شكل الحلم والخيال حجر الأساس في بناء موضوعات الأدب العلمي.. ويعد الأدب العلمي صلة الوصل بين الثقافة العلمية والثقافة الأدبية، وله أصول قديمة جداً نجد لها ظلالاً في الآداب الفرعونية والآشورية، حيث كان الهدف إما معالجة الواقع أو الهرب منه عن طريق الأحلام.^١

ويعد الخيال العلمي من القضايا التي لم يُتفق عليها بشكل نهائي، حيث لم يقدر أي أديب على وضع وصف مناسب وشامل لهذا الجنس الثقافي، والسبب في ذلك هو شساعة هذا الأدب وتعدد المواضيع التي يتطرق لها، ولكن بطبيعة الحال يمكن للقارئ ببساطة أن يميز بين الأدب العلمي والأنواع الأخرى من الأدب. على سبيل المثال؛ يوجد في اللغة الإسبانية أكثر من خمسين تعريفاً، تختلف هذه التعريفات عن بعضها في كثير من النقاط والقاسم المشترك الوحيد فيما بينها هو اعتبار العلم عنصراً جوهرياً في تكوين أي نتاج ينتمي إلى هذا الصنف. فينطلق الأدب العلمي من الحقائق العلمية المتحققة ليصور تأثيرات التطور العلمي والتكنولوجي على الإنسان في الوقت الحاضر أو في المستقبل. ولا يشترط أن تكون هذه التأثيرات مثبتة أو مجربة، لكن يتوجب أن تكون مبنية على حقيقة علمية ثابتة.^٢

^١ - محاورات لقيانوس السمسيساطي الكاتب السوري الساخر، نقلها عن الفرنسية سعد صائب، ط ١، دار طلاس،

دمشق، ص ٢٣

^٢ - البعد الاجتماعي والإنساني في رواية أدب الخيال العلمي، عباس دليل، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد دراية،

الجزائر، ص ٤٥.

ويعتبر الأدب العلمي تعبير للإنسان عن قلقه تجاه التغيرات التي يفرضها التقدم العلمي، فهو يتعامل مع فرضيات تتعلق بالاكتشافات العلمية وفوائدها وأضرارها، إضافة إلى تطور الطفرات. وقد يكون الدافع الأكبر لأدباء الخيال العلمي هو موقفهم الأخلاقي ومسئوليتهم تجاه حياة الإنسان بالحاضر والمستقبل، فالمستقبل في الخيال العلمي يبدأ من الوقت الحاضر، وصياغة الحياة المستقبلية تتوقف على الجهود المبذولة في الوقت الحالي.

السفر عبر الزمن

الرغبة في السفر عبر الزمن رغبة فطرية، فالنفس البشرية بطبيعتها الحال فضولية لأبعد الحدود، وهذا الفضول الكبير يخلق لدينا رغبة للسفر إلى المستقبل والتنبؤ بشكل العالم بعد سنوات من الآن، أو رغبة للسفر في الماضي لرؤية أحداث هامة أو تغيير أمور لم نتمنى أن تحدث أو لعيش لحظات جميلة لن تتكرر.. لكن الفكرة تبدو صعبة ومتناقضة! فإذا تحدثنا عن السفر باتجاه مستقبل مجهول فما هو المعنى الذي سنمنحه لهذا السفر؟ وبنفس الوقت الأحداث التي وقعت في الماضي تشكل واقعاً راسخاً وتغييرها سيخلق حالة من الفوضى في الحاضر!

لنتحدث عن الموضوع ببساطة أكثر.. عند العودة للماضي سنواجه نفس المشكلة التي يواجهها السائق التائه الذي تجاوز الوجهة المنشودة، فإذا أراد العودة إلى مفترق الطرق الذي تجاوزه بالفعل سيتوجب عليه تغيير الاتجاه أو العودة من حيث أتى في لحظة معينة من الوقت. بالتأكيد لا يمكنه تغيير الاتجاه فهذا مخالف لقوانين المرور. لكن كيف يعود إلى تلك النقطة بعد تجاوزها، الحل الوحيد هو السير باتجاه مستقيم ليدور حول الكرة الأرضية ويعود إلى نفس المكان ليصلح الخطأ الذي ارتكبه في المرة الأولى،

^١ - كيف تجعلنا آلة الزمن ننظر إلى التاريخ بشكل مختلف، مدونة إلكترونية، معتر حسنين.

وهذا الأمر يتطلب تغيير السرعة والوصول إلى سرعة كبيرة جدا مقارنة بالسرعة الأصلية، وإن أردنا العودة للماضي فالسبيل الوحيد هو المرور بسرعة تتجاوز سرعة الضوء، وفي هذه الحالة سنحتاج لمساهمة لا نهائية لطاقة غير موجودة في الطبيعة. وبحال الزيادة الكبيرة من سرعتنا سنواجه مشكلة جديدة وهي مشكلة الحرارة، فعندما نزيد السرعة بشكل كبير، يعمل هذا التسريع على منح حرارة متناسبة مع الزيادة. وبالتأكيد هذا التسريع اللانهائي سيسبب حالة من الاضطراب بسبب الارتفاع الكبير للحرارة.^١

في السنوات الأخيرة شكلت فكرة السفر عبر الزمن فرعا كاملا وقائما بذاته تحت أدب الخيال العلمي، حيث يتيح لنا هذا الفرع من الأدب إعادة النظر ورؤية التاريخ من منظور آخر مخالف تماما لمنظور الكتب التاريخية الموجودة في عصرنا الحالي. وقد ألهم هذا خيالنا حتى بتنا نعتقد أن بإمكاننا السفر في الماضي وتغييره، أو السفر إلى المستقبل والتنبؤ به، وهكذا أصبحنا نتخيل الزمن مثل قطار يسافر في الآتات، فنستقل هذا القطار لينقلنا للزمن الذي نريده. بطبيعة الحال إن مسألة السفر عبر الزمن ما هي إلا ضرب من الاستحالة الوجودية..

العالم البريطاني (ستيفن هوكنج) قدر احتمالية تحقق نظرية السفر عبر الزمن باحتمال واحد مقسوم على عدد يحتوي أربعة وستين صفرا، وهو رقم صغير جدا يقترب من الصفر. أما من الناحية الفلسفية، فقد وصف الفيلسوف اليوناني (أرسطو) الزمن بأنه مقياس للحركة، حيث يتحرك القمر في مداره فيمكننا من حساب الأيام أو تدور الأرض حول نفسها فيخلق هذا الدوران حادثة الشروق والغروب.

وفي (فانتازيا) يضرب الكاتب أحمد توفيق هذه النظريات، ويجعل السفر عن الزمن نظرية قابلة للتحقيق، وهكذا تتركب (عبير عبد الرحمن) القطار وتنتقل إلى الماضي لتشهد معارك غيرت الجغرافية العالمية ولتقابل شخصيات غيرت التاريخ. بالتأكيد هذا

^١ - السفر عبر الزمن ممكن بطريقة واحدة، الحرة ترجمات، دبي، ٢٠٢٢م ص ٦٥.

مستحيل لكن هذه (فانتازيا) حيث لا وجود للقواعد والمنطق، وبكل الأحوال فانتازيا موجودة فقط في خيال عبير الشاسع. لربما القراءة الكثيرة لكتب التاريخ هي السبب..

الانتقال الآني

تنطوي فكرة الانتقال الآني على تحديد وحفظ المعلومات الخاصة بكيونة الشخص ومن ثم نقلها إلى الوجهة التي يقصدها، ليتم تفكيك وتركيب هذا المسافر آنيا.. نظريا من الممكن أن نطبق هذه النظرية على المادة، حيث من السهل فك الأجسام وتحويلها إلى ما يسمى بالجسيمات أو الفوتونات التي تنتقل بسرعة كبيرة كما يحدث في نقل البيانات عن طريق الإنترنت، لكن من الصعب تطبيق النظرية على الكائنات الحية. ولم ينجح البشر قط في تحقيق نقل الكائنات الحية، فالفيزيائي الفرنسي (نيكولا تيسلا) حاول تطبيق نظرية تدعى (الحقل الموحد للطاقة)، لكنه فشل وكاد يختفي للأبد لولا قيام مساعده بفصل التيار الكهربائي باللحظة الأخيرة وإيقاف التجربة.

ويقال أن البحرية الأمريكية أجرت تجربة بغرض اختبار نظرية انشتاين الشهيرة، وأطلق على التجربة اسم (تجربة فلادلفيا)، التجربة نجحت جزئيا واختفت السفينة، لكن الصدمة كانت بعد ظهور السفينة في مكان آخر، حيث تداخلت ذرات أجساد البحارة مع ذرات معدن السفينة، ومات معظم البحارة، كما عانى الناجون لاحقا من أمراض جسدية وعقلية، والغريب أنهم تحدثوا عن رؤيتهم لأحداث وأماكن وأزياء مختلفة للبشر.. لا يمكننا تأكيد حدوث هذه التجربة أو نفيها، لكن الروايات تقول أن الحكومة الأمريكية تكتمت على التجربة بعد الخسائر البشرية الكبيرة. لتبقى فكرة نقل الأجسام الحية بين الآنات أقرب ما تكون إلى المستحيلة في ظل الإمكانيات المتاحة في عصرنا الحالي.¹ ويُرجع العلماء فكرة الانتقال الآني إلى الحضارة المصرية القديمة.

أما عن الخيال السينمائي فظهرت الكثير من أفلام الخيال العلمي التي تطرح هذه

¹-C . Nölleke, A. Neuzner, A. Reiserer, C. Hahn, G. Rempe, S. Ritter}, Efficient Teleportation Between , -Remote Single-Atom Quantum Memories, 2010.

الفكرة مجددا.. وهناك الكثير من الكتاب والأدباء الذين لم يتوقفوا عن الكتابة في هذا المجال. وفي فانتازيا سلط الكاتب (أحمد توفيق) الضوء على هذه النظرية في عدة روايات، كان أبرزها (شيء من حتى) و (يوم غرق الأسطول)

وهنا يتوجب علينا إعادة عرض الفكرة بشكلٍ مفصل كما صورها الكاتب:

لا يعرف الكثيرون أن جريدة "الحقيقة الوحيدة" موجودة في هذا الشارع الضيق، صحيح أن المنطقة هادئة للغاية ويستحيل أن يجوب بذهنك أن هناك جريدة هنا، لكنها كانت بالفعل موجودة حيث تصعد درجا ما حتى تصل لباب عليه لافتة بلاستيكية كتب عليها "جريدة الحقيقة الوحيدة"، ما لا يعرفه القراء ولا يعرفه أحد في البناية أن هذه الجريدة تقدم أخبارا أدق مما تتصور أو مما يتصور أي صحفي بالعالم ولهذا سر صغير بالتأكيد.. تدخل عبير مكتب الأستاذ فوزي رئيس التحرير. تفرع الباب المفتوح بخفة وتدخل، هس وجهه قليلا وأشار لها بالدخول فأدركت هنا أنه يجب عملها، لم تكن صحفية رديئة قط في فانتازيا! قال لها وهو يوقع بعض الأوراق: (هذه المرة سيكون عليك أن تتوجهي إلى البصرة حالا، أما الزمان فهو العصر العباسي.. هناك حدث جلل سوف يقع وعليك أن تكوني موجودة) المواجهة هي بين "سيبويه" و "الكسائي" أو بالأحرى بين علم نحو البصرة وعلم نحو بغداد، لكن كان عليها أولا مقابلة سيبويه ومعرفة تاريخ حياته وعلاقته "بالخليل بن أحمد".. فتح الأستاذ فوزي الباب لترى النفق التي اجتازته عشرات المرات من قبل! لا يعرف أحدا أن الجريدة تقع فوق ممر زميني، ممر من الممرات التي يحلم بها كتاب الخيال العلمي يكفي أن تجتازه لتكون في زمن آخر ومكان آخر. هكذا خرجت عبير من الناحية الأخرى للنفق لتجد نفسها تقف وسط ساحة يحيط بها أكثر من مسجد، جمالاً تحمل غلالاً، بينما شاعر عابث يطارد جارية حسناء، وأطفال يلعبون بطوق، وسقاء يحمل قرية جلدية مليئة بالماء المعطر يطوف بها على مجموعة من طلاب العلم الواقفين يتناقشون في شرح إحدى المعلقات النخيل في

مكان وهناك نافورة لا بأس بها^١.. بالرغم من غرابة وجود شخص بملابس وأدوات
عصرية وسط مجتمع بدائي بسيط، كان تفاعل الناس معها عاديا، وكأن الأمر طبيعي
بالنسبة لهم، وهذا ليس بالأمر الصادم بالتأكيد لأننا في (فانتازيا).

أما عن المثال الآخر على الانتقال الآني هو تنقلات عبير في رواية (يوم غرق
الأسطول)، حيث تبحث عبير عن شريف في خيالها، لم تكن تعرف مكان وجوده،
لكن المرشد قال لها أن شريف يلعب دور بحار في أسطول يوشك على تلقي ضربة
قاضية^٢، فراحت عبير تسافر بين الآنات لتعيش واقع أعظم المعارك البحرية على مر
التاريخ.. كانت شخصيتها أقرب إلى الشخص الخائن الذي يكون السبب في خسارة
المعارك، وبالرغم من كشف حقيقتها كل مرة، إلا أنها كانت تنجو عن طريق الانتقال
الآني..

بعيداً عن الخيال؛ ماذا لو نجح العلماء في تحقيق هذه النظرية، وتمكن البشر من
الانتقال بشكل آني! ماذا لو انتقلت الكتلة البشرية في سرعة كبيرة وبشكل لحظي من
نقطة إلى نقطة أخرى؟.. تبدو الفكرة مستحيلة، لكننا بطبيعة الحال لا نملك أي فكرة
عن المستقبل البعيد..

الأساطير والأبطال

الأساطير هي صورة فطرية ساذجة لعقائد القدماء، أما الملحمة فهي تختلف بالتأكيد
لأنها تتعامل بشكل شعري مع أحداث تاريخية حقيقية وإن أدخلت ما تشاء من خيال
عليها، وبالعادة تأخذ الملحمة شكل رواية^٣. حيث يقول د.محمد عناني إن صفات
الملحمة الأولية هي:

^١ - شيء من حتى، سلسلة فانتازيا، العدد ٤٤، ص ٢٩.

^٢ - يوم غرق الأسطول، سلسلة فانتازيا، العدد ٤٩، ص ١١.

^٣ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٩.

- الضخامة: لا بد من ضخامة الملحمة ولا بد من صراعات تاريخية وحروب تمتد لسنوات طويلة.

- وحدة الحدث: لا بد من وجود حبكة واحدة رئيسية مهما تفرعت الحبكات الفرعية.

- البطولة: دائما ما يجب أن يكون البطل فوق الواقع، لا يمكن أن يكون بطل الملحمة شخص عادي!

- الخرافة: إن المصدر الوحيد لفهم الديانات الوثنية القديمة هو الملاحم القديمة.

- نقاط تقنية لا يفهمها إلا المختصون، مثل البدء من النصف والعودة إلى الماضي ونقطة البداية.

ما معنى البطولة؟.. البطولة هي محاولة للوصول لوعي متكامل.. إنها المحاولة الجاهدة لدمج قمة جبل الجليد المتمثلة بالوعي بجبل الجليد المغمور نفسه المتمثل باللاوعي، هذه المحاولة تسعى لدمج الكيانات المفككة لتصير كيان واحد وهذا ما يطلق عليه اسم (التفرد)^١.. إن البطولة هي محاولة الوصول إلى الاستقلال، التحرر من البيت والبيئة وسلطة الأبوين، من الممكن أن يكون البطل ذكر أو أنثى لكنه يفارق عالمه اليومي ليقوم برحلة إلى عالم خاص مليئ بالتحديات ويقهر مخاوفه من أجل جائزة المعرفة أو الشهرة. ربما يكون الأمر معقدا نوعا ما، فكل مانعرفه عن البطل هو بطل وكفى، إنه أبو زيد الهلالي وأدهم صبارة وعنتر، بالحقيقة البطل هو الذي يمنحه القارئ توكيلا ليفعل كل ما يعجز عنه هو. لكن لا ينتمي كل الأبطال للنموذج الشجاع الذي نتخيله، فهناك أنواع أخرى من الأبطال وبعضها غريب نوعا ما، مثلا (ضد البطل) قد تكون شخصيته خارجة عن القانون إلا أنها تنال إعجاب وتعاطف المتلقي.

هناك البطل المنتمي لجماعة، يبدأ مغامرته مع جماعة ثم ينفصل عنهم ليبدأ مغامرته الخاصة. وهناك البطل المنعزل الذي يبدأ مغامرته وحيدا ومن ثم يجد جماعة ينضم إليهم ويخوض

^١ - البطل ذو الألف وجه، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٨.

مغامرات جماعية معهم وفي النهاية يودع الجميع ويعود إلى حياة الوحدة^١. وهناك البطل المساعد الذي يغير حياة الآخرين لكن لا يغير نفسه. أما عن البطل الناصح فهو يلعب مزيجاً من دور الأب والمعلم، إنه الضمير أو الأنا العليا.

الأوهام العلمية

قبل (فرويد) كانت الفكرة المسيطرة على الطب النفسي هي أن المرء يسيطر بالكامل على ذاته ويعرف كل دهاليزها.. فرويد أدخل مفهوم اللاوعي.. كل شيء يحدث في أعماق وعينا، نحن لا نعي أكثره ولا نتحكم فيه.. هناك طبقات فوق طبقات تمنعنا من معرفة ما يدور هنالك. في اللاوعي تكمن كل الخواطر والذكريات الأليمة، في حين نعتقد أننا نسينا كل شيء العقل الباطن يحتفظ بكل شيء.

وكان فرويد يرى بأن (عقدة أوديب) تسيطر على وجداننا منذ الطفولة، الطفل يجب أمه ويرتبط بها، بينما يعتبر الأب دخيلاً وعدواً. هذا النشاط يصل لذروته عند سن الخمسة أعوام ثم يهبط.. دعك من حسد الطفلة لأخيها لأنه يملك صفات الذكورة، بينما يخشى الطفل أن يفقد هذه الصفات في ظروف غامضة.

الدافع الجنسي أو الليبيدو هي رغبة الشخص في ممارسة نشاط جنسي، وتتأثر هذه الرغبة بعوامل بيولوجية واجتماعية ونفسية. ويشير فرويد إلى أن هذه الدوافع الجنسية يمكن أن تتعارض مع الأعراف السلوكية الحضارية، ممثلة في (الأنا العليا)، إنه الاحتياج للتكيف مع المجتمع المحيط والسيطرة على الرغبة الجنسية التي تؤدي إلى التوتر والاضطراب^٢، مما يدفع إلى استخدام (دفاعات الأنا) لتبديد الطاقة النفسية لهذه الاحتياجات الغير ملبأة. ويعتقد فرويد أن زيادة (الليبيدو) لا تنتج عن الانطباعات العارضة وحدها، بل تعتمد على موجات متعاقبة من العمليات التمهضية التلقائية،

^١ - البطل ذو الألف وجه، ، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص٦٩.

2. a mammalian brain system for mate choice.

لأن الرغبات الدافعة في الطفولة لا يستغنى عنها في تكوينه، ولا يتعرض خيط من خيوط الفكر السلوكي لمعالجة نفسية غير سوية إلا إذا حولت له رغبة لا شعورية مكبوتة منذ الطفولة.. إن مركب (أوديب) يمكن ترجمته من الجهة الأخرى بتسمية غير موفقة تماما وهي (مركب الكترا) لكن المبدأ واحد، وهذا ليس مرضا نفسيا قدر ما هو حالة من حالات النفس.

كتاب (تفسير الأحلام) الخاص ب (أدلر)، أي الكتاب الذي يشرح كل نظرياته، هو كتاب الشخصية العصابية الذي صدر عام ١٩١٢، محور فلسفته هو أن كل شخص يتحرك من أجل الشعور بالتفوق.. أن ينتقل من الشعور بالضعف إلى العظمة أو الكمال وهكذا تكون القوى المحركة للإنسان هي مركب النقص. ولو حدث ما يعيق الإنسان عن الوصول إلى الاكتمال الذي يبحث عنه، فإنه يصير خطر على نفسه وعلى المجتمع.. لهذا يتم استخدام منهج (علم النفس الفردي) للوصول إلى هذا الفرد المعقد.

وقسم أدلر البشر إلى عدة أنواع وهي^١:

- ١ النوع الآخذ: وهو الشخص الذي يأخذ فقط، أناني مزعج ولا يفيد المجتمع بأية شيء. ومن الصعب أن يعرف هذا النمط نفسه فكل إنسان يعتبر نفسه مثال للعطاء والتضحية.
- ٢ النوع المسيطر: يخشون التعامل مع المجتمع لأنهم يفتنون الهزيمة.. لو حققوا شيئا فليس هذا راجعا لكفاحهم.
- ٣ النوع المسيطر: يفعل الشخص أية شيء للوصول لما يريد، ومن السهل أن يكون عدو للمجتمع.
- ٤ النوع الاجتماعي: كما يدل الاسم فهذا النوع من البشر اجتماعي.

^١ - هي وأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٧٢.

أما عن (كارل يانج) فهو يعتقد أن اللاوعي عملية خلاقية متجددة تتراكم فيها خبرات الأجيال وما نراه في الأحلام ما هو إلا رموزا تراكمت عبر الأجيال من الحكايا الشعبية والأساطير القديمة والشعر.. إنه اللاوعي الجمعي، يجب علينا أن نقيم علاقة طيبة مع كل هذه الأشياء الموجودة في اللاوعي لكي نتمكن من عيش حياة سليمة.. لو غرقنا في اللاوعي جننا ولو فكرنا في الابتعاد عنه لصرنا متبلدين. الطفل الرضيع هو ذاته رجل الكهف بمعتقداته، هكذا يمكن فهم الأمر^١.. نحن ننضج ونصير أفرادا في المجتمع وكذلك تتقدم البشرية وتنضج.. العصاب ليس إلا العودة للمراحل الأولى للإنسان البدائي.

ويملك يانج (مفهوم الظل)، والظل يرفض الشخص الواعي أن يعترف به في نفسه.. وهو يظهر في الحلم على شكل أشباح سوداء من نفس جنس الحالم. ومن نظريات يانج المعروفة نظرية (الحب من طرف واحد)، فهو يعتقد أن كل رجل يحمل جزءا من الأنثى في أعماقه دون وعي واسمها (أنيميا)، كما أن كل أنثى تحمل جزءا من الرجل هو (الأنيموس).. أحيانا نشعر بانجذاب مفاجئ لشخص ما والسبب هو أننا نرى الأنيميا أو الأنيموس الخاصة بنا فيه.. الأنيموس عند المرأة هو مصدر التفكير المنطقي العقلاني، بينما الأنيميا عند الرجل هي مصدر التفكير المتهور غير المنطقي^٢.

القوى الميتافيزيقية

في خضم تطور الإنسان ونشأته ظهرت الكثير من التجليات، تجليات ترسخ مفاهيم عدة بهدف إيجاد حقائق تقدم تفسير منطقي للوجود، فالإنسان يشعر دائما بالخوف من وجود قوى تسيطر عليه. وشعور الخوف هذا هو شعور أزلي رافق الإنسان منذ القدم. وتدعى هذه القوى "القوى الميتافيزيقية" التي تتضمن فكرتها وجود عوالم من

^١ - هي والأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٨٧.

^٢ - المصدر السابق، ص ٨٩.

الأشباح والسحر والعرافيت. لقد انتقلت الفكرة من الأسلاف عن طريق السرد القصصي أو النقل الحكائي عن الملاحم والبطولات التي خاضها الإنسان مع أقرانه من البشر. ودفع هذا الإنسان إلى الإقتران بمحسوس واقعي ضمن حدود فهمه للقوى العليا، فاتخذ منها معبدا وملجئا يقصده في أيام عسره^١.

تعد الميتافيزيقيا من أهم الموضوعات الفلسفية التي تدرس وصف الطبيعة الأولى للأشياء، وقسم أرسطو الميتافيزيقيا إلى ثلاثة أقسام:

الأنطولوجيا: يهتم هذه العلم بتصنيف كينونة الموجودات المادية والحسية ودراسة خصائصها.

علم اللاهوت: ويهتم هذه الفرع بالبحث في طبيعة المعتقدات الدينية وطبيعة الروح والإيمان.

العلم الكلي: يتجه لدراسة المبادئ الأولية للمنطق والاستدراك العقلي.

في رواية (البطل ذو الألف وجه) تصعد فتاة عذراء على المنصة لتنام على المذبح فيقوم الكاهن برفع ذراعه بسيف بتار ويهوي على عنقها! لتكون قربانا بشريا.. يحدث هذا المشهد وسط نيران تصل إلى عنان السماء ومجموعة من الناس يرقصون حولها.. وبعد لحظات من ذبح العذراء يخرج الإمبراطور من وسط النيران ليبعث من جديد، وكأنه الشيطان مجسداً. وتعتبر القرابين البشرية جزءاً أصيلاً من الثقافة الدينية غير السماوية، أي الدين الذي اخترعه الإنسان^٢.

العنقاء هو طائر ضخم خيالي يمتاز بالجمال والقوة، وورد ذكره كثيراً في الأساطير العربية القديمة. أما في فانتازيا وبالتحديد في الشاهنامة نرى ظاهرة بيولوجية غريبة،

^١ - الفانتازيا في النص المسرحي العراقي المعاصر، د.مصطفى جلال مصطفى، جامعة ميسان، ص ١٧٥.

^٢ - البطل ذو الألف وجه، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٨، ص ١١٨.

العنقاء تجيد التوليد والتربية، فالعنقاء كانت ربيبة زال وساعدت في ولادة ابنه.. يبدو أن العنقاوات مثقفات جدا في فانتازيا.

يتحدث (لافكرافت) عن حقب حكمت فيها تلك الكيانات القديمة الأرض وكانت لهم مدن عظمى. وبقايا تلك المدن موجودة في بعض جزر المحيط الهادي. هم موتى لكن من الممكن أن يعودوا لو اتخذت النجوم موضعاً مناسباً. هم ليسوا من لحم ودم، لهم أشكال لكنهم غير مكونين ما مادة، كلهم ينتظرون في المدينة العظيمة (رليه) حتى يلقي التعاويذ كاهنهم (كتولو).. ينتظرون في الظلام ويحلمون، فتمر عليهم ملايين السنين، لكنهم يعرفون كل ما يحدث في الكون لأنهم يتفاهمون بالأفكار. سوف ينتظرون الوقت المناسب حتى ينهضوا، ليس من الصعب معرفة الوقت المناسب لأن البشر سيكونون وقتها كالأحاد القدامى. أحرارا لا يبالون بالخير أو الشر ولسوف يقتلون بعضهم البعض بعد التخلص من الأخلاق، وسوف يعلمهم الأحاد القدامى وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون.

قال لافكرافت أن مركز هذه الديانة كان في صحراء العرب حيث توجد (إرم) ذات العماد، وأنه لم يرد ذكر لها في أية كتاب ماعدا كتاب (نيكرونوميكون) الذي كتبه الشاعر المجنون (عبدالله الحظرد).

مصاصو الدماء "حكايات من والاشيا"

دراكيولا هو مصاص دماء، لربما يبدو متأنقاً ووسيماً، لكن هذا الأمر يسهل عليه مهمته ويساعده في اجتذاب ضحاياه.. بطبيعة الحال مصاصي الدماء في القصص يكونون أدنى إلى الرقي وأساليب السادة المهذبين ودراكيولا أكبر مثال على ذلك. بالنسبة له فهو بطل روماني قديم، حارب الأتراك بضراوة وحرر إقليم (والاشيا) من قبضتهم.. صحيح أنه كان قاسيا وكان يضع رؤوس أعدائه على مائدة الإفطار لينعم

بالموت في عيوتهم، لكنه لم يمتص دماء أحد، إنها الأسطورة التي أشاعها الناس عنه، وأطلقوا عليه اسم الشيطاني.. إنها سمعة سيئة سرعان ما تحولت إلى أسطورة خالدة.

في فاننازيا يعيش دراكيولا بمعطيات ومقاييس تلك الأسطورة، لهذا هو الآن مصاص دماء ينام في التابوت نهاراً ويصحو ليلاً لمتص دماء عابري السبيل^١، ويحتفظ دراكيولا بالفتيات اللواتي امتص دمائهن وحوهن إلى مصاصات دماء في قبو القلعة في توابيت خاصة. يعتقد العجر أن مصاصي الدماء لهم عالم موازي خاص بهم، لكن توجد ثغرة بين العالمين وهذه الثغرة تقع في الاشياء، ومن حين لآخر ينجح أحد مصاصي الدماء بعبور الثغرة ليجد نفسه في عالمنا.. العجر يعرفون كثيرا عن مصاصي الدماء غير الموتى، الذين ينامون في التابوت، هم لا يطيقوا الشمس ولا الصلوات ولا الماء المقدس ولا رائحة الثوم.. يوجد نوعان من مصاصي الدماء، النوع الأول يفرغ دم ضحيته فتموت فوراً وهذا لحسن حظ الضحية بالتأكيد. أما النوع الثاني يفرغ كميات محدودة على أيام متوالية وهذه تجربة مريرة تنتهي بالموت، أي الموت كما يبدو لنا، لكن هذه هي البداية فقط، إذ سرعان ما تتحول الضحية إلى مصاص دماء داخل القبر، وتغادر الضحية عالم الأحياء لتدخل في عالم اللاموتى.. وعبير التي كان يتغذى على دمها مص الدماء دراكيولا، تنهي أسطوره أخيراً وتحرر منه بعد حرقه بأشعة الشمس وتركه يتفحم ببطئ. لكن دائما ما يكون هناك نقطة يبدأ العودة منها في المستقبل. وهذه النقطة يمكن أن تتمثل بخاتمه أو قلاذته أو أيأ من أشياءه..

^١ - حكايات من والاشياء، سلسلة فاننازيا ط ٢، د.أحمد خالد توفيق، ص42.

الفصل الثاني

أوبرا الفضاء، خيال علمي صعب، التاريخ البديل، و السايبربانك

أوبرا الفضاء

"قد تذكرنا قصة سمير عاشق غيداء بقصة سيرانو الأديب غريب الأطوار الذي أحب روكسان ولم يجرأ على مصارحتها بسبب قبحة وأنفه الكبير، فكلاهما يملك غريزة التفاني وتعذيب الذات. لقد كان سيرانو مفكرا حرا وقد كتب البذور الأولى لأدب الخيال العلمي، فقد وصف رحلات خيالية إلى القمر.. هناك يهبط على القمر حيث يخضع لمحاكمة تجربها الطيور. ويقول "آرثر كلارك": (يجب أن ننسب لهذا الرجل أنه أول من فكر في الصاروخ والمحرك النفاث).. ويحكى أن كتاباته ألهمت "سويفت" كتابة رحلات جنيفر، وألهمت "فولتير" كتابة (ميكروميخاس)^١."

لقد كتب (سيرانو دي برجيراك) خليطا إبداعيا من الخيال والأدب والعلوم، ويتميز أسلوبه الخيالي بإيصال الأفكار للمتلقي بطريقة يقتنع بها تماما بالمضمون، ومن أهم أعماله (دول وإمبراطوريات القمر) وسلسلة (دول وإمبراطوريات الشمس).

يسعى سيرانو الوصول إلى القمر ليثبت أن هناك حضارة تسكن القمر وتنتظر للأرض على أنها قمرها، ويحاول الإقلاع من باريس عن طريق ربط زجاجات من الندى بنفسه، لكنه يطير ومن ثم يفشل ويرتد إلى الأرض. ويحاول مرة أخرى عن طريق آلة طيران يطلقها من حافة الجرب لكنه يفشل مجددا.. وفي المحاولة الثالثة يصل للقمر ويكتشف وجود سكان لهم أربعة أرجل، وأدوات مدهشة يستخدمونها للطبخ، ويناقش الفلاسفة هناك في تصوراتهم عن الألوهية وإمكانية تحقيق الخلود، وبعد الكثير من المناقشات الفلسفية يعود إلى الأرض.

^١ - الملل بعينه، سلسلة فانتازيا ٤٢، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٦.

خيال علمي صعب

لقد صارت ألعاب الفيديو ثقافة بجد ذاتها.. كل عمل أدبي ناجح يتحول إلى فيلم والفيلم يتحول إلى لعبة فيديو وأحيانا يحدث العكس. لقد صارت هذه الألعاب جزءا مهما من ثقافة الشباب المعاصر، جزء من مكوناته الشخصية.. كما تحوي أغلب الألعاب على عنصر إدماني يجعل قدرات اللاعب الذهنية تتلاشى ببطء مع الوقت. يسعى المنتجون لتقديم أكبر قدر من الدماء والعنف، وهذا هو ما يتخذ الصراع بين الشهوات والضمير.. أي ما بين نريده وماتريده التقاليد.. وتلام هذه الألعاب على أنها تغييب الشخص عن الواقع وتنمي الحس السادي، القتل يبدو ممتعا ومقنعا عندما لا ترى سوى فوهة المسدس المسلطة على عدوك.. أي خيال هذا الذي يستبدل الجنود النازيين بتلك المسوخ المتحولة إلى زومبي، إنها عقيدة السفاحين، هذه هي عقيدة السفاحين وهكذا يفكرون.

هذه تجارة عملاقة تتعامل بالملايين، وكل لعبة موفقة يتم تصميمها لكل أنواع الحاسبات في نفس الوقت^١.

بشكل عام هذه الألعاب ليست إلا نوعا من قص القصص بشكل تفاعلي.. السينما مثلا تجعلك تتقمص الشخصية لكنك عاجز عن تغيير سلوكها على الشاشة، بينما ألعاب الفيديو تسمح لك بأن تكون متفرج ومؤلف ومخرج في الآن ذاته^٢.. ويدعى هذا النوع من ألعاب الفيديو (ألعاب التقمص)، وهي نوع من خلق الدراما المرتجلة، وقد ظهرت أول مرة بصورة بدائية في لعبة (الكهوف والتنانين) في عام ١٩٧٥. ولا ننكر طبعاً أن هناك بعض الأفلام التفاعلية لكنها محدودة، يمكنك هنا تغيير النهاية كما يجلو لك.

^١ - في جحيم الألعاب، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٩، ص ٢٠.

^٢ - المصدر السابق، ص ١٩.

إن الغش في الألعاب هو فن يجد ذاته، حيث يصمم أغلب المبرمجون بابا خلفي للهروب لكي لا تمل من اللعبة، وأساليب الغش هذه يبحث عنها هواة الألعاب ويتبادلونها كأسرار مقدسة.

التاريخ البديل

التاريخ البديل هو فرع من الخيال العلمي يضم قصصا تحدث فيها الأحداث التاريخية الهامة بشكل مختلف تماما عن الواقع. وأساس هذه القصص هو سيناريو "ماذا لو" .. ماذا لو تبدلت الأحداث لتعطي نتائج أخرى تغير مجرى التاريخ.. بطبيعة الحال هذه القصص مبنية على حقائق علمية يضاف إليها بعض الخيال^١.

انتشر هذا الفرع من الأدب في الخمسينات ليندمج مع عدة استعارات في الخيال العلمي كالسفر في الزمن الذي يقسم التاريخ إلى مسارين مختلفين أو أكثر، فأصبحت موضوعات انقسام الوقت والسفر في الزمن وغيرها قضايا متشابكة ولا يمكن التفريق بينها.

وتمحور (فانتازيا) حول هذا النوع من الأدب، فالكاتب يطرح باستمرار أفكار السفر عبر الزمن والانتقال الآني وانقسام الوقت. وسلسلة فانتازيا بشكل عام تناقش أحداث تاريخية ذات أهمية كبيرة، كالشاهنامة واكتشاف منابع النيل ونهاية جيفارا ومبارزة سيوييه والكسائي وتحالف هتلر وموسليني وغيرها الكثير، فأضاف الدكتور (أحمد توفيق) بعض الخيال على القصص الحقيقية لجعل الأحداث أكثر إثارة.

جعل الكاتب من عبير شخصية هامة في كل رواية، وهي شخصية خيالية لا وجود لها لكنها تتفاعل مع الأبطال بشكل مثير للإهتمام، وأكبر مثال على هذا رواية (فلننغذ الدوتشي) حيث قادت عبير مجموعة من الجنود الألمان لتحرير موسليني، وفي

¹- The Best Alternate History Stories of the 20th Century ،New York: Del Rey, 2001, p5

رواية (شيء من حتى) كان لعبير تأثير كبير على سيبويه، فهي كانت تحفزه في كل شيء وهي التي أفنعتته بالزواج. ويتجلى أدب التاريخ البديل في رواية (الملل بعينه) حيث جعل الكاتب من عبير محورا للقصة وجمع حولها أبرز العاشقين على مر العصور كعنتره بن شداد وقيس بن الملوح.

السايربنك

لا بد من أن يترك العلم الحديث بصمته في مجال الأدب، فمع انتشار الحواسيب والتكنولوجيا، ظهر نوع جديد من الأديب يدمج الفن بفانتازيا العلم، ويطلق عليه السايربنك. ويهتم هذا الأدب بدراسة التطورات في تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي والتحكم في مجتمعات ما بعد الديمقراطية. كما يسعى هذا الأدب لاستشراف المستقبل وتصوير حياة الإنسان فيه. وقد ظهر السايربنك في أوائل الثمانينات لي طرح فكرة أزمة الهوية في زمن الثقافة الفائقة بتجلياتها السلبية.

وعندما نتحدث عن السايربنك، لا بد أن نذكر جهاز الكمبيوتر الخاص بعبير وطريقة تفاعلها معه. فهي تعيش مع جهازها بمعزل عن العالم كله، وربما أصبحت حياتها وطريقة عيشها محكومة بالكمبيوتر.

لقد بدأت فكرة فانتازيا بخاطر ومن ثم باحتمال، وبعدها استطاع شريف من أن يخط عشرات المخطوطات لفكرته المجنونة.. فكرة تصوير الأحلام التي لم يجرؤ على أن يصارح بها أحداً.. إن الأحلام عبارة عن نبضات كهربائية خافتة تعبر أجواز المخ من خلية إلى أخرى، فلم لا نلتقطها ونترجمها، إن الفكرة ذاتها حلم كبير لكنه قابل للتحقيق. وهكذا قرر شراء جهاز رسم المخ الكهربائي، لكنه واجه الكثير من الفشل، فهو بكل الأحوال أستاذ في برمجة الكمبيوتر ومجال تفكيره بعد كل البعد عن دوائر وتوصيلات الكمبيوتر..

في البدء قام بتحويل عدد من الصور الفوتوغرافية إلى صور على شاشة الكمبيوتر صالحة لدخول ذاكرته، وبعدها عكف على دراسة جهاز رسام المخ الكهربائي، ليتعرف على طريقة تحويل الأفكار المجردة إلى نبضات كهربائية. وبمساعدة مهندس إلكترونيات تمكن من تصميم دائرة توفيقية قادرة على نقل نبضات رسام المخ الكهربائي إلى جهاز الديويتايزر، لتُنقل إلى الكمبيوتر بيانات رقمية تسمح له برسم صورة. إن ترشيح نبضات المخ الخاصة بالتخيل كان عملاً مستحيلًا، لكنه لاحظ أن لها ترددًا معينًا يمكن قياسه واستبعاد ما دونه وما فوقه، وبالتالي يتم ترشيحه وتوصيل اللازم إلى الكمبيوتر، ثم يترتب على الكمبيوتر أن يعيد ترتيب النبضات على شكل صورة محددة المعالم ومتحركة. وفي الأيام التالية بدأ يخلق أفلاما كاملة لها حوار وأحداث بدون ممثلين أو مخرجين، الأفلام ولدت من خلايا مخه وحده لكن تبقى مشكلة التركيز المشكلة الرئيسية، فكلما قل التركيز تشتتت الصورة وضاعت معالمها..

إن إختراع شريف غريب حقاً ومسل، لكن من الصعب أن يجد التركيز الكافي لعمل أفلام روائية طويلة، ولو أنك حاولت أن تتخيل لبضع دقائق منظر ساحة قتال يتعارك فيها جيشان لأدرت تعقيد الأمر، من المستحيل تقريباً أن تحافظ على التتابع في خيالك.. الأشياء تكون رمزية عند التخيل، لكنها على الشاشة تغدو هيستيريا حقيقية، والمباني تتحول إلى بقعة من اللون الرمادي لأنك بالطبع غير قادر على تخيل كل نافذة وكل جدار في المبنى.

شريف متأكد من أن اختراعه يعمل، لكن هنالك بعض المشاكل العسيرة، فصراع الأفكار الداخلي يجعل استجابة المخ للإيحاء شبه معدومة. إن من يمر بهذه التجربة لا بد أن يتمتع بمواصفات معينة:

- ١ - يجب أن يكون شخصاً ضعيف الإرادة سهل الإيحاء إليه.
- ٢ - يجب أن يكون جاهلاً بالعلوم تماماً.
- ٣ - يجب أن يكون واسع الاطلاع في الأدب.

- ٤ - يجب أن يكون رومانسي النزعة وأن يكون واسع الخيال، وبعبارة أخرى يجب أن يكون امرأة.
- ٥ - يجب أن يقبل أن يقبل وضع الأقطاب المربعة على مجتمته.^١

^١ - قصة لا تنتهي، سلسلة فانتازيا ١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٠.

الفصل الثالث

غزوات الأرض والفضاء، مخلوق خارق الطبيعية، الطيران والاختفاء، واستحضار الأرواح

غزوات الأرض والفضاء

تعيش عبير في رواية إمبراطورية النجوم عالم الفضاء.. عالم المكوكات والسفن الفضائية، هذا العالم نسج من قصص (برادبوري) و (أزيموف) و (كريتشون) و (نهاد شريف).. تبدأ مغامرتها وهي تمشي على أرض زرقاء اللون مرتدية حذائين معدنيين براقين، وجسدها مغلف بالكامل بالألومنيوم، هي أحد الكائنات الآستورية التي تتنفس على الأوكسجين.. ويصور لنا الكاتب التقدم العلمي الذي وصل إليه سكان الكواكب الأخرى، فهم الآن قادرين على تحليل الشيفرات الوراثية بسهولة واستنساخها وخلق أشخاص جدد مشابهيين للأفراد الأصليين.. تخضع الكواكب كلها لجالاكتيكا، وجالاكتيكا هي أمة من مجرة نائية عملت على تطوير أسلحتها ومن ثم مدت قبضتها للسيطرة على باقي المجرة وبعدها حاولت السيطرة على المجرات الأخرى، يمكن القول أنهم عملياً يحاولون احتلال الكون بأسره تحت زعامة (زولتار) والحكام العشر، ومع وجود الطغاة هناك ثوار بالتأكيد في كل مكان بالمجرة. ويوجد في جالاكتيكا ذلك الكومبيوتر العملاق المدعوب (يونيفرس) الذي يحتفظ بالمعلومات الخاصة بكل الأفراد بكوكب جالاكتيكا وبالكواكب الأخرى، حتى أنه يعمل على حماية جالاكتيكا ويسجل الرقم الأيوني لكل مكوك يدخل الكوكب. كما تصنع جالاكتيكا بطاقات كونية لكل رعاياها وتخصص لكل مخلوق رقماً مميزاً.. وبكل تأكيد هذا الرقم المميز لا يشير للرقم البيولوجي للحمض النووي الخاص بالكائنات، فأكثر كائنات الكون بالأساس لا تملك حمضاً نووياً، كما يعتمد بعضها على الأورجانا شفرة الحياة الكونية، وبعضها لا يعتمد على أية شفرة، والرقم الموجود على البطاقات يدل على النوع

والكوكب والانتماء السياسي.. يمكن أن القول دون مبالغة بأن الكمبيوتر العظيم يونيفرس يعرف كل المعلومات عن كل مخلوق في نطاق سيطرة جالاكتيكا، ومن المستحيل تزوير البطاقات الكونية أو التخلص منها، فبمجرد التخلص منها سيوضع الفاعل في قائمة الثوار أو غير المنتمين.

تنقسم روايات الخيال العلمي من منظور الكاتب أحمد توفيق إلى قسمين:

- ١ - العلم المدمر: حيث يصير العلم في يد عالم مجنون، هو السبيل لخلق مشكلة مروعة تجعل الحياة أسوأ.
- ٢ - علم الإمبراطورية: علم سيوف الليزر والروبوتات والأطباق الطائرة.. وهنا يصير العلم مجرد قشرة، تغلف الأحداث التي هي أقرب إلى قصص رعاة البقر.^١

بشكل عام الخيال العلمي الحقيقي يقوم على محاولة تطبيق نظرية علمية وتخيل ماسيحدث في حال تحققت. وهذه الرواية تناقش فكرة شاعت في القرن العشرين تدعى (ما بعد المحرقة)، وفي حين أجمعت كتب الخيال العملي على أن كوكب الأرض يسير نحو كارثة نووية أو بيولوجية، يغوص الكاتب أحمد توفيق في تصوير حال كوكب الأرض بعد الكارثة وكيف أن الكارثة أفنت الحياة على الكوكب ولم تعد هناك سوى حفنة من القبائل يعيشون كرعاة البقر في الوديان والصحاري محاولين باستمرار استعادة المذاق الحميم للماضي، وبالطبع البقاء هنا للأقوى، وكل إنسان يفعل ما يروق له، والليزر هو القانون الوحيد الذي يحكم العالم، أما عن مشاكل أمراض قبل المحرقة فقد تمت السيطرة عليها بالتأكيد ووجد العلاج المناسب لكل مرض مزمن.. الغريب بالأمر أن شعوب ما بعد المحرقة لا تقيم وزناً لكبار السن، بل يطعمونهم للكلاب دون أية رحمة، لكن لا بد من وجود استثناءات في كل مكان، و ذو الحجا هو واحد من هذا الاستثناءات، وهو رجلٌ عجوز تجاوز القرن من العمر.. رجل فريد من نوعه، استطاع بحكمته أن يظل حياً

^١ - إمبراطورية النجوم، سلسلة فانتازيا ٣، د. أحمد خالد توفيق، ص ٩٦.

ويهزم كل خصومه، وهذا جعل منه رجل ذا قيمة استشارية عالية. والآن يلجأ إليه الناس لإيجاد خطة للإيقاع بأمة جالاكتيكا الذين يحاولون تدمير الأرض. هم يعتقدون أن كوكب الأرض صار عبئاً على الكون بكل مافيه من إشعاعات وعوادم مركبات، وسيكون تدمير الأرض حفلاً كونياً يبين للناس مدى عظمة جالاكتيكا، ولسوف يرتجف الثوار في كل أرجاء الكون حين يعرفون أن كوكباً كاملاً أيبد بما عليه من أحياء.. قد يكون الأمر مضحك بعض الشيء بالنسبة لنا بسبب التباعد الكوني، لكن هنا سرعة الضوء قُهرت منذ زمن، بالإضافة إلى أن كوكب جالاكتيكا ينتقل بسرعة كبيرة بين المجرات، إنه أشبه بمدير نشط يهوى القيادة، وله القدرة على الدخول بأي مجموعة شمسية أخرى.^١

موضوع القضاء على الكمبيوتر العملاق يونيفرس أقرب ما يكون إلى المستحيل، لربما الطريقة الوحيدة هي وضع الكمبيوتر في مشكلة بلا حل.. والجدير بالذكر أن يونيفرس لم يعجز عن حل أية مشكلة من قبل، فهو يعرف عدد ذرات الرمل في الكون وعدد قطرات المياه في المحيطات. لكن عبير أخيراً تغلبت عليه عن طريق مسألة منطقية قديمة قد لا تخطر على بال أحد، حيث سألته قائلة:

- قل لي.. هناك فيلسوف من (كرت) أعلن أن كل سكان كريت كذابون.. فهل مقولته صحيحة؟

لقد عجز يونيفرس بالفعل عن حل هذه المعضلة ووقع في الشرك، لتنتهي هذه الأسطورة التي تحمي جالاكتيكا، وبالتأكيد تسقط دفاعات الكوكب ويُدمر بالنهاية لينتصر الثوار..

^١ - إمبراطورية النجوم، سلسلة فانتازيا ٣، د.أحمد خالد توفيق، ص ٩٤.

بالرغم من جنون الخيال في رواية إمبراطورية النجوم، وتصوير أشياء بعيدة كل البعد عن المنطق والواقع، إلا أن هذا لا ينفي إمكانية أن يكون الخيال هو الواقع كما يجب أن يكون!

مخلوق خارق للطبيعة

من وسط الدخان رأيت عبير ذلك العملاق يخرج.. ناري النظرات منكوش الشعر مشعث اللحية، يلبس دروعاً وكأنه من سادة القرون الوسطى وعباءة طويلة يجرها خلفه وهو يخرج من المركز، له رائحة غريبة خانقة كالكبريت.. يجثو (لافكرافت) على ركبتيه ويقول: "البارون فيرنكزي هنا.. إن هذا الشرف يفوق قدراتي على التحمل". لقد استعاد لافكرافت كيانه عن طريق الأملاح المحفوظة وهو ساحر عظيم مخيف القدرات جاء من رومانيا ومن وراء عالمنا.^١

"أريد بعض النبيذ!"

قالها فيرنكزي وهو يضرب المنضدة بقبضته في عصبية وعيناه تنقدان نارا، رد لافكرافت: "النبيذ يتلف الأملاح يا سيدي.. سوف تتحول إلى غبار".. نهض فيرنكزي بجسده الضخم القوي وأمسك بمعصم عبير، لتتغرس مخالبه الطويلة في لحمها.. التحرش شيء قبيح، لكن ماذا عن تحرش ساحر مमित متحلل ضخم كهذا!؟..

كان منظر فيرنكزي مثير للربح، أقرب شكل بشري للغيلان.. بدأت علامات التحلل تغزو جلده، هناك عين سقطت من مكانها كاشفة عن محجر فارغ قبيح، هناك شفة متآكلة وأصابع تساقطت..

كان العالم يمر بألحظ اللحظات الممكنة، بدأت المياه تفور في أكثر من بقعة بحرية، ثم ارتفع إلى السطح شيء صخري يشبه تلك الجزيرة التي وجدوا في كتولو. ومع المياه الفاترة يرى الناس كائناً ضخماً يتحرك، كائناً له سمات المخلوقات البحرية مع لمحة

^١ - وحدي مع لافكرافت، سلسلة فانتازيا، العدد ٦٠، ص ١١٨.

بشرية كابوسية.. لقد تذكر الجميع ما كتبه لافكرافت، وعرفوا أن كابوس هذا الأديب العبقري يتحقق.^١

يرى الفلاحون ذلك الرجل فارغ الطول يمشي.. رجل لم يروه من قبل، وله ملامح لم يعهدها قط، وكأنه نقش فرعوني متحرك ويخشى الجميع الاقتراب منه لسبب لا يعرفونه.. لقد تجرأ بعض الشباب ليفهموا من هو.. لوحوا بالعصى مهددين وهنا أدركوا أنه ليس بشراً، لقد تحول إلى نجمة بحر خماسية عملاقة، الرأس تخرج منه ممصات تتلوى في كل اتجاه. هؤلاء المساكين لا يفهموا أنهم جسروا على استفزاز (نيارلاثوتيب).. واحد من الآحاد القدامى له القدرة على المشي في الأرض والظهور كرجل عادي..

استحضار الأرواح

شاعت فكرة استحضار الأرواح في الحضارات القديمة في مصر والإغريق والرومان، وورد أقدم ذكر أدبي لهذه الفكرة في (أديسة هوميروس) وهي ملحمة شعرية يونانية كتبت في القرن الثامن قبل الميلاد. أما بالنسبة للعرب فكانت الفكرة موجودة في المعتقدات القديمة حينما كان للعرب اهتمام بشعائر الدفن وتأثير القمر على الأحياء والأموات وأرواحهم.. ومازال استحضار الأموات موجود حتى يومنا هذا، وهو شائع في دول الكاريبي ومصر والمغرب العربي، كما تمارس هذه الطقوس بعض الجماعات السرية في أمريكا وأوروبا.

تنطلق فكرة استحضار الأرواح من الإيمان بوجود الروح، حيث وجد أن المجتمعات البشرية منذ القدم تؤمن بخلود الروح، ففي المجتمع اليوناني القديم أشار أفلاطون إلى الخلود بالنسبة للنفس كما أكد على عودتها إلى العالم الحقيقي بعد انفصالها عن الجسد. وكذلك نرى أن الديانات أكدت وجود عالم آخر تنتقل إليه بعد أن تنتهي رحلتنا في العالم الحالي، فالدين بكل الأحوال قائم على أساس الناتج الحقيقي الذي يحصل عليه تبعاً للقوانين المثبتة، وبالطبع لا يمكننا اسقاط هذه الفكرة لأنه ليس

^١ - وحدي مع لافكرافت، سلسلة فانتازيا، العدد ٦٠، ص ١٢٢.

من المعقول أن يسعى هذا الوجود إلى العدم. هذا يؤكد أن الدليل على الخلود يتمثل بدليل فطري رفض أن يكون هذا الكون الدقيق خلق عبثاً بلا هدف. لكن بالرغم من قوة الدليل هناك بعض الماديين الذين يصرون على عدم قيام علم الروح. وجود إدراكات النفس دون استخدام الجسد هو شيء مؤكد، وهذا يدل على إمكانية إدراك النفس بعد الحياة كذلك، وهذا يؤكد وجود عالم روحي له أبعاد خارقة ما زالت مجهولة ليومنا هذا .

صور لنا الكاتب في رواية (الساحر وأنا) الصراع المستمر بين آرثر و هوديني الساحر الذي يسعى دائماً لمحاربة مدعي استحضار الأرواح، المشعوذ الشهير الذي يسعى لهدم أسطورة تحضير الأرواح، والأديب الشهير الذي يؤكد للناس أن الأرواح حولنا في كل لحظة، وأن هناك أناسا جباهم الله القدرة على الاتصال بها.

"إن أساس كل العقيدة الروحانية هو أن الروح نسخة أخرى من الجسد، تشبهه في كل شيء إلا أنها أكثر شفافية. وفي الأحوال الطبيعية يمتزج هذان بحيث يتوارى الجسم ذو الطبيعة الأرق. إلا أنه في ظروف معينة من الحياة ينفصل الاثنان، ويتولى الأخف منهما مهمة الحياة. هكذا عند الموت يتخلى أحد الكيانين عن الآخر ويتركه كأنه شرنقة غادرها محتواها ."

كانت هذه أبرز الكلمات التي كتبها آرثر في واحدة من أشهر المجلات.. وبالطبع هذه الكلمات تضايق هوديني كثيراً، فهو ساحر ولا يقدر أحد على خداعه، لقد رأى كل الخدع الممكنة ويستطيع تمييز كل شيء. ولهذا يضايقه أن يؤمن الرجل الذي هو من أعظم العقول في إنجلترا بهذا السخف، والمصيبة أنه يحاول أن يعطي صبغة علمية لهذه الخرافات.. أسوأ شيء في العالم أن يحاول المرء إعطاء الخرافات صبغة علمية.

لم يتوقف هوديني عم محاربة من يدعون القوى الخارقة أو استحضار الأرواح، وراح يسافر هنا وهناك يحضر جلسات تحضير أرواح ويسمع نبوءات وقارئ أفكار. وفي كل مرة يمد يده ليكشف عن أسلاك كهربائية مخفاة تقود إلى مكبر صوت، أو يكتشف العلامات الخفية على ظهر البطاقات التي يتنبأ الوسيط بمحتواها، أو يجد المخبأ الذي تخرج منه مادة (الإكتوبلازم) التي يزعمون أنها تخرج من النشاط الروحي.. في كل مرة

ينتصر وفي كل مرة يقدم التفسير العلمي لكل ظاهرة، والحقيقة أنه كان يمهد الطريق لجليل كامل من هادمي الأساطير جاء من بعده، أشهرهم اليوم (جيمس راندي) و (سوركار).

كان خصومه يتزايدون يوماً بعد يوم.. والحيلة السهلة التي لا تفشل أبدا هي زعموا أنه ملحد يعادي الدين، كأهم الدين نفسه.. هكذا وقف أمام الصحفيين يقول: "أنا لا أهاجم الدين فأنا لا أعتبر تحضير الأرواح جزءاً منه.. لكن هذا الشيء المسمى وساطة روحانية حيث يتصل وسيط بالموتى هو كذبة من البداية للنهاية. هناك نوعان من الوسطاء: أولئك الذين اختلت عقولهم ويجب أن يوضعوا تحت الملاحظة الطبية، وهؤلاء الذين يكذبون عمداً. لن أثق بشهادة وسيط روحي أبداً حتى وهو تحت القسم.. فالحنث باليمين لا يمثل لهم مشكلة أبداً. في كل عام تسرق ملايين الدولارات في أمريكا والحكومة لا تهتم بذلك لأنها تعتبر هذه الأمور مسائل دينية."

في هذه الأثناء ومع اشتداد المنافسة بين هوديني وآرثر، كانت شهرة الأخوات فوكس قد طبقت الآفاق.. الحكاية هي أنهن قادرات على الاتصال بالأرواح.. فقط عليك أن تذهب لكوخهن وتجلس هناك، ثم تطلب الروح التي تريد الكلام معها، وسوف ترد الروح عن طريق الطرقات، هذه الطريقة تسمى (التبتولوجي) كم أسماها عالم الروحانيات (ألن كاردك)، وقد قام الكثير من العلماء بزيارة كوخهن.. بحثوا في كل مكان وراقبوا كل شيء ولم يجدوا أية دليل على التلفيق، فصوت الطرقات لا يأتي من مكان محدد.. باختصار يأتي من عالم الأرواح .

إن النفس البشرية غريبة الأطوار بحق.. غريبة لدرجة تجعل بعض السفاحين يعترفون بجرائمهم بدون أي تهديد أو مبرر، فقط لأنهم معجبون ببراعتهم ويمقتون أن يموتوا دون أن يعرف العالم كم كانوا مهرة.. وهذا ما حدث مع الأخوات فوكس بالتحديد! الأخت الكبيرة التي تدعى "مارجريت" كشفت خدعة تحضير الأرواح التي كانت تقوم بها مع أخواتها، ووضحت كيف كانت تصدر الأصوات عن طريق حذائها الذي غفل عنه كل العلماء الذي حاولوا كشف سر الأخوات جاهداً.. وبعد الكشف

عن الخدعة قالت أمام الجميع: "كل موضوع الوساطة الروحية هذا نصب بنصب، لكنه نصب على أعلى طراز". لقد وجهت مارجريت ضربة قاسية لكل من يدافع عن هذا الموضوع. ومن ثم جاء رد آرثر الذي نشرته الصحف: "لا يهمني ماتقوله مارجريت أو مايقوله أي أحد آخر، أنا أعرف جيداً أننا قادرون على الاتصال بالعالم الخفي".. العجوز مصر على المضي في غيه وفي كل مرة يبرهن على أنه خاسر سيء لا يتمتع بروح رياضية. ربما لا يقااتل آرثر من أجل رأيه.. بل يقااتل من أجل أملة الوحيد.. أمل لقاء ابنه بعد الموت!

أي دليل تستطيع أن تقدمه لعلماء الروحانيات، أكثر من أعترف الأخوات فوكس؟! لكنهم يؤكدون أنها كاذبة في الوقت التي ظهرت فيه تكشف حقيقة كذبها، بكل الأحوال لا يوجد أي غاية أو دافع للأخت مارجريت لتكذب بهذا الشأن، لكن هذه أشياء لا تجد سبيلاً إلى جزء العقل الذي يتعامل مع الخوارق.

"لقد سخر هاري هوديني من الأرواح بشكل مستمر، ولا بد من انتقام الأرواح! إن الأرواح تعرف كيف تنتقم وليس أسهل عليها من استبدال مفتاح أو إفراغ أسطوانة أكسجين" هذا كان رأي آرثر في المشاكل التي واجهت عروض هوديني الأخيرة، ربما هذا التفسير المنطقي الوحيد لأن هوديني لم يتعرض لهذه المشاكل من قبل، وهو لايسمح لأحد بمعرفة تفاصيل الخدع التي سيقوم بها. وبالرغم من نجات هوديني من محاولات قتله أثناء أداء عروضه، إلا أنه مات أخيراً في الفندق الذي يقيم فيه، وكانت هذه الحادثة دافع لآرثر لتأكيد مزاعمه، حيث علق على الأمر قائلاً:

"هذه الميتة الغريبة التي لم يتصورها أحد صدفة! هل موته في ليلة الهالوين صدفة؟ كل شيء عندكم صدفة، لكنني أرى أن لكل شيء هدفاً معلوماً وواضحاً، وأؤمن أن الأرواح انتقمت من هوديني لأنه فعل كل ما بوسعه لينتقم منها.

إن قصة "آرثر دويل" هي مثال من آلاف الأمثلة، وهناك الكثير والكثير من الدراسات التي ركزت على دراسة العلاقة بين الروح والجسد، لذا كان هذا الأمر الشغل الشاغل لدى الكثير من الفلاسفة، كان أبرزهم أفلاطون وأرسطو وسقراط. أما بالنسبة

لفلاسفة الإسلام فقد اتبعوا نفس الآراء لكنهم قد أدرجوا بعض الإضافات والتقييمات. والجدير بالذكر أن كل الدراسات التي بحثت في هذا المجال لم تقدم لنا حلاً جذرياً يمكننا من معرفة جوهر النفس الانسانية أو الامتدادات التي قد تعرف بأنها من ضمن قواها من الناحية العلمية والتجريبية، بل كانت تتجه الدراسات بشكل دائم للتركيز على الجوانب الميتافيزيقية.

الباب الثالث

البنية الفنية فى سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق

الفصل الأول: اللغة و السرد

الفصل الثاني: الحدث و الزمان و المكان

الفصل الثالث: الشخصيات

الفصل الأول : اللغة و السرد

مدخل

تعد الرواية من أهم الأنواع الأدبية ومن أكثر الأنواع انتشارا في العصر الحديث، فضلا عن أنها من أهم الأنماط القصصية. وما يميزها هو التكامل الفني في بناء اللغة والشخصيات والزمان المكان إضافة إلى الشعور بالأحداث، وهذا جعل لها شعبية كبيرة بين القراء، وخلق الاختلاف بين الرواية والقصة والقصة القصيرة^١.

ويرى (هيغل) أن الرواية وليدة التحولات التي عاشها المجتمع البرجوازي، لكنها بنفس الوقت تسعى إلى ربط الصلات بين هذا المجتمع وماضيه الملحمي، فهي تعالج قضايا في مختلف جوانب الحياة، سواء كانت هذه القضايا اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية مستقاة من الواقع بطريقة فنية محكمة البناء، فهي ترمي عادةً إلى إصلاح سلوك معين^٢.

وفي الأدب العربي شكل ظهور الرواية صدمة ثقافية كبيرة ، والسبب في ذلك هو أن المجتمعات العربية كانت تملك مخزون شعبي كبير من القصص والحكايات، وهذا سبب اختلافات بين الباحثين حول تحديد أنواع الرواية وضبط مصطلحاتها. ويتركنا هذا الاختلاف أمام تصنيفات عديدة لأنواع الروايات، لكن كان أبرزها تصنيف (عبدالله المحسن طه بدر) حيث قسمها إلى: الرواية التعليمية والرواية الفنية والرواية التحليلية والرواية التاريخية وأخيرا رواية الترجمة الذاتية. ليكون قد زواج بين المضمون والشكل في هذه التصنيفات^٣. ونجد تصنيف آخر مشهور عند "شفيق السيد" في كتابه "اتجاهات الرواية المصرية" حيث قسم الرواية إلى

● الرواية التاريخية

^١ - "البنية الفنية للرواية العربية في ضوء التغيير الاجتماعي"، هبة نوري، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ص ٦.

^٢ - معجم السرديات، شرف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٠٢.

^٣ - الرواية العربية إشكالية التصنيف، ساندي سالم أبو سيف، دار الشروق للنشر، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٤٢.

- الرواية الأسطورية
- الرواية الاجتماعية
- الرواية الوجدانية التحليلية.

السرد واللغة

تشارك الرواية مع الملحمة في مجموعة من الخصائص، حيث تسرد الرواية أحداثاً تكون حقيقية في أغلب الأحيان، وتعكس المواقف وردود الفعل. لكن هنالك عدة نقاط تختلف فيها الرواية عن الملحمة وأبرزها:

تكتب الملحمة بالشعر بينما تكتب الرواية بالنثر الروائي.

تركز الملحمة على سرد الأحداث الكبرى التي يتعرض لها الأبطال وتصور ما يقوم به الأبطال من أساطير. بينما تميل الرواية لملامسة الحياة العادية للناس وتسرد لقطات منها. اللغة في الرواية تمثل الركيزة الأساسية للبناء الفني للرواية. فهي تصف الشخصيات وتمكنها من وصف شيء معين. وتكمن أهمية اللغة في بناء العناصر الأخرى في الرواية كالحداث والزمان والمكان والشخصيات.. بإمكاننا تقسيم اللغة الروائية إلى قسمين رئيسيين وهما: لغة السرد ولغة الحوار.^١

لغة السرد

هي الكتابة التي تصف الحدث أو الفعل المقترن بالزمن، وتهدف لغة السرد إلى تحويل الأحداث والمعلومات إلى سلسلة متوالية تكون في النهاية قصة مترابطة ومحبوكة.

^١ - لغة السرد في الرواية الجديدة، ملحق الخليج الثقافي.

لغة الحوار

تصف الحوارات بين الشخصيات أو من الممكن أن تستخدم لبناء حوار بين الكاتب والمتلقي.

يشدد الباحثون والنقاد على ضرورة أن تكون لغة السرد فصيحة وأن تكون لغة الحوار باللهجة العامية، إلا أن هناك بعض الحالات التي لا تقبل استخدام العامية. وأكبر مثال على هذا استخدام الكاتب اللغة الفصحى في أغلب الحوارات في فانتازيا.

تظهر لغة الأسئلة كأداة أدبية تعزز التشويق و تشكل جزءاً من بنية السرد . نقد الأسئلة في سلسلة فانتازيا تسهم في تعزيز الغموض و إضفاء جو من التشويق على القصة. هذا الأسلوب يسهم في إثراء تجربة القراءة و تعميق فهم القارئ لعالم الخيال الذي يقدمه الكاتب.

لغة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق تتميز بأسلوبها السلس والبسيط، حيث يستخدم الكاتب لغة عربية فصيحة ولكنها ليست معقدة. يستعمل أحمد خالد توفيق تعابير وألفاظ سهلة الفهم ومباشرة .تجعل النصوص ممتعة وسهلة القراءة. كما يتميز بأسلوبه الساخر والفكاهي أحياناً.

تتخلل النصوص أيضاً إشارات ثقافية وأدبية عديدة، حيث يعتمد أحمد خالد توفيق على المزج بين الخيال والواقع، مع تضمين معلومات تاريخية وثقافية تجعل القارئ يكتسب معرفة جديدة بشكل غير مباشر. تعابير مرححة أحياناً وجادة في أحيان أخرى، مما يجعله قادراً على نقل مجموعة واسعة من المشاعر والأفكار بفاعلية. التراكيب سهلة، والمعاني واضحة، مما يجعل النص سهل القراءة وجذاباً.

الأسلوب يتميز أيضاً بإدخال عناصر الخيال بطريقة سلسلة، تجعل القارئ يتنقل بسهولة بين الواقع والخيال، كما هو الحال في وصف انتقال عبير إلى العوالم الموازية من خلال الكمبيوتر.

هناك بعض الأمثلة من جمل تأكيدية، أفعال مضارعة، أفعال ماضية وكلمات استفهامية.

جمل تأكيدية

"لم تكن عبير منبهرة بهذا الشكل خاص لأنها رأت أبو شبكة يؤديه في الموالد كثيراً"^١

الجملة التأكيدية تشير إلى أن عبير كانت غير منبهرة بهذا الشكل، وهذا يعود بشكل خاص إلى رؤيتها المتكررة لأبو شبكة وهو يؤدي هذا الدور في الموالد.

"كان مدرس الإنجليزية في المدرسة يقول لها إنه ما من جملة إنجليزية كاملة لا تحوى فعلاً... الحقيقة أنه ما من عنوان لجريدة أمريكية إلا و خلا من الأفعال تماماً."^٢

كان مدرس اللغة الإنجليزية يؤكد لها دائماً أن كل جملة إنجليزية صحيحة يجب أن تحتوي على فعل. هذه قاعدة نحوية أساسية في اللغة الإنجليزية. الجمل الصحيحة يجب أن تحتوي على فعل. ولكن الواقع يناقض هذه القاعدة، حيث أن عناوين الصحف الأمريكية غالباً ما تكون خالية من الأفعال، وهي ظاهرة شائعة في الصحافة.

"لم تكن تفهم نفسها... إنها تبادله عبارات شكسبير.. هل هي تحبه؟"^٣

كانت لا تفهم نفسها، مما يشدد على استمرار الحالة وعدم الوضوح. وفيما يتعلق ببقية الجملة، إنها تبادله عبارات شكسبير و"هل هي تحبه؟"، فهي جمل مستقلة نوعاً ما ولكنها مرتبطة بسياق الفعل "كانت لا تفهم نفسها". مما يعني أن هناك استمرارية لحالة الشك وعدم الفهم لدى الفاعلة.

"في الحقيقة زوجك لم يرتكب خطأ.. لقد أفسد الوغد عقله و لو كنت مكانه لفعلت الشيء ذاته!!"^٤ الجملة تقدم تصوراً قوياً للتأكيد على أن الزوج لم يرتكب خطأ،

^١ . الساحر و أنا، العدد ٤٧، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٩

^٢ . المصدر السابق، ص ٤٢

^٣ . الملل بعينه ، العدد ٤٢، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧٠

^٤ . المصدر السابق، ص ١٢٨

وتتضمن تعبيراً عن الانزعاج أو الاستياء من شخص آخر (الوغد) الذي قد أفسد عقله. ومن خلال استخدام "ولو كنت مكانه"، يقترح المتحدث أنه سيكون مستعداً لفعل نفس الشيء في نفس الوضع، مما يعزز فهم السياق للتأكيد على التقدير والتعاطف مع الزوج.

"لم يكن يقصد اتهام المذكورة بأنها منحلة و إنما بأنها مغرورة..."^١
 هذه الجملة توضح أن المتحدث لم يكن يقصد أن يتهم الشخص المذكور بأنها منحلة، بل كان قصده أن يصفها بأنها مغرورة. تستخدم "لم يكن" للتأكيد على عدم القصد، واستخدام "وإنما" للتمييز بين التهمتين.

"كان الصراع عاتياً مخيفاً"^٢

تعتبر هذه الجملة جملة توكيدية لأنها تصف حالة معينة من الصراع وتعبّر عن شدته ورعبه بوضوح وتأكيد. الكلمات "عاتياً" و"مخيفاً" تضيفان القوة والتأكيد على شدة الصراع وخطورته.

جمل مضارعة

"يسهل على من يرى هوديني بجسمه الضليل الماكر أن يدرك أنه ليس بالرجل سهل المضغ على الإطلاق..."^٣
 هذه الجملة تقدم فكرة معينة بشكل مباشر وواضح، حيث تصف صعوبة فهم شخصية هوديني وطبيعته الدقيقة.

"الأديب المفكر يؤمن بالسحر، و الساحر المحترف يؤمن بأن السحر هراء..."^٤
 هذه الجملة تقدم تناقضاً بين المفكر الذي يعتبر السحر أمراً حقيقياً أو مهماً، بينما يرى الساحر المحترف السحر كوسيلة للترفيه فقط ولا يؤمن بقوته الحقيقية.

^١ . صديقي جلعاميش، العدد ٣٩، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١

^٢ . المصدر السابق، ص ٥٤

^٣ . الساحر و أنا، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٥

^٤ . المصدر السابق، ص ٧٩

" يبدو أن مغامرتهما هذه المرة لن تزيد على تحطيم الأباجورات طيلة القصة.. لكن هذا الفتى لم يكن المرشد."^١

التحطيم هو فقط جزء صغير من مغامرتهما، وتلمح الجملة إلى أن هناك أحداث أكثر تعقيداً وإثارة ستحدث خلال القصة، كما أنه يشير إلى أن الفتى الذي يتحدث عنه لم يكن المرشد في هذه المغامرة.

" سأحاول أن أدافع عن أبي... هذا ما سأفعله...."^٢

الشخص يعبر عن قصده للدفاع عن والده، مؤكداً عزمه واستعداده لاتخاذ هذا الإجراء.

"تجمع الناس من كل صوب يودعون جلعامش..."^٣

الجملة تعني أن الناس يتجمعون من مختلف الاتجاهات لوداع جلعامش، مما يعكس أن جلعامش كان شخصية مهمة ومحورية في المجتمع، وأن رحيله يثير اهتماماً وتأثيراً كبيرين.

"يتأمل انعكاس وجهه في الماء... يتأمل عضلات ساعديه و ريلتي ساقيه..."^٤

هذه الجملة تصف عملية التأمل التي يقوم بها الشخص، حيث يركز على مشاهدة انعكاس وجهه في الماء مما يعكس تفكيره في مظهره الخارجي، كما ينظر إلى عضلات ذراعيه وريلتي ساقيه لربما لتقييم لياقته البدنية أو للاهتمام بتحسينها.

جمل ماضية

"نظرت عبير إلى الصورة الأولى فبدت لها مألوفة... تلك الطفلة الراقدة بين

الأشجار"^٥

١. الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٣

٢. الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٠٢

٣. صديقي جلعاميش، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٩

٤. المصدر السابق، ص ٦٩

٥. الساحر و أنا، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٥

الجملة تصف تفاعل عبير مع الصورة الأولى التي نظرت إليها. عبير شعرت بالتعرف على الصورة، حيث بدت لها مألوفة، كما لو كانت تشبه شيئاً مألوفاً لها أو كانت لها ذكريات سابقة بهذا المشهد. الجملة الثانية تصف الصورة، حيث توجد طفلة ترقد بين الأشجار، مما يوحي بوجود منظر هادئ وطبيعي في الصورة.

"وصلت السيارة التي تقل هوديني الذي حرص على أن يلبس مثل (فانتوماس) هذه المرة...العباء السوداء والأناقة الزائدة..."^١

الجملة توضح وصول سيارة تحمل هوديني، الذي اهتم بارتداء ملابس تشبه تلك التي يرتديها فانتوماس هذه المرة، مع التأكيد على العباءة السوداء والأناقة المتفردة. "نظرت عبير إلى أمها و لم تتكلم...أحياناً تكون المصادفات غير قابلة للتغيير إلا على أنها ليست كذلك..."^٢

عبير نظرت إلى والدتها لكنها لكنها لم تتحدث، وهو فعل يعبر عن الصمت أو ربما الحيرة أو الارتباك.

"بعد انصرافه فتحت عبير الرسالة الصغيرة و قرأت المكتوب فيها."^٣

هذه الجملة تعبر عن حدثين متتاليين:

مغادرة شخص ما.

فتح عبير رسالة وقرأتها.

تشير إلى وجود نوع من التوتر أو السرية، حيث انتظرت عبير حتى غادر الشخص الآخر لتفتح الرسالة وتقرأ محتواها، مما يوحي بأهمية هذه الرسالة وربما وجود علاقة بين انصراف الشخص واهتمام عبير بمحتوى الرسالة.

"رفع جلال رأسه للسماء و صرخ .. و صرخ."^٤

^١ . الساحر و أنا، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٥

^٢ . الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٠

^٣ . المصدر السابق، ص ٤٦

^٤ . صديقي جلعاميش، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٥

الجملة تصف فعلاً يقوم به شخص يُدعى جلال، حيث رفع رأسه لأعلى نحو السماء، ثم صرخ مرتين. يمكن أن يكون هذا الفعل مظهرًا للإحباط، أو الغضب.

"عرض عليه رجال الشرطة عشرات الصور لقطاع الطرق و المسجلين خطراً و البلطجية في هذه المنطقة.."^١

تبدو هذه العملية كجزء من جهود الشرطة للتصدي للجريمة والبلطجة في المنطقة المعنية. عندما يقوم رجال الشرطة بعرض الصور على أحد الأشخاص، فإنهم ربما يحاولون جمع المعلومات أو الحصول على تعريفات من شهود أو مشتبه بهم بمنطقة معينة.

جمل استفهامية

"لماذا لم يظهر حتى اللحظة؟ أين هو؟"^٢

الاستفهام في هذه الجملة يُسأل عن السبب والموقع لعدم ظهور شخص ما حتى اللحظة.

"ألا تعتقد أنك تملك قوى خارقة للطبيعة تتيح لك الهرب"^٣

هذا السؤال يشير إلى إمكانية وجود قدرات خارقة للطبيعة تمكن الشخص من الهرب، ويسأل عما إذا كانت الشخص يعتقد أنه يمتلك تلك القدرات.

"هل تنويان ذبحها"^٤

جملة استفهامية تستخدم للاستفسار عما إذا كان الشخصان يعتزمان قتل شخص آخر عن طريق الذبح. تعبر هذه الجملة عن تساؤل أو شك حول نية الأشخاص في ارتكاب عمل جرمي خطير.

"هل تريد أن يوصلها لك الصبي لدارك؟"^٥

١. صديقي جلعاميش، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٦٤

٢. الساحر و أنا، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٠٥

٣. المصدر السابق، ص ٤٣

٤. الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٠٨

٥. المصدر السابق، ص ١٠٩

الجملة تعبر عن استعداد الصبي للقيام بمهمة التوصيل وإتمامها بنجاح، وتساءل عن موافقة الشخص المعني على ذلك.

"هل أملاً الخزان كله؟"^١

تُشير إلى استفسارٍ محتملٍ حول ما إذا كان الشخص ينوي ملء خزان الوقود بالكمية الكاملة المتاحة.

"ماذا هنالك؟ هل ضايقتك هذه المدللة؟"^٢

الجملة تقدم استفهامًا حول ما يحدث، وتتساءل عما إذا كانت الشخص ضايقًا بسبب سلوك الفتاة المدللة.

"غيداء جميلة؟"

يسهل أن تقول نعم.. برغم أن هذا لا يعني شيئاً.. ربما لو تصورت أحلام الفراشات..."^٣

هذه الجملة توضح نوعًا من التفكير البسيط والتحفظ قبل الإجابة، وتعبر عن مشاعر الحذر والتفكير العميق.

هذه الأمثلة توضح التنوع في استخدام الجمل التأكيدية، المضارعة، الماضية، والاستفهامية في روايات أحمد خالد توفيق مما يضيف عمقًا وإثارة للنصوص. شيوع الأفعال لا سيما المضارع التي تكسب نص حركية. هذه الأفعال تنقل النص من الحاضر إلى المستقبل لتدفع القارى إلى التفكير فى العالم المتغير و المتحرك.

فالفانتازيا ليست ثابتة،اللغة هى التى تحرك الأحداث و ليست الأحداث هى التى تحرك اللغة.

لغة الأسئلة التى اشتملت عليه فانتازيا تدفع القارئ إلى التفكير فى حل تلك الأسئلة.

١. صديقى جلعاميش، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٦

٢. المصدر السابق، ص ٢٥

٣. الملل بعينه، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٣

استعراض بعض الحوارات في فانتازيا

رجل دنا من بائع سمك وسأله عن ثمن سمكة حسناء مغرية:

- بدرهمان..

- بكم؟

- بدرهمان!

- بكم؟

- بدرهمان.. لن أقضي اليوم أكرر هذا!

- هل ترفع الجرور يا أحمق؟؟ بدرهمين مجرورة وعلامة جرها الياء لأنها مثنى.

وقف على باب الخليل رجل أعرابي ومعه ابنه.. كان الرجل متعجلا نافذ الصبر،

حيا الخليل ثم قدم له ابنه وقال:

- جئتك من سفر شاق لأني سمعت عن عبقرتك.. أريد أن تعلم ابني علم

النجوم والنحو وماينفعه من الطب وفروض الفقه!

- كم عاما تنوي تركه معي؟

- أنا أنتظر على الباب مع حماري إلى أن تعلمه لنرحل!

- لتعلم يا بني أن الثريا في وسط السماء، هذا درس كاف في علم النجوم..

الفاعل مرفوع وهذه من أهم حقائق علم النحو، بها بدئ هذا العلم ولعله بها يختم..

نبات الهليلج مفيد للصفراء، وهذا يكفيك في الطب.. أما عن الفقه فحسبك أن تعرف

أنه لو مات رجل تاركا ابنين، فثروته تقسم بينهما بالتساوي.. هذا يكفيك.

بعد تحضير الأرواح يدور النقاش حول هذه التجربة بين الأديب (آرثر دويل)

والساحر (هاري هوديني):

- هذه المحاولة ملفقة!

- ماذا؟ وبالطبع تتهمني وزوجتي بالكذب؟

- لا.. لكني بالتأكيد أهتمكما بالحماس الزائد إلى درجة أنكما وقعتما في فريسة الإيحاء والوهم.. ماكتبته السيدة دويل كتبته لا شعوريا من عقلها الباطن مستخدمة القليل الذي تعرفه عني وعن أومي.

- والدليل؟

- اليوم عيد ميلاد والدي.. كيف لم تعلق على هذا بكلمة واحدة؟

- هل تعتقد أن الأرواح تهتم بأعياد الميلاد.. هل تعتقد أنها تشتري لنفسها

كعكة وشموع؟

- فقط كنت أتوقع تعليقا ما في الأوراق، لكن لا تعليق.. ثانيا النص كله

بالإنجليزية، ووالدي لم تكن تتكلم غير المحرية.

هل للغة قيمة في عالم الأرواح.. هناك لغة واحدة فقط هي لغة المعنى..

الأفكار.. لا يتعلق الأمر بحصة لغة إنجليزية.

- رأيي يا سيد آرثر أن هذه تجربة فاشلة.. لكني لا أوجه لك أي اتهام، بل لا

أجرؤ على التفكير في شيء كهذا.. سأكون شاكرا لو سمحت لي بالانصراف..

- أنت عنيد يا صاحبي وهذه ليست مزية كما تظن..

- وأنت تصدق ما لا يصدق.. وهذه ليست صفة حميدة كما تعتقد..

كانت الأحداث الروايات مختارة بدقة وعناية، فكان الكاتب يصور كل حدث

على أنه حدث رئيسي ومصيري، وعدم التطرق للأحداث الثانوية فسح مجالا كبيرا

للتركز على تفاصيل تلك الوقائع التي تغير سير الأحداث. ولقد سرد الكاتب الأحداث

بشكل تقليدي مستخدما الزمن الماضي في أغلب الأحيان، وليجعلنا نعيش واقع

الأحداث بشكل فريد لجأ لاستخدام الزمن الحاضر في بعض المواضع فكانت أحداث

الروايات وعملية السرد يسيران جنبا إلى جنب. وبالرغم من وصف الوقائع من منظور

عبير، إلا أنه كان للسرد الموضوعي دورا كبيرا، فالفارئ بشكل عام مطلع دائما على

الأفكار السرية للابطال وبواطن الأمور كلها.. ولا بد أن نتحدث عن السمات الشعرية

التي أضافها الكاتب لمعظم الشخصيات، لقد خلق الكاتب تداخل بين الأجناس فصار

الشعر سردا والسرد شعرا، ناهيك عن التلاعب بالأوزان والقوافي لتتوافق مع واقع الحكايات وشخصيات أبطالها. لكن بالرغم من هذا التلاعب الكبير نجح الكاتب بالتوفيق بين لغة السرد ولغة الشعر دون تشويه معالم الروايات. وأكبر مثال على هذا القصيدة التي ألقاها البواب عنتر في رواية الممل بعينه:

تذكرت غيدا والأيام الخواليا
وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا
فقال بصير القوم وألحت كواكبا
بدا في سواد الليل فردا يمانيا

لمحة عن أبرز القصائد التي وردت في فانتازيا

١ - شيء من حتى

أبلغ سليمان أي عنه في سعة
سحا بنفسي أي لا أرى أحدا
أسيبويه يا ابن الفارسية ما الذي
أطلت تغني ساردا بمساوئي
يؤمل دنيا لتبقى له
حثيثا يروي أصول النخيل
وفي غنى غير أي لست ذا مال
يموت هزلا ولا يبقى على حال^١
تحدثت من شتمي وما كنت تنبذ؟
وأملك بالمصرين تعطى وتأخذ^٢
فما المؤمل قبل الأمل
فعاش الفسيل ومات الرجل^٣

٢ - أسطورة نهر:

أيها النيل يا حبيب الرياحين
حسدتك الأنهار حين أتاها
املاً الشاطئين حباً وشعراً
عيون الأزهار نسج عيونك
أن آمون من هواك وطينك
فجناح الهوى شراع سفينك

^١ - شعر الخليل بن أحمد (٣٥٥-٣٥٦)، صنعة حاتم الضامن، (شعراء مقلون)، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

^٢ - بشار بن برد.

^٣ - سيبويه، ٧٦٩م.

ثم الدهر راحتك وغنى
مسافر زاده الخيال
ظمان والكأس في يديه
والسحر والعطر والظلال
والحب والفن والجمال^٢

٣ - الملل بعينه

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
فوددت تقبيل السيوف لأنها
ولقد هممت بغارة في ليلة
لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يدعون عنتر والرماح كأنها
ولقد شفى نفسي وأبرا سقمها
وياشبه غيدا لو تلبث ساعة
تفر وقد أطلقتها من وثاقها
منى وبيض الهند تقطر من دمي
لمعت كبارق ثعرك المبستم^٣
سوداء حالكة كلون الأدلم
يتدامرون كررت غير مذمم
أشطر بئر في لبان الأدهم
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم^٤
لعل فؤادي من جواه يفيق
فأنت لغيدا لو علمت طليق^٥

كما لجأ الكاتب لاستخدام الأشعار المكتوبة باللغة العامية في بعض المواضع

بهدف إضفاء بعض الواقعية على الأحداث، ومن أبرز ما ورد:

النيل نجاشي .. حليوه أسمر
عجب في لونه ذهب ومرمر
أرغوله في إيديه يسبح لسيدته
حياة بلادنا.. يارب زيده^٦
عيني عليه ساعة القضا

^١ - أيها النيل، الأخطل الصغير، ١٩٣٧ م.

^٢ - محمود حسن إسماعيل، ١٩٥٤ م

^٣ - ديوان عنتر بن شداد، شرح حمدو طماس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣.

^٤ - المعلقة الذهبية، ديوان عنتر بن شداد، شرح حمدو طماس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠.

^٥ - الملل بعينه، سلسلة فانتازيا ٤٢، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١٠.

^٦ - ديوان الشوقيات، التقوى للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠ م

من غير رفاقه تودعه
 يطلع أنينه للفضا
 يزعق.. ولا مين يسمعه
 يمكن صرخ من الألم
 من لسعة النار في الحشا
 يمكن ضحك.. أو ابستم..
 أو ارتعش.. أو انتشى
 يمكن لفظ آخر نفس
 كلمة وداع لاجل الجياع
 يمكن وصيه.. للي حاضنيا
 لقضية في الصراع^١

^١ - صرخة جيفارا، أحمد فؤاد نجم، القاهرة، ١٩٦٨.

الفصل الثاني

الحدث و الزمان و المكان

من المخزن ما وصلت إليه عبير من ضيق نفس وسرعة ملل.. كانت ترى الناس في البيت والمدرسة والشارع ينظرون لها بشفقة ولسان حالهم يقول "اصبري يا عبير".. هي طالبة في المدرسة الثانوية الفنية وتدرك جيداً أن المستقبل مسدود أمامها وأنها لن تغدو أبداً طبيبة أو مهندسة.. رحلة البيت إلى المدرسة ورحلة المدرسة إلى البيت، لقد صار هذا قدراً محتوماً، قانوناً أقوى من قوانين نيوتن ذاتها.. تنتظر كل اليوم من أجل لحظة ما بعد الظهر، لتنفرد بعشرات الكتب المهترئة الموجودة فوق رفين أعلى سريرها، بين صفحات هذه الكتب ترعرعت أحلامها ونمت.. أغلب هذه الكتب روايات، فهي تحب الروايات وتؤمن بأن الروايات تغذي جسدها وعقلها ولم تجرؤ يوماً على أن تعتبر الروايات أقل منزلة من الكتب الفلسفية والسياسية مثلاً.. لقد قرأت جيشاً من المؤلفات لكتاب عرب وأجانب، عرفت الكثير عن عالمها الخاص والعالم الخارجي. كانت الرواية تمنحها مطلق الحرية في الحلم، وكانت إذ تقرأ سطور الرواية، تجد نفسها في عالم ملموس كامل التفاصيل بل ومسموع كذلك، وكانت تحسب أبطال القصص موجودين منذ الأزل ويتصرفون بكامل إرادتهم، فإذا حدث خلل في سياق القصة أو نبت عن المنطق، تحسب أن هذا بسبب أن الأبطال يتصرفون بغباء لا أكثر..

كانت عبير ضعيفة الإرادة سهلة الإيحاء وهذا جعلها الشخص المناسب لتجربة الجهاز الذي صممه شريف، لا يمكننا أن نعرف الأسباب الكاملة التي دفعت عبير إلى القبول، ربما كان هناك ذلك الانجذاب الواضح إلى شريف وشعورها بأنها تستطيع أن تترك له مصيرها ولا تخشى شيئاً أو ربما كانت حاجتها للمال، وربما كان السبب الأهم هو حاجتها للفرار والرحيل عن واقعها الكئيب.. هي بكل الأحوال وافقت وكتبت إقرار خطي لشريف.. وهكذا جاءت لحظة السفر إلى فاننازيا.

كانت عبير إنسانة ملولة.. كانت عجفاء سمراء بارزة الوجنتين، تدفع شعرها إلى أعلى وتبتسم في رقة لترسم في عينيها الضيقتين نظرة حاملة.. هي لا تبدو كممثلات السينما الحسنات، وبالتأكيد ليست مرعبة مثل الغيلان، لكنها تحتاج إلى أن ترى وجهاً أجمل وجسداً أرشق لكي تحسن من معنوياتها.. كانت تشعر بأنها تتضائل وتتقلص، وكأن الجمال موجود في كل الناس سواها، هي وحدها تعيش في تعاسة، تمقت الماضي وتخاف الغد.

كان بيتها في إحدى الحواري الضيقة، ومن الطبيعي وجود بقعة من الماء أمام الباب، لا تدري كيف تتجمع هذه المياه الأبدية.. ولا بد من وجود أطفال أشباه عراة يتشاجرون، وقطاً أجرب يلتهم أمعاء دجاجة رمتها إحدى الجارات الشمطاوات أمام الباب.. وفي مدخل البيت الضيق تفوح رائحة نتنه لم تعرف مصدرها بالرغم من أنها تشمها طيلة سبعة عشر عاماً وهي عمرها، بعد المرور بدرجات متآكلة هناك بيتها في الطابق الثاني.. البيت الصغير المكون من حجرتين وصالة يملأها أثاث رخيص ينم عن ذوق فظيع، وعلى الجدران علقنا لوحات شنيعة وصور سخيفة، تلك الأشياء التي يعلقها الناس دون أن يجوبها، ويتوسط الصالة جهاز تيلفزيون ملون صغير، الذي من خلاله عرفت عبير أن هناك عالماً براقاً جميلاً لا يمت بصلة لواقعها الكئيب.. وكان المطبخ ضيقاً كالقبر يوجد فيه ثلاثة صغيرة تلفت منذ دهور، وبصفة عامة لا يمكنك أن تجد في المنزل سريراً لم تسقط ملته أو مقعداً أرجله سليمة أو مفرشاً لم يتم ترقيعه..

قصة لا تنتهي

كانت عبير إنسانة ملولة.. كانت عجفاء سمراء بارزة الوجنتين، تدفع شعرها إلى أعلى وتبتسم في رقة لترسم في عينيها الضيقتين نظرة حاملة.. هي لا تبدو كممثلات السينما الحسنات، وبالتأكيد ليست مرعبة مثل الغيلان، لكنها تحتاج إلى أن ترى وجهاً أجمل وجسداً أرشق لكي تحسن من معنوياتها.. كانت تشعر بأنها تتضائل وتتقلص،

وكأن الجمال موجود في كل الناس سواها، هي وحدها تعيش في تعاسة، تمقت الماضي وتخاف الغد..

كان بيتها في إحدى الحواري الضيقة، ومن الطبيعي وجود بقعة من الماء أمام الباب، لا تدري كيف تتجمع هذه المياه الأبدية.. ولا بد من وجود أطفال أشباه عراة يتشاجرون، وقطاً أجرب يلتهم أمعاء دجاجة رمتها إحدى الجارات الشمطاوات أمام الباب.. وفي مدخل البيت الضيق نفوح رائحة نتنة لم تعرف مصدرها بالرغم من أنها تشمها طيلة سبعة عشر عاماً وهي عمرها، بعد المرور بدرجات متآكلة هناك بيتها في الطابق الثاني.. البيت الصغير المكون من حجرتين وصالة يملأها أثاث رخيص ينم عن ذوق فظيع، وعلى الجدران علق تلوحة شنيعة وصور سخيفة، تلك الأشياء التي يعلقها الناس دون أن يحبوها، ويتوسط الصالة جهاز تيليفزيون ملون صغير، الذي من خلاله عرفت عبير أن هناك عالماً براقاً جميلاً لا يمت بصلة لواقعها الكئيب.. وكان المطبخ ضيقاً كالقبر يوجد فيه ثلاجة صغيرة تلفت منذ دهور، وبصفة عامة لا يمكنك أن تجد في المنزل سريراً لم تسقط ملته أو مقعداً أرجله سليمة أو مفرشاً لم يتم ترقيعه.

اسمه (شريف إبراهيم) وهو في العقد الرابع من عمره، وسيم كسيارة جديدة براءة لم تسر على الأرض متراً واحداً، يبدو كالمثليين أو عارضي الأزياء لكنه عبقرى.. وكباقي مواليد برج الجوزاء جرب شريف كل شيء تقريباً، جرب كتابة الشعر والسفر بطريقة الأوتوستوب وتعلم المصارعة الحرة لكنه لم يبرع في شيء وفي سن السادسة عشرة التحق بالجامعة الأمريكية ليدرس علم الكمبيوتر، لقد غرق في دراسة هذه الاختراع الغريب، وكأنه وجد حبه الضائع.. وحين عاد إلى مصر استطاع أن يلتحق بإحدى الشركات الأمريكية لأعمال الحاسب الآلي.. لقد تزوج إيناس زميلته القديمة في الجامعة، لكن لم يصمد هذا الزواج أكثر من عامين، فهو فاقد الإحساس بالآخرين وغارق في عمله الخاص، ومجدداً عاد وحيداً يجلس أمام الشاشة ويشرب القهوة باستمرار..

كان صفوت قصير الأنفاس قريب الطموح، يفتتح مكتب صغير للكمبيوتر وهو عبارة عن شقة مفروشة ضيقة في حي شعبي مع لافتة تؤكد أن المكتب يضم نخبة من

علماء الكمبيوتر، وفي داخل لا ترى سوى فتاة شاحبة مصابة بالأنيميا وثلاثة أجهزة كومبيوتر متهاكة يلعب عليها الصبية ألعاب الفيديو السخيفة. هذا هو المجال الذي ارتاح فيه صفوت ووجد ذاته فيه، فالأمر لا يكلف سوى سرقة البرامج المباعه في السوق ونسخها.^١

حكايات من الاشيا

لقد تغيرت المعالم ولا شيء يشبه المرة السابقة! هذا طبيعي فكل شيء يتغير في فانتازيا والتفاصيل غير ثابتة، ولو أن الخيال اكتسب جماد وثبوت الواقع لما صار خيلاً.. خارج القطار ترى عبير هذا المكان الجليدي غير البارد، ثم ترى شاطئ البحر، هذا هو عالم البحار حيث يمكنك أن ترى القبطان (إشاب) يبحث عن الحوت (موي ديك) الذي التهم ساقه وترى العشرات من سفن القراصنة الباحثين عن الكنوز، وأخيراً تصل عبير وجهتها (ترانسلفانيا) في رومانيا لتقابل دراكيولا، حيث يضعها الكاتب في قلعة الكونت ويجعلها تعيش قصص مصاصي الدماء..

سعيد هو الشاب المحظوظ أو الشاب المختار للزواج من عبير، هو عائد لتوه من الأردن.. تخرج من أحد المعاهد التي لا يعرفها معظم الناس ولا مستقبل لها، بكل الأحوال هو يعمل في متجر الأدوات الصحية مع شقيق عبير، وأحياناً يتسلى بممارسة السباكة، حبه الأول والأخير على حد قوله.. فظ هو، له شارب كث، يعتقد أنه فاتن. يتكلم بلغة الصنایعية برغم من أنه متعلم، ويظفئ أعقاب السجائر على البلاط، ويظيل ظفري إصبعيه البنصر.. هو إنسان بسيط، السباكة هي حبه الأول والأخير ويؤمن أن الخشب الجيد أهم شيء في الوجود.^٢

لا بد أن نتطرق أيضاً للحديث عن الشخصيات التي قابلتها عبير في مغامرتها في فانتازيا. أولاً الطبيب الهولندي.. البارون (فان هلسنج)! لقد تعمد الكاتب إحضاره من

^١ - قصة لا تنتهي، سلسلة فانتازيا ١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٢.

^٢ - حكايات من الاشيا، سلسلة فانتازيا ط ٢، د. أحمد خالد توفيق، ص ١١.

هولندا إلى رومانيا لتعيش عبير معه مغامرتها.. هو بالأصل أستاذ في جامعة (أمستردام)، ويعمل الآن على ملاحقة مصاصي الدماء وقتلهم، وله تاريخ طويل معهم.

أما عن دراكيولا فلقد قام الكثيرون بأداء دور دراكيولا في السينما، من عهد (لون شاني) و (فنست برايسي) مروراً ب (كريستوفري)، وانتهاء بتوم كروز.. لكن عبير لم تر سوى فيلم واحد من أفلام دراكيولا في السينما، قام ببطولته كريستوفري الذي لا تعرف اسمه، لهذا ظل وجهه الوسيم المميز هو وجه دراكيولا بالنسبة لعبير. فدراكيولا الآن كهل وسيم بادي الرقي ومتأنق فارغ القامة، أقرب إلى الحزن في عينيه، أشيب الفودين، يعاني نحولاً في الشعر على جانبي رأسه، لكنه رغم كل هذا مصاص دماء خطير^١..

خيول ورماح

إنه النيل يمتد أمام أعين عبير، لكنه ليس كالذي تراه بالعادة، الآن هو مختلف تماماً ومياهه حمراء اللون.. الحقيقة أن هذا النيل هو نيل بكر، نيل لم يروض بعد ولم يضع أحدهم اللجام فوق ظهره، إنه كحصان هائج ثائر تتطاير خصلات معرفته في الهواء^٢.

يصور لنا الكاتب في هذا الرواية الأجواء الفرعونية، آمون والنيل والتماسيح والحروب.. جدران القصر منقوشة برسوم أنيقة والأرضية مزخرفة بزهر اللوتس والأعمدة الضخمة والمذهلة، كل هذا يبين الرقي الفرعوني، كل شيء متناسق ولا يوجد خطأ واحد في الألوان ولا في الطراز.. وفي صدر المكان يجلس فرعون على مقعد مهيب شامخ ويقف وراءه شاب زنجي هائل الحجم يلوح بمروحة ريشية، وأمام الملك مجموعة من الفتيات الرقيقات تؤدين رقصة الباليه..

في هذه الرواية يجعل الكتاب من عبير فتاة غير عادية، فتاة بعيدة كل البعد عن الزواج والإنجاب والعجين والطبخ، إنها أحد بنات فرعون.. إنها الأميرة (إرمنحات) ومعنى

^١ - المصدر السابق، ص ٤٠.

^٢ - خيول ورماح، سلسلة فانتازيا، ط٥، أحمد خالد توفيق، ص ١٥.

هذا الاسم (الجميلة تتأود) أو (سيدة دارها).. إنها أميرة فرعونية رشيقة معتدلة القامة ترتدي ثوباً طويلاً من الكتان وفي قدميها صندلان ذهبيان والأساور الذهبية تطوق ساعديها حتى المرفقين..

ويركز الكاتب على تصوير الصراع بين الخير والشر، الخير المتمثل بحشت الذي أنقذ الأميرة وعرض حياته للخطر، والشر المتمثل بساكا الذي يسجن حشت ويتهمه بالخيانة فقط لأنه مُعجب بالأميرة. وفي النهاية ينتصر الخير بتحول عبير إلى رجل قوي وشجاع ينهي حياة ساكا ومن ثم يحارب في صفوف جيش آمون إلى جانب حشت.

الخناقون

تدور القصة في الهند في زمن حكم الإنجليز، وتتمحور حول موضوع الخناقين وأفكارهم، وي طرح الكاتب الأفكار وينقدها عن طريق عبير وقسمت. قسمت هو شاب هندي أسمر وسيم الملامح يشبه شريف إلى حد كبير وهو رفيق عبير في مغامرتها، هو ساحر هندي من سحرة الجبال، كل دلهي تعرف أن قسمت أفضل مشعوذ بالمدينة وربما في العالم كله.. هو مشعوذ موهوب يجيد كل شيء، ويملك قلباً شهيم وأصابعاً ذهبية، لربما يكون أظرف الظرفاء وأقوى الأقوياء وأذكى الأذكىاء. لكن بالرغم من كونه شخصاً طيباً، إلا أنه واحد من الخناقين، هو رئيس فرقة، أو كما يلقب هذا المنصب عندهم (جورو)، وتحت إشرافه عشرة خناقين، الجميع يمشي في سلم الترقيات من أسفل، وأسفل السلم هنالك اللوجا، الذي يجهز القبر قبل خنق الضحية. وقسمت لا يؤمن بأفكارهم الخناقين، هو يحاول إقناعهم دائماً بأن عصر التطوير لنشاط الخنق يجب أن يبدأ، التطوير الذي سيقوم على أساس رحمة أبناء الوطن والبدء في استهداف الإنجليز وخنقهم، ربما كان رأي البعض أن الخنق هو رحمة للبشر والإنجليز لا يستحقون هذه الرحمة، لكن قسمت غير مقتنع بهذا فهو بالأصل يشك في مبدأ وجود الجماعة ويشك في وجود كالي، ويعتقد أنه لو عبد إلهاً آخر، سيعبد إلهاً واحداً قديراً رحيماً بعباده، كإله المسلمين والمسيحيين.

وتتقاسم عبير سكنها مع فتاتين، الأولى هي جوتسنا الخادمة الهندية، والتي تعرف الكثير كونها من السكان المحليين، و الأخرى هي سوزان، فتاة شقراء بريطانية في الثلاثين من عمرها، وجهها المليء بالنمش يجعلها أقرب إلى طفلة حرقاء، وكانت تؤمن أن الرجل الحقيقي يجب أن يكون كتلة فظة من الشعر والعضلات والسباب، وأن اختلاف الرجل عن الأنثى يجب أن يكون واضحاً كل الوضوح..

عالم الأدغال

المكان هو الساحل الغربي لإفريقيا، في مكان ما قريب لخط الاستواء، تعيش عبير مغامرتهما بين الأدغال مع طرزان والقروود والقبائل الأفريقية، يحاول الكاتب تصوير القصة من منظور محايد، بعيداً عن الانحياز للسود أو البيض، فالبيض بكل قصصهم يجعلون من طرزان الرجل الأبيض الذكي الذي يتفوق على أية أفريقي.. لقد عرف طرزان كيف يخلق قانونه الخاص وسط الغابة وصار زعيماً للأسود والفيلة والقروود، يعيش بينهم ويتحدث معهم بالوقت الذي لا يقوى فيه على التواصل مع أبناء جلدته من البشر.. من الواضح أن طرزان وجد في عبير الفتاة التي يحلم بها، فتاة تتشارك معه في الشكل ولون البشرة والتصرفات، وكل هذا يدفعه لمحاربة القرد المجنون وقبيلة الأسامبارا من أجلها، لكن للأسف عبير تقابل كل هذه التضحيات بالرفض، فهي لم تعتد العيش بين القروود ولا أكل الموز والفاكهة، وبكل الأحوال الموضوع لا يتمحور حول رغبتها فقط، فهي فانتازيا ويتوجب عليها أن تعيش مغامرتهما لوقت قصير حتى تنتهي وتعود إلى عالمها الحقيقي.

لا تدخلوا شيرود

لقد كان لقاء عبير مع روبن هود تجسيدا للحرب بين الخير والشر، و بدا هذا جلياً في تجسيدها لدور باتريك و دور روجر القبيح، لقد رفضت الخيانة وسعت لإحقاق الحق. في حين انتصر الحب لدى بياتريس التي كانت على عكس والدها رمزاً للنزاهة

وعدم الانحياز والتعاطف. كان روبن هود الأسد في حين أن المأمور لم يتحرّر من صفات الذئب، ربّما ينتصر الشرّ في معركة لكن هذا لا يعني انتصاره في الحرب.

لقد كان الكاتب أحمد خالد توفيق -مثل عاداته- مولعًا بالرموز، مانحًا الأحداث تسارعًا رهيبًا مليئًا بالتشويق والمفاجآت، واصفًا الشخصيات بصفات دقيقة تتناسب مع صورة الفارس والمأمور، الخائن والشريف، الظالم وصاحب الأرض. لقد كانت لغته واضحة ومناسبة للقصة ومتماشية مع مغامرات عبير في فانتازيا. لم ينسَ بين هذه التفاصيل كلّها أن يجعل القارئ بفطرته ميّالًا للإنسانية، متعاطفًا مع ماريان رغم ظهورها البسيط، متفائلًا بقدرات بياتريس رغم نشوئها في بيت والدها المأمور، و موالياً لروبين هود في حربه مع الشر الخالص. ورغم ميله الواضح لإظهار الحق إلا أنّه كان موضوعيًا في ذكر المعلومات كما يعرفها حقًا وفي ذكر سلبيات وإيجابيات كل شخصيّة، وفي جعل المأمور هو من يعترف في النهاية أنّه يمثّل الشر الخالص دون نفاق أو مجاملة. كما كانت النهاية على عكس المتوقع، وعلى عكس الأسطورة التي تقول أن روبن هود فارسٌ شابٌ لا يُهزَم، فكانت النهاية موت البطل الذي مات بشخصه لكنّه خلد برسالته، و بقيت مبادئه التي تناقلتها الأجيال "نسرق الأغنياء لنساعد الفقراء".

وعند الحديث عن النهاية لا يسعنا إلا أن نتذكّر بداية هذه القصّة عندما ظهرت عبير تتأرجح بين الفرح والحزن، وفي هذا عبقرية أخرى من عبقریات الكاتب أحمد خالد توفيق، حيثُ يعطينا في جملة واحدة أو مجموعة من الجمل بداية شيقّة نستطيع السير معها في جميع تفاصيل القصة، فرغم أنّ فانتازيا عالم خياليّ إلا أنه يعكس الواقع من جهة، وواقع عبير بشكل خاص ومن جهة ثانية. عبير تلك البطلة العادية الاستثنائية في آنٍ واحد. وهكذا ظهرت نهاية القصة في بدايتها وظهرت عبير التي أصبحت روجر والتي عادت لتكون باتريك بصفات الإنسان قبل كل شيء آخر.

أرض قمر أرض

تهرب عبير من واقعها إلى عالم فانتازيا، وعلى الرغم من هذا ترافقها حياتها حتى بعد وصل أقطاب (دي جي ٢)، فيكون في عوالمها الخيالية انعكاس لما تعرضت له، عانت عبير من الخيانة، و الخيانة يمكن أن تكون خيانة حبيب، صديق، أفكار، مخططات أو قد تخونك صحتك.

و رغبتها في الرحيل إلى القمر تحققت في استعراضها عملين من أهم أعمال الأدب في مجال الخيال العلمي وحلم الإنسان بالوصول للقمر.

و الكاتب أحمد خالد توفيق في حوضه هذه المضممار يكشف عن ثقافته الكبيرة الممتدة على جميع المعارف، ويستعرض كتابين من الواضح أنه قرأهما يوماً وتأثر بهما. وصف دقيق يجعلك ترى الأشياء أمامك، تنافس بين قوتين كانتا الأعظم في عصر سياسي ما، وظهور قوتين أخريين بسبب انشغال السابقتين بحربهما، هذا هو تجسيده للواقع، فكل مرحلة تسيطر عليها قوة أو قوى مختلفة في العالم، وتشتعل الحروب من أجل أهداف وضعتها هذه القوى وهذا نراه في عصرنا الحالي. و حديث أحمد خالد توفيق عنه ينم عن فكر واسع وقدرة على الرؤية لبعيد.

بناء القصة متمكّن وقوي، واللغة واضحة لأنها لا تخلو من العلم والخيال العلمي، مع إضافة حوارات سريعة ومختصرة وتحمل وصفاً دقيقاً للردود والأسئلة والإجابات. هناك إيجازات ورموز لا تخفى على القارئ على الصعيدين السياسي والعلمي.

من أجل طراودة

لم يتحصّل حصانُ طراودة على رمزيته وشهرته عن عبث، فكان في النهاية هو الخديعة الداهية التي فعلت ما لم تفعله عشرة أعوام من الحرب ، وآلاف الرّجال والجرحى والقتلى والسهام والدروع والسيوف، فقد كانت قصة هذا الحصار قصة حرب عرفها التاريخ، قصة حرب بدأت بسبب فتاة، وتدخّل فيها عدة أرباب من أرباب (الأوليمب)

كلُّ منهم حسب قوته ومهاراته. استطاع الكاتب أن يُرينا سحرَ الحب وما يفعله بالإنسان وكيف يمكن أن يتحول إلى كراهية عندما يرى الآخر شريكه بعين عقله لا بعينه قلبه. كما جعلنا نرى تورُّط أشجع الفرسان في حروب لم يكونوا يريدونها. بالإضافة إلى الغدر والإخلاص، الشجاعة والجن، الرجولة والرقاعة. لقد حملت شخصيات هذه الملحمة العديد من الصفات. وربما كانت أهم نقطة تحول هي رحيل آخيل بسبب صراعه مع أجامنون ثم عودته تلبيةً لنداء الانتقام لروح صديقه العزيز.

كانت لغة الكاتب متأرجحة بين الإتقان والسلاسة، باحثًا في عبر وقصص التاريخ عن روابط تجعلنا نرى كيف يعيد التاريخ نفسه. بالإضافة إلى عرضه الشخصيات بطريقة تجعلنا نراها بكل صفاتها الإيجابية و السلبية. ولربما كانت من أكثر الخدع العقلية ذكاءً هو تلاعبه بين اسمي (عبير) و(هيلين) في أوقات محددة، فأحياناً يدعوها (هيلين) ليجعلنا منغمسين في عالم طروادة، وأحياناً يعيدنا قسرًا لتذكر عبير، وعالم فانتازيا الخيالي، و دي جي ٢.

١٩١٩

لقد كانت النفحة الإنجليزية ظاهرة على دوروثي في بداية انتحالها للشخصية، ولكن فيما بعد استعاضَ الكاتب عن هذا الاسم الإنجليزي باسم (عبير) في معظم أحداث القصة، وذلك لأن أصلها المصري ظهر، وغلب الطبعُ التطبع وغلب الأصل الصورة. ولم تستطع عبير إلا أن تكون مع الحق، مع الاستقلال، مع نضال الشعب الذي يسعى لحرته. كانت لغة الكاتب ملأى بالحماس والثقة، كانت بليغة وواضحة لأنه يتحدث عن نبض الشارع، وكان قريبًا من الناس حيث جعلنا نعيش معه وكأننا الآن جزء من الثورة. لقد كانَ هذا الزمان جزءًا مهمًا من تاريخ مصر والأمة العربية، ومن الواضح أن الكاتب أحمد خالد توفيق كان مدرِّكًا لهذه الحقيقة. البنية الفنية متكاملة، وحبكة الأحداث تظهرُ وكأنما يقوم بها أبطال حقيقيون. لقد كانت النهاية مفجعة بوفاة البطل بسبب سوء تفاهم، وعلى يد صديقه في النضال، مما حمل اللوم لعبير بأنها كانت سبب

قتله. ولكن بقي الأمل موجودًا، فرحيل البطل لا يعني انتهاء الثورة، لأن ولادة الأبطال ممكنة دائمًا.

عبقري

لقد كانت جرأة كبيرة من الكاتب (أحمد خالد توفيق) أن يغوصَ في عالم (دستوفسكي) هذا الأديب والفيلسوف الروسي العظيم، وكانت الجرأة الأكبر هي في الخلط بين أحداث رواياته وأحداث حياته، حيث كانت عبير تنتقلُ بخفة من فكرة إلى أخرى. فأحيانًا تكون ضمن رواية من رواياته وأحيانًا تلقي الضوء على حياته هو. أما لغة الكاتب فكانت مفعمة بالأفعال التي تدل على الحركة والأحداث، بالإضافة إلى اهتمامه بالصورة ليجعلنا نكون داخلَ هذا العالم الذي تعيشه عبير، كما أضأ على جوانب من لغة دستوفسكي عندما استعملَ نفحاتٍ من أسلوبه وكلماتٍ من قصصه. والبنية الفنية متماسكة حيثُ كانت خطوة جريئة منه أن انتقلَ من قصةٍ إلى أخرى ذاكراً شخصياتها وأهم أحداث فيها ليجعلَ عبير تتدخل في مسراها. عبقرية دستوفسكي لا شكَّ فيها، وعبقرية أحمد خالد توفيق جليّة أيضًا، حيثُ بدأت من عنوانِ القصة التي أسماها (عبقري).

في مملكة الأخوين

ليس من اليسير بالتأكيد أن تهدمَ النهايات السعيدة التي اعتادَ عليها البشر، وخاصةً أنها لقصصٍ شهيرةٍ يعرفها الجميع. لقد كانت هذه خطوة جريئة من الكاتب (أحمد خالد توفيق) وإثباتًا جديدًا على عبقريته وإبداعه، لقد استطاع بكل حنكة أن يغيّر أحداث أهم القصص التي تربّت عليها أجيال من الأطفال، واستطاع أن يجعلنا نشعر وكأنها هذه القصة الحقيقية. لقد وازن بين عالمين؛ عالم الأطفال الذي حاولَ كتّابه أن يزرعوا الخير وأن يعرضوا الجانب الإيجابي، والعالم الحقيقي الذي يمكن أن يتخفى فيه الأشرار ثياب الحملان الوديدة. أما بالنسبة للغة الكاتب فقد تراوحت كلماته بين الجدية

وإظهار حقائق الواقع، وبين الفكاهة وشذرات الخيال. وكانَ هناك انتشارٌ كبيرٌ للأفعال التي تدلّ على الحركة. أمّا الحكمة فكانت واضحة أثناء الانتقال من شخصية لشخصية ومن قصّة إلى أخرى.

ألعاب فارسية

لا يجب أن تكون فارسيا لتعرف قيمة هذا العمل الرهيب الضخم (الشاهنامه).. إن الشاهنامه مرجع شامل لتاريخ الفرس وعقائدهم وأبطالهم، حيث يجمع هذا العمل أساطير الفرس وحكايات الفلاحين الدهقان، كما أنه صدر عن شعور فارسي عميق بأن الحضارة العربية توشك على التهام الفارسية؛ لهذا تنتهي الشاهنامه بدخول العرب ومقتل ملك الفرس.. بإمكاننا القول أن الشاهنامه محاولة فارسية للاحتفاظ بالذات أمام المد الإسلامي، ولهذا تحوم حولها تهمة شعبية ما.. ومازال البعض يعتبرها عملا خبيثا.^١

في عالم الخيال، مدينة لها طابع إسلامي عتيق.. طراز بناء فريد من نوعه وجدران تحمل رسومات لأبطال تذكرك بأيقونات القديسين البيزنطية. الخط العربي نفسه يقطع الأنفاس هنا، لقد جعل منه فناً عظيماً يتسم بالأناقة والتعقيد، عدا عن ذلك الجو كله جو شرقي وكأنه ألف ليلة وليلة.. النعناع ورائحة الورد تنتشران بالمكان، هناك سيوف وفرسان وخيول وزقاق دافئ تليه أسواق شرقية يباع فيها البطيخ والشمام.. إنها بلاد فارس، هذه طهران ولا شك في ذلك..

تدور أحداث هذه الرواية حوال الملاحم الفارسية ومغامرات أبطال الفرس، ولقد صور لنا الكاتب كل الوقائع من منظور عبير، تعيش عبير واقع الملاحم الفارسية ويجعل منها الكاتب شخصيات مختلفة مثل "رودابة" و"تهمينة" و"جوردافريد، لتقابل شخصيات عظيمة كرستم وصحراب.. رستم هو مجموعة من أبناء الملوك الذين لم يستطيعوا أن يجلسوا على العروش، وهو البطل حامي حمى إيران الذي لا يهاب شيئاً.. أما عن

^١ - ألعاب فارسية، سلسلة فانتازيا ٤١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٤.

صحرا ب فهو ابن رستم العظي م؁ وهو فتى قوي طموح يحلم بالسيطرة على إيران وإهدائها لوالديه.

الملل بعينه

لم تكن عبير معتادة مناورات الرجال؁ لكنها اليوم تستطيع تمييز هذه المناورات بسرعة كبيرة؁ حيث كانت محاولات مراد واضحة جدا بالنسبة لها؁ لم يكن حنانها أو اهتمامه الزائد إلا سبيلا يتبعه ساعيا لنيل ما يريد. وما يزعج عبير بالفعل أنه ليس معجبا بها؁ هو فقط يكره أن يترك فرصة سهلة تمر به دون أن يغتنمها.. طبعاً هي ليست سهلة على الإطلاق؁ لكنها نظرة مجتمع فاسد لامرأة كعبير!

لربما لم تُقلق نظرة المجتمع عبير وحدها؁ فأمرها كانت كثيرة القلق بشأنها؁ كانت تكره لفظة مطلقة؁ بيئتها ترفض هذا الوصف وتتعامل معه في شك بالغ. لذا كانت الأم تتوقع أن بنتها تعمل في عرين ذئاب يسيل الزبد من أشداقها..

بدأ الكاتب بوصف حديقة واسعة.. "حديقة لا يميزها إلا جمالها.. هناك أرجوحة.. هناك إناء لسقاء الطيور.. هناك بيت أنيق وجذاب في وسط المكان.. هناك نافورة تحيط بها تماثيل نساء لا تعرف أبدا ما يفعلن؁ وكأن النحات ينحت أجسادا ثم لا يعرف ما يجب أن تقوم به هذه الأجساد! بشكل عام كان الجو رومانيا"^١.. لقد بدأ الكاتب الحكاية بوصف ذلك المكان الجميل الذي يتوقف عنده قطار فانتازيا؁ فكان هذا المكان الواقع الأقرب للأحداث الرومانسية التي تمر بها الرواية.. وقبل الوصول لهذا المكان كان قطار فانتازيا يتهادى وسط العوالم التي تتغير كل مرة؁ لقد صور لنا الكاتب الفوضى الحديثة بفضل روايات نهاية الألفية التي تتحدث عن فناء العالم وبفضل القصص المصورة التي تحتل هذه الفترة الزمنية. ولم تكن هذه الأجواء إلى حيلة وضعها الكاتب لإضفاء جو من الحداثة والثقافة على القصة.

^١ - الملل بعينه؁ سلسلة فانتازيا ٤٢؁ أحمد خالد توفيق؁ دار الشروق؁ القاهرة؁ ١٩٩٥؁ ص ١٠.

^٢ - المصدر السابق؁ ص ١٧.

يعتقد البعض أن الجمال موهبة وليس مجرد ميزة شخصية، إنه شيء كالشعر والرسم. لربما لم تكن الأنسة (مي) أديبة عظيمة، لكنها كانت جميلة لبقة بلا شك.. وفي صالونها كان يحتشد قادة الفكر في مصر من أمثال (أحمد لطفي) و (العقاد) واعتقد كل منهم تقريبا أنه يهواها..

غيداء جميلة؟ يسهل أن تقول نعم.. برغم أن هذا لا يعني شيئا.. ربما لو تخيلت خواطر الملائكة.. ربما لو تصورت أحلام الفراشات.. ربما لو امكنت استراق السمع إلى أسرار النسيم.. ربما لو امتزجت بهدير الشلال وخرير الجدوال، وحلقت مع بذور اللقاح المنبعثة من تنهدات أزهار الليلك.. ربما عندها تقترب من إدراك الصورة.

قد جمع الكاتب في هذه الرواية أعظم العاشقين على مر العصور ليتسابقوا من أجل الفوز بقلب غيداء. أولهم عنتره أحد أشهر وأشجع شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، وصوره الكاتب على أنه بواب أسمر ضخم مفتول العضلات لا يهاب شيئا.. وبالنسبة لروميو فهو نموذج العاشق الرقيق الذي يقف تحت الشرفة ليلقي أشعارا تجذب عبير إليه، إنه شاب شجاع برغم وهنه. وابن عمها هو قيس بن الملوح (مجنون ليلي)، الشاب الثرثار الذي لا يطيق أن يجب دون أن يملأ الدنيا صراخا، وقد أودى به هذا الحب إلى المصحة النفسية. وكان هنالك سмир الذي يمثل انعكاسا لشخصية (سيرانو)، سيرانو الأديب غريب الأطوار الذي أحب روكسان ولم يجرأ على مصارحتها بسبب قبحه وأنفه الكبير، فكلاهما يملك غريزة التفاني وتعذيب الذات. وأشد الشخصيات مكرها هو تامر (دون خوان)، وهو بالحقيقة جاسوس اسباني، شخصيته اختلطت بالخيال لأن شخصيته الثرية راقت للفنانين، إن هذا الطراز يروق للفنانين والنساء على حد سواء. وبالنسبة للشخصية البسيطة هي شخصية (عطا الله)، بالرغم من بساطته وعدم وجود ما يميزه إلا أنه لم يكن يملك أية عيب واضح، إنه رجل عسكري في الأربعين أنيق، ومن الواضح أن معلوماته عن النساء محدودة جدا.

أسطورة نهر

تدور أحداث الرواية في القرن التاسع عشر، حيث تنطلق عبير مع مجموعة من المستكشفين البريطانيين لتتوغل في أعماق أفريقيا بحثا عن منابع النيل وبحثا عن (د. ليفنجستون) الذي ضاع وهو يحاول اكتشاف أسرار النيل العظيم.

ليفنجستون.. ستانلي.. سبيك.. بيكر.. بحيرة فكتوريا.. بحيرة إدوار، كل هذا من أجل هذه اللحظة، لحظة اكتشاف البحيرات الثلاث التي تغذي النيل، النهر الذي يتجه إلى المتوسط ليفضي بأسرار حبه هناك..

يركز الكاتب في هذه الرواية على تصوير شكل الرجل البريطاني الكلاسيكي في أواخر القرن التاسع عشر، حيث يبدأ بوصف رئيس تحرير إحدى الجرائد البريطانية، وهو نمط بريطاني بأناقته وسترته والشارب الأبيض ولغته البريطانية التي من الطراز الذي يثير الغيظ. ومن الشخصيات المهمة أيضا "هنري ستانلي مورتون" المستكشف البريطاني الغني عن التعريف، في الواقع هو نصف بريطاني نصف أمريكي، وهو رجل متأنق قوي البنية وله لحية قصيرة وعينان تلمعان بالتصميم وبعض القسوة. وكان ستانلي شديد البأس وعنيفا مع الأفارقة، كأن العنصرية كلها تجسدت به، وبالتأكيد لم يعتقد للحظة أن الأفريقي كائن بشري، فلو كان مرافقو حملته مجموعة من القروء لكان أكثر تعاطفا معهم^١.

شيء من حتى

إنها بلدة عربية في زمن قديم، ربما كانت تشبه دمشق أو بغداد في عصر الدولة الأموية أو العباسية، لكن بالحقيقة هي البصرة في القرن الأول أو الثاني الهجري، إنه المكان الذي تجد فيه الكثير من العلم والحقائق التاريخية.. إنه المكان الذي سكنه عباقرة النحو واللغة.

^١ - أسطورة نهر، سلسلة فانتازيا ٤٣، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٩.

بالرغم من معرفتنا المحدودة فيما يخص نمط الحياة في ذلك الوقت وعلى الرغم من صعوبة تخيل أجواء عاشها أسلافنا قبل مئات السنين، إلا أن للكاتب رأي آخر بهذا الخصوص.. فلقد وصف لنا المكان بدقة عالية، دقة كفيلة بأن تجعلنا جزءا من ذلك المكان وجزءا من ذلك المجتمع، حيث وصف الكاتب البصرة وقال: (هناك ساحة يحيط بها أكثر من مسجد.. جمال تحمل غاللا تعبر المكان في بطاء، وعبيد زنوج يفرغون حملتها، بينما شاعر عابث يطارد جارية حسناء، وأطفال يلعبون بطوق، وسقاء يحمل قرية جلدية مليئة بالماء المعطر يطوف بها على مجموعة من طلاب العلم الواقفين يتناقشون في شرح إحدى المعلقات.. النخيل في كل مكان وهناك نافورة لا بأس بها..)

لم تكن البصرة المحطة الوحيدة في الحكاية، حيث كانت هناك بغداد، المدينة التي تمت فيها المنافسة اللغوية الشهيرة بين سيويه والكسائي! لكن بكل الأحوال المنافسة ما هي إلا حدث واحد أمام سلسلة كبيرة من الأحداث تمر بها البصرة، أحداث كثيرة عاشها سيويه وهو يكتسب الخبرة من معلمه الخليل بن أحمد، ليكمل الطريق إلى النهاية وحده وينظم كتابا في علم النحو يتطرق فيه إلى كل ما يمكن التفكير به، فلم يترك شيئا لعلماء النحو المعاصرين.

سيويه.. الخليل بن أحمد.. الكسائي.. حماد بن سلمة.. الفرائي.. الأخص..

قطرب.. ابن مالك!

لقد أفنى هؤلاء العلماء حياتهم في سبيل حفظ اللغة العربية من العبث والاندثار.. لقد جعل الكاتب عبير واحدة من أكثر الناس حظا، عندما أرسلها لتعيش في ذلك الزمان وترى عبقرية الخليل بن أحمد وبراعة سيويه، وذكاء ومكر الكسائي. لربما كانت بعض الأحداث خيالية.. لربما كانت عبير غير موجودة بالأصل لكن هذا لا يجعل الصفات التي تحلى بها أبطال الحكاية غير حقيقية.. "الخليل بن أحمد" كان بالفعل رجل من مسك وذهب، رجل من أذكى رجال العرب بعد الصحابة.. "سيويه" هو كبير نحاة البصرة الذي لم يتوقف يوما عن البحث وطلب العلم، ولم يتوقف يوما عن البحث في

حالات إعراب "حتى" .. سيبقى هؤلاء الرجال حجة في عالم النحو واللغة، وبالتأكيد سيبقون سس خالددين في قلوب كل من تكلم العربية.

تشي (الحالم الأخير)

لا يوجد حدود للنضال والكفاح فجيفارا نفسه قال "أينما وجد الظلم فذاك هو موطني" ..

لقد أراد الكاتب أن يجعلنا نعيش الأحداث التي عاشها تشي جيفارا من جديد، فخلق شخصية مشابهة تماما لشخصية تشي .. (سي عمارة) الذي يحارب الإمبريالية الأمريكية لكن في العراق هذه المرة. كما كان تتركيز الكاتب كله على مركبات شخصية جيفارا، إلا أنه راح في بعض الأحيان يصور لنا شخصية الخائن الموجود في كل زمان ومكان، الخائن الذي يبيع قضيته في سبيل الحلم الأمريكي ..

ويصور لنا الكاتب الفرق بين واقع جيفارا الستينات وجيفارا القرن العشرين، فالأيديولوجية التي كان جيفارا يحارب من منطلقها قد تلاشت، لقد تلاشى الاتحاد السوفييتي والصين منهمكة بنهضتها الاقتصادية ولم تعد هناك سوى دولة واحدة قوية هي الولايات المتحدة. بكل الأحوال أمية تشي جيفارا وارتباطه بالفقراء والمظلومين، ألهمت الحركات الراديكالية الجديدة في العالم، ونداؤه "بأن نبدأ العيش بطريقة لها معنى" تردد صداه عبر الجيل بأكمله.

يوم غرق الأسطول

اللعبة هي البساطة ذاتها، لم تكن عبير تبحث عن شريف في الشارع أو في حجرات المنزل .. كان يتوجب عليها حوض لحظات تاريخية دامية وسط طائرات مقاتلة وسفن تغرق وأساطيل تلتحم .. عليها وسط هذا كله أن تبقى حية وتجد شريف بطريقة ما .. لقد جعلتها فانتازيا هذه المرة تعيش أحداث هامة غيرت مجرى التاريخ، لقد شهدت الهجوم على ميناء بيرل هاربر عام ١٩٤١، ثم شهدت آخر حروب الجمهورية الرومانية

التي كانت قبل الميلاد.. وكان لها دور كبير في معركة ذات الصواري في العام ٣٥ بعد الهجرة النبوية. وأخيرا انتهت رحلتها بعدما أنهت مسيرة البحث عن شريف.

لقد تعمد الكاتب في هذه الرواية أن يمنح عبير شخصية مختلفة في كل مغامرة ليتم إشراكها فيها. لقد كانت (جانيس) تلك الفتاة الفاتنة التي تسرق الأنظار في هجوم (بيرل هاربر) وهنا كانت جاسوسة يابانية تعمل كساقية في المقهى القريب من الميناء الذي يتردد إليه جنود البحرية الأمريكية. ثم أصبحت (شرميون) جارية الملكة كيلوباترا لتشهد أحداث معركة أوكتيوما.. أما بالنسبة لدورها في معركة ذات الصواري فكانت تلعب دور الأسيرة الرومانية "هيلانة" التي يجررها فيريس من أحد السجون العربية.

المجنّد (توماس واينبرجر) و (أوكتافيوس) و (فيريس)، لغز ثلاث شخصيات تمتلك أشياء مشتركة مع شريف، وبالرغم من التشابه الكبير بين شخصية توم وشخصية شريف، والتلميحات الواضحة التي جعلت أوكتافيوس أقرب ما يكون إلى شريف، إلا أن فيريس هو الشخص المنشود والمشاعر التي تحملها عبير نحوه مطابقة تماما لتلك المشاعر التي تحملها نحو شريف.

الفصل الثالث: الشخصيات

في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق، هناك عدة شخصيات رئيسية تتميز بملامح وصفات مميزة.

١. عبير عبد الرحمن

عبير فتاة ذكية وشجاعة، تتميز بقدرتها على التفكير السريع واتخاذ القرارات الصعبة. تمتلك خيلاً واسعاً يمكنها من التكيف مع العوالم المختلفة التي تزورها. هي فتاة عادية في مظهرها، لكن عينيها تعكسان شغفها وفضولها نحو المغامرة. عبير مرحة، متفائلة، وتحب التحديات. لديها روح مغامرة قوية ولا تخشى المخاطرة.

٢. شريف إبراهيم

زوج عبير السابق ومخترع جهاز دي-جي-٢. هو شخصية ذات ملامح قوية وشخصية جريئة في سلسلة فانتازيا. يمتاز بالشجاعة والعزم، وغالباً ما يجد نفسه في مواجهة تحديات خطيرة ومثيرة. يتميز بالذكاء والإرادة القوية، ويعبر عن قيم مثل الشجاعة والصدقة والولاء في مغامراته.

٣. صفوت

صديق (شريف) ورئيس (عبير) سابقاً حينما كانت تعمل في مكتب الكمبيوتر. يُصوّر صفوت كشخص متفاني ومغامر، يجسد روح البطولة والمثابرة في مواجهة التحديات والمخاطر في عالم الخيال الذي تخلط فيه بين الواقع والخيال.

٤. المرشد

هو شخصية مهمة في العديد من السلاسل الفانتازيا. يكون غالباً حكيماً ومعرفاً بالعالم وقوى الظلام التي تهدد به. يقوم بدور الإرشاد والمساعدة للشخصية الرئيسية أو الأبطال في رحلتهم، ويمتلك معرفة عميقة بالسحر أو الأساطير أو التاريخ. تتميز شخصيته بالحكمة والسلام الداخلي، يشبه وجهه وجه مدرس اللغة العربية لعبير.

٥. الكمبيوتر

هذا الجهاز هو الوسيلة التي تنتقل بها عبير إلى العوالم الموازية. يحتوي على برامج تمكنها من زيارة عوالم خيالية وتاريخية. يمكن للكمبيوتر التفاعل مع عبير وإعطائها إرشادات ونصائح حول كيفية التعامل مع التحديات التي تواجهها. يظهر كجهاز كمبيوتر عادي، لكن عند استخدامه، ينقل عبير إلى عوالم مختلفة. هذه الشخصيات الرئيسية تساهم في إثراء عالم "فانتازيا" وتجعل القصص مليئة بالتشويق والإثارة.

في سلسلة "فانتازيا" لأحمد خالد توفيق، تساهم الشخصيات الثانوية في إثراء القصص وإضفاء المزيد من العمق على الحكمة.

١. الساحر: في رواية "أنا والساحر"

يملك الساحر قوى سحرية هائلة تمكنه من السيطرة على الأمور بطرق غير تقليدية. شخصيته غامضة وشريرة، يملك خططاً معقدة لتحقيق أهدافه. غالباً ما يوصف بملابس تقليدية للسحرة مثل العباءة والقبعة المدببة، مع نظرة عميقة وعيون حادة.

٢. نسخة عبير في رواية "أنا وأنا"

تشبه عبير تمامًا من حيث المظهر والشكل الخارجي، مما يسبب لها وللقارئ حيرة في البداية. على الرغم من التطابق الشكلي، تظهر اختلافات في التصرفات والأفكار، مما يجعلها نسخة مميزة بحد ذاتها.

تمثل تحديًا لعبير الأصلية، حيث تحتاج إلى التمييز بين ما هو حقيقي وما هو

وهمي

٣. جلجاميش في رواية "صديقي جلجاميش"

جلجاميش هو بطل أسطوري قوي وشجاع، يتمتع بقدرات جسدية هائلة. يظهر جلجاميش كصديق وفيّ لعبير، يساعدها في مغامراتها ويحميها من الأخطار. يوصف

جلجاميش بملامح البطل الأسطوري، مثل البنية العضلية القوية، والملابس التقليدية للبطل القديم.

٤. المخلوقات في شيرود: في رواية "لا تدخلوا شيرود"

هذه المخلوقات تعيش في مكان غامض ومخيف يسمى شيرود، وتتميز بصفات تجعلها مرعبة.

توصف بملامح غير مألوفة وغريبة، تتراوح بين الأشكال الحيوانية والمخلوقات الأسطورية. تمثل تحديًا كبيرًا لعبير ومن معها، حيث يجب عليهم فهم طبيعتها والتغلب على خوفهم.

٥. الشخصيات التاريخية والأدبية: سلسلة فانتازيا لأحمد خالد توفيق تضم

مجموعة متنوعة من الشخصيات التاريخية والثقافية، وهنا بعض الأمثلة :

١. ألكسندر الأكبر: ملك مقدونيا الذي وردت ذكراه في عدة روايات.
٢. الكوماندوز: مجموعة من المقاتلين المقدامين والمتخصصين في القتال.
٣. الملك آرثر: شخصية أسطورية تعود إلى الأساطير البريطانية، وقصص حول ملكية الفرسان والمغامرات.

٤. رمسيس الثاني: ملك مصر القديمة الشهير.

٥. نابليون بونابرت: الزعيم الفرنسي الشهير في القرن التاسع عشر.

٦. أسكلابيوس: الإله اليوناني للطب والشفاء.

٧. سليمان القانوني: السلطان العثماني الشهير.

٨. جين كلارك: رائدة فضاء أمريكية.

٩. ماركو بولو: المستكشف الإيطالي الشهير.

١٠. فريدريك نيتشه: الفيلسوف الألماني. ١٣. جوليس قيصر*: الزعيم

الروماني الشهير الذي قام بتوسيع إمبراطوريته.

١٤. خليل جبران: الكاتب والفيلسوف اللبناني المشهور بأعماله الأدبية.

١٥. كليوباترا: ملكة مصر الشهيرة.

١٦. محمد علي باشا: حاكم مصر العثماني الذي قام بالعديد من الإصلاحات في القرن التاسع عشر.
١٧. ريتشارد قلب الأسد: الملك الإنجليزي الشهير الذي شارك في الحروب الصليبية.
١٨. ليوناردو دا فينشي: الفنان والمبتكر الإيطالي الشهير.
١٩. محمود مختار: شخصية مصرية تاريخية مشهورة في الحركة الوطنية.
٢٠. جوان دارك: المناضلة الفرنسية التي قادت الجيش الفرنسي ضد الإنجليز في حرب المائة عام.
٢١. ميخائيل رومانوف: القيصر الروسي الأخير من سلالة رومانوف.
٢٢. عمر الشريف: الممثل المصري الشهير.
٢٣. أسطورة الملك آرثر: بالإضافة إلى الملك آرثر نفسه، قد تظهر شخصيات مثل ميرلين ولانسلوت وغوينيفير في السلسلة.
٢٤. سليمان القانوني: السلطان العثماني الذي تاريخياً كان يشتهر بحكمه وعدله.
٢٥. ماري كوري: عالمة البولندية الشهيرة الحائزة على جائزة نوبل في الفيزياء.
٢٦. الفريق البريطاني T. E. Lawrence: المقاتل والمستكشف الذي شارك في الثورة العربية ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.
٢٧. مارك أنطونيو: الجنرال الروماني الذي شارك في الحروب الأهلية ضد جوليوس قيصر وأوكتافيان.
٢٨. جيوفاني بوتشيني: الملحن الإيطالي الشهير المعروف بأعماله الفنية.
٢٩. موسى بن نصير: الجنرال العربي الإسلامي الذي فتح الأندلس في القرن الثامن.
٣٠. نيكولا تسلا: عالم الفيزياء والمخترع الصربي الشهير بأفكاره المتقدمة في مجالات الطاقة والكهرباء.

٣١. سيدنا علي بن أبي طالب: شخصية دينية مهمة في الإسلام، وهو ابن عم وصهر النبي محمد.
٣٢. بلقيس: الملكة اليمنية الشهيرة التي ذكرت في العديد من الأساطير والروايات التاريخية.
٣٣. جيمس كوك: المستكشف البريطاني الشهير الذي قاد عدة رحلات بحرية إلى المحيط الهادئ.
٣٤. خوانا دارك: أميرة كاستيلا الإسبانية التي أصبحت الملكة خوانا الثالثة من قشتالة.
٣٥. هارون الرشيد: الخليفة العباسي الشهير الذي حكم خلال عصر ذهبي للدولة العربية الإسلامية.
٣٦. كاثرين العظمى: ملكة روسيا الشهيرة التي حكمت في القرن الثامن عشر.
٣٧. فرانكلين روزفلت: الرئيس الأمريكي الشهير الذي شغل منصب الرئاسة في بداية القرن العشرين.
٣٨. رامسيس الأول: ملك مصر الفرعوني القديم الذي شهدت عهده بناء العديد من المعابد والأهرامات.
٣٩. مريم العذراء: شخصية دينية مهمة في المسيحية، وهي أم يسوع المسيح.
٤٠. هوميروس: الشاعر الإغريقي القديم الذي يعتبر مؤلف "الإلياذة" و"الأوديسة".
٤١. جاليليو جاليلي: العالم الإيطالي الشهير الذي قام بتطوير نظرية الأجسام السماوية.
٤٢. سانت جورج: القديس المسيحي الذي أصبح رمزًا للشجاعة والفضيلة.
٤٣. فريدريك نيتشه: الفيلسوف الألماني الذي نشر العديد من الأفكار الفلسفية البارزة.

٤٤. أبو بكر الصديق: أحد الصحابة الذين شغلوا منصب الخليفة الأول للمسلمين بعد وفاة النبي محمد.

٤٥. ماريا ماريا: المقاتلة والثائرة الكولومبية التي قادت حملة ضد الاستعمار الإسباني.

٤٦. السيدة العذراء السوداء: تمثال مسيحي شهير يقع في مدينة بروج في بلجيكا.

٤٧. نيفيل شامبرلين: السياسي البريطاني الذي شغل منصب رئيس الوزراء أثناء الحرب العالمية الثانية.

٤٨. سانت باتريك: القديس المسيحي الذي يعتبره الكثيرون القديس الوطني لإيرلندا.

٤٩. يوسف الصديق: النبي الذي ذكرت قصته في القرآن الكريم والتوراة.

٥٠. جورج واشنطن: الزعيم الأمريكي الذي أصبح أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية.

تظهر العديد من الشخصيات التاريخية والأدبية في العوالم المختلفة التي تزورها عبير، مثل شخصيات من الأساطير الإغريقية أو الأدب العالمي. تساعد هذه الشخصيات عبير في مغامراتها أو تكون جزءاً من التحديات التي تواجهها. تتراوح بين الأبطال التاريخيين والفلاسفة...

تتميز سلسلة "فانتازيا" بوجود عناصر غير واقعية أو خيالية مثل السحر و الكائنات الخيالية دون الاعتماد على تفسير العلمى. ويلعب دورها الرئيسي هو شخصية عبير عبد الرحمن، نموذج آخر للبطل الذي يتمتع بصفات عكس صفات البطل. في هذه السلسلة، تمر البطلة بالعديد من التجارب المختلفة والقوية في عالم الخيال، بمجرد أن تكون في عالم كاتب معين، أو أنها تبدأ في مغامرة مع شخصية خيالية أو عالم خيالي عبارة عن شخصية اسطورية أو خيالية أو فترات تاريخية على الأرض، في بعض الأحيان تمتزج هذه العوالم مع بعضها أو تتداخل مع الروايات الأدبية كما إنهم ينتقلون إلى العوالم

الأدبية وإلى الخيال الذي ابتكره البشر والمعرض للنقد بسخرية أحياناً. إنه نوع نادر من الأدب باللغة العربية، عالم خيالي يتكون من خيال عبير عبد الرحمن، الفتاة الرقيقة والهشة والحاملة التي قرأت الكثير من الكتب والقصص والروايات التي يصعب على شخص واحد الإمساك بها. يوجد في هذا العالم العديد من المدن والجسور والقرى والسهول والقلاع والحصان والأبراج والجدران التي تحيط بأنواع مختلفة من الأدب والخيال. تجولت عبير هذا العالم بمساعدة دليل ... دليل خيالي.

عبير: شخصية عادية جداً تتميز بأنها لا تتميز في شيء، ومع ذلك ستأخذك إلى عوالم لا تتوقعها في فانتازيا، حيث كل شيء ممكن، وكل حلم متاح!
كانت العناوين الجذابة المختلفة والرسومات الجميلة على أغلفة أكثر من ستين قصة لأحمد خالد توفيق تعد بالكثير من الدفء في ليالي الشتاء الباردة لطالبة معترية يقتلها الملل في المدينة الجامعية، لا تجد من يشاركها اهتمامها الوحيد بالقراءة..
فتحت أول عدد وهو (قصة لا تنتهي) وقرأت المقدمة الجميلة التي تبدأ بتعريف عبير... اسمها عبير لم يكن لها نصيب من اسمها.. فهي تفتقر إلى الجمال الذي يوحي به الاسم.. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين، باردة الأطراف ترتجف رعباً من أي شيء وكل شيء..
إنها حتى غير مثقفة.. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كي تكون بطلتنا، أو بطلة أي شخص سوانا..

لكن عبير-برغم ذلك- تملك أرق روح عرفتها في حياتي، تملك إحساساً بالجمال ورفقا بالكائنات.. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه.^١
لا يعد د.أحمد كعادته في رسم أبطاله بشخصيات تشبه ما تعودنا عليه من الأبطال في وسامتهم وجاذبيتهم وكونهم شخصيات بارزة بل على العكس هم عاديون

^١ . قصة لا تنتهي، سلسلة فانتازيا ١، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٢.

ضعفاء، غالباً على الهامش، نرى فيهم أنفسنا، نشترك معا في الخيال الكبير الذي يحينا في مواجهة الواقع البائس..

هي والأنا

رحلة إلى مدارس التحليل النفسي الكلاسيكية، عبير في حلم غريب من أحلام فانتازيا تعاني فيه كفتاة شابة من كابوس مخيف له آثار مادية مخجلة. رحلة العلاج تبدأ بالعرفان النصاب كالعادة، وتنتهي بزيارات سرية لثلاثة من أوائل ومؤسسي التحليل النفسي، بين عيادات سيجموند فرويد، وألفرد أدلر، وكارل يونج. كوابيس عبير بين "لاوعي" فرويد، و"مركب نقص" أدلر، ورموز اللاوعي الجمعي عند يونج وميكانيزمات الدفاع النفسي. عدد جميل، والأجمل المسرحية التي تمثل صراع الهو والأنا والأنا العليا. تعاني عبير من مشاكل نفسية معقدة ويتوجب عليها زيارة طبيب نفسي، لكنها فجأة تجد نفسها تزور أعظم أطباء النفس في التاريخ.

"تعال معي .. مد لي يدك الباردة المبتلة بالعرق ، وتعال نخترق ذلك الظلام الكثيف الذي يقود إلى غابة عقلك الباطن .. تعال معي ولا تخف .. أنا معدوم الخبرة مثلك ، لكننا لن نكون وحدنا .. سوف نتهدى بالدكتور (فرويد) والدكتور (أدلر) والدكتور (يانج) وربما سواهم ممن قرروا أن يعرفوا كل شيء عن تلك الغابة .. تعال معي ولا تخف .. سوف تفهم الكثير عن نفسك ، لكن صدقني لن تعود الحياة كما كانت .. لن تعود أفراحك وأحزانك وأحلامك كما كنت تحسبها قبل هذه الرحلة المرعبة ..

د. فرويد قد ولد عام ١٨٥٦ في (مورافيا)، كان أبوه تاجر صوف يهودياً وثق في ذكاء ابنه وأعطاه خير فرص ممكنة للدراسة، ثم كبر الصبي فانتقل للدراسة في فيينا. لقد درس طب الأمراض النفسية والعصبية وله أبحاث مهمة في مرض الشلل المخي.. وبعد كل هذا قرر الاهتمام في مجال الأمراض النفسية وفكر في استخدام التنويم المغناطيسي في العلاج. ومن ثم بدأ يكون نظريته الخاصة عن اللاوعي وقدرة التحليل النفسي على

أخراجه إلى السطح، وكان رأيه أن معظم الأمراض النفسية ناجمة عن تجارب سيئة في الطفولة.^١

لم يكن أدلر مهيباً عظيم المنظر مثل فرويد، كان أقرب إلى البدانة وله شارب هتلري مضحك وعيناه جاحظتان زرقاوان تتواريان خلف عيونات شفافة.. كان أقرب إلى جنرال نازي منه إلى طبيب.

إدلر هو العدو اللدود لفرويد! كانا صديقين حتى دب الخلاف بينهما، فرويد يعتقد أن الجنس محور كل شيء في العالم، و د. إدلر يؤمن بفلسفة الإنسان السوبرمان، وقد عمت شهرته أوروبا ثم اضطر إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، عندما جاء النازيون وتولوا السلطة، وعاش يحاضر هناك وحول العالم حتى توفي في أسكتلندا عام ١٩٣٧. الحقيقة أن موته المبكر نسبياً أدى إلى تراجع مذهبه في التحليل النفسي بسرعة وهي حقيقة غريبة.. لكي تترك تأثيراً في أية مجال يجب أن تعيش طويلاً، فلا يوجد فارق عند الناس بين العالم الكبير سنّاً والكبير علماً.^٢

(كارل يانج) العالم السويسري الشهير الذي ولد عام ١٨٧٥ وتوفي عام ١٩٦١. هذا العالم جعل علم النفس يتمدد ويأخذ مصادره من الأديان والأساطير وتراث الشعوب والأحلام والأغاني الشعبية وحتى الأطباق الطائفة. وكان له اهتمام شديد بعملية تحضير الأرواح ليس لأنه يؤمن بها، ولكن لأنه يؤمن بالأسرار التي يكشف عنها اجتماع عدة اشخاص في مكان مظلم مغلق ليمارسوا طقساً رهيباً كهذا.. ولو لم يكن يانج عالماً لصار ساحراً مبهرًا.. آمن يانج باهتمامه بعلم النفس منذ الطفولة ودرس علم النفس في زيورخ، وتمكن من أن يجوب العالم بعد الحرب العالمية الأولى.. زار الهند وأفريقيا، ورأى الكثير في الشرق حتى آمن بأن الجانب الروحي من الإنسان مهمل في الغرب ويجب أن تتم تقويته أكثر ويجب أن تمتزج الروح بالمادة. وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، اتهم (يانج) بالتعاون مع النازيين، وحاول نفي هذا الأمر بحجة أنه كان

^١ - هي والأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٤٢.

^٢ - هي والأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٧١.

يلعب دور الوسيط بين العلماء اليهود والنازيين. النازيون بطبيعة الحال يرتابون في علم النفس ويعتبروه علم يهودي. فكان على يانج أن يظهر بوجه غير يهودي لكي يقبل به النازيون^١.

الساحر وأنا

هذه المرة لقد وضع الكاتب عبير في مركز الحضارة الأمريكية، في مركز الرأسمالية قبل أن يظهر برجا (مانهاتن) وقبل أن يتهاويا..

تدور أحداث الرواية في عام ١٩٢٠م، وأبطال هذا الرواية هم هوديني وآرثر.. إننا في فانتازيا وكل شيء خيالي لكن الشخصيات هنا هي شخصيات حقيقية ولها تأثير كبير في عالمنا.

الشخصية الأولى "هاري هوديني" عبقرى الهروب والأب الشرعي لألعاب الخفة.. اسمه الأصلي "إريك فايس"، لقد كان مهاجر مجري فقير، عمل لفترة ببيع الصحف، وبعدها عمل بمهنة إصلاح الأقفال وهي خبرة ظل يحمل لها العرفان طيلة حياته.. وفي عام ١٨٩١ قرر أن يحترف مهنة السحر، السحر القائم على خفة اليد والذي يقدمه الهواة على المسارح وفي السيرك. وقد اختار لنفسه اسم "هاري هوديني" لأنه كان معجبا بساحر فرنسي شهير اسمه "جان روبرت هودان"، وكان عادة يمارس ألعابه معتمدا على لياقة جسده^٢.

أما عن الشخصية الثانية فكان ورائها آرثر.. "آرثر كونان دويل" كل شيء فيه يوحي بأنه بريطاني، شارب كث أنيق وبذلة تتدلى من صدرها عدة سلاسل، لقد كان آرثر أديب عبقرى ومن أبرز إنجازاته شخصية "شيرلوك هولمز" المحقق المشهور، وعلى الرغم من أنه نشأ نشأة كاثوليكية صارمة إلا أنه غير متدين وينتمي لمذهب (اللا

^١ - هي والأنا، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٠، ص ٨٥.

^٢ - الساحر وأنا، سلسلة فانتازيا ٤٧، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٨.

أدرية).. أي أنه يعتقد بأن عقلنا البشري غير قادر على إيجاد حقيقة الوجود! كما يؤمن آرثر بنظرية استحضار الأرواح ويدافع عنها دفاعا شرسا.

فلننقد الدوتشي

تبدأ الرواية بالحدث الكبير في عام ١٩٣٨، يوم لقاء الدكتاتورين هتلر وموسوليني من أجل الاتفاق على التحالف وتوحيد القوى ضد العالم. المشهد كان مهيبا بحق! ميدان واسع وعلى الجانبين يصطف آلاف الناس وفي وسط الميدان منصة عالية يفرق قوفها العلم النازي.. صفوف من الأطفال الذين يحملون صور الفوهرر والأناشيد ترتفع إلى عنان السماء.. الأمطار تنهمر ونار النفوس لا تنطفئ، هذا جو من التعصب والحماسة القادرة أن تحرك الجماهير لتفعل أي شيء.

اسمها (هانا شتورجر) وهي فتاة ألمانية تعيش في ألمانيا النازية كغيرها، وبالطبع هي شديدة الإيمان بالفوهرر. كانت عبير تعرف أن الفوهرر مجرد رسام أراد أن يلون الكرة الأرضية باللون الأحمر، لكنها اعترفت لنفسها أن جنون الجماهير طوفان يجرف، فجأة تكتشف أن رأيها كراي الناس من حولها.. تتخلى عن كل قناعاتك القديمة عندما ترى جارك وصديقك وأباك متحمسين. هناك حمى تدعى (الفوهرر)، لقد أصابت الجميع وستصيبك مهما قاومت.. لقد كان أبوها عضوا في الحزب يعلق شارة النازية على ذراعه وأمها لا تكف عن إنشاد ألمانيا فوق الجميع، أما أخيها فهو يذهب مع رفاق لمهاجمة بيوت من لم يُعرف عنهم الولاء للحزب. حتى حبيبها يضع شعار الحزب على ذراعه، وبالحديث عن حبيبها.. يدعى هذا الفتى العاشق (مولر) وهو نموذج للشباب الهتلري الذي يعتقد أن الحرب ستنتهي بسيطرة ألمانيا على العالم.

إنه رمز بصري قوي جدا كهتلر وغاندي وشابلن وأيشتاين.. هذا هو (موسليني) الديكتاتور الإيطالي الشهير.. قد وصل موسليني إلى أن يصير رئيس وزراء إيطاليا بعد أعوام طوال من العمل كشيوعي تارة ومعاد للشيوعية تارة. لقد أسس الحزب الفاشي عام ١٩٢١م، والفاشية هي مثال للدكتاتورية، فهي تعلي مصلحة الدولة على المصلحة

الفردية وتعطي كل النفوذ والسيطرة للزعيم^١.. كان صعوده صاروخيا وتأثيره على الجماهير مغناطيسيا بطريقته المقتحمة العنيفة. كان يدعو إلى الحشونة والتخلي الكامل عن الطرق المهذبة في الكلام، الحقيقة أن الطب وجد تفسيراً لغرابة أطوار أكثر من دكتاتور في إصابته بزهرى الجهاز العصبي ولم يكن موسليني استثناء، فهو سرح من الجيش لهذا السبب.

هتلر يعتقد أن موسليني يختلف عن شعبه، والمرات القليلة التي شوهد في هتلر يتسم أو يضحك كانت عند لقاء موسليني، ويؤمن كلاهما بعدم وجود قوة قادرة على التفرقة بينهم. هذا هو حب حقيقي رومنسي! في كل مرة يطلب موسليني مساعدة هتلر يظهر الجيش الألماني لينهي المشكلة في دقائق وهذا دفع موسليني للإعجاب الكبير بهؤلاء القوم وقد قال عن ألمانيا: "هذه أعظم أمة في التاريخ، وهي تسمو في طريقها إلى المجد والعظمة".

ذو الألف وجه

يشبه الأمر سوق العبيد بالضبط.. هناك الزحام والباعة الجعجعاون الذين لا يكفون عن الصياح والكذب، وهناك منصة عالية في الوسط يقف عليها مجموعة من الرجال الذين غابت ملامح السعادة عن وجوههم، إنه سوق الأبطال.. وعبير تبحث عن البطل المناسب لتركيب مغامرتها الخاصة، لكن الأمر معقد للغاية بين هذا الجمع من الأبطال.

قد نعتقد أن البطل هو فقط بطل! لكن الكاتب وضع عدة أنماط لشخصية البطل وأبرزها^٢:

نمط البطل المحارب: هذا النوع شرس للغاية ومتعب في إطعامه لأنه يأكل كثيرا.

^١ - فلننقد الدوتشي، سلسلة فانتازيا، العدد ٥١، ص ٢٢.

^٢ - البطل ذو الألف وجه، سلسلة فانتازيا ٥٨، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥.

نمط البطل العاشق: يمثل كتلة من الهيام والرقعة، يحمل وردة ويكي أحيانا.. إنه جميل بشينة وقيس بن الملوح في نفس الوقت.. هذا النوع مناسب جدا للفتيات.

نمط الحكيم: إنه النمط الباحث عن الحكمة! ملتحي وله نظرة عميقة غامضة، لا يتكلم كثيرا ونظراته مزعجة للكثيرين.. نمط ممتاز لكنه ممل نوعا ما!

نمط الباحث: يبحث عن حياة أفضل بشكل مستمر ولا يكف عن التنقل من مكان لآخر، السندباد البحري يمثل نموذج ممتاز لهذا النوع.. لكنه مشكلته هي عدم الاستقرار وهو أسوأ زوج ممكن.

نمط الأحمق: عاشق للحياة ولا يريد سوى اللذات والشهوات.. طبعا هذا النوع مشير للإحراج.

نمط الحاكم: وهو يريد أن يسود النظام، وعادة يترك هذا النمط بصماته على العالم.

نمط الراعي: يسعى لمساعدة الناس ومن الممكن أن يمنح حياته كلها في سبيل المساعدة.

في جحيم الألعاب

قصص (هكسلي).. قصص (هوجو).. قصص (بلزاك).. البعض يبدو مألوفا والبعض لا.. كانت الآن قد فهمت قواعد (فانتازيا)! وهنا وقعت عينها على مشهد فريد، كانت هناك دبابة عملاقة، دبابة لا تبدو كأية دبابة عادية، ولم تكن تقذف النيران من مدفع برجها كالعادة إنما هي تنثره من يدين ميكانيتين عملاقتين، حتى بدت كأنها كائن حديدي حي، وهناك رجال يتراخضون وهم يصوبون مدافعهم إلى برج الدبابة^١..

لقد وضع الكاتب عبير في عالم إفتراضي.. عالم قصص الخيال العلمي، وهذا العالم سيقودها إلى ممارسة عدد لا بأس به من ألعاب الفيديو.. حقيقة افتراضية تجعلها

^١ - في جحيم الألعاب، سلسلة فانتازيا، العدد ٥٩، ص ١٠.

بخطر فعلي، الرصاصة تقتل وأنياب المسخ تمزق، ويجب على عبير أن تعتمد على سرعتها
وذكائها لتخرج من جحيم الألعاب.

بدايةً كان أسمها (لارا كروفت) وهي رشيقة جميلة وتلبس ثيابا عجيبة وكأنها
سائحة.. إنها بطلة اللعبة ذاتها، وأية بطلة! إنها تلك الحسناء التي أنشئ لها ألف موقع
إنترنت ووصلتها رسائل غزل حقيقة، إنها ابنة عالم الآثار البريطاني، وهنا البريطانيون هم
الأخيار بينما الأمريكان يمثلون الجانب الشرير.. وهدف عبير هو غزو القبور فهي عالمة
آثار تبحث في المقابر القديمة.

من جديد عبير اسمها (إيريكابلاسكوفيتش) وهي في سجن ألماني شهير أسطوي
كقلعة (شبانداو)، إنها مسلحة ومتحفزة وكل ماتريده هو تحطيم النازيين والفرار من
القلعة المخيفة.. إنها تقتل الحراس بلا توقف.. من الغريب أن لذة سادية ما بدأت
تتسرب إلى نفسها، إنها تستمتع بالقتل فعلا وبلا أية مبالغة.

هنالك الكثير من الشخصيات والألعاب التي جربتها عبير في فانتازيا وهي
بالترتيب:

Tomb Raider

Wolfenstein

Counter strike

Alone in the dark

Mario

Half Life

Red alert

Arcades

Sinclair

Final Fantasy

Mafia

Assassin's creed

Call of duty

ربما تمنح هذه الألعاب عبير الخيال الذي ترغب فيه.. لكنها مازالت ترى أن الكتاب يمنح متعة حريفة لا تشبه أي شيء آخر.

ليال عربية

كانت هناك وسط النساء..

الجو العام يوحي بأحد المخادع الشرقية.. هناك الكثير من الستائر.. هناك طنفس ووسائل.. هناك حوض ماء صغير يتصاعد منه بخار عطر الرائحة، وهناك طاووس أو إثنان يدوران حول الحوض.. ربما ستجد نمرا لو تبحث بعناية. هناك جوار أكثرهن أفريقيات داكنات البشرة يقمن بتمشيط شعرها الأسود الطويل.. وهناك عبيد عراة الصدور سود البشرة يقفون في شموخ وقد عقدوا سواعدهم على الصدور. هناك جارية شقراء تعني بأظفار قدميها، وأخرى صينية تجلس جوارها وتمسك بصفحة عليها فاكهة طازجة.

عبير في هذه المرة ساحرة.. ساحرة صغيرة الحجم دقيقة أقرب لطفلة، لكن عينيها تشعان ذكاء وقوة شخصية، ومن الواضح أنها حبيثة كذلك، وعلى رأسها عمامة عملاقة مزينة بريشة وماسة.. لا توجد شخصيات كثيرة لها هذا الطابع، وهي تتخيل كيف كانت الملكية سميراميس تلبس وكذلك شجرة الدر.. نحن بالتأكيد في بلد عربي في العصر العباسي.

شهرزاد.. من سواها؟

لقد تطور دور شهرزاد في الفكر الثقافي العالمي، حتى أصبحت رمزاً للأنتى واسعة الحيلة التي تستطيع بذكائها ترويض الثور.. لم يبقها حية سوى ذكائها وقدرتها على نسج قصص ممتعة^١

آليات السرد و التشكيل فى رواية "فانتازيا"

أولاً: دائرة الفعل القصصي:

<u>العنصر</u>	<u>رواية "فانتازيا"</u>
الموضوع	<ul style="list-style-type: none"> - الخيال العلمى - صراع الإنسان مع الواقع . - غرس القيم فى النفوس (التحرر، المساواة، العدل والتمسك بالأخلاق).
المكان	<ul style="list-style-type: none"> - الكون (الطبيعة، الأرض، السماء، الأنهار، ...) - العالم الخيالى و الغابات. - يطول ويقصر، ويتسع ويتقلص.
الزمان	<ul style="list-style-type: none"> - زمن التجربة يساوى زمن الحكى. و يبدو انفلات الزمن و تمدده إلى حدود انفجاره، و تقلصه إلى حدود الحيرة. إنه زمن يؤسس لرحلة وهمية فى غرابة العالم الذى تَقَصَّد الروائي تصويره، من أجل هواية هى أشد غرابة من الرحلة ذاتها. - تسلسل الأحداث و تناميها وفقاً للزمن. - رواية الحدث بمعرفة ماضية وآنية. - يعيش قلق الماضى فى حاضره و مستقبله. - تخليد الزمن؛ لارتباطه بأحلام الإنسان و رغباته.
الحدث	<p style="text-align: center;"><u>أ) الصراع</u> : يبدأ بانحسار، و ينتهى باتساع.</p> <p style="text-align: center;">- المساعد : الواقع، الصراع النفسى، الاستبداد، انتشار الفتن، تدهور الأخلاق</p> <p style="text-align: center;"><u>ب) الرغبة</u>:</p>

^١- ليال عربية، سلسلة فانتازيا، العدد ٢٦، أحمد خالد توفيق، ص ١٩.

<p>- داخلية /خارجية: يريد من خلالها جولة في العالم الخيالي .</p>	
<p>- تتعدد الأصوات داخل الرواية، مما يدل على تنوع الشخصيات و اختلاف أدوارها مساهمة في بناء الحكى .</p> <p>- أنماط الشخصيات؛ الشخصية الرئيسية ،الشخصية الأسطورية، الشخصية السندبادية. وقد قابلت عبير البطلة العديد من الشخصيات. والتي منها سوبر مان، وتشي جيفارا، وهتلر وشكسبير و فرويد وغيرهم.</p>	<p>الشخصيات</p>
<p>- تختلط العوالم مع بعضها البعض في بعض الاحيان.</p> <p>- عالم خيالي سحري ينبض بالمغامرات الخيالية، يأخذ القارئ في رحلة لا محدودة إلى أبعاد مختلفة تعيش في أعماق خيال كاتبها.</p> <p>- نهاية مأمولة لن تتحقق.</p>	<p>التصفية النهائية</p>

ثانياً: دائرة تقنيات السرد

رواية "فانتازيا "	العنصر
<p>يتعدد السارد ، لكن عبيرة عبد الرحمن و الشريف يحتلان المرتبة الأولى.</p> <p>- <u>السرد اللاحق</u>؛ يوصف من خلاله المكان، و تُبلغ الأخبار. للمفارقة بين الواقع المعيش، الخيال العلمي و الهدف المأمول.</p> <p>- <u>السرد المتقدم</u>؛ حينما يتحدث عن المستقبل البعيد، وظهور ثورة الجياع.</p> <p>- <u>السرد المتزامن</u>؛ تبدو الأحداث وعملية السرد كأنهما عمليتان متزامنتان لرفع حدة التوتر والحيرة والدهشة. ونراه كثيراً - في أحوال السارد اليومية، وهو يصف أفعال بطله الروتينية.</p> <p>- <u>السرد المدرج</u>: الذى يعمد إلى تداخل الأزمنة، و التنويع</p>	<p>الحكى</p>

عليها؛ليستريح من عناء الوصف، و يشاركه متلقيه التجربة.	
<p>-تنوع بين الخبر و الإنشاء، لمشاركة المتلقى حكيه،أو الامتثال لرأيه موظفًا عناصر أسلوبية متعددة و متنوعة بجمالية الصورة،و حسن الصياغة، و روعة التصوير .</p> <p>-تقنية الحوار لكونه وسيلة للإقناع، و إضفاء جو الواقعية على المتخيل، فإن المتلقى يعيش حقيقة واقعة،و كثيرًا ما نجد هذا الحوار مدعومًا بالوصف،أو روح الفكاهة و الدعابة، أو السخرية و التهكم.</p> <p>-<u>الوصف</u>: يأتي الوصف مشحونًا بقوة إضافية دلالية و بلاغية تجعل منه شبكة عجائبية تمثل محركًا للنص،و عنصرًا رئيسًا في النسق الروائي، و يظهر ذلك جليًا واضحًا في وصفه للشخصيات، و وصفه للأماكن.</p> <p>-<u>الهيوب الواقعي</u>: يلجأ إليه الروائي عند اختياره للمحور الأفقى، أو عند كسر تصاعد المحور العمودي. نلاحظ ذلك جليًا في الرواية موثقًا رؤياه بالتاريخ، والبرامج الإذاعية.</p>	<p>الصيغة</p>
<p>-تعدد الرؤية:</p> <p>- (الرؤية = مع)، فالراوى يعلم ما تعلمه الشخصية ولا يتجاوزها.</p> <p>- (الرؤية من الخلف /التبئير الصفر)؛ حيث إن الراوى يعرف أكثر من شخصياته.</p>	<p>زاوية الرؤية التبئيرية</p>
<p>-السفر عبر الزمن، القلق، التوتر، الظلم.</p> <p>-استحضار الأرواح، القهر، الرفض، عدم المساواة.</p> <p>-التحليل النفسي، التفاوت الطبقي،الضياع .</p>	<p>الحوافز</p>
<p>-التأليفي: كل ما في الحكاية ضروري لتلاحم عناصرها ، وتحقيق</p>	<p>التحفيز</p>

<p>الغرض من خلقها. ويظهر ذلك من خلال:</p> <p>- ترتيب الحكيات حيث يتم فيه سرد المغامرة تدريجيًا .</p> <p>- التفسير المزدوج: الأحداث على الصعيد العجائبي يغلفها الخيال الفانتازي. وهي تنهض على تردد القارئ؛ لتنسج مستقبلاً مشوباً بالقلق، وانطباعات مشوباً بالحيرة.</p> <p>- الجمالي: ويتم من خلال:</p> <p>التماسك الداخلي : يمرُّ من المستوى التنظيمي إلى المستوى الجمالي.</p>	
<p>- إن الرواية استأنست بتنوع الضمير، وكأنها شكل من أشكال الانزياح عن الراوي المتكلم (من الأنا إلى الأنت إلى الغيبة)؛ لما فيه من القدرة على تعرية الذات المتكلمة.</p> <p>- وتدور السلسلة حول جهاز خيالي يتم تركيبه على الرأس لكي تتصل بالمخ. فيأخذ التجارب والمعلومات والذكريات والقراءات من المخ.</p>	<p>وجهة النظر</p>

و يظهر جليا تلاحم البناء الروائي مع تقنيات السرد، فالحكي وسيلة لإعادة البناء، و البرنامج السردى جزءٌ من الحكاية يهدف إلى تواصل الموضوع بالعوامل، و التحفيز رؤية لاتساق البنية الروائية.

الخاتمة

لقد انتهيت بتوفيق من الله عزوجل من إتمام بحثي المعنون: دراسة فنية لـ"فانتازيا" لأحمد خالد توفيق في ضوء الخيال العلمي.

إن أهم النتائج قد توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

أولاً: النتائج العامة:

١. الكاتب أحمد توفيق يسهل علينا الوصول إلى مجالات معرفية متنوعة ومعقدة. بفضلها، نستطيع استكشاف عوالم مختلفة مثل عالم هولمز، وسيبويه، والحرب العالمية. خيال عبير يربط بين هذه العوالم المتباعدة، مما يسهل علينا الانتقال بينها بسلاسة.
٢. سلسلة فانتازيا تمنح القارئ خلفية ثقافية أدبية وتاريخية بالإضافة إلى جرعة علمية جيدة. الكاتب يجذب القراء من خلال تصويره الفني لجوانب مختلفة، محاولاً جعلهم عاشقين للقراءة مثل عبير عبد الرحمن. تصبح فانتازيا وسيلة للهروب من الواقع، حيث نعيش مغامرات عبير ونكتسب معلومات وحقائق دون عناء. تجربة فانتازيا فريدة وممتعة، تتميز بسخرية عبير ونظرات المرشد اللامبالية.
٣. نبعت فكرة سلسلة فانتازيا من مخيلة أحمد خالد توفيق قبل انتشار الأفكار السينمائية بكثافة. الكاتب، بتجارب واسعة وقراءات متعددة، حول خبراته وحكمته إلى قصص قصيرة مميزة.
٤. عالم فانتازيا ينبع من مخيلة فتاة عادية، تصورها أحمد خالد توفيق بناءً على قراءاته الواسعة. يتميز أسلوب توفيق بالحبكة المتقنة وتوظيف الخيال العلمي لصنع مغامرات مميزة. يجمع بين الواقع والخيال من خلال عوالم عبير الثلاثة: عالمها الحقيقي، وعالم فانتازيا المستند إلى الكتب التي قرأتها، وعالم المغامرات والخيال العلمي. اختيار "فانتازيا" يعكس دمج الواقع برؤية غير مألوفة. يعتبر هذا النوع من الأدب صعباً ومعقداً، ويتطلب خيالاً حصباً، مما يجعل الكتاب القادرين على خوضه نادرين، خاصة في العالم العربي.

ثانياً: النتائج الخاصة:

- ١- روح الابتكار و الريادة لدى الكاتب، وقدرته على خلق عوالم مختلفة رغم وجود بطله عادية.
- ٢- التجدد وعدم التكرار رغم الإنتاج الكثيف في وقت قصير، ورغم عمله على أكثر من سلسلة بالإضافة للقصص الفردية.
- ٣- وفرة الأفكار وطرحها قبل أن تصبح مطروقة في السينما والقصص.
- ٤- الحفاظ على بطل الشخصية على مدار السلسلة وبناء شخصيته ومرافقته في مراحل مختلفة من حياته، ورسم صورة نقيض البطل anti-hero.
- ٥- ارتياد عوالم مختلفة تراعي اختلاف الانجذاب بين القراء (أساطير- تاريخ- خيال علمي بحت، أدب وأدباء..).
- ٦- تنوع أسلوب الكاتب بين السرد الواقعي، الخيال الجاذب، الفكاهة والدعابة، وإعطاء معلومات تسير مع القارئ فيتعلمها بدون جهد. وهكذا نجح أحمد خالد توفيق بتسطير اسمه على قائمة الكتاب العرب وحصوله على لقب العراب، لأنه كان عراباً وأباً حقيقياً للأدب العربي في مجال جديد.

توصيات البحث

١. ضرورة إجراء دراسات تتناول الخيال العلمي في أعمال الروائيين، والربط بينه وبين التفكير الإبداعي لديهم.
٢. إجراء دراسات مقارنة خاصة بأعمال الروائي أحمد خالد توفيق للبحث عن الدوافع الخفية وراء تفكيره وخياله.

الفهارس الفنية

فهرس الأشعار العربية

الصفحة	الشعر
٢٧٥	أبلغ سليمان أني عنه في سعة... ..
٢٧٥	أسيبويه يا ابن الفارسية ما الذي
٢١٥	أنا النيل مقبرة للغزاة... ..
٢٧٥	النيل نجاشي.. حليوه أسمر
٢٧٥	أيها النيل يا حبيب الرياحين... ..
٢٧٥	تذكرت غيدا والأيام الخواليا
٢٧٦	عيني عليه ساعة القضا
٢٧٦	فوددت تقبيل السيوف لأنها... ..
٢٧٦	مسافر زاده الخيال
٢٧٦	ولقد ذكرتك والرماح نواهل
٢٧٦	ولقد هممت بغارة في ليلة
٢٧٦	وياشبهه غيدا لو تلبثت ساعة
٢٧٥	يؤمل دنيا لتبقى له

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

أ	
١.	الإنسان الآلي، كارل تشابك ، ترجمة: حسين العامل، دار ابن خلدون للنشر و التوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٩٨١م.
٢.	أثر استخدام قصص الخيال العلمي في تنمية مفاهيم طلاب الصف السادس ذوي أنماط التعلم المختلفة في فلسطين، إعداد الباحث : شيماء باسل محمد عوده ، تحت إشراف : د. عبد الغني حمدي الصيفي، العام الدراسي : ٢٠١٤ م ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين.
٣.	أدب الخيال العلمي بين الأدبية والعلمية ، أ.د. سمر الديوب ، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية ، تصدر عن مركز جيل للبحث العلمي ، جامعة البعث ، حمص، سوريا ، ع : ١٨ ، العام الثالث : ٢٠١٦ م .
٤.	أدب الخيال العلمي العربي الراهن والمستقبل ، محمد أحمد مصطفى ، مجلة النقد الأدبي فصول ، ع : ٨١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨م.
٥.	أدب الخيال العلمي في المغرب العربي، د. عياد كوثر، مجلة الخيال العلمي، العدد ١٢، سوريا، تموز ٢٠٠٩م.
٦.	أدب الخيال العلمي: المصطلح والأصول التاريخية، محمد ياسين ، مجلة الخيال العلمي، العدد ٢، سوريا، أيلول / تشرين الأول ٢٠٠٨م أدب الخيال العلمي وصناعة الأحلام، شوقي بدر يوسف، مجلة عمان، العدد ١١٨، نيسان، ٢٠٠٥م.
٧.	أدب الخيال العلمي وصناعة الأحلام، شوقي بدر يوسف، مجلة عمان، العدد ١١٨، نيسان، ٢٠٠٥م.
٨.	أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو، ترجمة ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٠م.
٩.	الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، نور الدين السد، ج ١، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر، ٢٠١٠م.

١٠.	الأسلوبية والتأويل والتعليم، د. حسن غزالة، مؤسسة الإمامة للصحيفة، الرياض، ١٩٩٤م.
١١.	اغتيال كمبيوتر، رؤوف وصفي، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
ب	
١٢.	البطل في الآداب العالمية، نسيمه زمالي، من الأسطورة إلى الحداثة، مجلة الذاكرة، جامعة تبسة، الجزائر، العدد ٥، ٢٠١٥م.
١٣.	البطل في الأدب العربي المعاصر "الشخصية البطولة والضحية"، سلمى الخضراء الجيوسي، مجلة الآداب، لبنان، العدد ١٠، السنة ٢٥، تشرين الأول أكتوبر ١٩٧٧م.
١٤.	البطل في الترا "سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة"، د. القيسي نوري حمودي، دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة الإعلام، ط ١، ١٩٨٨م.
١٥.	البطل في الرواية السعودية، د. حسين حجاب الحازمي، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط ٢، ٢٠٠٨م.
١٦.	البطل في مسرح الستينات بين النظرية والتطبيق دراسة تحليلية، د. العشري، أحمد، التنفيذ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، مكتبة الأسرة.
١٧.	البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية "العفيفي، محمد أبو الفتوح محمد، عنتره بن شداد نموذجاً" إيتير الك، ط ١، ٢٠٠١م القاهرة.
١٨.	بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط ٢٠٠٤م.
١٩.	البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط ١، ١٩٩٧م.
٢٠.	بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث الجزائر-ط ١-٢٠١٠م.
٢١.	البنية السردية في الرواية (دراسة في ثلاثية خيرى شلبي)، عبد المنعم زكرياء القاضي، أحمد إبراهيم الحواراتي، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية، مصر، ط ١، ٢٠٠٩م.
٢٢.	بنية الشكل الروائي في منظور النقد الأدبي، حسن بجراوي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٠م.
٢٣.	بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، حميد الحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٠م.
٢٤.	البنوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان و آخرون، الطبعة الثاني، بيروت، مؤسسة

	الأبحاث العربية، ١٩٨٦م.
٢٥.	البيئة الزمانية والمكانية في أدب الخيال العلمي، د. قاسم قاسم، مجلة الخيال العلمي، العدد الأول، سوريا، آب ٢٠٠٨م.
ت	
٢٦.	ترجمة رواية الخيال العلمي، المصطلح والأسلوب رواية " الحصن الرقمي " لدان براؤن ترجمة فائزة غسان المنجد أتمودجا، إعداد الباحث هشام فلاح، تحت إشراف: د. ناصيف العابد، العام الدراسي ٢٠١٣ م، كلية الآداب واللغات، جامعة قسطنطينية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
٢٧.	ترجمة المصطلح العلمي في روايات الخيال العلمي، إعداد الباحثين راضية بوشاقور، وحيد بن الزغدة، تحت إشراف: د. فيصل الأحمر، العام الدراسي: ٢٠١٥ م - ٢٠١٦ م، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
٢٨.	تقنيات البيئة السردية في الرواية المغاربية، إبراهيم عباس، منظورات المؤسسة الوطنية للاتصال، د. ط ٢٠٠٢م.
٢٩.	تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمينة يوسف، دار الحوار للنشر اللاذقية، سوريا، ط ١، ١٩٩٧م.
ث	
٣٠.	الحكاية الشعبية الفلسطينية، سرحان نمر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٨م.
٣١.	حرب العوالم، هيرت جورج ويلز، ترجمة: سمير عزت نصار، دار النشر، الأردن، عمان، ط ١: ١٩٩٧م.
٣٢.	حياة النص، دراسات في النص الأدبي، أحمد فرشوخ، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٤م.
ج	
٣٣.	خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي (الصهيوني)، عبد القادر شرشال، دراسة تحليلية، مركز الدراسات، الوحدة العربية بيروت، مصر، ط ١، ٢٠٠٥م.
٣٤.	خيال أدب الخيال العلمي العربي. زهير غانم، مجلة الخيال العلمي، العدد الأول، سوريا، آب ٢٠٠٨م.

٣٥ .	الخيال العلمي أدب القرن العشرين، محمود قاسم، الدار العربية للكتاب، طرابلس. ١٩٩٣ م.
٣٦ .	الخيال العلمي في أسئلة وأجوبة، د. قاسم قاسم، مجلة الخيال العلمي، العدد ١٢، سوريا، تموز ٢٠٠٩ م.
٣٧ .	الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٣٨ .	الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، اعداد الباحث: محمد عبدالله الياسين، تحت إشراف: الأستاذ الدكتور غسان مرتضى، العام الدراسي ٢٠٠٣ م، قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت .
٣٩ .	الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر (نهاية القرن العشرين) . يوسف الشاروني : الهيئة المصرية العامة الكاملة للكتاب ، القاهرة. ٢٠٠٠ م .
٤٠ .	الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر : حتى نهاية القرن العشرين ، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
٤١ .	الخيال العلمي في الأدب، محمد عزام، ط ١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ١٩٩٤ م.
٤٢ .	الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا . سيد ديفيد، ترجمة: نقين عبد الرؤف ، هنداي للتعليم والثقافة ٢٠١٦ م.
٤٣ .	الخيال العلمي وتجربتي مع المصطلح ، طالب عمران ، مجلة الخيال العلمي ، تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، ع ٥-٦ ، ٢٠١٨ م .
د	
٤٤ .	دراسة سيميائية الرواية بحر بلا نور، فاطمة مغراوي، دار الكتب بيروت، ٢٠١٥ م .
٤٥ .	دراسات في السرد الحديث والمعاصر، أحمد عويد، دار الوفاء، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٤٦ .	دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي سعد البازعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٢ م.
ر	
٤٧ .	الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط الثامنة ٢٠٠١ م.
٤٨ .	رحيل عميد الخيال العلمي العربي : صفات سلامة : الشرق الأوسط : ٨ يناير ٢٠١١

م، العدد: ١١٧٢٩.	
رواد النهضة العربية، مارون عبود، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢م.	.٤٩
الرواية البوليسية، عبد القادر شرشارة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.	.٥٠
الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٩م.	.٥١
الرواية التاريخية، حلمي القاعود، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.	.٥٢
رواية الخيال العلمي: خصائصها، إشكالياتها وأسئلة المستقبل، د. محسن الرملي، مجلة شؤون ثقافية، العدد ٣١، الجماهيرية الليبية، أكتوبر ٢٠١٠م.	.٥٣
الرواية العربية و إشكالية التصنيف، ساندي سالم ابو سيف، دار النشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.	.٥٤
الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي، ابراهيم عباس، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ١، ٢٠٠٥م.	.٥٥
الرواية والتراث السردى، سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.	.٥٦
الرواية والقصة والمسرح، محمد تحريشي، دار النشر، حلب سوريا، ٢٠٠٧م.	.٥٧
الرواية وتأويل التاريخ، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.	.٥٨
س	
السردية العربية، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣م.	.٥٩
سلسلة فانتازيا، احمد خالد توفيق، المؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.	.٦٠
سوسولوجيا الأدب والنقد، جميل حمداوي، الطبعة الأولى، المغرب، مكتبة المعارف، ٢٠١٥م.	.٦١
ش	
شعرية القراءة و التأويل، فتحي بو خالفة، علم الكتب الحديثة، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.	.٦٢
شعرية القضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٠م.	.٦٣
ط	
الطبائع الفنية لأدب الخيال العلمي " الرواية أمودجاً"، حمادة هزاع، مجلة الخيال العلمي،	.٦٤

العدادان : ١١-١٠ ، سوريا، أيار / حزيران ٢٠٠٩ م.	
ع	
علم النفس والطب النفسي، د. جابر عبد الحميد، د، كفاقي، علاء الدين، معجم دار النهضة العربية ١٩٨٨م، القاهرة.	.٦٥
ف	
الفن الروائي عند غادة السمان، عبد العزيز شبيل، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٧م.	.٦٦
فن القصة، أحمد أبو أسعد، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ج ١، ط ١، ١٩٥٩م.	.٦٧
في البنية و الدلالة في روايات إبراهيم، أحمد مرشد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.	.٦٨
في تاريخ الأدب العربي الحديث، د. محمد ربيع، دار النشر، عمان أردن، ط/١، ١٩٩٠م.	.٦٩
في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م	.٧٠
ق	
القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.	.٧١
القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، دار الكتب بدمشق، ١٩٨٠م.	.٧٢
قصص الخيال العلمي في الأدب العربي ، محمد نجيب التلاوي، دار المتنبي،(باريس،بيروت)، دون تاريخ.	.٧٣
قصص من الخيال العلمي، رؤوف وصفي ، ج ١ ، سلسلة العلم و الحياة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ١٩٨٩م.	.٧٤
قصص من الخيال العلمي ، عمر حصوة ، دارالمجد، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩١ م .	.٧٥
قضايا نقد الأدبي المعاصر، سمير حجازي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الأفاق العربية ٢٠٠٧م.	.٧٦
قيم فيلم الخيال العلمي الأمريكي وتأثيرها على ثقافة الطفل العربي المسلم ، إعداد البحث : حفيظية بوخاري ، تحت إشراف : د . نادية شرابي ، العام الدراسي : ٢٠١٠ م ، كلية العلوم السياسية والإسلام ، جامعة الجزائر .	.٧٧
م	
مدخل لدراسة العنوان القصص، محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية الكويت، ١٩٩٥م.	.٧٨

المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر: فريد أنطونيوس، فليب فان تيغم، منشورات عويدان، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.	.٧٩
المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي القيومي، معجم عربي، دار الحديث، القاهرة، د. ف ٢٠٠٣م.	.٨٠
معجم الأدباء العرب في الرواية و الشعر و الأدب، عبد الحميد دشو، ٢٠١٨م.	.٨١
المعجم الأدبي، عبد النور، جبور، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.	.٨٢
معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدكتور سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م.	.٨٣
مقالات في الترجمة والأسلوبية، د. حسن غزالة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.	.٨٤
من أدب الخيال العلمي، راي براد بوري، ترجمة: حسن شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.	.٨٥
مناهج النقد الأدبي الحديث، وليد إبراهيم قصاب، دار الفكر دمشق، ٢٠٠٩م.	.٨٦
ن	
نظرية الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، علاء السعيد حسان، مؤسسة الوراق النشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.	.٨٧
النقد الثقافي وما بعد الحداثة، صلاح الشرنوبي قنصوة، مجلة محاور، المكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٤م.	.٨٨
و	
الواقعية في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.	.٨٩
المجلات العربية	
بناة الأجيال، مجلة فصلية تربوية ثقافية متنوعة تصدر عن المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في سورية العدد (٦٠) عام ٢٠٠٦م.	.٩٠
التربية العلمية، مجلة علمية، صادرة عن الجمعية المصرية للتربية العلمية، المجلد ١٧، العدد ٢، مارس، ٢٠١٤م.	.٩١
الثورة السورية، صحيفة يومية سياسية تصدر في دمشق عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، العدد ١٣٠٠٦، الموافق ١٠ أيار، عام ٢٠٠٦م.	.٩٢

٩٣.	الخيال العلمي ، مجلة علمية ثقافية شهرية، العدد ١٢، صادرة عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، تموز، ٢٠٠٩ م.
٩٤.	ديوجين (باللغة العربية)، مجلة ثقافية تصدر عن منظمة اليونسكو بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام بجمهورية مصر العربية، العدد (٧١) عام ١٩٨٦ م.
٩٥.	عالم الفكر، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، الأعوام (١٩٧٢ م العدد ٢. ١٩٨٨ م العدد ٤، ١٩٨٠ م العدد ٣)
٩٦.	العربي، مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، الأعداد، (٣١٥، ٤١٣، ٤٩١، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٨)
٩٧.	الفيصل، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل في المملكة العربية السعودية، العدد (٤١) عام ١٩٨٠ م.
٩٨.	الهلال، مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال بمصر، مارس عام ١٩٥٩ م.

الإنجليزية

S.#	References
1.	Adams, Douglas. The Hitchhiker's Guide to the Galaxy. Pan Books, 1979.
2.	Al-Ayad, Djibril, and Charlotte Ashley (editors). "Arab Futurism: Speculative Fiction and the Arab World." Future Fire, no. 40, 2017. Al-Maria, Sophia. "Gulf Futurism." Bidoun, no. 23, 2010, pp. 54-61.
3.	Al-Ramli, Hassan. The Loved Ones. Translated by Leri Price, Amazon Crossing, 2019.
4.	Al-Yagout, Fajer. "The Emergence of Science Fiction in the Arab World." Al-Fanar Media, 11 Mar.2015.
5.	Bahjatt, Yasser. "Arab Science Fiction: Writing with a Mission." The Middle East Institute, 2019.
6.	Bester, Alfred. The Stars My Destination. Signet Books, 1956.
7.	Bradbury, Ray. Fahrenheit 451. Ballantine Books, 1953.
8.	Bradbury, Ray. The Martian Chronicles. Doubleday, 1950.
9.	Butler, Octavia E. Kindred. Beacon Press, 1979.
10.	Ciesielska, Anna. "Arabic Science Fiction: Challenges and Opportunities." International Journal of Arabic-English

	Studies, vol. 17, no. 1, 2016, pp. 33-50.
11.	Clarke, Arthur C. <i>Childhood's End</i> . Ballantine Books, 1953.
12.	Dick, Philip K. <i>Do Androids Dream of Electric Sheep?</i> Doubleday, 1968.
13.	El-Zein, Amal. "Arabic Science Fiction: From Imagination to Innovation." <i>Gulf News</i> , 12 Apr. 2017.
14.	Gibson, William. <i>Neuromancer</i> . Ace Books, 1984.
15.	Heinlein, Robert A. <i>Starship Troopers</i> . G.P. Putnam's Sons, 1959.
16.	Naji, Rasha. <i>The Miserables</i> . Translated by Perween Richards, Darf Publishers, 2019.
17.	Stephenson, Neal. <i>Snow Crash</i> . Bantam Books, 1992.
18.	Verne, Jules. <i>Twenty Thousand Leagues Under the Sea</i> . Pierre-Jules Hetzel, 1870.
19.	Wells, H.G. <i>The War of the Worlds</i> . William Heinemann, 1898.
20.	Yahya, Noura. <i>Cracking the Earth</i> . Translated by Perween Richards, Interlink Publishing, 2018.